شعر الأطفال في الوطن العربي

(دراسة تاريخية نقدية)

بيان الصفدي

شعر الأطفال في
الوطن العربي
(دراسة تاريخية نقدية)

www.alkottob.com

الإهداء

إلى زكريا تامر.. وفاء للتشجيع الأول.

وا إلى زملائي في دار ثقافة الأطفال في بغداد

وفاء لرحلتي الأولى معهم على هذا الطريق.

µ

ليس غريباً أن تكون الدراسات الخاصة بأدب الأطفال نادرة، فبعد قرنين من محاولات النهوض العربي لم نُجب كما يلزم عن محاولات النهوض الكبرى، حيث يشكل التعليم – والطفل منطلقه الأساس الأول له.

فالطريق وعرة مليئة بالأثقال والحواجز، على الرغم من أعداد المتعلمين التي لم نستطع أن نعلمها آليات التفكير المبدع الحر، ونضعها في خدمة المجتمع.

منذ أن ارتبطتُ بالكتابة للأطفال، وتحديداً في عام ١٩٧٦ وأنا أعاني مع المهتمين مثلي من أن ثقافةالطفل مهمَّشة.. في البيت والمدرسة والمؤسسات الرسمية والخاصة، فالاحتفالية هي طابَع الاهتمام، لا العمل المنظم المخطط المدعوم مادياً ومعنوياً . حتى نقاط الضوء سرعان ما تختفي، فقد اختفت مجلة "سندباد" المصرية، وتراجعت أحلام "دار ثقافة الأطفال" في بغداد، وتعثَّرت مجلة "أسامة"الرائدة في سورية في رحلتها كثيراً، وتوقفت دور نشر ومجلات وسلاسل للأطفال، فما يصدر للطفل من كتب عندنا قد لا يكفي قرية صغيرة في بلد متقدم، مع ذلك فهناك قلة ما زالت تحفر الصخر في هذا الطريق، عازمة على التمسك بهذا الأمل.. الطفل على الرغم من كل هذا.

كانت صلتي بشعر الأطفال وطيدة منذ البداية كتابة ونقداً وعملاً، ورحت أتتبع خيوط هذا اللون الشعري الطارئ.. منذ كانت إرهاصاً على شكل ترقيص قديم، ومحاولات قَصٍّ، حتى استوى دعوة ناهضة على يد الطهطاوي ومن جاء بعده.

وبدا لي أن تجربة شعر الأطفال العربي قد تطورت وتوسعت، وكثر المشاركون فيها، وصارت بحاجة إلى دراسة تاريخية ونقدية تلقي الأضواء المطلوبة عليها، وكانت لي بدايات متعددة في هذا الجهد، فبدأت بدراسة عن" فنون الكتابة الأدبية للأطفال" عام١٩٧٧ ثم "قصيدة الطفل" عام ١٩٧٩ ثم "شعر الأطفال ونماذج من سورية" عام ١٩٨٨ إضافة إلى عشرات المقالات التي تتابع ما نشر في شعر الأطفال. ومع صعوبة الوصول إلى المصادر، وندرة الصدُّوى في الطريق، فقد كانت بداية متواضعة قليلة الزاد.. ومع هذا فقد ظللت في شغل دائم أجمع وأسمع وأراسل، حتى أصل إلى ما أستطيع حول موضوع هذه الدراسة، وها أنا قد شعرت بأنها قد وصلت إلى حد مقبول علمياً، بعد مسح شامل لأكثر المصادر الموصلة إلى الهدف، وا ن كان سيبقى المزيد للإضافة والتصحيح.

ومن دواعي فرحي أن أسدّ ثغرة كبيرة فيما يتعلق بالتجربة السورية، من خلال إطلاق التجارب المنسية إلى دائرة الضوء.

ومما زاد من هذا الفرح عثوري على نص نادر، أو كتاب منسي تماماً، كما حصل مع الشاعرة السورية جسماني شقرا التي نشرت ديواناً للأطفال هو "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢.

والدراسات الحقيقية التي تناولت شعر الأطفال العربي تكاد تُعَدُّ على أَصابع اليد الواحدة، وما نُشر من مقالات في غالبيته لا يحمل معلومة ذات بال في هذا الموضوع، فلكل من حاول دراسة شعر الأطفال العرفان والشكر، ولكن ذلك لن يمنعنا من تقويم ما قدموا، وتقييم ما وصلوا إليه من معلومات ونتائج.

وبنظرة سريعة يرى القارئ أن تجربة شعر الأطفال قد تركزت في مصر وبلاد الشام والعراق منذ القرن التاسع

عشر تبعاً للنهوض العام – والتعليمي منه – في تلك الأقطار العربية.

ومع بدايات القرن العشرين تقدمت التجارب وغزر العطاء، وظهرت شرارة هنا أو هناك في مغرب الوطن العربي أو مشرقه، ولكن شعر الأطفال ما زال متركزاً في هذه البقاع، وأملنا أن تعمّ التجارب الناضجة كل بلد عربي.

إن التعب المبذول في هذا الكتاب، ومراجعة عشرات الكتب للخروج بنصوص قليلة، والصبر على ندرة الكتب التي احتجت إليها، كل ذلك يهون عندما يشعر المرء أنه قدّم جهداً يكشف عن إبداع المربين والشعراء في سورية والوطن العربي، حيث قدموا ولم ينتظروا سوى رؤية طفل يتغنى بما كتبوا.

وتأتي هذه الدراسة خاتمة تاريخية نقدية تتوّج "ديوان شعر الأطفال العربي" الذي تبنَّته لنا وزارة الثقافة السورية بأجزائه الأربعة.

وأول وآخر من أودّ شكرهم هم أولئك الذين سيهدون إليّ عيوبي، فبهذا تتم الفائدة بما قدمت.

بيان الصفدي

دمشق ١/١/ ٢٠٠٣

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا)

الكهف – ٤٦

« الولد ريحانة من الجنة »

حديث شريف

إنمـــا أولادُنـــا بيننـــا   أكبادُنا تمشي على الأرضِ

حِطّان بن المعلى

كـــذا كــــلٌّ ولـــــدْ   لـم يلـدْ مثلـي أحـدْ ؟

أعرابية

ـزدرُنَّ صـــغاراً فـــي   ز أن يُـرَوا سـاداتِ أقوام

ِا الطفلَ عن ذكْرٍ يُقال   ـش يُـدْعَ كهـلاً بعد

أبو العلاء المعري

الباب الأول

إطلالة تاريخية

الفصل الأول
شعر ترقيص الأطفال عند العرب

يستطيع الباحث أن يأتي بشواهد مغرقة في القدم قد تفسَّر على أنها نصوص كتبت للطفل، سواء من التراث

السوري القديم أو الفرعوني، ولكني أعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون حماسة مبالغاً فيها.

فالعناية بالطفل كانت محدودةوحياة الناس في القديم لم تولِ الطفولة ما تستحقها من عناية ورعاية، بل إن العالم كله لم يعرف الاهتمام المطلوب بها إلا في العصر الحديث، انطلاقاً من الفكر الجديد والتطور النوعي الذي لحق بالمجتمعات البشرية ثقافة وتعليماً .

كما أنه لا يمكن لأحد أن يزعم أن في تراثنا شعراً مكتوباً للطفللكن هذا التراث يحتوي على ما سُمِّي بشعر ترقيص الأطفال، وهو ليس مكتوباً من أجل أن ينشده أو يحفظه الأطفال، بل هو شعر مكتوب بإيقاع راقص يناسب من يرقّص الطفل، فيعبر عن عاطفته من ناحية، ويؤثر في الطفل بالصوت والحركة المرافقة للغناء.

ربما كان هناك الكثير من هذا اللون، إلا أن ما وصلنا لا يزيد على عشرات المقطوعات القصيرة مبعثرة في كتب عديدة.

وفي العصر الحديث اهتم عدد من الباحثين بشعر الترقيص، فجمعوا أهم ما ورد منه، وبحثوا في بواعثه وأساليبه.

وقد كان رائد هذه الدراسة الدكتور أحمد عيسى في كتابه "الغناء للأطفال عند العرب" الصادر عام ١٩٣٤، وهو كتاب أنيق حرص مؤلفه على شرح مقطوعات الترقيص الحافلة بالمفردات الغريبة والأساليب اللغوية الخاصة.

ثم وضع الباحث العراقي سعيد الديوه جي كتاباً فيه زيادات على كتاب عيسى ونصوص لأغاني الأطفال بالعامية الموصلية واسم كتابه "أشعار الترقيص عند العرب" وقد صدر عام ١٩٦٨.

بعد ذلك وضع الدكتور أحمد أبو سعد كتابه الهام "أغاني ترقيص الأطفال عند العرب" عام ١٩٧٤، فغطى الكثير مما أغفله الكاتبان السابقان، فامتاز عمله بالمنهجية العلمية والروح الحديثة والدقة والفنية في بحث هذا اللون الشعري.

وجال أبو سعد مع أغنية الطفل ومعناها، وتحدث عن خصائصها من خلال شعر الترقيص، كما أنه لم يغفل الأغاني بالمحكية، فأثبت عدداً منها، ومن عدة بلدان عربية.

ولعل من مميزات شعر الترقيص أن جُلّه مجهول القائل، وهذا ملمح أساس يدل على شعبية هذه المقطوعات، وعلى كونها مما يقال بشكل عابر، لا يصدر عن شاعرية تبحث عن التوثيق لها رواية أو كتابةً .. إنها أشبه بأبيات من الزجل تقال هذه الأيام.

فهذا اللون لم يُقل من شعراء معروفين بل هي من مرتجَلات الناس تعبيراً عن عاطفة أو حاجة للتسلية أو المرح.

من ذلك قول أعرابية(١):

يا حبذا ريح الولدْ

ريح الخُزامى في البلدْ

أهكذا كلُّ ولدْ

أم لم يلد مثلي أحدْ ؟

إنها مقطوعة مشهورة، امتازت بالصدق واللغة السهلة العذبةوا إيقاع في غاية القصر، حيث تكتفي الأعرابية هنا بمجزوء الرجز:

مستفعلن مستفعلن

---

(١) الدراري في الذراري . ص ٢٦ .

وعلى الوزن والإيقاع والقافية نفسها تقول أعرابية أخرى[٢]:

يـا حسـرتا لــى ولـدْ

نــبهَ شـــيء

إذا الرجال في

تغـــالبوا ــى ذكـدْ

كـان لــه ـظ الأسـدْ

إن هذه المقطوعات التي تعبر عن محبة الولد هي الأكثر دوراناً في تراثنا، ومن قبل الأبوين، إذ نقرأ لجرير يرقص ابنه بلالاً بقوله[٣]:

ــلالاً لـم تَشُـنْه أمُّــهْ

لـم يتناسـب خالــه وعمــه

يشي الصداع ريحه وشمّه

ذُهب الهموم عنـي ضمُّه

ح المسك مُسْتَحَمُّه

مـا ينبغـي للمسـلمين ذمـه

ضـــي الأمـــورَ وهـــو

بحـور واسـعٌ مَجَمُّـه

ِّج الأمــرَ ولا يُغمُّــه

ســه نفســي وسُــمِّي

ومقطوعة الترقيص تحوي أخباراً لا علاقة لها بالطفل، ولكنها مناسبة لهذه النجوى التي تبثها أعرابية ذاكرة فيها زوجها قاطع الطريق[٤]:

يـا ليتـه مـا قطـع الطريقـا

ـم يُـرد فــي أمـره رفيقـا

قد أخاف الفجَّ والمضيقا

قـلَّ أن كـان بــه شـفيقا

وهذه أعرابية أخرى تعرِّض بزوجها وهي ترقص ابنها [٥]:

ه من ذي ثِفال خِبّ يقلـب عينـاً مثـل عـين

---

(2) سا . ص ٢٤ .

(3) محاسن الأراجيز . ص ١٨٤ .

(4) العقد الفريد ١ / ٢٧٨ .

(5) بلاغات النساء . ص ١٢٦ .

لــيس بمعشــوق ولا

فرد عليها زوجها:

ـه مـن سـَ ـدْفع أفـوكِ

ـر ْح إلـــى جاراتـهـــا

، ه ِبلّ قد عسا ـه َنيك

ـحمـل رأســاً مثـل رأس

وروي عن العجلان بن سحبان أنه عبر عن سخطه على امرأته وهو يرقص ابنته قائلاً (٦):

هبتهـا مـن قلـِـق نطاقُهـا

ـمـِّر عـُرقوبها عن ساقها

يكثر في جيرانـها احتراقها[I]

فأخذت امرأته ابنتها وقالت:

هبتها من شيخ سوء أنكدْ

ـحسـن الوجـه ولا مسـوّد

يأتي الأمور بالدواهي الأبَّد

لا يبــالي جــار ه أن يبعـد

فأخذ ابنته وقال:

هبتها من ذات خلق سلفعْ

تواجـه القـوم بوجـه أجـدع

من بعد بيضاء سواي أربع

ـلهفي من بدلٍ لـي موجع

فأخذت ابنتها وقالت:

ـحـنّ خرقـاً مـن الفتيـانْ

مثـل أبـي عزة فـي الأحيان

جتنـــبْ (II) مثـــل أبـــي

ـــه عـَيــــرٌ وقربتـــان

وهذه المحاورات الطريفة تتردد هنا وهناك حاملة معها الكثير من معاناة الرجل والمرأة.

إن أكثر هذه المحاورات يدور حول سوء المعاملة ودمامة الشكل ورداءة الخلق، وحتى يكون الكلام موجعاً كان

---

(6) سا . ص ١٠٨ .

(I) في رواية أخرى إحداقها .

(II) حركت الباء بالضم في الأصل ، والواجب التسكين للضرورة هنا.

يتعرض كلا الطرفين إلى ما يؤلم صاحبه.. كل هذا في عملية ترقيص الطفل!!.

لنستمع إلى أعرابي يقول وهو يرقص ابنه [٧]:

ـه من ذات ضـ ـغْن خـ بَّه
ـصـيرةِ الأعضـاء مثـل
تعيـا كـلام البعـل إلا سـبه

فأجابته:

بته من مرعش من الكبر ْ
ـ َـرنفع وريـده مثـل الـوتر
بـئس الفتـى فـي أهلـه وفـي

ويروي صاحب كتاب "بلاغات النساء"أن أعرابياً اتهم امرأته بالخيانة لأنها ولدت له ابنا أبيض، وهو أسود وأبناؤه الباقون سود، فقال[٨]:

ـد ِنَّ مقعـد َ القصـيِّ
ي َ ذي[I] ـاذورة المـ َقلـي
أو تحلفـي بربـك العلـي
أنـي أبـو ذيالـك الصـبي
قـد رابنـي ببصـر رخـي
ـة كمقلـة الكَر ْ كـ ِـي

ثم قامت تمشط شعر رأسه، فقال لها:

تمشِ ـطي شـعري ولا
ـا بالـه أحمـر كـالهجينِ
ـيس كـألوان بنـيَّ الجـون

فردت عليه:

لـه مـن قـ ِبـ َلـي أجـدادا
ض َ الوجوه سادة أنجـادا
ـا ضـرَّهم يـوم لقـوا عبـادا
أن لا يكـون لـونهم سـوادا

(7) سا . ص ١٢٦ .
(8) سا . ص ١٢٧ . وراجع باقي المحاورات في ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ .
(I) في الأصل : من ذوي . والصحيح ملذكرناه، ويُذكر "ذو" .

وفي كتب النحو استشهد بهذه الترقيصة في شطر: لتقعدن مقعد القصي، حيث كانت هذه المقطوعات ذات لغة خاصة، كثيراً ما تتحرر من الأساليب النظامية.

وروى الجاحظ أن أبا حمزة الضبي هجر خيمته لأن امرأته ولدت له بنتاً، وكانت لا تلد إلا البنات، فقالت(٩):

مـا لأبــي حمـزة لا يأتينــا
يظل فـي البيـت الـذي يلينـا
غضــبان ألا نلــد البنينــا
تـا لله مـا ذلـك فـي أيـدينا
إنمـا نأخـذ مـا أُعطينــا
ونحــن كــالأرض لزارعينــا
ننبـت مـا قـد زرعـوه فينـا

وإذا كان التغني يتم غالباً بالصبيان، فما ذلك إلا لأن المجتمع القديم كان ينظر إلى الصبي بكثير من التقدير والإعلاء، فالصبي سيكون رجل الغد، أي المقاتل في مجتمع لا يكف عن الغزو والحرب، ولذلك فلم يكن مقدم البنت على الأسرة مدعاة للفرح، بل إن عادة الوأد الذميمة للبنات كانت معروفة في الجاهلية، وقد أبطلها الإسلام ونزل القرآن الكريم بالنهي عن التطيُّر من ولادة الأنثى.

ومن طرائف شعر الترقيص ما ورد في محاورة بين أعرابية تكره البنات وأخرى ترد عليها، إذ قالت الأولى(١٠):

الحمـد لله الحميـد العـالي
أنقذني العام من الجـواري
من كل شوهاء كشَنٍّ بـالي
لا تـدفع الضـيم عن العيـال

فأجابتها الثانية:

وما علـيَّ أن تكـون جاريـهْ
تكـنس بيتـي وتـرد العاريـهْ
تمشط رأسي وتكون الفاليـه
وترفـع الساقط من خماريـه
حتـى إذا مـا بلغـت ثمانيـه
أو تسعة من السنين وافيـه
زوجتهـا ببُـرْدة يمانيــه
أنكحتُهـا مـروان أو معاويـه
أصــهار صــدق ومهــور

(9) البيان والتبيين ١ / ١٠٥ .
(10) المستطرف ٢ / ١١ .

وهنا نلاحظ لماذا تهتم تلك الأعرابية بابنتها، ولمذا تعطيها دوراً أكثر مما أعطت، فإن الرؤية الاجتماعية وقتذاك لا تتجاوز هذا الأفق.

وعندما نسمع ما يقوله الأعرابي وهو يرقص ابنته نحس كم يشكل توالي البنات من عيب على الرجل، فها هو يقول(١١):

يـا رب حسـبي مـن بنـات

شـيبن رأسـي وأكلـن كسـبي

إن زدتني أخرى قت َ قلبـي

دِتنـي همـاً يـدق صد ُ ـلبي

وتشاركه أعرابية في تفضيل الولد، ولكن على طريقتها الخاصة. إذ تقول(١٢):

بالي أن أكون مـ ُـحـ ْـمـ َ قـه

إذا رأيــت خصــية معلقــه

وإذا كانت هذه الأعرابية تتمنى أن تلد صبياً ، فإن عقيل بن علفة يقول بكثير من قسوة لا تصدر عن قلب رقيق كريم. فها هو يرقص ابنته قائلاً (١٣):

ن سيق إلـي ّ المهـر ُ

ف وعبـدان وذود عشـر ُ

أصـهاري إلـي ّ القبـر ُ

وقد كان عبد الله بن طاهر قد لخص أمر الفتاة، فقال (١٤):

ل أبي بنت يـ ُرجَّى بقاؤها	**لاثـــة أصـــهار إذا ذكـ ِـــر**
بيت يغطيها وبعل يصونها	**ر يواريها وخيرهما القبر ْ**

ولكن الرحمة التي تغمر القلب، والرهافة التي يمتلكها بعض الناس تجعلهم أقوى من هذا العرف الاجتماعي الظالم، والتقليد البليد الخالي من المشاعر الإنسانية، عندها سنلتقي مع نبض نبيل في قلوب رقيقة كأبي شجرة الأزرقي الذي قال في قصيدة له (١٥):

أصـــبحت بعـــد اللهـــو

وبعد إسباغ الرداء الضـافي

جـوار ٍ مـا لهـن ّ كـاف ِ

يـر بنيـات لــه ضـعاف ِ

ـل ريال الأصـقع الرجـاف ِ

مـ َ ـر ْ واً بمكـان عـاف ِ

---

(11) المزهر ٢ / ٣٠٨ .

(12) البيان والتبيين ١ / ١٠٤ .

(13) زهر الآداب ٤ / ٥٢٩ .

(14) زهر الآداب ٤ / ٥٩٢ .

(15) التعليقات و النوادر ٢ / ٩٢ .

يصبحن يوم العيد والتوافي

الجلود شو ّ ل السـ ّ عاف ِ

ينم ُ حناء علِ الأطراف ِ

م يـنقطن علــى حـ ِ فــاف ِ

قـــد خفـــت أن تشـــملني

، حــب أن يـ ُ تــر َ كن فـــي

ضـ ِ أن يتـركن عنـد جـاف ِ

لله يكفينـــي وفيـــه كـــاف ِ

ومثل هذا المعنى الرهيف نجده في شعر منسوب لعمران بن حطان وأبي خالد القناني الخارجي(١٦):

د زاد الحيــاة إلـــي ّ حـــاً **تي إنهـن ّ مـن الضـعاف ِ**

مخافــة أن يــرين البــؤس **شرين ر َ نْقاً بعد صاف ِ**

وأن يضطرهن الـدهر بعدي **قَدـ ْ م غليظ القلب جاف ِ**

ولنعد إلى شعر الترقيص ففيه شواهد أخرى على محبة البنت، مما يدل على أن العاطفة كانت تتغلب على الموروث الاجتماعي، فهذا أعرابي يرقص ابنته بقوله(١٧):

كريمـــة يحبهـــا أبوهـــا

مليحـة العينـين عذب فوهـا

تحسن السب ّ وا ٍن سبوها

أما ريَّا فإن أباها الأعرابي يداعبها وهو يرقصها على لسان أحد العرسان المتخيَّلين(١٨):

إهــاً لريَّــا ثــم واهــاً واهــا

فاضــت دمــوع العـين مـن

هـي المنـى لـو أننـا نلناهـا

يـا ليـت عيناهـا لنـا وفاهـا

بـــثمن نرضـــي بـــه أباهـــا

إن أباهـــا وأبـــا أباهـــا

قد بلغا فـي المجد غايتاهـا

ولا شك أننا لاحظنا لغة غريبة في هذه الترقيصة الظريفة المشهورة في كتب النحو، حيث المثنى يظل ثابتاً مع الألف في كل حالاته.

ومن الترقيص المحب للبنت ما قاله أعرابي(١٩):

ــــــبحلة ٌ ... بحلـــــه ْ

---

(16) الفرائد والآلي . ص ١١٠ .

(17) العقد الفريد ٣ / ٩٢ .

(18) الأمالي ١ / ٧٧ .

(19) الأمالي ١ / ١٢١ .

مـــي نبـــات النخلــــهْ

وآخر[٢٠]:

بتـــي ســـيدة البنـــاتِ

عيشـي ولا نأمـل أن تمـاتي

وقد ذكرت كتب التراث بعض النماذج لشعر ترقيص فيه شكوى من الولد، فأعشى بني جرماز يشكو أبناء له يقفون إلى جانب أمهم، فها هو يقول[٢١]:

نـيَّ لـيس فـيهم بـَـرٌّ

هـــم مـــثلهم أو شــرّ

ا رأوهـــا نبحتنـــي هـــرٌّوا

ويقول أحد الأعراب مستغرباً من عدم حبه لولده[٢٢]:

يـــا قـــوم مـــالي لا أحـــب

وكـل إنسـان يحـب ولـده

بَّ الحبـاري ويـذبُّ عنده

إن الحالة العامة في شعر الترقيص تعكس تغنياً بقيم البطولة والكرم والفصاحة والسيادة، كل هذا في إطار من الظرافة والمبالغة، فهذه أعرابية ترقص ابنها قائلة[٢٣]:

بُـنـيَّ ســيد العشـــيره

ٌ صليبٌ حسنُ السريره

ـزل النــوال كفــه مـَطيـره

يعطـــي علـــى الميســـور

وقال ابو العباس أحمدبن يحيى[٢٤]:

هْ لــولا صـــبية صـــغارُ

ـــوههم كأنهـــا أقمـــارُ

ـا رآنـــي ملـــك جبـــارُ

بـــه مـــا ســطع النهـــارُ

ولأعرابية أيضاً[٢٥]:

ـــداك حـــــي خــــولانْ

ـــــل آل قحطـــــــانْ

---

(20) محاضرات الأدباء ١ / ١٥٧ .

(21) درة الغواص ٢٣ .

(22) البلدان لابن الفقيه ١١٩ .

(23) مجالس ثعلب ٤٩٣.

(24) الزهرة. الأصبهاني . ص١١٥٢.

(25) أبو سعد . ص ٧٤ .

لأكرمـــــون عــــــدنانْ

ولأخرى(٢٦):

تيـــق يــــا عتيــــقْ
ر المنظـــــر الأنيـــــقْ
مقــــــول المـــــــذيقْ
نـــفت منـــــه الريــــقْ
ر ْ نـــــــب الفتيـــــــقْ

بظهور الإسلام أضيفت إلى شعر الترقيص معانٍ لم تكن معروفة من قبل، تتعلق بالدين الجديد في شعائره وتعاليمه، لاسيما فيما وصلنا من شعر الترقيص لرموز الإسلام الكبرى، وعلى رأسها الرسول الكريم (ρ) فقد وصلنا بعض ما رُقّص به، وأبدأ بمرضعته حليمة السعدية التي رقصته قائلة(٢٧):

ـا رب إذ أعطيتــه فأبقــهِ
علــه إلــى العــلا ورقّــهِ
وادحض أباطيل العدا بحقه

كذلك رقصته الشيماء بقولها(٢٨):

يـا ربنـا أبـقِ لنـا محمـدا
حتـــى أراه يافعـــاً وأمـــردا
ـم أراه ســـيداً مســـوّدا
ْ أعاديه معاً والحُسّدا
وأعطــه عــزاً يــدوم أبــدا

كما نقلت المصادر ما رقص به عبد المطلب رسولنا الكريم (ρ) في قوله (٢٩):

الحمـد لله الـذي أعطـاني
ا الغـلام الطيّـب الأردانِ
قـد سـاد فـي المهـد علـى
عيـذه بالبيـت ذي الأركـانِ
حتـــى أراه ـــالغ البنيـــانِ
عيـذه مـن شـر ذي شنآنِ
ن حاسد مضطرب العنانِ

ورقص الزبير بن عبد المطلب الرسول (ρ) فقال(٣٠):

---

(26) أبناء نجباء الأبناء . ص ٤٤ .
(27) أبو سعد . ص ٦٦ .
(28) سا . ص ٦٦ .
(29) سا . ص ٦٧ .

حمـــــد بـــن عنـــدمِ

عشـــت بعـــيش أنعـــم

ودولـــــــة ومغـــــــنم

فـــي فـــرع عـــز أســـنم

كـــــــرَّم معظـــــــم

دام ســـــجيس الأزلـــم

والرسول (ρ) نفسه رقص الحسين بقوله[٣١]:

ُقَّـــــة..   َقَّ عـين َ

وبعد أن نغادر ما رقَّص به الرسول الكريم (ρ) نلتقي مع ترقيصة لأبي بكر أنشدتها سلمى بنت صخر [٣٢]:

ــا ربِّ ربَّ الكعبـــــهْ

ــع ْ بـــه يـــا ربـــهْ

فهـــو بصـــخر أشـــبه

وقالت فاطمة وهي ترقص الحسين [٣٣]:

ــي ْ شـــبْهُ النبـــي

ـيس شـــبيهاً بعلـــي

كما رقصت أم البنين العبّاس بقولها [٣٤]:

عيـــــذه بالواحـــــــدِ

ــن عـــين كـــل حاســـدِ

قـــــائمهم والقاعـــــد

مســـــلمهم والجاحـــــد

صـــــادرهم والـــــوارد

مولـــــودهم والوالـــــد

إلا أن المصادر لا تذهب بنا إلى عصور أخرى قريبة منا،فجلّ ما ذكر من شعر ترقيص الأطفال يعود إلى الجاهلية وبداية العصر الإسلامي.

وقبل أن أغادر هذه الجولة مع شعر ترقيص الأطفال عند العرب، لا بد من إشارات سريعة إلى بعض مميزات هذا اللون الشعري، إذ نلاحظ اعتماده على بحر الرجز وما يتفرع منه من مشطور ومجزوء ومنهوك، ولغة هذا الشعر

---

(30) الأمالي ٢ / ١١٢ .

(31) لسان العرب . مادة بقق .

(32) أنباء نجباء الأبناء . ص ٤٤ .

(33) العقد الفريد ١ / ٢٧٨ .

(34) المنمق . ص ٤٣٧ .

متحررة أكثر من غيرها،مما يجعلها أقرب إلى الشعبية من خلال مفرداتها وتراكيبها اللغوية الخاصة أحياناً ، وشعر الترقيص لا يزيد على أبيات قليلة، ويميل إلى الجمل القصيرة والتركيز على التقفية.

ويعكس هذا الشعر على نحو واضح مشاكل وأحاسيس المرأة والرجل بعفوية وصراحة، و نظرة المجتمع إلى الطفل ولا سيما الأنثى.

الفصل الثاني

شعر القَصّ في التراث العربي

اعتمد الكتاب المدرسي العربي شعرياًعلى شعر قديم يشكل دعامة لذائقة أطفالنا وفتياننا، ومن الطبيعي أن نلاحظ أن شعر الحكمة والوصف والقص – على قلته –هو الأكثر دوراناً .

إن النصوص القديمة النموذجية غذّت على الدوام العلاقة السليمة بين الشعر والطفل، بل بين الطفل والحياة أحياناً .

وفي شعرنا القديم أمثلة طريفة على وجود حكايات مشهورة للأطفال الآن، وبعضها منتشر في العالم، ومن ذلك القصيدة – القصة عند النابغة الذبياني ونصها(١):

وا إنــي لألقــى مــن ذوي الضِّـغْن مــنهم ... ما أصبحت تشكو من الشجْو ساهره

ما لقيـت ذاتُ الصـفا مـن حليفهـا ... ـات تديـه المـالَ غِبّـاً وظـاهره

فقالت له:

دعــوك للعقــل وافــراً ... تغْشَيَنّي منك بالظلم بادره

---

(1) ديوان النابغة الذبياني . ص ٢٠٨ .

فواثقها بـالله حتـى تراضيا ... وكانـت تديـه المـال غبـاً
ـذكر أنّـى يجعل الله جنـة ... فيصبح ذا مال ويقتل واتره
فلمـا تـوفى العقـل إلا أقلَّـه ... وجارت بـه نفس عن الحق
رأى أن ثمّـر الله ُ مالَـه ... ثّـل موجـوداً وسـدّ مفـاقره
ـّ على فأس يحدّ غرابها ... ـذكَّرة مـن المعـاول بـاتره
م لهـا مـن فـوق جُـحْـر ... ليقتلهــا أو تخطــئ الكـف
فلما وقاها الله ضربة فأسه ... ـّ عين لا تغمّض نـاظره
م لما فاته الذَّحْل عندها ... كانـت لـه إذْ خـاس بالعهد

فقال:

تعــالي نجعــل الله بيننــا ... علـى مالنـا أو تنجـزي لـي

فقالت:

ـــين الله أفعـــلَ إننـــي ... أيتك مسحوراً يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقابلي ... وضـربة فـأس فـوق رأسـي

هذا النص النادر وغير المشهور تقابله قصائد أخرى ذاعت ذيوعاً واسعاً فيها الكثير من المعاني الإنسانية الخالدة، ومنها قصيدة الحطيئة التي يقول فيها(٢):

وطـاوي ثـلاث عاصبِالبطن ... بداء لم يعرف بها ساكن

وتحكي عن أعرابي مع عجوز وثلاثة أطفال حفاة عراة جائعين ثم:

أى شـبحاً وسـط الظـلام ... ـا رأى ضـيفاً تشـمّر

وكاد يذبح ابنه للضيف إذا بقطيع حُمُر وحشية ذاهب نحو الماء، فلا يطاوعه قلبه أن يصيد واحداً منها قبل أن يشرب ويروي ظمأه:

مهلهـا حتـــى تـــروّت ... أرسـل فيهـا مـن كِنانتـه

بعد ذلك يطعم ضيفه، فينهي الحطيئة قصيدته بقوله:

باتوا كرامـاً قـد قضـوا حـق ... وما غرموا غرماً وقد غنموا
وبـات أبـوهم مـن بشاشـته ... ضـيفهم والأمُّ مـن بشـرها

وتصادفنا أيضاً قصة شعرية مشهورة للفرزدق لعلها من أجمل الشعر الإنساني، وهي تحكي كرم الإنسان مع الحيوان الجائع.. على الرغم من كونه ذئباً (٣):

س عسَّـال وما كـان ... بناري مَوْهِنـاً فأتاني
مـا دنـا قلـت ادنُ دونـك ... يـاك فـي زادي لمشـتركان
ت أقدُّ زاد بينـي وبيـه ... على ضوء نـار مرة ودخان
لت له لما تكشّر ضاحكاً ... وقـائم سـيفي مـن يـدي

(2) ديوان الحطيئة . ص ٣٣٧.

(3) ديوان الفرزدق ٢ / ٣٢٩ .

ـــش ّ فـــإن واثقتنـــي لا ، ْ مثـلَ مـن يـا ذئـب ُ
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر أخيَّـين كانـا أرضـعا بلبـان
لـو غيرنـا نبـّهـت تلـتمس أتـاك بسـم أو شـَباة سنان
رفيقَـي كـل ّ رحـْـل وا ِن تعاطى القنا قوماهما أخوان

وله قصة شعرية فيها الأحداث السابقة نفسها، ولكن مع تغيير بسيط في العوالم، وربما وجد الشاعر في حكاية الذئب مع الإنسان دافعاً ليكرر الأمر، ففيه موضع شعري متوهِّج[٤]:

وليلـة بتنـا بـالريـّين ضـافنا علـى الـزاد ممشـوق الـذراعين
مـ ّسنا حتـى أتانا ولـم يزل ْ فطمتـه أمـه يـتلمس ُ
و أنه إذ ْجاءنا كان دانياً متة لـو أنـه كان يلبـَس ُ
ن ْ تنحـّى جنبه بعدما دنا فكـان كقيـد الـرمح بـل هـو
فقاســـمته نصـــفين بينـــي قيـة زاد و يـب ذُعـَّس ُ
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب علـــى طـــارق الظلمـــاء لا

ومن روائع شعرنا العربي القديم هذه الصلة الحميمة بالحيوان، ولا سيما الذئب، إذ نعثر على إحدى قصائد الأصمعيات وهي لأسماء بن خارجة وفيها[٥]:

أحسـبتنا ممـن تطيـف بـه فاخترتنـا للأمـن لخصـب ِ
وبغيــر معرفــة ولا نســب أنـــى؟ وشـــعبك لـــيس مـــن
لـــح ّ إلحاحـــاً بحاجتـــه شـــكوى الضـــرير ومزجـــر
لوى التكلح يشتكي سغباً وأنـا ابـن قاتـل شـدة السـغب
ورأيــت حقــاً أن أضــيفه إذ رام سـلمي واتقـى حربـي
ـــت مـ ُعـْتامـــاً أزاولهـــا بمهنـد ذي رونـق عضـب
فعرضته فـي سـاق أسمنها فاجتـاز بـين الحـاذ والكعب
نهـــا لعيالـــه جـَـــز َراً عمداً وعلق رحلها صحبي

إذاً هو موضوع قديم في شعرنا، تابعه كثيرون كعبيد العنبري (وتروى للأحيمر السعدي) الذي قال[٦]:

أرانــي وذئــب القفـر إلفـين ا كلانـا يشـمئز ٌ ويـذعر ُ
تــألفني لمــا دنــا وألفتــه وأمكننـــي للرمـــي لـــو كنـــت
ولكننــي لـم يـأتمني صاحب ب بـي مـا دام لا يتغيـّر ُ

إلا أن شاعرنا البحتري كان له مع الذئب شأن آخر، في حكاية وردت كثيراً في الكتب المدرسية، حيث يصور

---

(4) ديوان الفرزدق. ٣٨٧/١.
(5) الأصمعيات . ص ٤٩.
(6) منتهى الطلب . ٦١٤/٢ .

صراعه مع الذئب، و يرميه بسهم(٧):

فما ازداد إلا جرأة وصرامة　　　　ِ أيقنت أن الأمـر منـه هـو
فأتبعتهـا أخـرى فأضـللت　　　　حيـث يكـون اللـبُّ والرعـب

وللطغرائي حكاية شعرية معروفة صاغها على نحو مشوق، ورسم تفاصيلها بمهارة، وهي من الحكايات المشهورة في أدب الأطفال العالمي وإن كان أصلها مشرقياً ، وهي(٨):

لقـد جـاء فـي أمثـالهم أن　　　　ِذئباً أصابا عند ليث تقدُّما
ـر ّ بـه جوع شـديد فشقه　　　　ِأبقــى لـــه جلـــداً رقيقـــاً
ففاز لديه الذئب يوماً بخلوة　　　　فقـال: كفاك الثعلـب اليـوم
ـْه وأطعمـْه فما هو شكلنا　　　　ولسـت أرى فـي أكلـه لـك
ـا أحـس ّ الثعلبان بكيده　　　　تطبـب عنـد الليـث واحتـال
وقـــال: ى بالمـ َ لـــك داء　　　　هـد ّم منـه جسمه وتحطما
ـــي كبــد الــذئب الشــفاءُ　　　　ِإن نـال منـه يـنجُ منـه
ـصـــادف منـــه ذا قبـــولاً　　　　أحـال علـى الـذئب الخبيـث
ت مسلوخَ الإهاب مرمـّلاً　　　　ـ ّـا رآه الثعلبـان تبّـما
وصاح بـه يا لابس الثوب　　　　ى تخ ْـلُ بالسلطان فاسكت

يعثر الباحث على عدد لا بأس به من القصص الشعرية في تراثنا، وكلها تدور بالاشتراك مع الحيوان أو على لسانه، ولعلّ كتاب الدكتور داوود سلوم "قصص الحيوان في الأدب العربي" الصادر عن دارالشؤون الثقافية في بغداد من المراجع المهمة في هذا الخصوص، كما قام الباحث شاكر هادي شكر بوضع كتاب ضخم من ثلاثة أجزاء بعنوان "الحيوان في الأدب العربي"(٩) جمع فيه ما قيل من شعر في الحيوان وصفاً أو قصة، ومن طرائف الكتاب تلك الحكاية التي نظمها أبو زيد الكلابي في أعر ابي أكلت الضباع شاته، فخاطبها قائلاً(١٠):

أنت يا جَعار من خطابكْ　　　　ق ّ العـُصـْل من أنيابكْ
ـد ِـذا حـ ِجـْـرك لا أهابـكْ
صنعت شاتي التي أكلت　　　　ت منها البطن ثم جـُلت
ـتنتـي وبـئس مـا فعلـت
قالـت لـه: لا زلت تلقـى　　　　وأرسـل الله عليـك الحمـى
ـ رأيــت رجــلاً مـُعـْتمَّــا
قال لهـا: ـبت يـا خبـاث　　　　قـد طـال مـا أمسـيت فـي
ــت شــاة صــبية غــراث

---

(7) ديوان البحتري ٢ / ٧٤٠ .
(8) مستهل الآداب . سلطان . ص ٣١ .
(9) إصدار مكتبة النهضة العربية في بيروت ١٩٨٥.
(10) الحيوان في الأدب العربي . شكر ٢/٢٥٠.

قالـــت لـــه والقـــول ذو ... سهبت في قولك كالمجنونِ
ـا وربِ المرسـل الأمـينِ ... أفجعـن بعيـرك السـمينِ

ومن المعروف أن الجاحظ قد وضع أضخم موسوعة عن الحيوان في كتابه المشهور بالاسم نفسهوا ٍن حوى أكثره استطرادات حول مختلف نواحي الحياة.

وكان من شهرة كتاب "كليلة ودمنة"الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية أن نظمه كثيرون شعراً، مثل أبَان بن عبد الحميد اللاحقي وسهل بن نوبخت وابن الهبارية وابن مماتي، لكن لم يصلنا من عمل أبان إلا سبعون بيتاً مبعثرة، ولو لم يذكرها الصولي في كتاب "الأوراق" لضاع كل أثر لما فعله كغيره، ومن هذه الأبيات (١١):

هـذا كتـاب أدب ومحنـه ... هو الذي يدعى كليل دمنهْ
ـه دلالات وفيـه رشـدُ ... هـو كتـاب وضـعته الهنـدُ
وصـفوا آداب كـل عـالمِ ... حكة عن ألسن البهائمِ
لحكمـاء يعرفـون فضـلهْ ... لسـخفاء يشـتهون هزلـهْ
وهو على ذاك يسير حفظ ... ّ على اللسان عند اللفظِ
يا نفس لا تشاركي الجهالا ... ي حبّ مذموم كأن قد زالا
ا لـم ينلـه أحـد إلا نـدمْ ... تـولى ذاك عنـه وسـدمْ
نيـاك بالأحبـاب والأخـوانِ ... ثيـرة الآلام والأحـزانِ
ٍ وا ٍن نيل بها السرورُ ... ـا وغمّ هـا كثيـرُ
ا نفـس لا يحملْـك حـبّ ... ولا أدانيك علـى أن تهلكي
ي جمع ما يرضيهم فإنـهْ ... يضـرب مـن أمثـال ذاك
ـال قـوم عرفها وتحتـرقْ ... أي بـه يرضـى أخـو الـرأي
وجدت ذا النسك الذي قد ... فـزاده تفكيـره تـوقرا
لمّـا رضـيَ اهتمامـهْ ... م مـن سـروره تمامـهْ
وترك الدنيا لمن يشقى بها ... ومـن يقاسـي الكـد مـن
عنـدها نجـا مـن الشـرورِ ... نـال أقصـى غايـة السرورِ
ثـم سـخت عـن كـل ... قي السعد وغاب نحسهْ
وأبصر الثواب في البامهْ ... أمنَ الحسـرة والندامـهْ
ثل الـدنيا كبرق الخلبِ ... يغترر منه بسقي يكذبِ
و قياساً مثل نوم النائمِ ... رحه أضغاث حلم الحالمِ
ى إذا استيقظ صار همّ ا ... ا كـان فـي النـوم بـه ألمّ ـا
يـف بالصـبر علـى أيـامِ ... ـا قليـل هـنّ لانصـرامِ
وكيـف والـدنيا بـلاء كلهـا ... لا يـأمن الآفات فيها أهلها

(11) الأوراق . الصولي . ص ٤٦.

ـــهد أن الله فـرد واحـدُ ... ـ ّ أو أنكـر ذاك جاحـدُ
ـس لـه كفء ولا نـد ّ أحدْ ... ـم يولـد الله ولا لــه ولـدْ
ـنـي بمـا عملـت مـرتهنْ ... مـا كـان منـه مـن قبـيح

ومن باب الأسد والثور:

ـن من كان دنيء النفسِ ... يرضى من الأع بالأخس ِ
ـل الكلب الشقي ّ البائسِ ... فرح بالعظم العتيق اليابسِ
ـ أهل الفضل لا يرضيهمُ ... ـيء إذا ما كان لا يعنيهمُ
كالأسد الذي يصيد الأرنبا ... ـثم يرى العير المجدّ هربا
فيرسل الأرنب من أظفاره ... يتبـع العيـر علـى إدبـارهْ
ـلكلب من رقته ترضيهِ ... ـقمة تقذفها فـي فيـه
ومن يعش ما عاش غير ... ـه سرور دائم ونائلْ
و وإن كان قصير العمرِ ... ـل عمراً من حليفِ فقرِ
ومن يعش في وحشة ... ـوقلة المعروف في الصديقِ
ـ وإن عمـ ّر طول دهرهِ ... ـيس بمغبوط بطول عمرهِ
وقيل أيضاً إنه قد ينبغي ... للرجل الفاضل فيما ينبغي
ـ لا يرى إلا مع الملاكِ ... ـ يعبـد الله مـع النسـاكِ

إن هذه الأبيات تدلّ على لغة رفيعة وصلتها لغة الشعر القصصي على يد هذا الشاعر، وقد ذكر مؤلف كتاب "أخبار الشعراء" والمشهور بـ "الأوراق" أنه نظم "كليلة ودمنة" شعراً في ثلاثة أشهر، وفي أربعة عشر ألف بيت "وذكر حمدان ابنه أنه كان يصلي ولوح موضوع بين يديه، فإذا صلى أخذ اللوح فملأه من الشعر الذي صنعه ثم يعود إلى صلاته."(١٢)

ويبدو أنه قام بهذا بناء على طلب يحيى البرمكي الذي ألزمه بالإقامة في دار *"لا يخرج منها حتى ينقل كتاب كليلة ودمنة من الكلام إلى الشعر فنقله، فوهب له عشرة آلاف دينار. قال ويقال: إن كل كلام نقل إلى شعر فالكلام أفصح منه إلا كتاب كليلة ودمنة."*(١٣)

وفي خبر آخر أنه قام بعمله حتى يسهل على الوزير يحيى البرمكي حفظ الكتاب.(١٤)

ومعروف عن هذا الشاعر المتوفى عام ٢٠٠ هجرية أنه مكثر ويصو غ الكلام الموزون بسهولة عجيبة، وقد عرف بميله إلى الأدب الشعبي من خلال تأليفه سيرتي ْ "أردشير" و"أنوشروان"، وكتاب له عن "مزدك".

والملاحظ أن الأبيات التي اختارها الصولي قد جاءت مفككة تبعاً للأحداث في الأصل لأن *"ما اختاره الصولي لم*

---

(12) سا . ص ١ .
(13) سا. ص ٢ .
(14) راجع أخبار الشاعر في بداية كتاب الصولي .

يكن من موضع واحد، وأنه جمع الأبيات مع اختلاف مآخذها من الكتاب."(١٥)

لكن العجيب والجميل أن نظم كليلة ودمنة شعراً قد وصلنا كاملاً في مخطوط "نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة" لناظم هذا الكتاب الفريد ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٩ هجرية، وقد طبع طبعة يتيمة عام ١٩٠٠ في لبنان بعناية الخوري نعمة الله الأسمر.

ووصلنا للمؤلف أو الناظم نفسه الكتاب الذائع الصيت "الصادح والباغم" وقد اطلعت على طبعة يتيمة له في القاهرة عام ١٨٧٤.

وكتابه هذا ذو تأثير كبير على الكتب التعليمية العربية المبكرة، فقلما يخلو كتاب من أبيات منه، ويبدو أن ابن الهبارية كان يميل إلى تحويل الحكايات النثرية إلى منظومات، إذ نظم أيضاً حكاية حي بن يقظان، وبدأها بقوله(١٦):

ـي بن يقظان ما حيٌّ بن　　　سبحان موجد ذاك الشيخ

لقد أحدث كتاب كليلة ودمنة حركة جديدة في أدبنا الشعبي فظهرت بعده كتب عديدة مشابهة وا ٍن كانت أقل قيمة مثل "عفراء وثعلة" لسهل بن هارون، و"النمر والثعلب"، لعلي بن داود، و"الصاهل والشاحج" و"القائف" لأبي العلاء المعري، "وسلوان المطاع في عدوان الأتباع" لابن ظفر الأندلسي، و"فاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء" لابن عربشاه.(١٧)

إننا نرى أن هذه الكتب كنوز غنية من كنوز تراثنا لا بد من إعادة طبعها،وجعلها مصدراً من مصادر إغناء ثقافة طفلنا، ومصدر إعداد لمواد ثقافية يصوغها المبدعون له.

ولكي يأخذ القارئ فكرة عن كتاب "نتائج الفطنة" أورد منه هذه المقتطفات(١٨):

ـا سمعت قولة الحكيمِ　　　ـل المجرّب العليمِ
إذا رأى السلطان من　　　في الفضل والقوة أو
لمال والرجال فليفتك به　　　ـن قبل أن يفجأه بحربهِ
يك الأعلى وأنت أعلمُ　　　فتكاً بالعدوّ أحزمُ
دره ما اسطعت إلى هلاكهِ　　　إن فات لم تقدر على
لناس فيما ذكروا ثلاثهْ　　　لبيب فطنة بحَّاثهْ

وفي مكان آخر: (١٩)

ٍنَّ من لم يقبل النصائحا　　　م يرَ الرأي السديد صالحا
يكون كالمريض يبغي　　　لو عصى طبيبه وصفتهْ
واجب حتم على الوزيرِ　　　أن ينصح الملوك في
نبهاً على الجميل الأصلحِ　　　هياً عن الدنيّ الأقبحِ
والنصح والصدق دليل　　　وخير إخوان الفتى من
وخير أعمال الفتى ما كان　　　اقبة محمودة مفضلهْ

---

(15) الشعر القصصي. د . حسن محسن . ص٢٠ .
(16) راجع "ابن الهبارية – حياته وأدبه" للدكتور محمد فائز سنكري .
(17) سا . ص ٢٢ .
(18) نتائج الفطنة . ص ٦٢ .
(19) سا . ص ٦٤ .

لا بد من الإشارة هنا إلى أن كتاب "كليلة ودمنة" قد فقد أصلاه الهندي والفارسي، حتى أن الفرس عادوا وترجموه عن العربية على يد حسين واعظ كاشتي،وعن ترجمته نقلها إلى الفرنسية داو د ساهد الأصبهاني، ومنها انتقلت إلى العالم.[٢٠]

أما الكتاب الهام الآخر لابن الهبارية فهو "الصادح والباغم"وقد اشتهر كثيراً كما أسلفت، وفيه حكم وقصص على ألسنة الحيوانات، وعن الكتاب يقول ابن الهبارية[٢١]:

ذا كتـاب حسنُ ... ـه تحار الفطنُ
قضيت فيـه مـده ... عشر سنين عده
و ظل كل شاعرِ ... نـــاظم ونـــاثرِ
عمر نـوح التالد ... فــي نظــم بيــت
، مثله لما قدرْ ... ـاء كلــه غــررْ

وهذا المدح الطريف والمبالغ فيه يشي بأنه قرآن لا يستطيع أحد أن يأتي بآية واحدة من آياته، ولا شك أن في هذا مغالاة ممجوجة، ويضيف ابن الهبارية:

هــــذا كتــــاب ... إلباغم المناصحِ
لـيس بــه عيـب ... بل فضله مشتهرا
حتـى أتـى مليحـا ... موشـحاً توشـيحا

وقد واصل هذه النرجسية في كتاب "نتائج الفطنة" حيث قال في المقدمة:

كلــت طبـــاع القـــوم دون ... جزوا عن سبكه لعِ ظمهْ
ثــم أبــو يعلــى أنــا فــإني ... نظمتــه بالجهــد والتعنــي
متبعـاً فيــه إبـان اللاحقـي ... وليس وهو سابقي بلاحقي

ووردت في الكتاب قصص كثيرة عن الحيوانات، وبعض القصص عن البشر كقصة الناسك واللص الفاتك أو قصة امرأة الراعي أو قصة زوجة البيطار أو قصة التاجر التي يقول فيها[٢٢]:

ت ومـن ذاك فقـال تـاجرُ ... و ثـرو انـت لـه جـواهرُ
إد أن يبيعهـا علـى ملـكْ ... عابهـا لديـه دلال أفـكْ
لـه يكرههـا فـي نفسـه ... ربمـا أرخصـها بوكسـه
ـال فيهـا صـفرة تبـينُ ... ـم تضـريس لهـا يشـينُ
ِدها في وقتها من سفطهْ ... قـام مـن سـاعته لغلطهْ
ول قـد رأيـت فـي مكتـوبِ ... سلاح ما فيها من العيوبِ
فـدقها فــي هـاون وبلهـا ... بلــبن الكلــب يريــد حلهـا
واعتمد الشمس بها لعلها ... تحلـه يـا ويلـه مـا أبلها
ولـم يـزل فـي مثـل هـذي ... حتــــى غــــدت ســــوداء
ـل المسكين كفـه نـدمْ ... كــذاك مــن بــاع الوجــود

---

(20) خرافات لافونتين . د . نفوسة سعيد . ص ١٥ .
(21) الصادح والباغم . ص ١٠٥ .
(22) سا . ص ٢٥ .

عملــن حيلـــة لطيفـــهْ　　　الرأي زبد الهمم الشريفهْ
كـامرأة الراعـي فقلـت مـن　　　ئنـي مـن قصـتها بالكنيـهْ

في هذا الشاهد نأخذ صورة عن طريقة المؤلف في نسج حكاياته وكيف تتصل الواحدة بالأخرى.

إضافة إلى الحكايات نقع على حكم كانت أكثر دوراناً في كتب القراءة المدرسية الأولى في الوطن العربي ومنها مثلاً من الصادح و الباغم" لابن الهبارية نفسه(٢٣):

فـي النـاس مـن لا　　　؛ عقـاب يجرحـهْ
ـــيهم الأديـــبُ　　　ـــلحه التأديـــبُ
مـــنهم ترضـــيه　　　عيشـــة تكفيـــه
إمـــة اللئـــيم　　　انـــة الكـــريم
م راحـة فـي العزلـهْ　　　عمـل فـي العطلـهْ
م كثرة فـي الوحدهْ　　　م سـهر فـي رقـدهْ
ر ّ الرـال اللمـزهْ　　　أصـدقاء الهمـزهْ
ْ كـان ذو وجهـين　　　صـاحب اللـونين
، كـان خيـراً سـترهْ　　　كـان شـراً نشـرهْ
يس احتمـال العـار　　　ـن شـيم الأحـرار
ـاك واللجاجـــهْ　　　نهـــا ســـماجهْ
 تعجلـن فالعجلـهْ　　　ذلـــة ومخجلـــهْ
وعجـــل الثوابـــا　　　وأخـــر العقابـــا
لا تستشـــر ســـفيها　　　لا تحتقـــر نبيهـــا
مـن حفـظ الصـديقا　　　كـــان لـــه رفيقـــا
لا تصـــحب اللئامـــا　　　لا تتـــرك الكرامـــا
صـبر فـي الشـدائد　　　ـن شـيم الأماجـد
أســوأ خلــق أدبــا　　　جـر ّب المجر ّ بـا
ـا للفتـى مـن دهـرهْ　　　يــر جميـل ذكـرهْ

ويبدو أن الأدب القصصي ما كان له أن ينتشر في تراثنا إلا بعد تمكن الحضارة، ونشوء حركة ثقافية شاملة، ورقي في التنوع الفني فكان الفن القصصي نثراً وشعراً من نتاج هذا الانفتاح الجديد.

ومع هذا فإن شعر القصة ظلّ في حيّز ضيق،وا ٍن كنا نقع هنا وهناك على قصص شعرية، ومن أطرف ما عثرت عليه في هذا الأدب حكايتان في قصيدة و احدة لربيعة الرقي، والطريف إن إحداهما من أشهر الحكايات التي كتبها لافونتين بعد ذلك بقرون. تقول القصيدة (٢٤):

(23) سا. ص ٦٥. وراجع كتاب التهذيبات للويس صابونجي حيث يورد الكثير من حكم الكتاب.

(24) شعر ربيعة الرقي. للعاني . ص ٥٠ .

ظلمت كذئب السوء إذ قال   لسخل رأى، والذئب غرثان
فأنت الذي في غير جرم   فقال: متى ذا؟ قال ذا عام
فقال: ولدت العام بل رمت   فدونك كلني لا هنا لك

ثم:

ت كذباح العصافير دائباً   بناه من وجد عليهن
و كان من رأف بهن   لف يداً ليست من الذبح
فلا تنظري ما تهمل العين   ى الكف ماذا بالعصافير

وهذا شاهد قوي على أن البيئة العربية قد عرفت حكايات شعبية مطابقة لمثيلاتها في الحضارة اليونانية، إذ وردت ضمن خرافات إيسوب [٢٥].

هذه الحكايات وأمثالها شكلت ذاكرة جمعية دفعت إلى إعادة صياغتها في العصر الحديث لتكون نواة شعر الأطفال العربي.

فإذا نظرنا إلى بداية شعر الأطفال الكبرى على يد محمد عثمان جلال في مصر، فإننا نجد أنه جعل حكايات لافونتين والتراث العربي والشعبي معينه الوحيد في هذا التأسيس الذي قام به.

الباب الثاني

التجربة المصرية

(25) راجع أيضاً حكاية عن الديك والغراب وردت في ديوان أمية بن أبي الصلت. السطلي. ص ٥٣٣ . و للتفصيل راجع الفصل السادس من الأدب القصصي في تاريخ الأدب العربي لبلاشير .

الفصل الأول

العيون اليواقظ لمحمد عثمان جلال

من المؤكد أن رائد النهضة العربية رفاعة الطهطاوي هو أول من كتب قصيدة خاصة بالطفل، إلا أن ما فعله لم يزد على عدة قصائد وأناشيد، أما ما فعله محمد عثمان جلال فهو عمل ضخم، تدهشنا لغته وأفكاره وصياغته وحجمه، وذلك عندما وضع كتاب "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" الذي لا يُعرَف تاريخ طبعته الأولى بدقة، بل إن هذه الطبعة ظلت مفقودة حتى من المكتبات العامة في مصر، إلا أن الباحث المحقق الدكتور أحمد زلط يذكر أنه عثر على نسخة أصلية من هذه الطبعة، وهو يعمل على تحقيقها(١)، والمرجَّح أن الطبعة الأولى صادرة بين عامي ١٨٤٩ و١٨٥٤(٢).

كما أن عامر بحيري محقق أحدث نسخة صادرة من الديوان يذكر أنه اعتمد على الطبعة الثانية عام ١٩٠٨، مع أن للعيون اليواقظ عدة طبعات قبل هذا التاريخ، فقد اطلعت شخصياً على طبعتين من الكتاب إحداهما صادرة عام ١٩٠٦، أما الثانية فهي صادرة عام ١٨٧٠ عن المطبعة الكاستلية في القاهرة، ولم أعثر على إشارة إليها في كل المراجع التي تحدثت عن المؤلف والكتاب، وطبعة عامر بحيري فيها تصويبات على الأصل، وبعض التصرف، مع الإشارة إلى موضع التدخل.

ويبدو لي أن الدافع الأساسي لإخراج هذا الكتاب كان المتعة، إذ يذكر محمد عثمان جلال أنه بعد استقراره في الوظيفة تفرغ إلى عمل ممتع خاص، فقال:

"فأخذت أترجم في الأوقات الخالية كتاب العلامة الفرنسي لافونتين.. وهو من أعظم كتب الآداب الفرنسية المنظومة على لسان الحيوان، على نسق (كتاب الصادح والباغم) و(فاكهة الخلفا).. وسميتها "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ".. وتعاقدت مع رجل فرنسي يدير مطبعة من الحجر، ولكنه أخلف وعده لي، فجهزت مطبعة أخرى، وأنفقت عليها كل ما عندي.. فلما تمَّ طبعها، عرضتها على العزيز عباس باشا الأول.. وكان واسطتي إليه المرحوم المغفور له مصطفى فاضل باشا.. فرمى كتابي في وجه حامله فعاد إليّ بخفي حنين.. بعت حماري، وبقية ما أملك، وقد ركبني الهم والغم."(٣)

وربما كانت المتعة والمزاج الخاص عاملين مهمين في أن الكتاب جاء من أمتع ما كتب للأطفال لما يحويه من شعر سهل عموماً، ومليء بالظرف والرشاقة والمتعة.

والحقيقة أن ما ذكره جلال قد يوحي بأن الكتاب ترجمة دقيقة وكاملة لحكايات لافونتين، لكن من يتفحص في

محمد عثمان جلال (١٨٢٨ – ١٨٩٨)

ولد في بلدة "ونا" من بني سويف ، وكان من أوائل تلاميذ رفاعة الطهطاوي النجباء حيث أدخله مدرسة الألسن، عمل في وظائف متعددة خاصة بالترجمة عن الفرنسية، ترجم عدداً من الكتب والمسرحيات منها "عطار الملوك" و"أرجوزة في تاريخ مصر" و"الأربع روايات في نخب التياترات" و"الروايات المفيدة في علم التراجيديا" و"سيد" وله رواية "المخدمون" وديوان شعر بالعامية وآخر بالفصحى .

(1) أدب الأطفال بين محمد عثمان جلال ... ص ٥٩ .

(2) سا . ص ٢١ .

العيون اليواقظ سيعلم أنه حوى قصصاً من التراث الشعبي المصري والتراث العربي، إضافة إلى قصائد ليس فيها حكاية بل فكرة وموعظة.

وأورد جلال في مطلع كتابه قصيدة قصيرة تصف عمله ومنها(٤):

بسم الزمان وعن كتابي	**وبه النسيم على محبته**
فيه النكات مع النوادر	**وظلام ليل الجهل منه أقمرا**
قوم إني قد نصحتكم به	**والنصح أغلى ما يباع**
فإذا ملكتم منه أية نسخة	**خت لديكم ما أهمَّ وأكدرا**

ويتحدث عن الكتاب في مكان آخر قائلاً (٥):

إن أكن أكثرت في كتابي	**ن قصص النعاج والذئاب**
اك أن تبخس قط ثمنه	**فقبله.. كليلة ودمنه**
وقبله فاكهة للخلفا	**والصادح الباغم حسبي**

ثم ينص على أمر هام يعكس احتقار الجوّ العام لما يصلح للأطفال:

لكن أراك تعكس الآمالا	**تقول: هذا ينفع الأطفالا**
لي بالله على اصحيح	**لفظك المستعذب الفصيح**
حكاية تعلم الأطفالا	**وتسحر النساء والرجالا**
أحلى، لا سيرة لعنتره	**رأ فيها سنة بل عشره**
أو سيرة الظاهر أو ذي	**إك لا تنطق لي بكلمه**

لقد أورد جلال هذه القصيدة "زجر المؤلف للمعنف" لأن الكثيرين من ذوي العقول الجامدة سخروا من الكتاب وهاجموه عندما اطلعوا عليه أو سمعوا بعضه قبل أن يُطبَع.

وفي القصيدة التي سمَّاها "الخاتمة" نجده يعيد التذكير بفكرة كتابه وأهميته، ولا ينسى أن يوجه التحية إلى الخديوي عباس(٦):

الكتاب حين تمّ الطبعُ	**لم الذئب له والسبعُ**
ل الغرابَ فيه الثعلبُ	**ب الليثَ العظيم الأرنبُ**
ل ما قيل عن البهائم	**قصده التعليم لابن آدم**
ث الزمان فيه جُمِعتْ	**ح كم بروقها قد لمعتْ**
صبحه زحزح ليل الجهلِ	**ل تركيب لطيف سهلِ**
داد بهجة برسمه الصورْ	**كالعين تزداد جمالاً بنورْ**
في ظل من تعنو لديه	**خديوي مصرنا عباسُ**
ده الله بأيد النصرِ	**ي عصرنا هذا وكل عصرِ**

---

(4) سا . ص ٣٣ وقد تصدرت القصيدة غلاف طبعة عام ١٩٠٥.

(5) سا . ص ٣١٣ .

(6) سا . . ص ٣٣٤ .

غرسه في سائر المدارسِ ... أنه من أحسن المغارسِ
ويقتني الحمد به والشكرا ... من كل من ينظره ويقرا

إن هذه الدعوة المباشرة من المؤلف كي يقرَّر كتابه على المدارس لم تلاقِ استجابة من الخديوي عباس، وهو المشهور برجعيته وعدائه للتعليم، حيث أغلق الكثير من المدارس وعلى رأسها دارالألسن، واضطهد الطهطاوي ونفاه إلى السودان، وأغرق مصر في ظلام استمر طوال عهده.

ولكن محمد عثمان جلال رأى بعينيه ثمار عمله الكبير، وعلى نحو يتمناه كل مؤلف، ففي عام ١٨٩٤ قررت نظارة المعارف العمومية – كما كانت تسمى– كتابه في المدارس الابتدائية، وظل المصدر الرئيسي للكتب المدرسية العربية ما يزيد على نصف قرن، وإلى الآن قد لا تخلو كتب بلد عربي من حكاية لجلال، وهذا يدلّ على قدرتها على الحياة على الرغم من مرور كل هذه السنوات عليها.

وعلى ما يبدو زُيّن الكتاب بالصور، وقد رأيت أن طبعة عام ١٩٠٦ قد حوت رسماً لكل حكاية، وهو مأخوذ من الأصل الفرنسي[٧].

وقبل أن يبدأ الشاعر حكاياته المترجم أكثرها بتصرف كبير يزيدنا قصيدتين، إحداهما حديث خالص عن عمله، ومنها[٨]:

وقضى الله أن تتبعت أصلاً ... كان بالنظم شمله موصولا
طالما أمتطي الأراجيز فيها ... قليلاً أجتاز بحراً طويلا
وتخلعت نادراً في القوافي ... بسَّطتُ في اقتفاها قليلا
ومن العجز لم أقارب ولكن ... ارك الله عاجزاً مهزولا

علم الله أن ذلك للوعظ فأضحى بعونه مقبولا

أما الثانية فهي بعنوان "إهداء" موجه إلى خديوي مصر، ومنها[٩]:

يا ملك السؤدد والسعاده ... أنت بجيد الدهر كالقلاده
خير والٍ في الورى وراعِ ... ـا حسن الخلاق والطباعِ
العفو منك فاقبل الهديه ... واستنشق الرائحة الزكيه
وانظر فتلك روضة المعاني ... دوحة المنطق والبيانِ
نظمت فيها مائتي حكايه ... كلها بالحسن في نهايه
ولم أجد لها سواك أهلا ... ولا جناباً في الأنام سهلا
وامنن عليه بالقبول ... فإن في يمناك أحكام القضا

في أول حكايات الكتاب"الصرّار والنملة" حديث عن الصرار الذي جاء في فصل الشتاء، ولم يجمع مؤونة في الصيف، لأنه أمضاه بالغناء، ويختم جلال الحكاية بهذه الأبيات [١٠]:

قالت: وما ادخرت فيه ... قال لها مستهزئاً منكتا:
ت أغني للحمير القمَّصِ ... قالت له: ياصاحبي الآن

---

(7) أرى ذلك من خلال صور أدق ترجمة وأكمل عن لافونتين لنقولا أبي هنا المخلصي .
(8) العيون اليواقظ . ص ٣٤
(9) سا . ص ٣٥
(10) سا . ص ٣٧ .

واعلـم بـأن السـعي فـي　　　ـدفع كـل غمَّـة وحيـره
والـدرهم الأبـيض وهـو فـي　　　نفعنـي فـي كـل يـوم أسود

و"الكلب والذئب" من أجمل الحكايات وأهمها مغزى، وقد صاغها الشاعر أنجح صياغة وأطرفها، وتبدأ هكذا [١١]:

ب ضعيف مرَّ بعد العصرِ　　　يسعى على القوت بجنب
جـاءه كلـب كبيـر الجـرمِ　　　ـرى مـن الـدنيا بمـصّ
ومـذ رآه وحـده ضـعيفا　　　كسـراً مهشـماً نحيفـا
مـت بـه مـروءة الكـلابِ　　　م يعُـدَّه مـن الـذئابِ
إنمـا أقـرأه السـلاما　　　فطأطـأ الـذئب لـه، ونامـا

شعر الأطفال - م٤

وبعد أن يتعافى الذئب تستمر الأحداث على هذا النحو:

قـال لـه الكلـب: م أراكـا　　　دون الـذئاب.. السـقم قـد
ما ر لو جئت معي في　　　أكـل بالليـل وبالنهـارِ
حتـى تعـود فـي مجـاري　　　تأكـل اللحمـة كـل لمحـهْ
ل ذا أحسـن مـن نـطٍ　　　بمـا نـطٌ يقـطُ الأرجـلا

وهنا تصل الحكاية إلى نهايتها التي تأتي قوية ذات دلالة جوهرية دائمة:

بينما الكلب يزجِّي النصحا　　　والـذئب يرجـو فـي يديـه
لمح الذئب بجيد الكلبِ　　　أطـواق الأذى والكـرْب
قال له: ا كلب ما بالجيدِ ؟　　　فقـال: ـذا أثـر الحديـدِ
لأنهـم بالليـل يطلقـونني　　　إن أتـى النهـار يربطـونني
قـال: هـل تريـدني أُرتبطُ؟　　　دعنـي إلـى الشـوك بـه
لا رأي فـي الأكـل وفـي　　　ا دام فـي جيـدي طـوق
ـالغنى لـيس لـي افتتـانُ　　　ا دام فيـه الـذل والهـوانُ

إن قوة المعنى في هذه الحكاية جعلتها تصاغ شعراً للأطفال والكبار من قبل عدد كبير من الشعراء في العالم كله..

وقريب منها في القوة، الحكاية التي ترمز إلى أن الظالم القوي لا يحتاج إلى سبب منطقي للعدوان، كما في "الذئب والخروف"المشهورة حيث يتهم الذئب الخروف بأنه قد عكّر عليه الماء مرة، أو شتمه مرة ثانية، أو لعل أحداً من أهله قد شتمه، وينهيها الشاعر بقوله[١٢]:

انظر إلى الظالم والمظلوم　　　واحكم بما ترى من المعوم
قـل لأهـل العقـل والفتـوَّه:　　　أحسـن مـا احـتج الفتـى

ونموذج آخر من العيون اليواقظ هو حكاية "الضفدعة والفأرة" وفيها تفاصيل ساخرة أبدع الشاعر في رسمها بلغة

---

(11) سا . ص ٤١ .
(12) سا . ص ٤٤ .

ناجحة من غير تكلف، حيث طلبت الضفدعة من الفأرة أن تأتيها لترتاح في الماء[١٣]:

أربـط يـا فـأرة فيـك رجلـي ... نوي أرجلنا في الحـ جـ ل

ى إذا عـ منا نعوم صحبه ... نستوي إذ ذاك في المحبه

وانطلت الحيلة على الفأرة وبعدها:

سـبحت بهـا بـلا امتنـاع ... قطعت في الماء قدر باع

هي تروغ تحتها في الماء ... تطلب العفو من السماء

كـم رفصـت برجلهـا ... روحها إلـى الخروج قريت

كان هذا في مرور النسر ... وكـان كـل منهمـا لا يـدري

سقط النسر سقوط البين ... رفـع الربـاط بـالاثنين

فقالـت الضـفدعة المكـاره ... ورجلهـا مربوطـة بالفـاره:

بغي سيف قاطع ومعتدل ... ن سله على امرئ به قتل

وفي حكاية "اللبَّانة" امرأة تبيع اللبن، كانت سائرة نحو المدينة بلبنها،فراحت تحدِّث نفسها حالمة بأنها بعد أن تبيع اللبن، ستشتري مئتي دجاجة، فتبيض فيكثر ما عندها، ثم تقتني الأغنام، وتكنز المال، وتشتري جاموسة وبقرة، وتتكاثر العجول، وهنا يكمل جلال على لسان اللبانة[١٤]:

فـنعم تلـك نعمةًوحبـذا ... بـل يـنط فـي الحظيـر

قالت ونطت نطة وبرطعت ... فعثـرت برجلهـا، وقعـت

سـقطت آنيـة اللبـاء ... سال ما فيها مسيل الماء

ووقفـت تنظـره اللبانـه ... روي الثرى وهي به ظمآنه

ذهب البيض مع الدجاج ... عـدم المـال مـع الخـراج

هكـذا حـاد عـن الفـلاح ... مـن يبتنـي قصـراً علـى

وتبلغ المهارة والظرف مبلغهما في صياغة الشاعر لحكاية "آذان الأرانب" وهي تتحدث عن الاحتراس من الخطر إلى درجة الجبن،وهي من الحكايات القصيرة نسبياً في الديوان [١٥]:

حكايـة نظمـت مـن فنـوني ... عـن حيـوان مـن ذوي

على السبع فقام نطحه ... ي صـدره بقرنـه فجرحـه

غضب السبع من القرون ... سار في الغابة كالمجنون

وقـال: لا أتـرك منـهم أحـدا ... يرعى الحشيش في جواري

وشـاعت الأخبـار فـي ... فهرعت سكان هذا الـوادي

يبـق لا ثـور ولا غـزال ... لا نعـاج لا ولا أحمـال

مذ درى الأرنب أمر أمس ... قد رأى خياله في الشمس

شـاهد الآذان كـالقرون ... قـال لمـن فـي البيـت:

ربمـا أدخـل بـالآذان ... ضـمن ذوات القـرن يـا

---

(13) سا . ص ٦٩.

(14) سا . ص ١٣٦ .

(15) سا . ص ١٦٩ .

قالوا لـه: لقرون تعر َف ُ قـال: ولـو !.. فـالاحتراس

أما الحكاية الأقصر من هذه فهي"التعو ُّد" المؤلفة من ستة أبيات، ومن الحكايات المميزة في الديوان، ونصها[١٦]:

أول شـخص فـي الخـلا رأى ـاف لقـاه ثـم ولـى ورحـل ْ
رآه بعـد ُ شـخص ٌ ثـان لـم ينـزعج، راح باطمئنان ِ
ـــذ رآه ثالـــث قفـــاه ُ ـيـط الحبـل علـى قفـاه ُ
باعتيـاد حصـل التـألف ُ تى غدا مع الصغير يقف ُ
ظر إلى هذا وقس ْ عليه ي كل شيء لم تصل إليه َ
كم بالاعتياد فهو أحكم ُ كـل شـيء معـه مسلم ُ

و"الثعبان والمبرد" حكاية في طول "التعود" تتحدث عن ثعبان يلحس المبرد من الجوع، وفي بعض الحكايات عند شعراء آخرين يبدلون الثعبان بفأر[١٧]:

كاية الثعبان ذي الحكايه ْ قـد بلغـت مـن حسـنها
ـره إذ مـر ّ وهـو آتـي بمبـرد لرجـل سـاعاتي
ـان جوعانـاً فرام يقرضـه ْ فـلا تعنفـه، هـذا غرضـه ْ
قـال لـه المبـرد: ا ثعبان ُ ما تبتغي ؟ قال: ا جوعان ُ
قال له: ، ْإن يطعك نابك ْ ه قـد شـر ّفني جنابـك ْ !
فإنمـا تأخـذ مـن سـماطي مـا تأذ الريح من البلاط ِ

وعلينا أن نتذكر دائماً أن محمد عثمان جلال من أوائل من نهضوا بالعربية المعاصرة، ففي الوقت الذي كان الأسلوب النثري والشعري يدور في حلقة مفرغة من الصنعة الشكلية الجامدةاستطاع المؤلف أن يقدم نصوصاً هم ّها أن تقول شيئاً جميلاً وبلغة سهلة.

لا يعني كلامي هذا أن المؤلف نجا من تأثيرات مرحلته شعرياً ، لكنه خطا خطوات طويلة نحو تجديد لغة القول، ولا سيما في إحساسه الشعبي وهو يصوغ قصائده.

وعلى الرغم من ضعف الطباعة التي كانت تحبو آنذاك فإن الشاعر قد اطلع على أمهات الكتب سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة، فقد نشر في مجلة "روضة المدارس المصرية" أرجوزة في فن الشعر عام ١٨٧٦ تدل على هذا الاطلاع ومنها[١٨]:

لا تحسـب المـرء يكـون لا يعد ّ في القوافي ناظما
ولا يكون في القريض عدّه يعـرف جـزر بحـره ومـدَّه

. . . . .

و ّقوا الأذهان بالمطالعه ْ في الكت التي نراها نافعه ْ
ـالمتنبي وأبـي تمـام ِ مـراء ذلـك الكـلام
عتـاهي ْ وأبـي نـواس ِ بحتـري ّ وأبـي فـراس ِ

---

(16) سا . ص ١٧١ .

(17) سا . ص ٢٣٦ .

(18) أدب الأطفال بين محمد عثمان جلال .. زلط . ص ٧٠ .

اطلعوا على الصفيِّ الحلي ... ِمـا حكـى السـريُّ ثـم
رون هذا ينشد الحماسـهْ ... ي غايـة الرقـة والسلاسـهْ

ومن يطلع على طريقة الشعراء والناثرين في زمن المؤلف يعرف مقدار الإنجاز الذي تحقق على يديه لغة وأفكاراً وثقافة.

ولنعد إلى نماذج أخرى من الديوان لنأخذ فكرة شاملة عنه، وليكن الجديد حكاية "الذئب والكلب الضعيف" التي تبدأ بقوله (١٩):

ذئب وهو سالك في الغيط ... هد كلباً رقّ مثل الخيطِ
فـرام يقتلـه مـذْ شـافهْ ... لا رأى ما فيه من نحافهْ
قال لـه الكلب: أما تراني؟ ... ن الكلاءِ السقمُ قد براني؟

ثم يستبطئه الكلب:

ي أسبوعين علي أشبعُ ... قال له السرحان: ي أربعُ
بعد هذا الذئب راح ومشى ... والكلب ولـى خائفاً مرتعشا
ثـم انقضـت يـا صـاح تلـك ... والـذئب جـاء كـي يلاقـي

وتنتهي الحكايه على هذا النحو:

وقال: ا كلب الديار اخرجْ ... فـإنني جئـت هنـا برجلـي
قال له الكلب: اصطبر يا من ... ي مع البوّاب نأتيك سوا
وكان ذا البواب كلباً جارحا ... حين رآه الذئب ولـى رامحا
ـار للبـرِّ يعـض يـدهُ ... وقـال: بـئس الـرأي مـا

إن المتأمل لحكايات الشاعر لا بد أن يلاحظ المهارة في لغة القص شعرياً ، حيث يبرع في الحوار الساحر المركز، وفي تسلسل أجزاء الحكاية، وأغلبها ذات روح مرحة ومكثفة، ولا ينسى أن يضيف إضافات ذات أثر خاص في التشويق والإثارة كما في"الغزالة المريضة" (٢٠):

مرضت غزالـة فـي الغابـهْ ... قد أصيبت غايـة الإصابـهْ
فأقبلــت أحبابهـــا إليهـــا ... تعودهـــا ســـائلة عليهـــا
قالت لهم وقد رأت ما فعلوا ... وما لمرعاها القريب أكلوا
جـزيتم خيـراً عـن السـعي ... مِنـــي طعـــامي الملـــذّذ
انصـرفوا عنـي كفـاني مـا ... يـا ليتنـي كنـت دُفنـت فـي
فانصـرفوا مـن بعـد شـرب ... وبعـدما اسـتكفت أصـول
وغادروها فـي أشد حسره ... ممـا جـرى..بعـد خـراب

ثم تموت الغزالة في آخر الأمر.

فاللمسة التي أضافها الشاعر في انصراف الحيوانات بعد شرب القهوة، أو أن الأرض غدت كرأس قرعاء ملمح

---

(19) العيون اليواقظ . ص ٢٤٧ .
(20) سا. ص ٢٩٦ .

بارز وناجح في حكاياته، نلحظه على الدوام كما في "القط العجوز والفأر"(٢١):

فأر صغير ليس أهل تجربه ... سكه قطٌ عجوز شهربه

اضطرب الفأر وقد تضرّعا ... مـذ خـاف عنـد القـط أن

قال لـه: يا قط فك قيدي ... واتـرك سـبيلي لـيس كـل

لِك سـبيلي سـنتين أكبـرْ ... ويفي هذا المكان أحضرْ

قال له القط: تـَدِ د يا سيسي ... ـت رويـت المـَكـر عـن

ف قـطٌ هـرم يسـامحُ ... د مـُ نـدحت؟ جلّ المانحُ

أدخـل ببطنـي، وأقـم دلـيلا ... وأظهـر المعقـول والمنقـولا

إن "العيون اليواقظ" اختار في لغة القص كالعادة بحر الرجز بصورة أساسية، وكما جرت العادة في الشعر العربي كله تقريباً، إلا أن ذلك لا يعني اقتصار الشاعر عليه، ففي هذا الديوان الذي ضم مئتي قصيدة غالبيتها العظمى حكايات هناك مئة وستون نصاً على بحر الرجز أما الباقي فيتراوح بين البحر الطويل والبسيط إلى الخفيف والكامل وغيرها.

وكما هو الأمر دائماًفإن البحر الطويل تحديداً يجرُّ الشاعر جراً إلى قدر من التكلف والصنعة والانشداد إلى الروح التقليدية، وهذا ما نلمسه في هذا النموذج من حكاية "الخرج"(٢٢):

قد جمـع السيف المقذّف ... أدخلهم يوماً بباطن جحره

وقال لهم: من منكم ساء ... ! يخش َ منـي أن أرى كـُنـه

، ير َ عيباً شانه فليبحْ ... علي أرى شيئاً يقوم بجبره

وفيها أن القرد قال:

وقـال: أرانـي قـد خلقـت ... أر َ عيبـاً فـي ّ أرجـو

وكذلك امتدح الدب والفيل نفسيهما:

كـلٌ رأى فـي جسـمه حسـن ... وشاهد كل العيب في جسم

فقـام أبـو الأشـبال يخطـر ... وقـال كلامـاً حـار فكـري

امرئ خُـر ْج ٌ من العيب ... علـى كتـف منـه ومن أهل

فعين عيـوب الغيـر نصـب ... وعين عيوب النفس من خلف

بينما نجد أن الإيقاع السريع الملائم للناشئة هو أفضل وعاء للحكايةإذ يعسر على الصغار خاصة تذوّقُ القصائد المكتوبة على البحور الطويلة أو حفظها. لذا يكون من أنجح الإيقاعات ما نجده في "الكرمة والأيل"(٢٣):

كايـة ابـن الأيـلِ ... وهــو الغــزال

أدركه الصياد في ... ـل بهـيم أليـل

ر ّ منــه هاربـاً ... خفة في الأرجلِ

أو ما في "الذئب والأم وولدها"(٢٤):

---

(21) سا . ص ٢٩٩ .

(22) سا . ص ١٦٧ .

(23) سا . ص ١٢٠ .

(24) سا . ص ٢١٢ .

حكايـــة الـــذئب | إلى الملوك حلالا
مـر ّ يومـاً بـدار | نوقاً حوت وجمالا
ونعجــــــــة ذات | أحمالهـــا تـــتلالا

ومما يلفت النظر أن محمد عثمان قد صاغ عدداً من الحكايات بالعامية المصرية، وسبق أن أشرت إلى أنه مشبع بروح شعبية نحس أثرها حتى في شعره الفصيح من خلال العديد من المفردات والجمل والأفكار المبثوثة في ثنايا الحكايات، إلا أن إدخال نصوص عامية أمر في غاية الطرافة والدلالة كما في حكايات "الموت والحطاب" و"الحمار والحصان" و"الضفادع يطلبون ملكاً" و"المسعد الساعي والمسعد النائم" و" الكلبتان" و"القطة التي قلبت امرأة" و"القط والفأر" و"الفرارجي" و"الغابة والحطاب" و"الكلب الأقطش والذئب "ومن أجواء هذه الحكايات ما نقرؤه في حكاية "الغابة والحطاب"(٢٥):

اسمع دي الحدوتـه حقا | واعمل طيب طيب تلقى
عـن حطـاب إيـد فاسـو | والا انسرقت منـه سرقه
مـن غيـر فـاس يتعطـل | يعمــل طحــان ولا ســقا
راح للغابــــه يترجاهـــا | في حقه من فرع النبقه
قالت له: خايفه أعطيك | تعمل إيد للفاس الزرقه
بعـــدين تنـــزل فـــوق | وتـدق علـى راسـي دقـه

ونسجل أن في الديوان موقفاً سلبياً من المرأة، حيث تصور كالعادة خائنة بلا أمانة و نمَّامة، ومن الصعب إصلاحها، وهو أمر كان طاغياً في المجتمع آنذاك.

وقد يبلغ تساهل الشاعر وترخصه أحياناً مبلغ الخطأ الواضح، مما جعل محقق الديوان البحيري يصحح ما يراه من سقطات لا يجوز أن تبقى، وقد أشار إليها في الهوامش.

كما إن الشاعر أثبت نصوصاً لا علاقة لها بالحكايات، كما ورد في "البنت" و"زجر القادح" التي دافع فيها عن كتابه، وهاجم من سخروا من عمله وفيها(٢٦):

لئن كنت سحبان الفصاحة في | وضاهيت قُساً ما سلمت من
يقولون: ما هذا الكتاب ؟ وما | كاذيب أقوال البهائم في قبحِ
وقد زعموا أن البلاغة لم تكن | بأحسـن ممـا قيـل فـي القـد
وتشـبيه لـون الخـد بـالورد | وتمثيـل نـور الوجـه إن لاح

وفي هذا ما يعكس وعياً فنياً مجد ّداً في تلك المرحلة. ومثل هذا قصيدة "حب العزلة" التي عبرت عن وجهة نظر شخصية في الناس والحياة(٢٧).

---

(25) سا . ص ٣٠٣ .
(26) سا . ص ٦٦ .
(27) تراجع في كتاب أحمد زلط المشار إليه في هذا الفصل تفصيلات مهمة حول الكتاب وأسلوبه الفني . وكذا في "الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر" للدكتور طه وادي .

الفصل الثاني
نظم الجمان لعبد الله فريج

عبد الله فريج أديب مغمور، حتى إن الباحث يعثر على نتف من أخباره بصعوبة بالغة، كأن تقع له قصيدة في مدح أو رثاء في هذا المصدر أو ذاك، وقد قام الدكتور طه وادي بجهد كبير عندما تتبع أخبار بعض الشعراء الذين ظلمهم التاريخ الأدبي كثيراً في كتابه "الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر"

ومما له بالغ الدلالة أن عبد الله فريج هو الشاعر الذي نصّ صراحة في مقدمة كتابه "نظم الجمان" على أنه وضع هذا الكتاب لتلامذة المدارس وأجد من المهم هنا أن أثبت نصّ المقدمة القصيرة له(١):

" الحمد لله ذي العظمة والإجلال، الذي أنطق الإنسان بالحكم والأمثال. ثم الصلاة على أنبيائه أجمعين، الذين أرشدوا إلى الحق واليقين.

أما بعد فيقول عبده الفقير لمراحم ربه القدير:

إنني لما رأيت الديار المصرية قد رقت في الحضارة إلى درجة عليّة، لا سيما في زمن مولانا العباس، الذي أينعت فيه المعارف كرياض الآس، هذا وقد قرر المجمع اللغوي في بعض جلساته، وبعد النظر المدقق في مباحثاته، أن تكلف تلامذة المدارس الأميرية، في عهد الوزارة الرياضية، بحفظ منتخبات من أشعار البلغاء، فيكتسبوا بذلك ملكة الإنشاء، قد أخذتني الغيرة الوطنية، أن أخدم بلادي بخدمة رضية، تعود على أبنائها بالفائدة، وتأتي لهم بالمنافع الزائدة، فاستعنت في ذلك الواحد الفتاح، مصدر الحكمة وينبوع الصلاح، وعمدت إلى أمثال سيدنا لقمان الذي شهد له بالحكمة في منزل القرآن وإلى ما جرى مجرى ذلك من الأمثال الرائقة ، ذات المواعظ المفيدة والمحاسن الشائقة، ناظماً كلاً منهما أرجوزة وافية وبديع النظام، ثم جعلتها خدمة أدبية، لتلامذة المدارس الابتدائية، ليلتقطوا ما فيها من دُرِّ النصائح والحكم، التي يحق أن يسعى لتحصيلها القدم، فتجعل له استعداداً في الأفكار، يتوصلون به لإدراك ما فوقها من الأشعار ".

ويُظن أن الشاعر وضع هذا الكتاب ليكون داعماً له في قبوله في التعليم، وقد أهدى فريج عمله إلى أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وقتها، ومدحه بقصيدة في أول كتابه(٢).

ويتملكنا العجب من ذلك التجاهل التام للشاعر حتى من قبل مؤلفين يشاطرونه المنبت والديانة كلويس شيخو

عبد الله فريج (... – ١٩٢٧)

شاعر من أصل شامي، عاش في الإسكندرية، رئيس معلمي اللغات في المدرسة الخيرية، انتقل إلى طنطا، كان صديقاً لعبد الله النديم، عمل وقتاً قصيراً في التعليم في القاهرة، له الدواوين الشعرية التالية "سمير الجلاس في بديع الجناس" ١٨٦٦ ، و"الروض النضير في صناعة التشطير" ١٨٩١ ، و"أريج المدام في الجناس العام" ١٨٩٤ و"نظم الجمان في أمثال لقمان" ١٨٩٣، و"أريج الأزهار في محاسن الأشعار" ١٨٩٥، و"سمير الجليس في محاسن التخميس" ١٩٠٦ .

(1) نظم الجمان . ص ٣ - ٤.

(2) الشعراء المجهولون . ص ١٣٠ .

وجرجي زيدان.

يدور في خلدي على الدوام أن كتابة شعر الأطفال كان يثير السخرية والاحتقار في الوسط الثقافي آنذاك، وما حصل لكتاب الرائد محمد عثمان جلال، ودفاعه عن نفسه وهجاؤه لمنتقديه أدلة واضحة على ذلك.

"نظم الجمان" تجربة ريادية متقدمة كان لها شرف المشاركة في التأسيس لشعر الأطفال العربي، وتمتاز بأنها ليست ترجمة عن نص أجنبي، بل نظم شعري لقصص شعرية عربية معروفة عن الحيوان.

يبدأ الكتاب بالحكاية المشهورة "أسد وثوران" حيث استطاع الثوران أن يتصديا للأسد، فاحتال للتفريق بينهما فجاء إلى أحدهما وقال(٣):

هاك عهداً يا أخي ... **بأن تراني دائماً صديقا**
ـــــــاغترّ ذا ... **وظـــن أن العهـــد ذا**
ذ تخلى الغرُّ عن أخيه ... **وذاك شـــأن الأحمـــق**
فقد أتى ليث الشرى ... **ومزقت أنيابه كليهما**
ـــحَّ أن يُقال تلك ... **يد الله مع الجماعهْ**

ومن الحكايات التي تظهر قدرة عبد الله فريج على إعمال خياله وأسلوبه الجميل في رواية قصة معروفة ما فعله في "الأسد المريض والثعلب والذئب" التي تحكي عن أسد مريض جاءت كل حيوانات الغابة لعيادته، وهنا وشى الذئب وتآمر على الثعلب عندما قال للأسد أن جميع الحيوانات مخلصة له إلا الثعلب(٤):

يك طرّاً تحسن الظنونا ... **ـي الودّ إلا الثعلـب**
فإنه للآن ما وافاكا ... **يكسبنّ مثلها رضاكا**

ويعلم الثعلب بالأمر، فيدبر مكيدة أدهى للذئب يرويها المؤلف على طريقته إذ يقول الأسد للثعلب عندما يقدم عليه:

فها أنا من مدة أقاسي ... **ـديداً مُخْمِداً**
تعـــودني الوحـــوش ... **وأنـــت عنـــي غافـــل**
ابه الثعلب وهو يعتذرْ ... **لسوء ظـن سـيدي لا**
علم بأني حافظ الولاءِ ... **يك في الشدة والرخاءِ**
وحسـبك اليـوم أخـا ... **أصـدق برهـان علـى**
بأنه لما أتاني ذا برْ ... **قد اعتراني كل أنواع**
وها أنا قد صار لي ... **ى أطباء الورى أدورُ**
مستقصياً في سائر ... **ـيدي عن أنفع الدواءِ**
ولـم أزل فـي ذلـك ... **حتـى ظفـرت اليـوم**

ويصف له قطعة من الذئب الذي ينال عاقبة ما فعل، ومن الحكايات الجميلة والقصيرة في هذا الكتاب "الأرنب والسلحفاة" ونصها(٥):

لقـد حكـوا عـن أحـد ... **كاية من الزمان السالفِ**

---

(3) نظم الجمان . ص ٩ .
(4) سا . ص ١٥ .
(5) سا . ص ٣٢ .

ـا مـعْ سـيرها المقـاربِ | ـابقت مـعْ أحـد الأرانـب
تفقـا أن جعـلا الحـد َّ | ـب الرهـان مـ َـن قـبْلاً
ر ّ هذا الأرنب الخفيفُ | وقـال: خصـمي مشـيه
ـام وهـو جفنـه قريـرُ | ـسلحفاة أخـذت تسـيرُ
فوصـلت مـن قبلـه للحـدِّ | وهـذه لا شـك عقبـى الجـدِّ
فهاكهـا نصـيحة يـا قـاري | منظومـة كسـاطع الـدراري
إذا أردت الفــوز داوم فــي | إذ كل من سار على الدرب

و"صبي كذوب" من الحكايات المتميزة،وقد كررها كثيرون من بعده نظماً ، وهي تبين عاقبة الكذب(٦):

قد صاح في يوم صبي | وهـو مـع القطعـان فـي
الـذئب هـذا اليـوم قـد | هيا أغيثوني أيا جيراني
فهرعت إليه تلك الجيره | والكل وافى بعصا كبيره
ْ رآهـم ذلـك الغبـيُّ | بـادرين معْهم عصيُّ
صـاح بهـم مسـتهزئاً | لـم يكـن ذئـب ٌ أتـى
جعت بالخجل الجيرانُ | والكـل مـنهم حاقـد
وثـاني يـوم جـاء ذاك | يقة وليس فيها كذْبُ
وقـد غـدا يصـيح ذا | هيـا الحقـوني إننـي

لكن أحداً لم ينقذه، فقد اعتقدوا أنه كذب كما فعل في المرة السابقة، لذا تنتهي الحكاية بنهاية الراعي:

بطش الذئب بذا الغلامِ | ـم يغثـه أحـد الأنـامِ

ويروي الشاعر في "ثعلب وديك وحجل" أن الثعلب جاع في أحد الأيام، فاحتال للحجل والديك إذ أظهر الورع والتقوى، وراح يعظ ويرشد، بل إنه اقترح أن يحج مع الحجال تكفيراً عن الذنوب، وفي الطريق ليلاً عرجا على مغارة ليناما، فوقف الثعلب عند بابها(٧):

وقـــال ذاك الثعلـــب | ي هنا عليكما غفيرُ
ولازم البـاب لـه مقاربـا | مبرماً عليهما الشواربا

وقد احتال الحجل على الثعلب، إذ طلب أن يصلي قبل الموت:

وعندما قد ركِ المسكينُ | ال لـه وقلبـه حـزينُ :
أرجـوك يـا رب الوفـا | ضلاً بأن توطئنَّ الراسا
حتـى أرى شـيئاً مـن | فمنـه أدعـو صـاحب
قـال: نعـم. وطأطـأ | ـاً لـه وقلبـه مذعورُ
فـاغتنم الفرصـة ذيَّـاك | وطـار منـه حيـث فـاز

وحكاية "ليث وأشباله" من الحكايات الطويلة في الكتاب، تدور حول أن الإنسان أقوى المخلوقات لأن له عقلاً مدبراً فالليث حذَّر أشباله من الإنسان، وعندما صادفه شبل طلب منه المصارعة فقال له الإنسان(٨):

---

(6) سا . ص ٤٣ .
(7) سا . ص ٤٥ .
(8) سا . ص ٥٢ .

قال لـه: يك والكرامـهْ ! إنمـــا يـــا صـــاحب
هيـا انتظرنــي برهـة يـا حتى إليك آتـي بالسلاحِ

ويتابع الشاعر بأسلوب ساخر جميل:

عنـــد ذا قـــد غـــرّ ه يلـة يجهلهـا الشـيطانُ
وقال وهو ضاحك: أخاف ب مني أيها الخوّ افُ
فخلني إن كان فيك مقدره أربـط منـك الجسـم فـي ذي

. . . .

إ ذ مضـى لغابـة هنــاك قد نـوى لخصمه الهلاكَ
لـه سريعاً عاد بالقضبان قطوعةً من شجر الرمانِ
ولـم يـزل يثخنـه بالضـرب حتـى استجار الشبل من ذا
وقال: إن الرأي يا إخواني مـــن دونـــه شـــجاعة

إلا إننا قد نجد ما لا نرضاه أن يكون شعراً للكبار فما بالكم للصغار،فهو يطرح أفكاراً عنصرية واضحة، أو تفريقاً بين أعضاء المجتمع لأسباب دينية أو قومية أو جنسية، ومن المؤسف أن الشاعر يكتب قصيدة "زنجي" التي تقول(٩):

حكيم من ذوي الفضائلِ يومـــاً علـــى بعـــض مـــن
وقد رأى هنـاك عبداً أسودا فوقف الحكيم حتـى يشـهدا
إ ذ آه فاركاًبـــــــــالثلج جسـماً ومـا أدراك جسـم
ي أمـل بأنــه يبــيضّ اسوداد عنـه قد ينفضّ
ال لـه الحكيم فـي الكـلام : صر عناك يا أخا الأوهامِ
إن اسـوداد الـثلج يـا بـن رب مـن بياضـك المحـال
إذ قيل إن الطبـع يبقـى فـي ولم يغيره سوى درج الـنْ

ومن المؤسف أن الحكاية قد أوردها شعراء آخرون ممن كتبوا للأطفال بهذه العقلية(٤٠).

الفصل الثالث
أحمد شوقي وشعر الأطفال

لن أجادل في أن أحمد شوقي واحد من أهم شعراء العربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى وفاته. إلا أنني أحد المؤمنين بأنه حقق جزءاً من مكانته وشهرته بسبب حياته الخاصة وما فيها من عوامل النجومية.. مع هذا فشوقي على

---

(9) سا . ص ٣٧ .

(*) يقول الدكتور طه وادي في كتابه المذكور "أسلوب فريج أقرب من حيث الصياغة الفنية المتواضعة إلى أسلوب محمد عثمان جلال ، وكلتا المحاولتين أضعف – بالضرورة – من قصص شوقي في الحيوان" ص ١٤٧ .
وهذا ظلم كبير لا يسنده تحليل ، ففريج وجلال قدما ما هو أفضل من تجربة شوقي .. ولكنها الشهرة !

رأس مجددي الشعر العربي،والغلو في الهجوم عليه لم يخدم الحقيقة الأدبية، إذ إنه من رواد المسرح الشعري، ومن الذين نقلوا لغة الشعر العربي إلى حالة متطورة، ساعفت شاعريته في تألق صياغاته وأهميتها، ومن مظاهر ريادته واستثارته انتباهه لشعر الأطفال، وهذا مما يحسب له،على الرغم من أبَّهة وضعه الشخصي كونه مقرباً من القصر الخديوي وقتها.

وعندما نعود إلى الجزء الأول من الشوقيات الصادر عام ١٨٩٨ نقرأ في المقدمة[١]:

"جربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب حكايات لافونتين الشهيرة. وفي هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة! أو يأنسون إليه. ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر بذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم. والخلاصة إنني كنت ولا أزال ألوي في الشعر على كل مطلب، وأذهب من فضائه الواسع كل مذهب.

وهنا لا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب، والمؤلف بين أسلوب الإفرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أن نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية."

ل الفأ ا رعش - م٥

واضح إن اختيار شوقي الكتابة للأطفال كان بوعي كامل بطبيعة التجربة وخصوصيتها، وواضح أيضاً أن اهتمامه قد بلغ إلى حد أن يشرك الأطفال في الحكم على نجاح ما فعل.

ومن الحقيقة أن نذكر أن شهرة شوقي في هذا المجال طبقت الآفاق، وطغت على ما قد عداها، وهذا بلا شك جاء بسبب مكانة الشاعر في الدولة، وتأثر الرأي الثقافي العربي السائد بهذه المكانة.. لأننا لا نستطيع أن نفسر شهرة الشاعر بنجاحه في شعر الأطفال، بل كان للسلطة الأدبية المكرسة دور كبير في هذا الأمر،فالشاعر تجاهل تماماً أن يشير إلى من سبقه من الرواد الكبار كمحمد عثمان جلال وعبد الله فريج، وهو في ظني تجاهل مقصود، لأن الشاعر علةً كان حريصاً على الانتشار والتقريظ بوسائل كثيرة معروفة عنه، وكان يمارس سلطة على النقاد بوسائل متعددة ليعطوا نجوميته الكثير من اللمعان، والغريب أن الكثير من الدارسين والمتابعين يحسبون أن الرجل هو مؤسس شعر الأطفال في أدبنا المعاصر،وإذا تركنا أنه قد سُبق إلى هذا اللون من قبل شوقياته بما يقارب الخمسين سنة، فلن ننسى أن رفاعة الطهطاوي هو رائد الالتفات والكتابة في شعر الأطفال، ولكن الكتب المدرسية كانت تعطي حصة الأسد لقصائد شوقي، بينما تقلل من الاستشهاد بتجارب أغنى وأغزر، وهكذا نال شوقي من الاهتمام في هذا الجانب ما يفوق إنجازه بكثير.

ومع هذا فإنه قدم واحدة من أهم التجارب المبكرة في شعر الأطفال العربي من خلال أناشيده وقصائده وحكاياته التي أبدعها.

ها نحن نقرأ في الجزء المنشور عام ١٨٩٨ من الشوقيات:

"وهذه أناشيد وطنية دعائية موضوعة لصغار أبناء الأمة من النوعين وهي مما ينبغي للطفل أن يقرأه عن ظهر قلب كيما تسبق الفضيلة إليه الرذيلة ويشب على حبّ الله والوطن والناس:

هيا بني وطني نسود	**نبني كما بنت**
هيا بنا رغم الحسود	**نسمو على سعد**

. . . . .

طلب الفخار بلا ثمن	**عار على أهل**

أحمد شوقي (١٨٦٩ – ١٩٣٢)
شاعر كبير أعاد للشعر الكلاسيكي رونقه، له ديوان ضخم، كان مقرباً من القصر، كتب العديد من المسرحيات، درس الحقوق في فرنسا، ومن أشهر أعماله "مجنون ليلى" و"مصرع كليوباترا" و"قمبيز".

(1) الشوقيات . الجزء الأول . المقدمة.

هيــا افتـــدوا مصــر   فــالحر عــن وطــن

وله أيضاً مما "يتلى في مدارس البنات" على حسب قوله[٣]:

نحـــــن بنــــــات   ا عقـول كيّسـهْ
آدابنـــا مؤسســــه   لـى متين سببِ
بنـا عمـاد العائلـه   قامـــت وكانــــت
فمـــا لأم جاهلـــه   ن ولـد مهـذبِ
اليوم عند المرشد   مهات فـي غدِ
نصلح شأن الولد   ـوطن المحبـبِ

وقد وضع شوقي في هذا الجزء من شوقياته في طبعته الأولى ما سماه "باب الحكايات" من الصفحة ١٦١ حتى ١٩٨ "إضافة إلى أربع قصائد في ابنته أمينة من الصفحة ٢٠٠ حتى ٢٠٥.

ولم يكتف الشاعر بكتابة الشعر للأطفال،بل ترددت في ديوانه دعوات حارة للعلم وأهلهوا إعلاء لشأن الطفولة في حياتنا[٤]:

البنـون هـم دمنـا   ـاة والـــو َر َد ُ
فتنـــة إذا صـلحوا   محنـــة إذا فسـدوا

وفي قصيدة سماها "رسالة الناشئة" كتب الشاعر[٥]:

اطلب العلم لذات العلم لا   لظهـور باطـل بـين المـلا
إنمـا الأيـام والعيش كتاب   كـل يـوفيـه للعبـرة بـابُ
إقرأ التـاريخ إذ فيـه العبر   ضـاع قـوم لـيس يـدرون
خيمـة فـي البيد خير من   تبخــل الشـــمس عليهـــا

ومن مظاهر الاهتمام الرسمي بالشاعر إضافة إلى طغيان نصوصه على ما عداها في الكتب المدرسية، أن وزارة المعارف لم تكتفِ بذلك، بل أصدرت كتاباً فيه مختارات من شعره لم تكتب أساساً للأطفال لتكون مقرراً على طلاب المدارس، حيث يطالعنا كتاب "الشوقيات للمدراس" بطبعته الأنيقة. ومن قصائده "العلم والتعليم" و"قم للمعلم" و"أيها العمال" و"محمد علي باشا الكبير" و"أبو الهول" و"بين الحجاب والسفور" و"بنك مصر".

والذين كتبوا عن تجربة أحمد شوقي لم ينتبهوا إلى الإنجاز الأهم الذي حققه، وأعني به أن ما كتب للطفل قبله كان حكايات شعرية معروفة، إلا في الندرة التي تمثلها عدة أناشيد وضعها الطهطاوي، فجاء شوقي، وقدم قصيدة للطفل من غير أن تكون حكاية،بل وصفاً أو مشهداً مأخوذاً من عالمه الصغير، كما في "الهرة والنظافة"[٦]:

رتـــي جـــدّ أليفـــه   هـــي للبيـت حليفــهْ
هــي مــا لـم تتحـرك   ميـة البيت الظريفـهْ

---

(3) سا . ص ١٤ .
(4) الشوقيات ٣ / ٥٩ .
(5) سا ٤ / ٣٨ .
(6) سا. ص ١٨٨ .

أو "الجدة" التي يقول فيها[٧]:

لـي جـدة تـرأف بـي ـــ **ـى علي ّ من أبي**
إن غضـــب البيـــت ـــ **هــم لــم تغضــبِ**

أو أنشودته الجميلة "النيل"[٨]:

النيـل العـذب هـو ـــ **والجنـــة شـــاطئه**
ريـــان الصـــفحة ـــ **مـا أبهـى الخلد ومـا**
ـار ويـرى لـيس ـــ **ـاة فيـه ووقــارُ**
صـبٌّ كتـلٍّ منهـار ـــ **ج ٌ فتحسبه يزأرْ**

أو "المدرسة"[٩]:

أنـا المدرسة اجعلني ـــ **كــأم لا تمــل عنـــي**
أنـا المصـباح للفكـرِ ـــ **ـا المفتـاح للـذهنِ**

أما الحكايات فقد كانت أكثر إبداعاته غزارة في هذا المجال، وقد أضاف إلى من سبقه كونه اعتمد على حكايات شعبية معاصرة من ناحية، وأبدع حكايات شعرية من ملاحظته أو خياله من ناحية أخرى، مثل حكاية "ضيافة قطة" إذ يروي الشاعر كيف تعرف إلى قطة ولدت عدة هررة ودافعت عنهم بقوة، ولما كانت القطة في بيت الشاعر فقد أكرمها[١٠]:

يتهـــا بشـــربةِ ـــ **وجئتهـــا بســـترتي**
وزدتهـا الـدفء فقربـت لهـا
لـو وجـدت مصـيداً ـــ **جئتهـــا بفـــأرةِ**

وينهي شوقي حكايته بقوله:

خذّضي عن خمسةِ ـــ **إن شـــئت أو عـــن**
أنـت و أولادك حتـى يكبـروا فـي

وكتب الشاعر واحدة من حكاياته المتميزة هي "النملة والمقطم"[١١]:

كانـت النملـة تمشـي ـــ **رة تحـت المقطـمْ**
فارتخى مفصلها من ـــ **ـة الطود المعظمْ**
ليـت شـعري، كيـف ـــ **هوى هذا وأسلمْ**
. . . .
سقطت في شبر ماء ـــ **عند النمل كاليمْ**

ويمتلك أحمد شوقي قدرة كبيرة على السخرية والصياغات الضاحكة، ومن النماذج البارزة على ذلك حكاية "ثعالة والحمار" وهي قصيرة لا تزيد على ستة أبيات[١٢]:

---

(7) سا. ص ١٨٩.
(8) سا . ص ١٩٥.
(9) سا . ص ١٩٦.
(10) سا . ص ١٢٢.
(11) سا. ص ١٤٨.
(12) سا. ص ١٨١ .

تـــى ثعالـــة يومـــاً ، الضواحي حمار ُ
وقال: إن كنت جاري ـــاً ونعـــم الجـــار ُ
قل لـي فـإني كئيب مفكـــــر.. تـــــار ُ
فـي موكـب الأمـس رنا وسـار الكبـار ُ
لرحت مولاي أرضاً ـــل بـــذلك عـــار ُ
هـل أتيـت عظيمـاً فقـال: يـا حمـار ُ !

ويبدو أن الفكرة المسيطرة عن الحمار بأنه رمز للغباء والثقل جعلت الشاعر يخصه بحكاية صغيرة جداً من ثلاثة أبيات عنوانها "الحمار في السفينة" يقول فيها(١٣):

سقط الحمار من السفينة في فبكـى الرفـاق لفقـده وترحَّـموا
حتى إذا طلع النهار أتت بـه ـو السـفينة موجـة تتقـدم ُ
قالت: خذوه كما أتاني سالماً لـم أبتلعـه، ه لا يـُهضـم ُ

لقد مر ّ معنا أن أحمد شوقي قد ذكر في مقدمة الشوقيات تأثره بصنيع لافونتين، فسار على منواله، و لم يشر إلى من سبقه في هذا السبيل، بل إنه لم يذكر الحقيقة الكبرى في هذا المجال، وهي أن لافونتين نفسه قد أخذ حكاياته من التراث الشرقي وكليلة ودمنة في مقدمته.

إن أحمد شوقي في حكاياته وأناشيده للأطفال انطلق من وعي نظري بخصوصية ما يفعل،فانتبه كثيراً إلى طبيعة الموضوع وصياغته اللغوية وقالبه الموسيقي،ولكن لم يحافظ على ذلك دائماً ، بل إن لغة الشاعر أقل سلاسة من لغة جلال أو إبراهيم العرب، فقد كثرت في قصائده التعقيدات الأسلوبية من نوع قوله في قصيدة "الجدة"(١٤):

وكـل ـيء سـر ّ ني تـذهب فيـه مـذهبي

و:

ألـم تكـن تصـنع مـا يصنع إذ أنـت صبي

والأمومة مثلاً لا تتفق مع فكرة حكاية "الفأرة والقط" حيث تتمنى أن تظل بعد ابنها(١٥):

وأشـرفت تقـول للسـفيه إن مـت بعد ابنـي فمـن

ومن النصوص البالغة الإرباك صياغة وفكرة قصيدة "الأم" ونصها(١٦):

لـولا التقـى لقلـت: لـم يخلـق سواك الولـدا !
إن شـئت كـان العيـد إن شئت كـان الأسدا
ن تـرد غيـاً غـوى و تبـغِ رشـداً رشـدا

والبيت أنت الصوت فيه وهو للصوت صدى:

كالببغـا فـي قفـص: قيـــل لـــه، فقلـــدا
وكالقضـيب اللـدن قد طـاوع فـي الشـكل
يأخـــذ مـــا عودتـــه والمـــرء مـــا تعـــودا

---

(13) سا. ص ١٦٧.
(14) سا . ص ١٨٩ .
(15) سا . ص ١٨٣.
(16) سا . ص ١٩٢ .

بينما يتألق الشاعر في بعض الحكايات الخالية من الحذلقة اللغوية، والتي تراعي الخصائص الأساسية لنصوص الأطفال الشعرية، أي اللغة السهلة والطرافة والوزن الخفيف، كما في حكاية "الثعلب والديك" (١٧):

ـرز الثعلـب يومـاً	**فـي ثيـاب الواعظينـا**
فمشـى فـي الأرض	**يسـب ّ الماكرينـا**

ويقول: الحمد لله إله العالمينا

يـا عبـاد الله توبـوا	**فهـو كهـف التائبينـا**
وازهـدوا فـي الطيـر إن العـيش عـيش	
واطلبـوا الـديك يـؤذن	**لصـلاة الصـبح فينـا**
فـأتى الـديك رسـول	**مـن إمـام الناسـكينا**
عـرض الأمـر عليـه	**وهـو يرجـو أن يلينـا**
فأجـاب الـديك: عـذراً	**ـا أضـل ّ المهتـدينا !**
بلـغ الثعلـب عنـي	**عـن جـدودي**
عـن ذوي التيجـان	**دخـل الـبطن اللعينـا**

أنهم قالوا وخير القول قول العارفينا:

"طئ من ظن ّ يوماً	**أن للثعلـب دينـا"**

الفصل الرابع
آداب العرب لإبراهيم العرب

كتاب إبراهيم العرب "آداب العرب" مجموعة إرشادات مما يربى به الطفل، ومن غلافه نعرف أنه صدر عام ١٩١١(*) مصدّراً بعبارة " نظارة المعارف العمومية " أي ما يوازي وزارة التربية والتعليم في أيامنا، وقد كتب على الغلاف أيضاً :

"قررت نظارة المعارف العمومية طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدريسه في المدارس الابتدائية بنين وبنات وفي مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب" وفي الكتاب تسع وتسعون حكاية شعرية مأخوذة من لافونتين وكليلة

---

(17) سا . ص ١٥٠ .

(*) ذكر د . هادي الهيتي خطأ أن الكتاب صدر عام ١٩١٣ في كتابه "ثقافة الأطفال" والصحيح ما أثبتناه. ابراهيم العرب (.... – ١٩٢٧)

ودمنة والتراث العربي، وجاء في مقدمته[1]:

"أما بعد فهذا كتاب خدمت به نابتة الوطن المحبوب وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منه ما يربي نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين.

وقد التزمت أن أجعل مواعظ كتابي أقاصيص قريبة التناول واضحة المعنى سهلة النظم يقرؤونها بلا ملل وينتهون منها إلى تلك الكلم الجوامع كأنها نهايات طبيعية لتلك المواضع العذبة المشرب.

على أنني جاريت السابقين من كتاب العرب وأدباء الغرب فجعلت حكم تلك العظات دائرة على ألسنة بعض الحيوانات المعروفة ليكون الإخبار بذلك أفكه والمواعظ أبلغ في ضرب الأمثال وسرد الحكم.

فإن كنت قد وفقت إلى ما يرضي أو بعض ما يرضي فما ذلك إلا من فضل النهضة العلمية الحاضرة ".

ثم أثبت فاتحة الكتاب على شكل قصيدة منها[2]:

وبعد فهذي حكمة ومواعظ ... ـذيب أخلاق وإصلاح أحوالِ
خدمة أوطاني وإعلاء شأنها ... صرفت نفيس النظم والعمر
وما أرتجي حسن الثناء من ... فيا ليتني أنجو من القيل

ثم إهداء الكتاب للجناب العالي عباس باشا حلمي الثاني خديوي مصر في قصيدة، وبعد ذلك " *تحية الوزير الجليل* أحمد حشمت *باشا ناظر المعارف العمومية المصرية"* في ثلاثة أبيات.

ثم يبدأ الكتاب بدايته الفعلية في العظة الأولى "الطاووس"، وقد رتب العرب كتابه بتسمية العظات حتى يصل إلى العظة التاسعة والتسعين.

في قصة "الديكان والنسر" يقول[3]:

قام ديكان يطلبان قتالا ... مثل ليثين قوة وصيالا
فانجلى النقع والذي نال ... ظفر النصر للمفاخر نالا
فتوارى المهزوم في ركن ... كان يخفي عن العيون
وتعالى المنصور في الطير ... صار يرقى الربى ويعلو
نافش الريش باسط العرف ... ثاني العطف معجباً مختالا
م وافى نسر فحطّ عليه ... واحتواه بمخلبيه وشالا
ورآه المهزوم في منسر ... فأبدى سروره واستطالا
ومضى يملأ الجهات ... وأقامت له الدجاج احتفالا
بات ذاك الضعيف فيها ... حين ولى حكم القوي وزالا

ثم ينهي الشاعر حكايته ببيت مشهور للمتنبي:

إذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

وبعد هذه الحكاية نقرأ "الفتاة والنحلة" حيث نحلة تلسع فتاة في شفتها[4]:

---

(1) آداب العرب . ص ١ .

(2) سا. ص ٣ .

(3) سا. ص ٩ .

(4) سا. ص ١٠ .

فأعولـت واستصـرخت مـن ا‌ءها بسرعة كل الخدمْ
خـذوا النحلـة للعقـاب ـلا سـؤال وبـلا جـواب
فقالت النحلـة: أصحابُ س لمثلي ينبغي العقابُ
رأيت في مبسمها احمرارا ظننتـه فـي ثغرهـا أزهـارا
وليس بين ريقها وشهدي ـرقٌ فكيف لا أراه وردي
أطرب الجواب تلك العـَذرا وعندها قالت قبلت العذرا
سـامحتها فـي لسـعها إمـة لقولهـا اللطيـف

ومع ما تحمله هذه الحكاية من طرافة إلا إنها لا تناسب الأطفال في تفصيلها وفي بعض مفرداتها، وهو أمر سنلقاه في مواضع كثيرة من الكتاب.

وتحت عنوان "عدل خلفاء الإسلام" نقل العرب حكاية شعرية عن الخليفة المأمون وهي تبدأ هكذا[٥]:

ّد في زمانه المأمونُ قصـراً أبانـت حسـنه
لـم يحكـه قصـر مـن فـي سـالف الأيـام
كان كوخ بإزاء القصرِ كلف يشين وجه البدرِ
حائك من الورى فقيرِ يـتهج بعيشه النضيرِ

ويمضي الشاعر العرب مع هذه الحكاية التي امتازت بأنها خلت إلى حد كبير من الأسلوب الجزل والمفردات الصعبة التي طبعت أكثر ما في الكتاب:

فـأمر الخليفـة الـوزيرا يومـاً إلـى الحائـك أن
ليشـتري الكـوخ مـن على رضا بالثمن الثمينِ
فـرفض الحائـك ذاك ولم يوافقه عليه طوعا
وقال: إني قانع بمالي مغتبط بحسـن هـذي
فمنزلي لست غنياً عنه بأي شرع تخرجوني[*]
بـه توفي والدي وا نـي ولدت فيه فإليك عني

فأمر الوزير بهدم بيت الحائك، وعندما علم المأمون بالخبر غضب وأمر بإعادة بناء البيت وا بقائه لصاحبه.

وفي الهر والجرذان"إن هراً عاش عند صاحبه في دلال وعناية، وكان دائم الإطعام له، لهذا لم يقرب من الفئران بأذى، فظنوا أنه ضعيف سقيم لمسالمته لهم[٦]:

وعزمت في نفسها أن بّ منها واحد فأمسكهْ
وقـال للجـرذان:هيـا عليـه حـالاً فـالهجوم
لقد شبعنا من حبوب ونشـتهي مـذاق لحـم
حملت طراً عليه حـَمله ادت عليها خيبة وذلهْ

(5) سا. ص ٢٨ .
(*) الصحيح : تخرجونني .
(6) سا . ص ٤٤ .

لأنـــه استشـــاط منهـــا   **فقـام للفتـك بهـا ووثبـا**

حتـــى أبـــاد عصـــبة   **هلكت بالجهل والطغيانِ**

ثم ينهي بحكمة كما جرت عادته في جميع الحكايات:

من أمن الـدهر أتـى من   **لا تسـتثر ذا لبـد مـن**

ومثل هذه الحكاية في البساطة والسهولة ما سنجده في "السمكة" التي تدور حول ضرورة الالتزام بتوجهات الآباء[٧]:

قد أخذت سمكة كبيره   **تنصح أولاداً لـها صغيره**

قالت: نـاتي كـنَّ وسط   **واسبحن لا تجئن نحـو**

واحــذرن مــن حبائـل   **هـا لكـنَّ بالمرصـادِ**

وأمطرت الدنيا كثيراً، وفاض النهر، فغادرت الأسماك النهر إلى بعض البرك التي صنعها الفيضان، ولكن الأحداث تستمر على نحو يؤكد نصيحة الأم:

تـى إذا مـا قلت المياهُ   **جع النهر إلى مجراهُ**

لـم تسـتطع أن ترجـع   **عـمَّ فيهـا الويـل**

لكٌ من سار في هواهُ   **الفاً فـي سـيره أبـاهُ**

و"السرطان" واحدة من أجمل حكايات العرب وأنجحها صياغة، وقد جاءت على البحر الوافر، وبقافية موحدة [٨]:

مشـى السـرطان يومـاً   **لد شكل مشيته بنوهُ**

فقـال: عـلام تتحرفـون؟   **سبقت به حن مقلدوهُ**

ـالفْ سـيرك المعـوجَّ   **ا إن عدلت معد ِّلوهُ**

مـا تـدري أبانـا كل فـرعِ   **اري بالخُطا من أدبوهُ**

وينشأ ناشئ الفتيان منا   **ما كـان عو ّده أبوهُ**

وعلى البحر السريع ينجح الشاعر في نسج حكاية "الشيخ وولده والعبيد" [٩]:

شـيخ عظيم فـي البرايـا   **من الدنيا غلام وحيدْ**

ّ ابنـه يومـاً ببسـتانه   **والنـور فيـه مثـل عقـد**

فعـاث فيـه لا يبـالي   **وغـادر الـزرع هشـيماً**

فيأتي الشيخ ويرى ما حلَّ بحقله:

وقال من أتلف غرسي وهل   **ـطا علـى الغـرس عـدو ّ**

فلـم يجيبـوه وقـد أطرقـوا   **خوفـاً علـى النجـل العزيـز**

بــل الطفــل مقــر ّاً بمــا   **جنـى وقـال: افعل أبـي مـا**

أنا الذي في الروض عاثت   **خـالق الكـون علـيم شـهيدْ**

ففـرح الوالـد مـن صـدقه   **صَّـه من عطفـه بالمزيدْ**

---

(7) سا . ص ٥٠ .

(8) سا . ص ٦٨ .

(9) سا . ص ٧٨ .

وقال يا نجلي بلغت الهدى ـــر على الـنهج القـويم

عليـك بالصـدق ولـو أنـه ـرقك الصدق بنار الوعيد

وفي حكاية أجواؤها مستمدة من كليلة ودمنة هي "الأرنب وطير الشرشور" عظة في الصداقة جاءت على الوزن الرئيسي الذي اختاره العرب وهو الرجز(١٠):

ـاحب يوماً أرنب شرشورا ـم يـك خـداعاً ولا شـريرا

وعـاش كـل عيشـة الإخـاء ـي شـدّ الأيـام والرخـاءِ

ـجتمعان في الدجى والفجرِ ـك فـي العشّ وذا فـي

فأبطـأ الشرشـور ذات مـره ـا درى صــاحبه مقـرهْ

ـراح عنه باحثاً في الوادي يسـأل كـل رائـح وغـادي

حتــى رآه بســراي الملــك فـي قفـص لـيس لـه مـن

فأعمـل الحيلـة فـي قـرض وفتح البـاب حتى خلص

إنطلقـا كـالريح يجريـانِ خافة من صولة الإنسانِ

وعندما يعرف الملك يأمر بقتل كل الأرانب في كل مكان انتقاماً، وهنا يطلب الأرنب من صديقه العون:

فقـال: نـم ولا تخـف مـن ـا بــه طـوّقتني مـن

أنــا الصــديق أفتــدي أنـا الـذي ينفـع وقـت

إن عريــق الأصـل فــي يقابـــل الإحســـان

"والكلب والعلف والحمار" ذات موضوع ممتع ومفيد، حيث تتحدث هذه الحكاية عن حب الأذى عندما يكون طبعاً راسخاً(١١):

ـد نـام فوق علف الحمارِ ـب منابـذ مـن الأشـرارِ

ـلمـا رام الحمــار أكلــهْ قام الكلب فعضّ رجلهْ

حتى غدا من جوعه هزيلا يوســعه صــاحبه تنكـيلا

ـذا جنى الحمار في دنياهُ ـلط الكلـب علــى أذاهُ

ـ زادُ هــذا نــافع لهــذا إيــذاؤه وظلمـــه لمـــاذا؟

قـد جبلـت طبـاع بعـض على أذى بعض بغير حقٍّ

ـرُّ الورى من ليس يرجى يومـاً ويرجـى ـره وضيرهِ

لا بد من القول إن "كتاب آداب العرب" حوى الكثير من الحكايات المصوغة بشيء من الجفاف، وهذا يأتي من الابتعاد عن السلاسة، وعدم التدقيق في اختيار المفردة، وفي صوغ الجملة، وفي تخير الإيقاع المناسب.

---

(10) سا . ص ٨٩ .

(11) سا . ص ٩٦ .

فما أكثر ما تطالعنا صياغات شديدة التقليدية والثقل، أو عبارات بعيدة عن إدراك "النابتة" من الأجيال التي توجه إليها بكتابه،ولآخذْ على ذلك مثالاً بقوله[١٢]:

ا كلبُ أغنام على حَمل | عاد ومن فيه الدماء تسيلُ

فلما شكته الأم ألحقها به | هبَّ على راعي القطيع

وقد شاهدته الناس يأثم | ومنهم شهود صادقون

وفي الموقف المرهوب قامت | موع ترد الطرف وهو كليلُ

وكذلك في "دودة القز ودودة الحقل"[١٣]:

جرى لدود القزِّ ضمن | ـر أرقٌ من السُّلاف

هي دودة هذا الحرير | ولقد يكون نسيجها استبرقا

وهناك قامت دودة حقلية | لم تحكها نفعاً وساءت

ومثل ثالث وأخير من "الفلاح والملك"[١٤]:

ـمع حديث مليك عزّ في | أجرت عليه الليالي حكمها

رق المُلك رغماً من إرادته | ـرّع الذلَّ بين الكاس

وظن أن لا يعود الملك إن | ماله ودهته شدة الياسِ

لكـ أخو الجود إن تجردْ ـه | ـت أياديه نِعمَ الطب

وهكذا حتى نهاية الحكاية.

وعلى الرغم من هذا فتجربة العرب من التجارب المميزة بنجاحها في نقل شعر الأطفال خطوات إلى الأمام، ففي هذا الكتاب تسع وتسعون حكاية، وهو أمر يستحق الإعجاب لما منحه من وقت وجهد لكي يضيف لبنات إلى هذا الفن الوليد.

وتلفت نظرنا ظاهرة تضمين الأبيات الشعرية المشهورة، حيث يستشهد الشاعر بها فيُدرجها بسلاسة داخل الحكاية أو في نهايتها، ولعله يرى في ذلك تقوية للنص، وعلامة من علامات اطلاعه.

ففي نهاية "الفلاحان والسحاب" نقرأ[١٥]:

دع المقادير تجري في | تبيتنّ إلا خالي البالِ

ما بين طرفة عين | ـرّ الله من حال إلى حالِ

وفي نهاية "الجرذ والمبرد"[١٦]:

وهكذا من يعاني غير مختبر | ما لا يطيق عراه الضر والفشلُ

كناطح صخرة يوماً ليوهنها | ضِرْها وأوهى قرنه الوعلُ

---

(12) سا . ص ٦١ .

(13) سا . ص ٦٤.

(14) سا . ص ٨٠.

(15) سا . ص ١٦ .

(16) سا . ص ٥١ .

وكذلك في "الرجل التائه في الصحراء"(١٧):

أينفع المال والإنسان في ... أمامه الموت لا قبر ولا
ـا كلّ ما يتمنى المرء ... تأتي الرياح بما لا تشتهي

ويقول في نهاية حكاية "لاعبو الميسر"(١٨):

تلقى الفتى الأهواء في ... وربما أفضى إلى البلاءِ
، الشباب والفراغ والجده ... مفسدة للمرء أي مفسده

وفي "العمدة والمضارب"يضمن العرب بيتين مشهورين يردان كثيراً في كتب العروض العربية مثالاً على ما يسمى "سناد الردف"(١٩):

م يقضِ ـأمراً وضاعت ... صايا أبيه على حرصهِ
إذا كنت في حاجة ... رسل حكيماً ولا توصهِ
باب أمر عليك ... ر عليماً ولا تعصهِ

أما في حكاية "البؤساء"فالعرب يضمن شطراً من بيت مشهور لبشار بن برد(٢٠):

، تجدُنا عشتما بضيم ... ـاز باللذة الجسور

هذه نماذج من التضمينات التي اشتمل عليها كتاب العرب،و هناك المزيد منها لمن أراد تتبعها.

ومما يلحظ في الكتاب احتواؤه على أمر آخر، لكنه مما لا يحسن أن يقدم للأطفال وكان من الأجدى أن يحتفظ الشاعر به إلى مقام آخر غير هذا المقام،فقد ظهر واضحاً تذمر الشاعر من الزمن والناس إلى حد التشاؤم والتطيُّر، لذا فنحن نقرأ في الكتاب أمثال هذا الكلام (٢١):

الأديب الحرّ حرب ... تلفيه في الدنيا بغير
وحياته فيها شقاء دائم ... وكذا الحياة متاعب

كتب الشقاء على الحكيم الفيلسوف لعفة فيه وحسن ضمير

أو قوله(٢٢):

لا خير في الناس على ... ـودّ هم ضرب من النفاقِ

أو(٢٣):

والناس في طريقهم ... أغلبهم في فعلهم

---

(17) سا . ص ٥٧ .
(18) سا . ص ٦٥ .
(19) سا . ص ٨٤ .
(20) سا . ص ٩٢ .
(21) سا . ص ٢٢ .
(22) سا . ص ٢٦ .
(23) سا . ص ١٠١ .

و[٢٤]:

خلائــق كلهــا ضــعف   فـلا كمـال ولا فضـل ولا

ولعل حكاية "محب الوحدة" تلخص هذه الطيرة من البشر التي تتردّد بين ثنايا الحكايات [٢٥]:

عاقـل حـاول جهـده   أن يعــيش العمــر

عاهد النفس على أن   تثبـت الأيــام عهـده

سـيئ الحـظ ولكـن   فضـله شـيَّد مجـده

باحثـاً فـي كـل فـن   قادحـاً للفكـر زنـده

عالمـاً أن كثيـر الصـحب لا يرجـى

مـارس الخلـق فزادت   ـهـات الخلـق زهـده

بلغ البهتان عند الناس في التمليق

ـل مـن يفعـل خيـراً   واجد في الناس ضده

فرأى في البعد عنهم   مغنمـاً لا غـنم بعـده

ن فـي الوحـدة فضـلاً   لفتـى يعـرف قصـده

ـل مـن عـاش فريـداً   نـال فـي الأيـام سعده

وحــده العاقــل خيــر   مــن جلـيس السـوء

إن هذه الأفكار مجال للأخذ والردّ حتى بين الكبار،إذ من غير الصحيّ أن نزج الطفل في فكرة أن البشر أشرار ناكرون للجميل وغدارون، ولا ننطلق من فكرة مثالية عن الحياة، ولكن في أدب الطفل لا يجوز أن نفسد فهمه للحياة بشكل مسبق تابع لنوعية علاقتنا بالحياة والبشر، إن الحسم في هذه المسألة شيء مبكر جداً ومتروك لمستقبل الأطفال، بل من المفيد عموماً أن ينشأ الطفل على فكرة أن البشر خيِّرون،والحياة جميلة تحتاج إلى الكدّ والثقة والتفاؤل.

وعلى نحو قريب من هذا الاتجاه قصة "نكران الجميل" وهي ترسيخ معنى يميز بين البشر بسبب التفاوت في المعيشة، ليس هذا فحسب، بل إن الشاعر يغلق الطريق أمام التحول والتغيير ليقول بشكل جازم بأن العبد لا يمكن أن يكون صالحاً في يوم من الأيام،وهذا يدلّ على فداحة النظرة السائدة وقتها تجاه العبيد قبل أن تنتهي هذه الظاهرة الآن[٢٦]:

عتـق لله أميـر جاريـهْ   هذه عادة خير جاريهْ

ـهـمَّ حتـى جاءها ببعل   كـفء لهـا تسـاويا فـي

فولـدت مـن بهـا بـُذَيـه   م دهتها بعدها المنيهْ

فأحضــر الأميــر تلــك   ـه مغدقاً عليها فضلهْ

---

(24) سا . ص ١١٠ .
(25) سا . ص ٩٥ .
(26) سا . ص ٧٧ .

ترفـل فـي العـز وفـي ... ـعـة فـي خيـره العمـيمِ

ثم يزوجها ويكرمها بالهبات، ولكن الجارية مع زوجها قابلا ذلك بنكران الجميل:

ـدَّلا الشـكران بـالكفرانِ ... وأنكـرا صـنيعة إحسـانِ

إن اللئــــيم وخســــيس ... لا يســــتحقان لبــــاس

ومن المؤسف أن نعثر هنا وهناك على إعلاء مبالغ فيه للرجل وا ٕظهار المرأة ماكرة جاهلة خبيثة في الغالب، بل يصل الأمر إلى الحديث عن المواطن الحقيقي وكأنه الرجل فقط [٢٧]:

انمـا الأوطـان بالرجـالِ ... وبإجـال قيمـة الأعمـالِ

هذه النظرة سادت إلى حد كبير فيما كتب للأطفال في البدايات، ولم يحدَّ منها إلا تقدم النظرة إلى الجنسين، منذ تلك الإشارات القليلة الهامة عن المساواة عند رفاعة الطهطاوي.

ومن الطريف أن نلاحظ أن النزعة الدينية الطاغية عند الشاعر لم تمنعه من إيراد عبارات غير لائقة، ومن الضروري إبعادها عن اهتمام الطفل كقوله[٢٨]:

للبلبــل الغريــد مــا ... أحلــى علــى الــنفس

يشدو ويلعب بالقلوب وبالنهى لعب المُ دامه ْ وقوله[٢٩]:

ـبَّ مـن خمـرة الغـرور ... بـين جمـع الـدجاج يبـدي

أو [٣٠]:

وكـان كل جملـة يقولهـا ... ـُلافة تسكرهم شمولها

وكما في حكاية "الفتاة و النحلة"[٣١]:

ولــيس بــين ريقهــا ... فرق فكيف لا أراه وردي

وهناك حكاية المعجب بآبائه "وهي تعكس التفوق التركي في التفاخر بالمكانة الاجتماعية وفي بيئة عربية، لذا فالشاعر يعالج الأمر دون أن يجرح الترك، لأن مصر كانت ما تزال شكلياً من مناطق النفوذ التركي على الرغم من وقوعها تحت الانتداب الإنكليزي، فقال العرب [٣٢]:

فتـى من بنـي الأتراك كان لـه ... ـان يجـر ّ الـذيل فخـراً علـى

يعدد بين النـاس فضل جدوده ... ذكر تاريخ المناصب والرتب ْ

ويحسب أن المجد في بيته له ... ـث وأن المجد يورث بالنسب ْ

إلى أن ينهي الشاعر حكايته ببيت حكمة:

---

(27) سا . ص ١٠٢ .

(28) سا . ص ٥.

(29) سا . ص ١٠ .

(30) سا . ص ٢٣ .

(31) سا . ص ١١ .

(32) سا . ص ٥٣ .

ا الغصن لم يثمر وإن كان   ن المثمرات اعتدَّه الناس في

ومن غرائب هذه المجموعة احتواؤها على حكايات منظومة شعراً على شكل عظات، مع ذلك فإننا واجدون عدة قصائد ليس فيها أية حكاية بل مجموعة من الحكم الجافة،أو التأوُّهات والشكاوى التي يصبها الشاعر على الورق، كما فعل في " شكاة الدهر " شديدة الكآبة(٣٣):

ما لآبائنا وما لبنينا   في أمان من الزمان
خلفتهم آباؤهم لحياة   كلها شقوة كما خلفوني
حملتهم نوائب الدهر   وسريعاً لحكمها تركوني
حمَّلتهم ما لا يطيقون   وهم من همومها

ثم يقول من القصيدة نفسها:

غيري يا دهر فالموت   فإذا جاء موعدي
ليتني لم أكن خلقت ولا كنت عرفت الورى ولا
ب أنت العليم ما لي   بشقاء الحياة قد

وعلى هذا النحو من لغة الكبار وأفكارهم يكتب الشاعر عظته الخامسة والتسعين بعنوان "الحياة" وهي قصيدة طويلة، لكنها لا تخرج عن كونها مواعظ لا علاقة للطفل بها، فهي تبدأ هكذا (٣٤):

لحياة نصَبٌ يناصب   عب فيها وبنا تلاعبُ
مارها زاهية ودانيهْ   ثيرة النعيم لكن فانيهْ
فما لنا في الدهر من   غير الأسى والرزء في

وينهيها بهذه الأبيات:

يا طالب الراحة في   حة إلا مع الممات
قيقة الحياة ليس تدركُ   لمن بالله ليس يشركُ
مستمسك بصحة   سلم الأمور للرحمنِ
فيعرف الممات منتهاه   ويؤثر الأخرى على
الترك للدنيا النجاة منها   ترَ أنهى لك منها

ونجد في آخر الكتاب قصيدة طويلة تبدو في وقتها شديدة الأهمية، فقد خص إبراهيم العرب الحرية بقصيدة طويلة حافلة بما هو مستنير من الأفكار، واللافت للنظر أنه قالها في محيط شامل من الاستبداد الاجتماعي والسياسي(٣٥):

ا وهب الرحمن للبريهْ   أفضل من موهبة
ضيلة رفيعة المكانِ   أكبر الصفات للإنسانِ

(33) سا . ص ٨٧ .
(34) سا . ص ١٠٠ .
(35) سا . ص ١٠٣ .

ُ النبوغ ونجاح الأممِ   ـ الرقي وعلوُ الهممِ
سـر النظـام سـر فعـل   ر القوانين وسر العدلِ

وفيها أيضاً :

الرجـل الحـر بأصـغريه   رف مـا لـه ومـا عليـه
ـه القيـام بالـذي يـراهُ   ن عمـل ورفـضُ مـا

ويذكر المزيد مما يؤكد اطلاع الشاعر على الفكر الحديث وتأثره بدعوات النهوض والمساواة:

وينبـغ الكتـاب فـي   نشرهم مذاهب الضميرِ
وتفتح الأبواب لمدارسِ   ي وجـه موسـرٍ ووجـه
تـدخل الأرزاق للتجـارِ   مـن سـائر الأجنـاس
هـذي هـي الحريـة   هـذه نعمتهـا الرجيحـهْ
متع الإنسان في الحياةِ   قه من أعظم الهباتِ

وينهي الشاعر كتابه بما سماه "الخاتمة" وهي قصيدة من تسعين بيتاً مكتوبة على البحر البسيط، وهي مجموعة تأملات ومواعظ في الحياة لا تناسب أن تكون مما يقرؤه الطفل، وفيها[٣٦]:

ما لذة الملك إن دار الزمان   والملـك كـالرزق مقسـوم
والـدر فـي البحـر لا يـدري   ، إذا ضمه في عقده الجيدُ
والخلـق شـتى فـلا عتـب ولا   كـلٌ لـه موقـف فـي الأرض

وقد ظلت حكايات كتاب العرب مصدراً رئيسياً في الكتب المدرسية العربية،إلى أن خفّ الاعتماد عليها منذ ما يزيد على نصف قرن.

---

(36) سا . ص ١٠٨ .

الفصل الخامس
محمد الهراوي وتجديد شعر الأطفال

تتفرّد تجربة الشاعر المصري محمد الهراوي بتميز خاص، إذ وقف معظم ما كتب على شعر الأطفال، فجميع من سبقوه لم يتفرغوا لهذا اللون، ولم يقدموا هذا الحجم من العطاء، إضافة إلى أن قصيدة الطفل العربية دخلت أول مرة على يديه في الخصوصية الفنية الحديثة لشعر الأطفال، وكانت نقلة نوعية خلصت ما كتب للأطفال من اللغة الصعبة، والوعظ المباشر الخالي من الظرافة والإيحاء والبساطة.

إن مطالعة ما كتبه محمد الهراوي تكشف عن قدرة خاصة في الصياغة العفوية المتدفقة في الغالب الأعم، إضافة إلى مراعاته للمراحل العمرية بما يناسب بداية تجربة ما زالت المحاولات فيها شديدة الندرة. وأدرك الهراوي منذ البدء خصوصية كتاب الطفل أيضاً، فقد حرص على أناقة خاصة في طباعة كتبه حروفاً وإخراجاً وصوراً، فزين كل قصيدة بصورة فوتوغرافية ملائمة لها، وعمل الشاعر ما استطاع على تنويع موضوعات قصائده، فحاول أن يتناول أكثر ما يهم الطفل،أو ما يراه مناسباً له من أهداف تربوية متنوعة.

فاجأ الهراوي الوسط الثقافي والتعليمي بكتاب "سمير الأطفال للبنين" ١٩٢٢ ثم أتبعه بعد سنة بـ "سمير الأطفال للبنات" في ستة أجزاء.. وفي عام ١٩٢٤ أصدر "أغاني الأطفال"، وفي عام ١٩٢٦ أصدر "السمير الصغير" للأطفال الصغار جداً، أما آخر أعماله فكان "الطفل الجديد" وقد اطلعت على طبعته الثالثة عام ١٩٣٣.

ونصوص الهراوي أكثر النصوص التي استفادت منها كتب القراءة والاستظهار العربية، فلا يخلو كتاب من نص أو أكثر له وفي جميع الأقطار العربية منذ العشرينيات حتى الآن، وإن كانت نصوصه تثبت من غير ذكر لاسم كاتبها كما درجت عادة الكتب المدرسية مع الأسف إلى زمن قريب.

ومن الواضح أن ما امتازت به قصائد الهراوي من بساطة وسهولة وجمال كان العامل الأساسي في انتشاره، فعلى الرغم من نجاح من سبقوه وفضلهم في هذا المضمار إلا أن قصائدهم حوت الكثير الكثير من المفردات الصعبة والصياغات المعقدة.

فجاء الهراوي ليخلص شعر الأطفال من روح التعالم والحذلقة ويدفعه إلى روح تعليمية عذبة، تقرب الأشياء إلى الطفل في المحتوى والصياغة الفنية.

ظهرت في ساحة شعر الطفل قصائد وأناشيد مثل "تلميذ ونجار"[١]:

محمد الهراوي (١٨٨٥ – ١٩٣٩)

شاعر ومربّ ، عمل في التعليم وفي دار الكتب المصرية، منح كل جهده لكتابة شعر الأطفال، فأصدر عدة كتب، وهو أول من أدخل الصور الفوتوغرافية المرافقة للقصائد، من أعماله "سمير الأطفال – للبنين" في ثلاثة أجزاء. و"سمير الأطفال – للبنات" في ثلاثة أجزاء. و"أغاني الأطفال" في أربعة أجزاء. و"السمير الصغير" و"الطفل الجديد" و"ديوان ألف باء" و"أبناء الرسل للأطفال" وله مسرحيات للأطفال هي "الذئب والغنم" و"حلم الطفل ليلة العيد" و"الحق والباطل" و"المواساة".

(1) سمير الأطفال للبنين ١ / ٩ .

أنــا فــي الصــبح	**ـد الظهر نجارُ**
لـي قلم وقرطاس	**ميـل ومنشــارُ**
وعلمــي إن يكــن	**فمـا فــي صـنعتي**
فللعلمــاء مرتبـــة	**صــناع مقــدارُ**

إذاً .. هكذا عبر بأبيات قليلة، بإيقاع خفيف وراقص يقوم على لوحة جميلة تعلي من قيمة العلم والعمل معاً وإذا اعتبرنا أن من الخطأ أن يكون الطفل عاملاً ، فعلينا هنا ألا ننسى أن عمل الأطفال في البيئة الشعبية أمر عادي جداً من ناحية،ومن ناحية أخرى فتلاميذ ذلك الزمن كانوا أحياناً في سن يقرب من المراهقة حتى لو كانوا في الصف الأول.

والهراوي في "سمير الأطفال" كان يكرر أكثر القصائد، لنأخذ مثلاً الجزء الأول للبنين فهو يحوي القصائد التالية بالترتيب:

١–أنشودة فتية المدارس ٢–الشاعر الصغير ٣ –تلميذ ونجار ٤ –أنشودة لكرة القدم ٥–أنشودة لركوب الحصان ٦–الطفل والببغاء ٧–وصف الهر ٨–وصف الكلب ٩–أنشودة لركوب السيارة ١٠–وصف سيارة ١١–وصف طيارة ١٢–وصف دراجة ١٣–الترام ١٤–وصف بستان ١٥–وصف المحمل وركابه ١٦–جمعية الإسعاف ١٧–رجال المطافئ ١٨ –العطف الأخوي ١٩–طفل يحادث أمه ٢٠–أنشودة الصباح ٢١–أنشودة المساء.

وفي الجزء الأول من "سمير الأطفال للبنات "يحذف القصائد الست الأولى الخاصة بالبنين، ويضع بدلاً منها القصائد:

١– أنشودة طفلة تتوجه إلى المدرسة ٢– أنشودة الطفلة لدميتها ٣– أنشودة لعبة الكرة ٤– أنشودة قفز الحبل.

أما باقي القصائد فتظل كما هي من "وصف الهر" إلى "أنشودة المساء" وهكذا.

في قصائد الهراوي اهتمام بالاختراعات العصرية التي كانت مثار دهشة الناس، لذا تكثر عنده موضوعات تشيد بالآلات والأجهزة المتنوعة كالطيارة والسيارة والدراجة والهاتف والآلة الكاتبة والترام والباخرة إلخ.

ومن ذلك قصيدة "وصف طيارة"(٢):

ســفينة الهــواءِ	**طير في الفضاءِ**
تسير فـي الريـاح	**بسـوطة الجنـاحِ**
ظرها فـي الجـوّ	**لطـائر المـدوّي**
ـزُّ وهـي طـائره	**مثـل أزيـز القـاطره**
ريانهـــا يرفعهـــا	**بآلــــة تـــدفعها**
يجتـاز فيهـا الأفقـا	**يخــط فيــه طرقــا**
وقـــت الحـــروب	**فـي السـلام نعمـهْ**
وهكـــذا ابـــن آدم	**عجوبة في العالمِ**

وفي قصيدة أخرى يخص "الآلة الكاتبة" بقوله(٣):

---

(2) سا . ص ٢٧ .

آلـــة كاتبـــة ٌ ... ن اختراع العصرِ

لهـا شـريط طـابع ... يغْـني غنـاء الحبرِ

يخـرج مـن أوراقهـا ... ـن نسـخة لعشـرِ

أحرفهـا سـلكية ... نـبض عنـد النقرِ

وكل حـرف رسـمه ... بـين فـي زرٍّ

ـرنٌّ فيهـا جـرس ... عنـد انتهـاء

. . . .

إنـا نريـد آلـة ... من اختراع مصري

والمثال الآخر هو "الخيالة" والمقصود السينما،وقد كانت فناً وليداً في العالم كله وقتها(٤):

مـاذا يلـوح مـن ... ـور تحـركهن آلـه

فوق الستارة يبصر الإنسان من كل مثاله

فيـرى البحـار ومـا ... ويـرى الثـرى ويـرى

ويرى بـلاداً لـم يكن ... مـن قبـل حـط بهـا

يرى الزمـان ممثلاً ... تاريخـه، ويـرى

إن ابـن آدم قـادر ... بـالعلم يفعل مـا بـدا

وله قصيدة "الترام" التي يقول فيها(٥):

ركبـة التـرامِ ... ـسير بانتظـامِ

تجتـاز كالسـفينه ... شـوارع المدينـه

شـريطها الحديـد ... لى الثرى مديدُ

وسلكها المكهرب ... ي عمـد مركـبُ

ذراعها من فوقها ... متصـل بسـلكها

سـائقها والجـابي ... للسـير لركـابِ

صـفت بهـا ... خلفها المسـاندُ

يركبها الجمهور ... ي بهـم تسـيرُ

مسـافة بعيـده ... بـأجرة زهيـده

ّبـت الـديارا ... ـ ّـرت القفـارا

أنـارت الظلامـا ... مهـدت السـلاما

وهكـذا فالكهربـا ... ـد سـهّلت مـا

---

(3) سا . ٣ / ٤٩ .

(4) سا . ص ٤٧ .

(5) سا ١ / ٣١ .

وعلينا أن نلاحظ أن الهراوي لا يترك وصفه للآلات والمخترعات محايداً، بل يستغل ذلك لتوجيه عظة ما، أو الحث على العلم والوطنية والإبداع إلخ، فحتى حين يتكلم عن "وصف دراجة" لا يترك الأمر دون استخدام ذكي وخفيف الظل لمثل شعبي يحضّ على النشاط[٦]:

دراجــة مــن ... فعها بالأرجل
محكمة الربـاط ... نفوخة المطاط
فيهـا جهــاز ... جرس المسير
فــي الوسـط ... فــي الطـرف
كرسـيها مـن ... بقــدر حجـم
تــرٌ وهــي ... لا تقـر راسـيه
تدلُّ أن البركـه ... حــلٌ عنــد

حتى في "حصالة النقود" يقول للأطفال[٧]:

حصالة النقود ... زانــة الوليـد
فكل قرش زائد ... ينفـــع فـــي

والهاتف الذي يكتب عنه الشاعر بتسمية لم يكتب لها الانتشار أي"المِسرّة" يختلط فيه الوصف بالإرشاد والتوجيه[٨]:

مسرة في علبة ... صــغيرة فـــي
تدير فيه جرساً ... ـرن عنـد الأمِّ
تطلـــب مـــن ... مــن عنــدها
تنقل ما تقوله ... سلكها الأصـمِّ
تسـعف عنـد ... حـادث مهـمٍّ
فهـذه معجـزة ... مــن معجــزات

إن هذا التركيز من قبل الشاعر على الأدوات والمخترعات الحديثة لم يُسبَق إليها، اللهم إلا ما شاع في الشعر الموجه للكبار من حديث عن المخترعات ومظاهر العصر، فقد كان تركيز الهراوي شديداً هنا، لإدخال قصيدة الطفل في مشاهد الحياة الجديدة، فلم تنحصر الأشعار في وصف الطبيعة أو رواية قصص الناس والحيوان، وفي هذا تجديد مهم قياساً على تلك الأيام، ورحلة شعر الأطفال القصيرة.

ولا تتوقف هذه الروح العصرية عند عالم الآلة والاختراع، بل نجد فيما كتب الهراوي حديثاً عن "دار الآثار المصرية" و"المصرف المالي" و"التمثيل" و"الكشافة" و"الكمنجا" و"عيد ميلادي" و"جمعية الإسعاف" و"رجال المطافئ" وهكذا.

يقول الشاعر في "دار الكتب المصرية" مخاطباً طفلة[٩]:

---

(6) سا ، ٢٩ .
(7) سا ٢ / ٢٣ .
(8) سا ، ٣٣ .
(9) سا ٣ / ٣٨ .

فـــي مصـــر دار	مهـا أهـل الأدبْ
معروضـة الأسعـرِ	الليـــل والنـهـــارِ
معرضــــــــها ذو	ـــزين بـــالتحف
ن صـور العظـامِ	كتـــب الأعـــلام
مصــاحف القــرآن	الرســم والألـــوان
إلــورق البــرديٌّ	وخطـــه الكـــوفي
هـذا.. ـى نقـود	ي الـزمن التليـد
مـن فضـة وذهـب	سم ملـوك العرب
أمـا خـزائن الكتـب	ـن كل علم و بْ
إنهـــا مبـــوَّ بـــه	ي فنهــا مرتبــهْ
وقاعـــة المطالعـــه	بحـث والمراجعـهْ
.ُ ـــفت بهـــا	حولهــا المقاعــدُ
فللعلـــوم راجعـــي	وفـــي الكتـــاب
فـالعلم فـي الكتـاب	ذيـــة الألبـــابِ

في أمثال هذه القصائد يضع الشاعر الأطفال في جوٍّ متفتح من البيئة العصريةعلماً وسلوكاً ، وتدفعهم إلى الإحساس بالتغير الذي يجري في المجتمع حولهم.

والكتابة عن الأم واجب أخلاقي قبل أن تكون واجباً فنياً ، لهذا يتفنن شعراء الأطفال في صياغة العواطف نحوها، والهراوي من أوائلهم بالطبع، فقد غناها بأكثر من قصيدة، من ذلك "طفل يحادث أمه" (١٠):

ا الذي يحنو علـيّ   إذا غفوت وا ٍن صحوت تبسمت شفتاه ُ ؟

ـي العزيــزة أنــت يـا أمــاهُ

مـن ذا الـذي يبـدي الحنـان   بـــي شـــاغل وأظـــل فـــي

ـي العزيــزة أنــت يـا أمــاهُ

مـن ذا الـذي نفســي أعـز   مـن نفســه ومنــاي فــوق

أمــي العزيــزة أنــت يـا أمــُ

فــإذا هرمــت، وللأمومــة   أتعلمين من الذي يرعاه ُ؟

أمــي، أنــا. ا يـا رعـاك اللهُ

وله قصيدة أرادها للأطفال الصغار جداً ، لا تزيد على أربعة أبيات بعنوان "عيد الأم الفضي"(١١):

أكملـت يـا والـدتي	خمســاً وعشــرين
فعيدك الفضـي مـا	أجملــه... وأحسنه
إليـك أهـدي طاقـة	ِهارهـــا مزيّ نـــه
تعرب عن تهنئتـي	والزهر فيهـا ألسنه

(10) سا ١ / ٤٢ .

(11) سا . الطفل الجديد . ص ١٧ .

وفي تجربة الهراوي موضوعات أخرى مأخوذة من عالم الطفل، وخاصة عالم الأسرة والمدرسة، فلا ينسى الشاعر أن يكتب عن عواطف الأخوَّ ة والأبوَّ ة، والحرص على الصدق والنظافة والترتيب وما شابه ذلك.

وكما غنى الشاعر للأم على لسان الطفل، فقد كتب للطفل على لسان الأم كما في قصيدة "أغنية الطفل عند النوم"[١٢]:

م في سريرك يا ملكْ   أنــت الفتــى مــا
ما فـي الثرى أو فـي   شبه ٌ حتى القمرْ

. . . . .

ى سريرك تنعسُ   وأنـا جـوارك ـس ُ
ـين مني تحرسُ   مـا طـال أو قصـر

. . . . .

أو مـا حلمـت بمـا   ـا أتيت على عجلْ
وحملـت صحناً مـن   والصحن من يـدك

. . . . .

ودعوت كلبك سنبسا   وأمرتــه أن يجلســا
شوت فـاه مُ لبَّسـا   ـقيته لبن البقـرْ

. . . . .

ولبس كسوة ضابطِ   حليـاً بشـرائط
وقفت جنب الحائطِ   ى وتأمر من عبرْ

. . . . .

إن الذي حملت يدي   ـو سيد من سيد
ولسـوف يصبح فـي   ـل البلاد المنتظرْ

ومن قصائده التي خص بها الفتيات، أظهر لنا في "محاضرة فاطمة" ما يصور الفتاة المجتهدة ذات الشخصية القوية، إذ يقول[١٣]:

فاطمة تلقي على   أسماعنا محاضره مافلأا ١ رعش - م٧
قد ذاكرت وأظهرت   نتيجــة المــذاكره
ـت تقص سيَراً   عــن العصــور
تقول: مصر أمنا   تحتــاج للمــؤازره
والنيل لا ننسى لـه   على المدى مآثره
بـالعلم نعلـو بهما   إلى النجوم الزاهره

وفي السياق نفسه يكتب الهراوي "أنشودة طفلة تتوجه إلى المدرسة" حيث يذكر تفاصيل من مشاهد السلوك اليومي للطفلة التلميذة[١٤]:

---

(12) سمير الأطفال للبنين ٣ / ١١ .
(13) سمير الأطفال للبنات ٢ / ١١ .
(14) سا ١ / ٥ .

أقوم في الصباح قبل	أغسل وجهي ويدي
وبعد أن أخلع ثوب	بس ثوباً غيره لليوم
وأغتدي وفي يدي كتابي	ليفة الحذاء والكتاب
قاصدة مدرستي مبكره	ساعيةً راضيةً مستبشره
أهدي إلى صواحبي	دخل المكتب بانتظام
أكتب الدروس بالإتقان	أحفظ العلوم بالإمعان
كذاك فعل الطفلة	لكي تعيش عيشة

ومما هو شديد الخصوصية للطفلة يكتب الشاعر "أنشودة الطفلة لدميتها" وينجح في ذكر تفاصيل ممتعة وبروح ساخرة من مثل(١٥):

يا دميتي يا خيره	يا طلعة منوره
هل تأكلين عسلاً	عليه سمن البقره
و تشربين لبناً	مزجته بسكره ؟
أو تأخذين من	تفاحة مقشَّره ؟

ومن أهم تجديدات محمد الهراوي براعته في كتابة قصائد قصيرة للأطفال الصغار جداً، وقسم منها له هدف تعليمي مباشر، ولكنه ينجح في كسر جمود التعليمية وجفافها، فيمنح قصائده طرافة ومفارقات مدهشة، مما يشد الطفل ويثير فضوله وتساؤلاته كما في قصيدته المهمة "الحروف في قصيدة"(١٦):

ف ألفٌ	لمت إبرهْ
اء باءٌ	لفت بكره
اء تاءٌ	أكلت تمره
يم جيمٌ	لأت جرّه
اء ثاءٌ	قطعت ثمره
اء حاءٌ	ست حَبره
اء خاءٌ	زرعت
دال	كت درّه
ين شينٌ	غرست
اد صادٌ	لت صرّه
اد ضادٌ	عت ضرّه
اء طاءٌ	قفزت طفره
ال ذالٌ	خت ذرّه
ء راءٌ	ن الهرّه
ي زايٌ	قطفت زهره

(15) سا ١ / ٧ .
(16) ديوان الهراوي للأطفال . يوسف . ص ٢٧٤.

ـين سـين ٌ		خاطت ستره
ـاء ظـاء ٌ		ـمـ ّت ظفره
عـين عـين		ـعـ ّدت عشره
غـين غـين		سكنت غمره
فــاء فــاء		أبـدت فكـره
قـاف قـاف		ألقـت قشـره
ـاف كـاف ٌ		. َـــــــت ْ
لام ٌ		لـبن البقـره
ـيم مــيم ٌ		ـسر الحر ّ ه
ـون نـون ٌ		صادت نمره
ـاء هـاء ٌ		ـلـت هر ّ ه
واو ٌ		وجه المهره
ـاء يــاء ٌ		يـدكم عطـره

وسأعرض عدة نماذج أخرى حتى نتعرف أكثر على هذا النمط من الشعر التعليمي المتميز، وأكثرها ذات أبيات قليلة كما في "أب"[٧١]:

أبــي امتحنــي يــا		ـي أحرف الهجاءِ
فــإنني أعرفهـــا		ـن ألــف ليــاءِ
وأنــت فــي أولهـا		ـن ألــف وبــاءِ

ففي هذه القصيدة القصيرة استطاع الشاعر أن يذكر للطفل الاسم الرئيسي للحروف "أحرف الهجاء" ثم يذكر معلومة مهمة أخرى وهي أن هذه الحروف تبدأ بالألف وتنتهي بالياء، وأخيراً أن كلمة أب مكونة من الألف والباء.

والتنوع الأسلوبي واضح، فهناك نداء يعقبه طلب ثم توكيد وتوازن (من ألف لياء من ألف لباء) وا إيقاع خفيف مدعوم بتقفية أساسية وتقفية هامشية تزيد من الإيقاعية (أعرفها أولها).

ومن هذا النمط أيضاً "الحساب" ونصها[١٨]:

لــي فــي الحســاب		يجـري بـه لسـاني
بــه أجيـب سـائلي		ـي يـوم الامتحـانِ
أمــا أنــا: فواحـد		ـرد مـن الإنسـانِ
واثنان: أمـي وأبـي		ـي القلـب يسكنانِ
وجمعنـــا ثلاثـــة:		ـفـــل ووالـــدانِ

وقريب من هذا الشعر التعليمي نمط آخر برع فيه شاعرنا، ويقوم على ما يمكن تسميته بقصائد الألعاب، وكم كان الهراوي مجدداً في هذا النمط النادر والصعب من شعر الأطفال، حيث يضع المؤلف في ذهنه أن قصيدته ستكون

---

(17) الطفل الجديد . ص ٣٣ .

(18) سا . ص ٢٣.

مرافقة للعبة معينة، وقد ظهرت لدى عدد من الشعراء السوريين محاولات من هذا الشعر في فترة موازية لظهور تجربة الهراوي، مما سيأتي في مكانه من هذه الدراسة.

من قصائد اللعب للهراوي "الحلقة الدوارة"وهي ذات إيقاع سريع جداً (١٩):

ار الصــفُّ لفــوا لفــوا
لفـوا الأيـدي ـف القيـد
ـد الصحب هــو فـــي
نـي مصرَ ي الفخرُ

وكذلك في قصيدة "الغمامة" ومنها(٢٠):

هيــا هيــا نجـري جريـا
ـــــطٍ خذ الحــــذرا
أنـــا فـــي أنـــا فـــي
ـا يمنـاكَ ـا يســراكَ
ســــارع ـت البـارعْ
ـرك نــدكْ بلـغ قصـدكْ

ويبدع الهراوي في كتابة قصائد ضاحكة تحوي المثير من المفارقات بالصياغة العذبة نفسها كما في "حيلة"(٢١):

رمـى غـلام بـالكره فاقتربت من شجره
وكان مربوطاً بها كلب يخاف ضرره
فدار حول جذعها والكلـب يقفو أثـره
فقصـر الحبـل بـه وعـاد يأخـذ الكـره

ومثلها قصيدة "الكلب والحصان"(٢٢):

الكلـب جـاء مـرة إلـى الحصـان
فقـام عنـد بابـه ـرقـه وينـبحُ
فانتبـه الحصـان ـوم وجـاء يفـتحُ
فوقـف الكلـب لـه ـه يلـو ّحُ
وقـال "هـو" فـي ـال عنـه يمـرحُ
قـال لـه الحصـان: ـدي كـلام يفـرحُ "
فرجـع الكلـب لـه وقـال: "قـل مـا
فقـال: "تـوت" فـي ـاد وهـو يـرمحُ

وللطبيعة نصيب عند شاعرنا، فله قصيدة تحتل مركز الصدارة في النصوص التي انتشرت في الكتب المدرسية

---

(19) سا . ص ٣٥ .
(20) سا . ص ٣٣ .
(21) سا . ص ٣١ .
(22) السمير الصغير . ص ٢٩ .

عربياً ، لهذا ربما كانت أشهر قصيدة للهراوي عرفتها الأجيال وهي "الطائر "(٢٣):

ـائر الصـغيرُ   ـكنه في العشِّ
ـــه تطيـــرُ   أتي لـه بـالقشِّ
الــه الطيــورُ   ا بدا في الفرشِ
ـــه أميـــرُ   يجلـــس فـــوق

. . . .

يا طائراً ما يملكْ   ا زهرة في الشجرِ
أنت على الغصن   كلـــل بـــالزهرِ
ـر فـي هـواء   وطـر بغيـر حـذر
ولا جهاد الأم لكْ   ا طـائراً لـم تطِ ـر

إن هذا النص بإيقاعه الجميل وقوافيه الثنائية زاخر بالصور الخيالية البديعة وقادر على الوصول إلى قارئه الصغير بسلاسة.

ومن أهم مظاهر التجديد عند شاعرنا قدرته على كتابة قصائد قصيرةومكثفة، ذات بناء متقن ومدروس يعتمد على قفلة مفاجئة وذكية، كما في " تحية الوالدين في الصباح "(٢٤):

(١)

أبي، ُمي الغاليهْ   أصـــبحتما فـــي
تقبيلتـــان لكمـــا   ـــاهرة وخافيـــهْ
إحـــداهما علـــى   في فؤادي الثانيهْ

(٢)

صـباح الخيـر يـا   صـباح الخيـر يـا
قبـل منكمـا كفـاً   أعـيش بفضـلها

ويقابلها قصيدة "تحية الوالدين في المساء"(٢٥):

(١)

ســـاعة نـــومي   ـدق لـي ثمانيـهْ
بـا أبـي وأميـهْ   ـسيتما في عافيهْ

(٢)

أمـــي، انعمـــي   ويـا أبـي سـلاما
تحيتـــي إليكمـــا   من قبل أن أناما

وكما في "قلبي للجميع"(٢٦):

(23) الطفل الجديد . ص ٣٧ .
(24) سا . ص ٧ .
(25) سا . ص ٩ .
(26) سا . ص ٢١.

؛ تظنوني صغيراً	**لـــــيس قلبــــي**
بسع الناس وداداً	**ن صغير وكبيـر**

إن ما أنجزه الشاعر محمد الهراوي كان نقلة نوعية في شعر الأطفال العربي بتحقيقه بساطة أكثر في الصياغة، ومراعاة المراحل الطفولية، واعتماد الإيقاع القصير وتلوينهوا إدخال عوالم طفولية مبتكرة..

كل هذا وغيره جعل منه واحداً من أهم من عرفهم شعر الأطفال العربي[٢٧].

الفصل السادس

(زعموا أن)لمحمد عبد الرحيم ترَّه

بيان ابن المقفع عاد شعراً وفصل للحقيقةالصواب

أتــى عبــد الــرحيم بــه	**روائـــع فـــي التحـــاور**
جزاك الله "ة" كل خير	**عــن الــنشء المثقــف**
وعن حكم وآداب غوال	**تــروع العقــل فــي هــذا**

هذه من سبعة الأبيات التي قدم بها أحمد شوقي لكتاب "زعموا أن. أو كليلة ودمنة بالصور" لناظمه محمد عبد الرحيم تره والصادر بعد وفاته عام ١٩٣١.

وقد تقاطر على تقريظ الكتاب مجموعة من أهم شعراء تلك الفترة وناثريها وهم على التوالي: الدكتور إبراهيم ناجي وأحمد شوقي ومحمد حسين هيكل وخليل مطران وعباس العقاد، وكتب مؤلفه في مقدمته مشيراً إلى كتاب كليلة ودمنة الذي *" قررت وزارة المعارف تدريسه بمدارسها فرأيت حين تدريسه بالمدارس الثانوية أن الطالب لا يخرج منه بفائدة كبرى إلا إذا أعاد قراءته مراراً مع التدبُّر. لما أن قصصه مشتبك متداخل يأخذ لاحقه برقاب سابقه ففكرت في أن أقرِّبه إلى عقول النشء بنظمه مع المحافظة على مغزاه. فأقدرني الله بتوفيقه على ذلك."*[١]

وترة كأكثر من اهتموا بالكتابة للطفل كان معلماً عرف ضرورة هذا اللون من الشعر للأجيال، فهو يدرك أن اللغة في الاستخدام الحياتي تتطلب أن تتماشى مع سن الإنسان سواء أكانت مفردة أم جملة.

ونلاحظ أن التقريظ الذي ناله كتابه يعكس ما يمثله من رؤية معاصرة لقيت الترحيب من الكتاب والشعراء الذي ذكرتهم، وكلهم ممَّن ربط نفسه بحركة التقدم في ذلك الوقت، فبعضهم داعية تجديد وانطلاق كإبراهيم ناجي ومحمد حسين هيكل، والآخر ممن اهتم بالطفل وكتب كالعقاد ومطران وشوقي، أما مطران فواحد من أهم من دعا صراحة وبقوة إلى

---

(27) الهراوي من رواد كتابة المسرح الشعري والنثري للأطفال.. لكن الأمر خارج اهتمام هذه الدراسة .

(1) زعموا أن . ص ٢ .

ضرورة شعر الأطفال، وكتب لهم الكثير من القصائد،أما شوقي فعمله الريادي من أشهر الأعمال المخصصَّة للأطفال.

هذا الاهتمام كان على الدوام يعكس رؤية تجديدية،فكل من اهتم بالطفل فكراً أو شعراً مثل استنارة تشمل مناحي عديدة في الحياة.

وإذا أخذنا تره نفسه فإننا نلاحظ أنه سبق له أن خاض معركة مع الجامدين في قضايا تخص أمور التشريع وإلى هذا يشير العقاد قائلاً في تقريظه:

"وصاحب هذا الكتاب من نوابغ الأزهريين السابقين إلى أفكار الإصلاح والتأمل في أسرار الشريعة: سبق إلى رأي في الأحوال الشخصية،لقي من جرائه عنتاً ثم عاد العلماء فأقرُّوه في أساسه وجرى العمل به في النظام الحديث."(٢)

وكتاب "زعموا أن" في غاية الأهمية في تلك الفترة المبكرة التي لم تعرف إلا الندرة من الكتب التي وضعت للأطفال،وقد سار في الوقت نفسه مسار أكثرية الشعراء إذ ترجموا شعراً أونظموا حكايات عربية شعراً .

ومما يلفت النظر أن تره حرص لأول مرة ربما أن ترافق القصائد رسوم أطفال غير منقولة عن أصل أجنبي كما رأيت في بعض طبعات "العيون اليواقظ" بل وجدناه يستعين بواحد من أهم رسامي الكاريكاتير الذين عرفتهم مصر وهو الفنان "رخا".

ولنأخذ من الكتاب قصيدة جميلة بعنوان "الحمامة المظلومة"(٣):

قـد سـمعنا بـأن زوج ... ملأ العش حنطة وشعيرا
ثم قالا: إذا تركناه يبقى ... لزمـان احتياجـه موفـورا
حسـبنا أكلـه إذا عـدم ... شـتاء أو صـار أمـراً
كـان ذا الحب حين ذاك ... وأتـى الصـيف فاسـتدقَّ
ظـن هـذا الحمـام أنثـاه ... منـه فـي السر فاستشـاط
وأتاها وظل ينقر حتـى ... لقيـت حتفهـا وسـاءت
وتنـدى المخـزون بعـد ... فبـدا الحـب عنـد ذاك
فـرأى أنـه تعجـل فـي ... فأضحى بحزنـه محسورا
وقضـى نحبـه حزينـاً ... عظة كان أمرها مستورا
كـل مـن يظلـم البـريء ... يســخط الله والــورى

وعند ترة الكثير من الشعر القصصي الناجح، حيث يجعل الفكرة واضحة، ولا يضيع جمله في زخارف بلاغية فارغة، وهذا مما يقوي من لغة القص الشعرية، كما نلاحظ في هذا المقطع من قصة " البوم والغربان "إذ يروي حيلة الغراب حتى يأمنه البوم في أنه اختلف مع إخوانه الغربان(٤):

ولـدى الخلـوة لمـا أن خـلا ... ه قد أعلن الرأي الخطير
ب تـدبير سـديد نـافع ... قد غدا خيراً من الجيش
قال: خذني وانتهرني خارجاً ... وانتزع ريشي وأتلف ذنبي

---

(2) سا . في المقدمات بلا ترقيم.

(3) سا . ص ٦١ .

(4) سا . ص ١٥.

واطرحني قرب أوكار العدا علني أخدع أو يخدع بي

والأمر نفسه نجده في حكاية "الناسك وابن عرس" حيث يشك الرجل في أن ابن عرس قد قتل ابنه، لأنه شاهد دماً على فمه فهجم على ابن عرس الذي قتل الحية عند الطفل[٥]:

حسب الناسك وهماً أنه ح الطفل فأبدى وج َله ْ
وهوى بالسوط مغتاظاً على رأسه في البيت حتى نله ْ
وسعى في لهفة ينظر ما ـمّ للطفل وما قد وقعا
فإذا الطفل سليم آمن إذا الحية تبدو قطعا
هوى يبكي وفياً محسناً لقي الضد لما قد فعله
نعم ما قالت له زوجته إذ أتت "تلك ثمار العجله"

ومن منظومات الكتاب الجميلة "الحالم اليقظ" والتي شاعت لدى كثيرين ونظموها مع تغييرات متنوعة، فمرة تكون بطلة الحكاية امرأة لبانة أو رجلاً يبيع البيض وهكذا، ونصها عند تره[٦]:

اسك أجرى عليه راتباً ـن نقيِّ السمن بعض
كل البعض ويُبقي جله ما في جرة يبغي الخزين ْ
ـام مشغولاً يمني نفسه وهو صاح إن غلا السمن
فاشترى في الوهم شاة ما أولادها طول السنين ْ
فاشترى من ذاك أرضاً جة جاءت بمرضيّ
رأى أن ابنه شذّ فلم يقبل التأديب والنصح
فهوى وهماً عليه بالعصا فأصاب السمن ضرباً
سر الجرة سهواً فغدا ينـدب الحظ ولا يخفي
والأماني ضلة إن صادفت ا كان أشرّ الحالمين ْ

والنموذج الأخير الذي أود إيراده من كتاب "زعموا أن" بعنوان "اللص والبخيل" وهو من القصص المتميزة والضاحكة في كليلة ودمنة، وقد نجح ترة في صوغه على نحو سهل وممتع[٧]:

زعموا أن لصوصاً قد علوا لة منزل ذي مال بخيل ْ
فصحا إذ نبهته زوجه جرى بينهما قال وقيل ْ
سألته زوجه عن ماله نهاها قائلاً: لي الفضول ْ
ربما يسمع شخص قولنا ـرى في غمرات لا تزول ْ
أقسمت أن ليس من لجّ ت وألحت أن يقول ْ
قال: إني كنت لصاً سابقاً نّ السحر لي باع يطول ْ
أسرق المال وآتي كوة رسم النور بها خط

---

(5) سا . ص ٢١ .
(6) سا . ص ٥٩ .
(7) سا . ص ٤٨ .

نقـل المـال إليـه ممسـكاً **بـدي عنـد صـعود ونـزول**

نائلاً : " شولم " سبعاً فأرى **ا وعـاه السـحر مـن سـر ّ**

قال هذا مسمعاً من أنصتوا **ابتغوا تقليده فيما يقول ُ!**

فهوى الأول منهم ساقطاً **بالـذي يحويـه مـن بيـت**

ـاء رب ّ البيـت يسـعى **قـائلاً مـن أنـت يـا هـذا**

قـال: خـدوع بمـا زو ّرتـه **ر ّه مـا قلـت مـن تلـك**

ومن ثوابت منظومات ترة أنه ينهي كل حكاية شعرية بحكمة، فقد أنهى "اللص والبخيل" بقوله:

زخـرف القـول إذا أحكمتـه **ضـللت عـن بـاطن الأمـر**

كل من صدقنا يروى لـه **دون تمحـــيص وتـــدقيق**

وامتاز كتاب "زعموا أن" ببنائه الموسيقي،إذ جرت عادة من كتبوا شعراً للأطفال في الغالب الأعم أن يكتبوا أكثر قصائدهم على بحر الرجز ومشتقاته،إلا أن ما فعله ترة يدل ّ بوضوح على أنه أراد أن يخرق هذا المألوف في شعر الحكايات تحديداً لهذا نجد عنده تركيزاً دائماً على بحر الرمل..

ثم ينو ّع الشاعر على إيقاعات أخرى كالخفيف والهزج والمتقارب والسريع والطويل ومجزوءات بحور أخرى كالكامل والخفيف، ولا يكتفي بهذه الخصوصية بل نجده ينوع في نظام التقفية لديه، فالشكل الرئيسي عنده لاستعمال القافية الثنائية أن تكون موحدة في كل بيتين، ثم تتغير في البيتين اللذين بعدهما وهكذا، وأحياناً تكون موحدة وهي قليلة في الشعر القصصي.

ومع أن الكتاب لا يخلو من مآخذ منها على الأخص صياغاته ومفرداته، فإنه من آثار شعر الأطفال الهامة في القرن الماضي، وقد استحق ما قاله فيه الدكتور إبراهيم ناجي في أول الكتاب:

شهيداً في حومة المجد والفضل صريعاً في ساحة التعليم ِ

ت عيش العظيم تمـلأ دنيـاك فخـاراً ومت ّ موت العظيم ِ

فسـلام علـى السـجايا وسلام عليك عبد رحيم ِ

الفصل السابع
تجارب مصرية في شعر الأطفال

الشرارة الأولى في شعر الأطفال أطلقها رائد النهضة العلمية والثقافية رفاعة الطهطاوي، ومن المثير للإعجاب أن رفاعة الذي كان منغمراً في مشروعه النهضوي التأسيسي قد وجد لديه الوقت والحماسة ليكتب أول النصوص الشعرية التي عرفها شعرنا في العصر الحديث للأطفال، إضافة إلى كتاباته الدائمة في التربية والتعليم متوجاً ذلك بكتابه الضخم "المرشد الأمين للبنات والبنين" عام ١٨٧٥ إذ وضع فيه خلاصة تجربته وتوجهاته، مع مختارات منتقاة من الشعر والنثر العربيين عبر العصور، بثاً في ثنايا كتابه آراءه التنويرية التي ترى *"أن التربية فن تربية الأعضاء الحسية والعقلية وطريقة تهذيب النوع البشري ذكراً أم أنثى على طبق أصول معلومة."*[١]

وقد كان رفاعة الطهطاوي صاحب الريادة الأولى في إنشاء أول مجلة للأطفال كان لها صدى عميق في النهوض الثقافي والتعليمي، هي مجلة "روضة المدارس المصرية" الصادرة عام ١٨٧٠[٢] والتي نشرت مقالات وقصائد كثيرة لأساتذة وتلاميذ، وقد أدارها ابنه علي في حياة والده وبعد رحيله عام ١٨٧٣، وليس من قبيل المبالغة أن يقول الأديب المعروف نعمان عاشور عن رفاعة الطهطاوي[٣]:

"إن نتاجنا الثقافي المعاصر.. يرجع في أصله ويرتد في كافة منابته إلى البدايات التي خطها رفاعة رافع الطهطاوي بكتاباته وترجماته وآرائه وأفكاره وجهوده العلمية ومواقفه النضالية، فطبع منطلق المسيرة لثقافتنا المصرية المعاصرة في كافة جوانبها.. ورفاعة الطهطاوي هو الصورة البارزة الحية للمثقف المصري الأصيل الذي أوجدته ظروف عصره في مفترق العديد من الطرق.. والذي استطاع بفضل وطنيته الخالصة وشخصيته الصلبة أن يشق للثقافة المصرية أسلم وأصح وأقوم المسالك."

وكان تفتح الطهطاوي الشامل خلاصة لأخذه بثقافة عربية عميقة، والانفتاح على الثقافة الغربية التي تحدث عما هزّه فيها من علوم وحريات جعلته يتحسر على خلو ممالك الإسلام منها كما قال، وقد أراد لكتابه الأشهر "تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز أو الديوان النفيس بإيوان باريس" *"أن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم"*[٤]

ومما له عظيم الدلالة أن رفاعة قد خط بيتين خالدين تحت ترويسة مجلة "روضة المدارس المصرية" وهما:

مِ العلم واقرأ   ـز فخار
فالله قال   ـذِ الكتاب

قلت إن الطهطاوي وضع أولى محاولات شعر الأطفال وقد جاءت على لونين، لون النشيد المدرسي الذي صارت الحاجة ماسة إليه، ولون الإرشاد التربوي المباشر لهذا وضع مثلاً نشيداً وطنياً بعنوان "حب الوطن"[٥]:

---

(1) المرشد الأمين . ص ٥ .
(2) راجع تفصيلات عنها في كتاب "روضة المدارس .." لحسن و الدسوقي .
(3) رفاعة الطهطاوي أو بشير التقدم . ص ٣ .
(4) تخليص الإبريز . ص ٥ .
(5) ديوان رفاعة الطهطاوي . ص ٩٣ .

يـا صـاح حـب ... ـلية كـل فطـنِ
محبـة الأوطـان ... ن شعب الإيمانِ
فـي أفخر الأديان ... ـة كـل مـؤمنِ

وللطهطاوي منظومة طويلة نسبياً أسماها "منظومة في تأديب النشء" قدم لها بقوله:

"وقد كنت نظمت في كتاب تعريب الأمثال في تأديب الأطفال منظومة لطيفة، تحسن بمنوال التعريب نسجها، فيحسن هنا بمناسبة المقام إدراجها" ونصها (٦):

حمـد لله وصـلّ ربـي ... ـى النبـي ْ و آلـه
وبعـد، فالتأديـب للأبنـاء ... ـد واجـب علـى الآبـاءِ
من أجل ذا نظمت للتنبيه ... ـسـاً وأربعـين بيتـاً فيـه
في نحو ساعتين والمولى ... قصدي أعان جل ربي وعلا
فـي بـر والـديك بـالغ تغنم ... لا سيما فـي العيـد أو فـي
إن تـرم سـرور أم أو أب ... يومـاً فكسـب العلـم خيـر
ـن رام عند النـاس طراً أن ... فليلتـزم حسـن السـلوك
وأن يكـون طيـب السـريره ... مهـذب الأخـلاق زاكـي
من رام بين العالم ارتفاعه ... يلـزم العفـة والقناعـهْ
هـل ذل عنـد النـاس عبـد ... عـزّ سـيد لـديهم يطمعُ
ـ رمت أن تشـوّق الأولادا ... وأن ترى من نجلك اجتهادا
فعده بالإتحـاف يـوم العيـد ... قـدم الوعـد علـى الوعيد
يعاقـب الجـاني بمـا جنـاه ... ـاك فـي دنيـاه أو عقبـاهُ
والظلـم لا يتركـه المـولى ... مـآل كـل ظـالم إلـى الـردى
من رام أن يكتسب اللطافه ... عليه طول العمر بالنظافه
فإنهـا مـن شـعب الإيمـان ... ـطلب في الثياب والأبدانِ
ـر ّ أوصـاف الفتـى هـو ... يفضـي إلـى ارتكـاب مـا لا
فيا لـه من خصلة ذميمـه ... ـي تركها مصلحة جسيمهْ
وقـوة الـرأس مـع العنـاد ... مـن أقـبح الخصـال فـي
والامتثـال صـفة جليلـه ... ـودّ لـيس مثلهـا وسـيلهْ
مما يعد من صفات الذم ... ـتم الصـغير عـن الأب وأمّ - م٨
ـراً حقيـراً أو جلـيلاً بـل ... داوه وعنهمـا لا يحتجـبْ
يطلـع المـولى علـى مـا ... ـلمـه لكنـه قـد يمهلـهُ
ـ يعصِ والديه ضلّ وندم ... ـ حالـه وللرشـد عُـدِم
وضـاع سعيه وخـاب أملـه ... ـا لم يتب فلا يضيع عملهْ

---

(6) سا . ص ٢١٨.

(i) في الأصل : وآله الصحب .

وعفة الشريف عند الفقر — صبره لعسره مع شكرِ
خير فضيلة عليها يحمد — يعقبها اليسر ويبقى
والولد الصالح عند الأهل — حب بل يكرم عند الكلِّ
يمتاز عن أقرانه في — ـمله بركة المؤدب
فضل البنات الشغل — ـا حوت علماً به تفوزُ
في سائر الحال[i] — ـن جنسهن والحيا يرامُ
الرفق بالفقير والضعيف — من حسن أخلاق الفتى
وخوف رب العرش — أمن من الشر وسوء
من رام نظمه بسلك السعدا — فليسعد الناس ليبقى
يحب مثل ماله لغيره — طي أخاه جانباً من خيرهْ

وفي قصيدة أخرى بعنوان " مجموعة حكم " نقرأ للطهطاوي:[٧]

يحسن حفظ اللوح للصغير — ـلى مرار بل وللكبيرِ
يرسخ في الذهن وليس — جربه بالتقسيم واقبل نصحا
الكبر ناشئ عن الحماقه — ـما لعاقل عليه طاقهْ
يبغض كل الناس رب الكبر — وبالرفيع والوضيع يزري
تستحسن الطباع وصف — وأحسن الآداب آداب النبي
وما سوى أخلاقه فباطل — ومن تحلى بسواها عاطلُ
ولا يليق من غلام الطاعه — خروج رأيه عن الجماعه
ففي اجتماع الكلمه — بها يتمم الفتى مرامه
والحمد لله وصلى الله — على النبي وكل من والاه

وكان من تلاميذ رفاعة الطهطاوي محمد عثمان جلال الذي ترجم عدداً من الكتب في موضوعات شتى وألف بعضها، وكان أحد كتاب "روضة المدارس المصرية"التي يتحدث عنها الدكتور أحمد زلط قائلاً[٨]:

"ونستطيع القول في اطمئنان،إن أول رافد ثقافي غزا مسار أدب الأطفال في إطار انبثاقته الأولى في مصر أنه تمحور عند سائر النتاج الأدبي الذي نشرته" روضة المدارس المصرية "للطفولة والناشئة بين أعوام ١٨٧٠ ١٨٧٧ بما نشرته لتلاميذ المدارس مع أساتذتهم وكوكبة الأدباء للناشئين، حقاً لم يكن قد تأصل بعد المفهوم الاصطلاحي لأدب الطفل، و لكنه من الإنصاف القول بأن ميلاد أدب الطفل الحديث في مصر بمعناه العام سار في خط مواز مع مجلة روضة المدارس، كأول وأهم مجلة مدرسية واسعة الانتشار، حظي الأدب بنصيب موفور فوق صفحاتها من التلاميذ أنفسهم وا إليهم".

لكن محمد عثمان جلال أحد المترجمين، والكاتب المعروف في هذه المجلة الرائدة، كان قد سجل الريادة الكبرى بنشره لكتاب "العيون اليواقظ" في منتصف القرن التاسع عشر ، بعد أن كان الطهطاوي قد سجل ريادة التنبيه إلى شعر الأطفال و كتابة بعض النصوص القليلة فيه.

وسجل الدكتور زلط أن كثيرين نشروا في "روضة المدارس المصرية" قصائد من شعر الألغاز كإسماعيل عاصم

(i) في الأصل : الأحوال.
(7) سا . ص ٢١٨ .
(8) أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي . ص ١٤ .

ومصطفى صبحي وأسعد طراد وأحمد نظمي وحسين الشباسي ومصطفى جلال وآخرين، ويورد نصاً للشاعر الشباسي فيه توجيه أخلاقي مباشر(٩):

ـر بالآبـاء فـرض لازمُ
برهم فهو النجيُّ الحازمُ
فأطع أباك وكن لأمك تحت
سترضياً لهما لئلا تحترقْ
واحـذر عقوقهما الـذي قـد
ويحـل صـاحبها المسـيء

وقد ظهر في مصر بعد محمد عثمان جلال الشاعر عبد الله فريج في كتابه "نظم الجمان" ثم ظهرت أعمال شوقي للأطفال في الجزء الأول من شوقياته عام ١٨٩٨، وكتب المربي الكبير عبد الله فكري مقطوعات شعرية نادرة، وهو الذي كان ناظراً للمعارف في زمن الخديوي إسماعيل، وله بعنوان "إلى ولدي"(١٠):

إنـام غـر ّ فـي دجـى الليـل	**م للمعالي والعوالي وشمـ ّر**
وسارع إذا مـا رمت مـا دمت	**ليـه وإ ن لـم تبصـر الـنجح**
وأكثـر مـن الشـورى فإنـك إن	**تجـد مادحـاً أو تخطـئ الـرأي**
ـو ّ د مقـال الصـدق نفسـك	**صـد ّق ولا تـركن إلـى قـول**
ولا تقـف زلات العبـاد تعـدها	**فلسـت علـى هـذا الـورى**

وقد ورد في آثاره الكاملة أنه أملى على أول تلميذ تقدم للامتحان عنده البيتين التاليين(١١):

م ْ يا إلهي لأوطاننا	**جنـاب الخـديوي**
ووفق بتوفيقه قطرنا	**لما هو أبقى وأنجى**

وفي قصيدة يخاطب فيها ابنه يقول(١٢):

قدم إذا رمت مـا دمت قـادراً	**عليـه فـإن لـم تبصر الـنجح**
لا تـأت أمـراً لا ترجِّـي تمامـه	**ولا مـورداً مـا لـم تجد حسن**
ولا تستشـر فـي الأمـر غيـر	**أمثالـه أو حـازم متبصِّـر**
وخيـر عبـاد الله أنفعهـم لهـم	**كمـا جـاء فـي قـول العزيـز**

وأصدر علي فكري عدداً من الكتب التي ضمت نماذج شعرية مبكرة في مؤلفاته "النصح المبين في محفوظات البنين" و"النصح المبين في تربية البنين" و"مسامرات البنات" والنسخة التي اطلعت عليها من الكتاب الأخير هي الطبعة السادسة، وصادرة عام ١٩١٨مما يدل ّ على رواج الكتاب ودعمه من قبل الجهات الرسمية، إذ كان علي فكري أميناً لدار الكتب السلطانية ومن رجال التربية المعدودين وهو وإ ن كان حالة متقدمة على منظومات والده، إلا إن نصه ظل شديد الجهامة والجفاف والصياغة التقليدية كما يظهر في هذا المثال(١٣):

ع الإلـه كما أمـرْ	**وامـلأ فـؤادك بـذرْ**

(9) سا . ص ١٩ .
(10) مجموعة من النظم والنثر . سليم . ص ٣ .
(11) الآثار الفكرية . ص ٣٧ .
(12) دروس الاستظهار . الحنبلي . ص ١٣ .
(13) مسامرات البنات . ج ١ . ص ١٨ (الطبعة الأولى صدرت عام ١٩٠٣)

الـدين لا تلعـب بــه ب الصوالج بـالأكرْ
حــافظ عليـــه فإنـــه نعـم السـعادة تـدخر
وأطـــع أبـــاك لأنـــه رباك من عهد الصغر
واخضع لأمك أرضها فعقوقها إحدى الكبر
حملتك تسعة أشهر ـــين التمـــــر ّض
فـإذا مرضـت فإنهـا تبكـي بـدمع كـالمطر

وكان لظهور كتاب "آداب العرب" معنى الإضافة الكبرى لأنه ديوان كامل من الحكايات الشعرية للأطفال ألفه إبراهيم العرب وقررته نظارة المعارف في مصر على تلاميذ المدارس الابتدائية[١٤]

إن الدعوات التي أطلقها الطهطاوي في النهضة الثقافية، ترددت أصداؤها لدى كثيرين ظهرت واضحة عند الزعيم الوطني الكبير مصطفى كامل، عندما دعا عام ١٨٩٣ إلى الأدب التهذيبي الموجه للتلاميذ على صفحات مجلة "التلميذ" التي أنشأها للأطفال لبث الروح القومية فيهم وتربيتهم تربية عصرية، ومن الجميل أن يكون شعار المجلة "حبك مدرستك.. حبك أهلك ووطنك" لكن المجلة أصدرت تسعة أعداد وتوقفت. قال مصطفى كامل في افتتاحية المجلة [١٥]:

"ولما كان أسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا أن ندرج في كل عدد من أعداد جريدتنا نشيداً أو نشيدين على نمط السلاسة والتهذيب التام، حتى إنه بعد مضي خمسة أو ستة أشهر يمكننا أن نجمعها في كتاب نضم إليه بعض الشذرات والمحاورات المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهذيب الأبناء وإ نا لا نعدم في ذلك العمل مساعدة الفضلاء والأدباء والشعراء وإلى القراء نشيداً جاءت به القريحة لعده باكورة لهذا العمل:

لموا يا بنـي الأوطان طرّا رجـع مجدنا ونعزّ مصـرا
هلموا كي نوفي القطر حقا نسيناه فضـاع بـذاك قـدرا
هلموا وادركوا العلياء حتى نــال بلادنـــا عــزاً وفخــرا
هلمـــوا واتركـــوا الشـــحناء وكونـوا أوفيـاء فذاك أحرى
ألـيس يشيننا ترك المعالي تبـاع بغيـر وادينـا وتشرى
ونحـن رجالهـا وبمـا لـديها من الإسعاد والخيرات أدرى
نسـينا البـر للنيـل المفـدى وخلنـــا أننـــا جئنـــاه بـــرا
فعــار أن نسـمي الـذل[i] وعار أن نسمي الشح برا
وعـار أن يكـون لنـا وجـود يحظى غيرنـا فـوزاً ونصـرا
قومـوا واطلبـوا للنيـل عـزاً ولا تبقـوا بـذل كـي يسـرا
وسيروا نحو هذا النهر[ii] تنادوا أجمعين بعز مصرا "

نخلص من هذا إلى أن مصطفى كامل قد سبق احمد شوقي بالدعوة إلى شعر الأطفال بخمس سنين.

ومن المصادفات الجميلة أن أقع على نص نادر لشاعرة مصرية اسمها أمينة نجيب عاشت بين ١٨٧٣ ١٩١٧ وعنوانه "العصفور" ونصه:

---

(14) لا يخفى أنني أترك الحديث عن تجارب من خصصتهم ببحث مستقل . كجلال وشوقي وغيرهما.

(15) أدب الطفولة بين الكيلاني ومحمد الهراوي . ص ٢٢ .

(i) الأصل : الذال .

(i i) في الأصل الفهد .

امرح صغير الطيور	اقفـز هنـا لا تبـالِ
إنـــا نعـدُّك منـــا	بـل نـد الأطفـالِ
كـم وثبـة لـك كانـت	ديـــة للجمـــالِ
عبرت عنها فصيحاً	عـن حبك المتعـالي
كمـا شـدوت بلحـن	ن روح هذا الجلالِ
ونحــن والله نهـذي	لشـعر أو بالمقـالِ

والشاعرة أخت لشاعر وصحفي كان معروفاً في أوائل القرن العشرين هو مصطفى نجيب له قصيدة عن "سكة الحديد" في الكتاب المدرسي المشهور"القراءة الرشيدة" يقول فيها[١٧]:

طرائـق فـي ضواحي القطر	أقصى المراد ولم ننقل بها
مصـر كصـفحة قرطـاس	غـدا الحديـد عليهـا الخـط
أرض بها كان خصب النيل	حتـى أتاهـا قطـار النـار
لنا غنـى عن قطار السحب	ولا غنـى عـن قطـار النـار
يجري بـه الرزق فـي جسم	يجري دم في عروق الجسم
تحكـــي المحطـــة قلبـــاً	تحكـــي الشـــرايين منـــه
مـع السـلامة يـا مـن سـار	عنـا وأهـلاً وسـهلاً بالـذي

إن المساهمة النسائية في شعر الأطفال ظلت نادرة، ولا تزيد على قصائد، و لم نجد ديواناً كاملاً للأطفال من تأليف امرأة عدا الشاعرة السورية جسماني شقرا في "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢.

إلا إن مصر شهدت في مطلع القرن العشرين واحدة من أهم أعلام التربية والتعليم وأكثرهم استنارة وأعني بذلك السيدة لبيبة هاشم (ذات أصل لبناني) فدعت إلى تعليم حديث، ونقدت حال التعليم والفكر الذي يحكمه في زمنها[١٨].

كان الدور المصري بارزاً في حركة تأليف الكتاب المدرسي المعاصر التي تدرجت بصعوبة منذ "رسالة أدب الناشئ" الذي يحلو لمؤلفه أن يذكر أمراً كأنه حقيقة إلهية:

أيها الناشئ اعلم أولاً أن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الناس صنفين،صنفاً يقال لهم الخاصة وصنفاً يقال لهم العامة."[١٩]

وقريب من هذا كتاب "هداية الأطفال" الذي قرر تدريسه عام ١٨٩٠ لمؤلفه حسن توفيق أفندي حيث يقول:

وأما هنَّ فخلقن للمنزل و التأثير في الأسرة وقد أحسن من قال: إن دنيا المرأة المنزل، ومنزل الرجل الدنيا."[٢٠]

ومن النمط نفسه كتاب "مقتطفات أدبية لطلبة الإعدادية" لعبد القادر البرزنجي.

إلا إن الكتاب كان يترقى قليلاً قليلاً شكلاً ومضموناً وإن كانت الكتب محتشدة بالمدائح لأولي الأمر والتركيز على التوجه الديني بشكل جامد، مع قساوة لغوية لا تراعي أنها كتب موجهة لتلاميذ، كما نلاحظ في كتاب أنيق وبلا

---

(17) القراءة الرشيدة ٣ / ٨ .

(18) راجع كتابها المهم " كتاب في التربية " .

(19) رسالة الناشئ . ص ٤٦ .

(20) هداية الأطفال . ص ٢٧٥ .

مؤلف هو "كتاب المنتخبات العربية" وهو يشبه كتاب "العقد الفريد" في التقسيم والاختيار ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير جداً .

ومن الكتب المهمة "المطالعة العصرية الحديثة" لمحمود صبور و"الطريقة الجديدة في الهجاء والتمرين والمطالعة" لأحمد زناتي، و"التهجي والمطالعة" الذي لم يذكر اسم مؤلفه،وصولاً إلى أكثر كتابين اقتربا من الطريقة الحديثة وهما "القراءة الرشيدة" الذي ظل لعقود من أهم كتب القراءة والمحفوظات في الوطن العربي، وهو من أربعة أجزاء، وتأليف عبد الفتاح صبري وعلي عمر، وفيه رسوم جميلة مرافقة للنصوص، ومثله كتاب "المحفوظات المختارة" من أربعة أجزاء لأستاذين كبيرين هما أحمد علي عباس و عباس حسن، والكتابان من أهم المصادر التي يقع فيها الباحث على نصوص من شعر الأطفال العربي.

وهناك كتاب في غاية الأناقة، يحسبه المرء قد طبع هذه الأيام، مخصص للمدارس الأولية، ومن أربعة أجزاء، وفيه ما يصلح لأطفال الروضة واسمه "روضة الأطفال" تأليف السيدة إنصاف سري ناظرة مدرسة البنات الأميرية بالحلمية، وهو مطبوع في مصر عام ١٩٢٤ وبقطع كبير جداً ، وفيه ٣٨ صفحة من الكرتون مع رسوم ملونة.

واطلعت على كتاب خاص بالرياض أكثره ملوّن من تأليف الآنسة إحسان محمد زوبع من المدارس الأميرية ويحوي ١٧٠ صفحة بخط يدوي جميل وعنوانه "القراءة للأطفال".

ومن الواضح إن هناك كتباً انحصر اقتناؤها وتداولها بين الأطفال الميسورين، لأن انتشار الكتاب المدرسي شعبياً لم يحصل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، إذ انتشرت المدارس، ودعمت الدولة الكتاب، وصارت الكتب المدرسية شأناً حكومياً رسمياً فقط.

ومما يلفت النظر أن أكثر شعراء مصر المعروفين والمغمورين قد حاولوا كتابة شعر الأطفال بتأثير حاجة الكتاب المدرسي والمدارس إلى القصائد والأناشيد، فكانت هناك مساهمات لحافظ إبراهيم من مثل (٢١):

للوالـــدين كرامـــة　　　ومحبـة منـي وفيـه
كــم أســديا مــن　　　أهديا خيراً إليّ ـه
ـهما أعيش منعماً　　　ل برّ هما نديّ ـه
وهمــــا عمــــاد　　　ومعيشـــتي بهمـــا
إنـي أطعتهمـا فلـم　　　منهمـا غضـباً
مــا عشـــت لا　　　عظــم الجميـــل
ـهمـا ثنـاء طيّ ـب　　　وعليهمـــا منـــي

وقصائده التي قد تصل إلى العشر تكشف عن جانب مرهف ونبيل عند الشاعر، فلغته كانت سهلة إلى حد ماىمما يدلّ على تحسس خاص لهذا اللون من الشعر.

وأسهم الشاعر أحمد الكاشف في هذا اللون أيضاً ، ومن محاولاته هذه القصة الشعرية المأخوذة من قصص إيسوب اليوناني بعنوان "النعجتان" (٢٢):

ي وسْ ـط قنطـرة تلاقـت ذات يـوم نعجتـانِ
بالكبريـــاء شـــهيرتان غليظتـــان عنيـــدتان

(21) المحفوظات الطريفة . ص ١٧ .

(22) ديوان الكاشف . ص ٨٦ .

إحــداهما نظــرت   الأخــــرى بعـــين

ودنت تصيح الآن   أخلـي الطريـق بـلا

أجابت الأخرى بكِبـر لست أبـرح عن مكـاني

إشــتدّ بينهمــا اللجــاج فهاجتــا تتــدافعان

ى هـوت فـي لجَّـة اليـمِّ الخضـمّ الإثنتـان

عظــم المصـــاب   مما جرى تتأسفان

أيريحنــا ذا الاتســاع الآن فــي هـذا الهـوان ؟

ويلاه من عقبى التناهي في الشراسة والتفاني

إن الســلامة والكرامــة فــي التســامح والليــان

ويقترب العقاد من عالم الطفل في قصائد "عيش العصفور" و"يا قمر" و"طفل" التي يقول فيها[٢٣]:

يستعبد النـاس كـأن لـم   يســمع بالدســتور فـــي

وينزل الأهل على حكمه   ويــرغم الصــحب علـــى

لم ينـه عن شـيء يعنـى   إلا ارتمــى يســعى إلـــى

ويجذب القطة من ذيلها   ويضـــرب الكلـــب علـــى

إن تلـوَّى منهمـا واحـد   على يديه طار من ذعره

وصــاح يسـتعدي عليــه   كأنــه البــادئ فــي شـره

ألا ترانـا وهـو يلهـو بنـا   أسـرع مـا كنـا إلــى بـره

بحيلـة منـه فـلا غيرهـا   يردنـا طوعـاً إلــى أسـره

وأسهم مصطفى صادق الرافعي بعدد من القصائد الموجودة في ديوانه أوالمبعثرة في بعض الكتب والمجلات ومن قصائده الجميلة "الحمار" [٢٤]:

وأسهم مصطفى صادق الرافعي بعدد من القصائد الموجودة في ديوانه أوالمبعثرة في بعض الكتب والمجلات ومن قصائده الجميلة "الحمار"[٢٤]:

يــا راجيــاً لطــف الحمــار   هــل عنــد رجليــه ســوى

كل الكلام يضيع في آذانـه   مــا دمــت لا تحكيــه فـــي

والعقـل تخلقـه العصـا فـي   ضربـاً يتـرجم جلـده لذعاتـه

ن الحمــار وا ٕن تلقـب فــي   بالفيلســوف هــو الحمـــار

وله "نشيد الطفل الصغير" وفيه يقول[٢٥]:

دفتـري صـاحبي ولـوحي   كتــابي فـــي كــل فــنّ

فتعلمت مـا تعلمت ممـا   أتباهى بعلمه في الأنام

---

(23) ديوان العقاد ص ١ / ١٢٩ – ١ / ١٤٦ – ١ / ١٥٨.

(24) مجلة أبولو ٧ / ١٩٣٣ .

(24) مجلة أبولو ٧ / ١٩٣٣ .

(25) ديوان مصطفى صادق الرافعي . ص ٢٠ .

إجيـاً أن أكـون بـالعلم فـي بـلادي بـين الرجـال
سـادتي انشـروا العلـوم مـا بجسـم الـبلاد مـن
إنـهـا روحـهـا ومـا بسـوى الـروح تكـون الحيـاة فـي الأجسـام

وشهدت مصر ظهور أهم الأدباء الذين تفرغوا لأدب الطفل، فكامل الكيلاني قدم للمكتبة العربية أغزر عطاء عرفته حتى الآن، بلغة سليمة جميلة، ورؤية إبداعية شاملةولم يكتفِ الكيلاني بالترجمة والإعداد والتأليف القصصي والمسرحي، بل وضع للأطفال عدداً لا بأس به من القصائد، وهي مبثوثة في مختلف الكتب التي نشرها، وقبل ذلك عاشت أجيال من الأطفال العرب على كتابته لرحلات السندباد البحري.

ومما يلاحظ على ما كتبه الكيلاني من شعر ونثر أنه نقل أدب الأطفال خطوات واسعة إلى الأمام من جميع النواحي التي تخصّ التربية والخصائص الفنية، ولنأخذ نموذجاً من شعره للأطفال وهو "نشيد الحمار" [٢٦]:

آنست يـا حمـاري ظللـت خيـر دارِ
أحسـنت إذ أتيتـا أنعـم بمـا فعلتـا
حمارنـا الظريفـا الـوادع اللطيفـا
لست تلاقي عندنا إلا السرور والهنـا
منـذ حللـت بيننـا أصـبحت فيـه
تنـام فـوق فـرش مـنم مـن قـشٍ
تطعـم خيـر مأكـل نخـل مغربـلِ
نـهدي إليك سكره مع الشـعير والذره
نـك القليل تبذلـهْ ك الكثيـر تأكلـهْ
تحـزنْ ولا سـوف نضـاعف

ومن تجاربه قصيدة عن الحيوانات[٢٧]:

مـعٌ مـن الحيـوان سعدوا وطـاب لـهم
رتبـوا البيـت الجميـل وأتقنـوا طـبخ الطعـامْ
عـاونين علـى الحيـاة بكـل جـد واهتمـامْ
ذللـوا كـل الصـعاب وأدركـوا أقصـى المـرامْ
ـادلوا مـن فـرط حـبهم احترامـاً بـاحترامْ
خلصـوا وصـفت قلـوبهمُ فعاشـوا فـي وئـامْ
فـي كـل شـيء دوا الإنسـان إلا فـي الكـلامْ

وكان من وجوه نشاط الكيلاني اهتمامه بثقافة الأطفال المتعددة الألوان بما في ذلك إلقاء المحاضرات، وتعليقاً على محاضرة له عن جحا كتب الشاعر محمود غنيم[٢٨]:

ي حسبت جحا مـ َجانة فـإذا بـه رجـل جليـل

---

(26) ديوان كامل الكيلاني للأطفال . ص ١١٣ .
(27) سا . ص ٧٦ .
(28) ديوان محمود غنيم ١/ ٢٦٧.

هو فيلسوف قام ينشر   **ين البرية فيلسوف ثانِ**
مــا زال يطريـــه ويعلـــي   **متحدثاً عنـه بكل لسان**
حتــى حسـبت جحـا ابـن   **أو مــن أقـــارب كامـــل**

وفي الفترة نفسها شهدت مصر تجارب لكتاب كثيرين في أدب الأطفال، حتى إن مجلة أبو لو المشهورة كانت تفرد صفحات خاصة للأطفال، و في هذه الصفحات قرأنا لعلي عبد العظيم قصيدة "الطائر" [٢٩]:

يـا الطائر غـرّ د   **ﻥ صبح ومساءْ**
ـــلأ الـــرّوض   **ـرّ د بالغنـــاءْ**
وامـض فـي الجـو   **نـاً كـل اعتـداءْ**
ﻥ من يقتل طيراً   **ﻲ والجاني سواءْ**

كذلك للصاوي محمد شعلان في "بين شاعر وطائر"[٣٠]:

غنـت علـى زهـر   **عصـــفورة عنـــد**
وترنمت في بهجة   **ر المقـدس حـين**
فسألتها من أنـت   **لت: لا تسل غير**
عصفورة قد كـان   **ري نومهـا ضـعف**
لكنهـا لـم تسـتبح   **ومـاً على الـرزق**
إنـــي أغـــار مـــن   **ع إذا سـرى و مـن**
و أحب أن أسعى   **يهمـــا لأحظـــى**
مالي أرى الإنسان   **بقنـــي بألحـــان**
مـا بالـه لـم يسـع   **جاهـــداً يبغـــي**
قد صـار دونـي فـي الجهـاد و كـان قبلـي فـي
وأعيـــد أنغــــام   **ويعيـد آلام النـواح**
بشـراك يـا بنـت   **ء وحبـذا الأمـل**
يستنرْ بك عاقل   **فـي ظلمـة الليـل**
يـا ملهـم الطيـر   **د الحـق ألهمنـا**

وللدكتور أحمد زكي أبو شادي تجارب لطيفة في شعر الأطفال،وقد كان اهتمامه بهذا اللون كتابة وتشجيعاً ونشراً لـه فـي مجلـة أبولـو الشـهيرة يعكـس حسـه الحضـاري وا ٍدراكـه لأهميـة أدب الأطفـال،ولنأخـذ نموذجـاً لـه هـو "العصفور"[٣١]:

ســاكن الأغصــان   **ـنـى شـعراً وغنّ**
صــوتك الصــداح   **يطـــرد الأحـــزان**
. . . .
أنـــت لا تخشـــى   **أنـــت تحيـــا فـــي**

---

(29) مجلة أبولو العدد ٨ / ١٩٣٣ .
(30) مجلة أبولو المجلد الثاني ١٣١ / ١٩٣٣.
(31) الحديقة . الخطيب ٤ / ١٣٣ .

بصر الدنيا نعيماً   م ينغص بحداد

. . . .

كل ما فيها جميل   طالما لم تلق أسرا
كل ما تهوى خليل   صادق لا ملك

. . . .

فق العمر مجدّا   دون أن تنسى
ترى عماً وجدّا   ركن مجد أو

. . . .

ساكن الأغصان   صفو ما يهوى
عطني درساً شهياً   ينعش القلب

ويبدو لي أن الاتجاه الرومانسي قد أسهم في دعم شعر الأطفال والكتابة فيه، فهذا الدكتور عبد العزيز عتيق يكتب قصيدة "العيد"(٣٢):

يها العيد مرحباً   بك يا عيدنا
ت أقبلت زائراً   بسنا لك الجديدْ
وفرحنا كما ترى   نتلقاك بالنشيد
واشترينا لك الدمى   وجمعنا لك النقود
كل بيت مزين   لك بالزهر والورود
فلتدم فرحة لنا   وليدم وجهك

وظهر للمرأة المصرية الشاعرة أثر في هذه المساهمات،فكتبت جليلة رضا حكايات مترجمة عن الفرنسية شعراً مثل "الصخرة والزورق" و"أغنية إلى طائر" و"الزهرة والفراشة" كما كتبت تأليفاً "مأساة دوحة" و"اذكري يا أم" (٣٣) وقصيدة "ولدي" منها(٣٤):

يّ فديتَ بالعمر   فخذ ما شئت من عهد
يّ جعلتني أهوى   شت بغصنك الغضّ
ولكني سقيتك ماء قلبي   وجدت عليك بالحب
وكان الشوق في الدنيا   وكان لك الزهور مع
وما للموج يلطمني   وأخشى فيك لمسات

وفي قصيدة "إلى ولدي" لروحية القليني خطاب للولد ليتوجه إلى الدفاع عن الوطن(٣٥):

إلى الميدان يا   إلى الميدان يا
فمن للأرض   سوى الأبطال
ن أغلى عليّ   لأهديه إلى بلدي؟
سوى ولدي الذي   حمى يومي وحصن
إذا ما رحت يا   شهيداً للحمى

---

(32) القراءة والاستظهار . ص ٨٤ .

(33) راجع "اللحن الباكي" للشاعرة .

(34) سا . ص ٤٦ .

(35) نسمات وأعاصير . غريب ص ٤١٣ .

وتعلم أنت أنك لي حياتي أنت لي
إنك لم تغب أبداً حبيب القلب عن
فأنت بخاطري ـو ّ ر كل آمالي
ـرغم الحب ّ يا وهبتك للحمى

ويكتب محمود أبو الوفا حكاية شعرية بعنوان "ريش الطاووس" وهو من الذين كتبوا عدداً من الأغاني والأناشيد(٣٦):

نشر الطاووس واستوى يمشي
ـط الزهو أو العُجْب حواليه ظلالا
ـا له لا يملأ الأعطاف تيهاً أو دلالا
ـو ما وجّه عينيه يميناً أو شمالا
لا يرى إلا عيوناً تتمناه ابتهالا
ات يوم فكر الطاووس واشتطّ خيالا
قال: يا قوم ألسنا أمة ضاعت مآلا؟
انظروا ريشي هذا هل رأيتم لي مثالا؟
بايعوني الآن بالملك وجيئوني امتثالا
بايعوني بايعوني واحمدوا الله تعالى
إذا الطير بصوت واحد تهتف:
وانبرى فرخ احل الريش كَلالا
قال: يا هذا سمعنا فاستمع منا مقالا
ـل تظنّ الملك أو رياشاً تتلالى
للمُلك تكاليف وأعباء ثقالا
حن نبغي الملك حزماً واعتزاماً ونضالا
نحن نبغيه فعالا نحن نبغيه كمالا

وإبراهيم ناجي الشاعر الرومانسي الكبير كتب "نشيد الطالبة" الذي يقول فيه(٣٧):

ي أحب العلم فهو التاج يرفع كل أمَّـهْ
تحمدوا نعم الإله فإنّ حبّ العلم نعمه
إليه أغدو طبعي التغني
ى الحياة أسير تملؤني البشاشة والسرورْ
ويدلمن حولي تمدّ على المحبة والودادْ
أغدو على حب وأعود صافية
لأبي وأمي طاعتي ورضاهما هو

---

(36) أشواق . ص ٦٠٢ .

(37) الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٨٠٧ .

ـي ّ أن يغـدو احترامـي كـاملاً لمعلمـي

وكذلك فعل الشاعر الغنائي المعروف أحمد رامي في قصائد "الطالب" و"أمي" و"حفيدتي" التي يقول فيها[٣٨]:

ـا أحب رانيـهْ   قـرة عينـي
إذا رأيت وجهها   نسيت كـل مـا
أشـتاق أن   ـي علـي ّ
وأستطيب قبلـة   مـن العيـون
لله مـا أجملهـا   حـين تكـون
مـا أرق ّ   رائحـة وغاديـه
تقـول: جـدو   أقـول: يـا
أفـديك يـا   ـالروح وهْـي
وأسأل الـرحمن   تحيـا حيـاة

والكاتب المعروف سيد قطب كان ذات يوم ناقداً تحديثياً وشاعراً رومانسياً ، فله نقد مهم وشعر رقيق، ومن ضمن اهتماماتهكتابته شعراً للأطفال كقصيدة "الوادي المقدس" التي يقول فيها[٣٩]:

علـى ضـفاف   وفـي شـعاب
والـدهر يحبـو   قـد كـان هـذا
يا نيل كم من   يا نيل كم من
علـى مـدار
وينشـط الـزر   ـع العيـدانْ
لعشـه المعمـور   رخه الوسنانْ
هـذا الثـرى   فـي صـفحة
عرفتـه فـي   رفـات أجـدادي

وله قصيدة عن "الصيف" يقول منها[٤٠]:

مـا أجمـل   جـوّه اللطيفـا
وظلـه الخفيفـا   للناس أجمعينا
. . . .
على الرمال نمرح   رتمـي ونفـرحُ
وفي المياه نسبح   ونركـب السـفينا
. . . .
إلى الجبال نذهب   علـى السـفوح
من العيون نشرب   سلسـالها المعينـا
. . . .
مـا أحسـن   والقفـز

(38) ديوان أحمد رامي . ص ٦٣ – ٢٧١ – ٢٣٨ .
(39) ديوان سيد قطب . ص ٢٤٧ .
(40) القراءة والاستظهار . ص ١٤٢ .

هناك نلقى الراحه   من عمل يضنينا

إن هذه المساهمات الكثيفة لم تتخذ شكل اهتمام دائم،فقد دلت على واجب جميل شعر به عشرات من الشعراء، باستثناء الرائد الذي كتبت عنه مطولاً ،وهو محمد الهراوي الذي لا يكاد يعرف إلا شاعراً للأطفال، كذلك محمد عبد الرحيم ترقوا إن كان أقل أهمية ونتاجاً ، إضافة إلى أنه لم يفعل سوى تحويل حكايات كليلة ودمنة إلى نظم شعري.

فالمساهمات التي لم تتوقف جاءت من شعراء أحبوا أن يكون لهم شرف المساهمة كأحمد زكي أبو شادي في "الزنبور والنحلة" و"المعلم" و"الكناري السجين" و"الكتاب" وغيرها[٤١].

ومحمد غنيم في "الفأر" و"المحراث" و"الذئب" و"الراعي والقطيع" و"الكبش والذئب" و"الحدأة والعصفور" و"أيها النشء" و"معهدي" و"تحية الكلب هول" و"أنا وأبنائي" إذ يقول في قصيدة "معهدي"[٤٢]:

معهـــــدي   كـم لـه مـن
كل يوم إلـى   بابـه أغتدي
علمـه وحده   ـدَّ تـي فـي
دمــت يــا   ــــافي

. . . .

معهـــــدي   حبه شيمتي
داره جنتـــي   أرضـــــه
معهـــــدي   كلهم أسرتي
دمــت يــا   ــــافي

وممن قدموانتاجاً معروفاً محمد السنهوتي ومحمد عوض محمد وعلي متولي صلاح وعبد العليم القباني، وبرزت بشكل جميل قصائد شاعر موهوب لامع في هذا اللون هو سعيد جودت السحار، وخاصة في القصائد المناسبة لأطفال السنوات الابتدائية الأولى، وكمثال على شعره قصيدة "الأرجوحة" [٤٣]:

ما عشت لا   أرجوحـــــة
زدنــا بهــا   أرجوحـــــة
فــي العيــد   يــــا مــــا
طـارت بمـن   لمـا ركبناها
صـــــرنا   صـــــرنا

. . . . . .

أرجوحـــــة   دوري بنـــا
يـــا حلـــوة   ملهـــــى
يـــا بهجـــة   دوري بنـــا

والتجارب التي ظهرت منذ السبعينيات تعطي مؤشرات على أن نهضة نوعية قد حصلت في شعر الأطفال العربي، انطلقت مع العناية الجديدة بأدب الأطفال انطلاقاً من نشره في المجلات بصورة خاصة، فبدأت تظهر تجارب

---

(41) الشفق الباكي . ص ١٠٧٦ - ٢٠٢ - ٣٤٤ - ٤٤٤ .
(42) الأعمال الكاملة . ص ١٣٨ - ١٣٩ - ٢٨٤ - ٢٨٦ - ٦١٠ معهدي: القراءة والاستظهار. ص ٦٤ - ٦٥ - ٥٤ .
(43) الأناشيد . وزارة التربية . ص ٤١٤ .

كثيرة ومتواصلة من قبل شعراء مثل: أحمد الحوتي وأحمد سويلم وسمير عبد الباقي ومحمد الشافعي وأحمد زرزور، وقد امتازت تجربة الشاعر أحمد زرزور بلغتها وأجوائها وإليكم قصيدة له باسم "بيوت"(٤٤):

بيوت هناك بيـوت هنـا
بيـوت لنـا ولمن حولنا
فمنها الكبير ومنهـــا
منها الغنيٌّ ومنهـــا
بيوت ع الغصن فوق الشجرُ
وأخرى على الورد أو في الحفر
تعالوا نغني لهـا كلنـا
لنحيـا بهـا وهـي تحيـا

وله "صديقتي الأرجوحة" وفيها من هذه الشفافية والعذوبة والخيال والسهولة الكثير(٤٥):

أرجـــوحتي أرجـــوحتي
فـــأعبر مثـل الشـذا
أطيـــر أعـــانق
أصـــادف وأمســـك
أرجـــوحتي أرجـــوحتي
تلامـــس وتعبـــر
نهـا تعودْ فـي آخـر
ترتـاح فـي تنـــام

ولسمير عبد الباقي الذي كتب للأطفال كثيراً نقرأ(٤٦):

وإن كنت مثليتحس التعبْ
فلا تنس عطر حقول الوطنْ
ولا تنس أني صديق قديمْ
برغم الحروبْ
ورغم المحنْ
أراك بقلبي وأنت تغني
وترسم لي تحت ضوء القمرْ
وتقرأ لي في كتاب الحكايا
حكاية بنت تحب السنابلْ

---

(44) أطفالنا في عيون الشعراء . سويلم . ص٢١٦ .
(45) تجربتي في الكتابة للأطفال . يوسف . ص ١٩٩ .
(46) العربي الصغير . العدد ١٢٤ / ٢٠٠٣.

وتهوى الغناء وصوت المطر ْ

لقد انطلقت التجربة المصرية، وتعددت فيها المجلات، وصار للشعر حيز فيها،وا ٕن كانت تتفرد بنشر الشعر المكتوب بالعامية، خلافاً لمجلات الأطفال العربية الأخرى، وهو اتجاه لست من أنصاره وأرى فيه خطورة على الفصحى مستقبلاً .

الباب الثالث

التجربة السورية

الفصل الأول
النفثات لحسون... ريادة سورية

التجربة السورية في شعر الأطفال تعرضت لتجاهل عجيب سواء من قبل أبناء هذا القطر أم من قبل دارسين من أقطار عربية أخرى، فقد توافر للتجربتين المصرية والعراقية من يتحدث عنهما إلى حد مقبول.

إن الغرابة في هذا التجاهل أنه وقع على الرغم من غنى ما قدمته سورية لنهوض شعر الأطفال، إلى جانب انفتاح هذا البلد على العالم بصورة مبكرة وما تبع ذلك من انتشار للتعليم وحركة الترجمة والتأليف.

وأول كتاب طبع في بولاق عام ١٨٢٢ كان للسوري رفائيل زخور الذي وضع كتباً عديدة بالعربية والفرنسية، ومطبعة بولاق نفسها كان يدير ها نيقولا مسابكي من سورية، بل إن حركة الترجمة في مصر كانت بدايتها محصورة بجهود سورية خالصة.[١]

عرفنا أن أول كتاب صدر في قصص الحيوان شعراً هو "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" لمحمد عثمان جلال في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً .. لكن لم يمض على ذلك إلا ما يزيد على العقد بقليل حتى شهد الأدب العربي ولادة الكتاب الثاني في شعر الحكايات التربوية كان للأديب والشاعر السوري رزق الله حسون.

ولد رزق الله حسون في مدينة حلب عام ١٨٢٥، وبعد أن نال ثقافة جيدة حسب مقاييس تلك الفترة عمل ترجماناً في قنصلية النمسا في حلب، إضافة إلى عمله في التجارة، وكان من أصدقاء الأمير عبد القادر الجزائري،وزار مبكراً عدة بلدان كبريطانيا وتركيا وروسيا، وأصدر في لندن جريدة "مرآة الأحوال" وعندما حضره الموت قال في الغربة[٢]:

---

(1) تاريخ الترجمة... الشيال. ص ٧٦ و ١٣١ .

(2) راجع الترجمة في أعلام الأدب والفن . الجندي .

قد قضى الله أن أموت   **في بلاد أساق كرهاً**
بقلبي مخدر ُ معانٍ   **نزلت آية الحجاب**

ويبدو أن رزق الله حسون كان لديه ميل كبير إلى القصة في الشعر، فقد كتب "أشعر الشعر" حيث حول الكثير من القصص الدينية إلى منظومات شعرية، إن ما يعنينا هو كتابه الرائد والفريد "النفثات" الصادر في لندن عام ١٨٦٧ وقد أهداه إلى عبد القادر الجزائري قائلاً *أهديتها إلى ذي الهمة العلياء المتباهي بالشيم العربية الشمّاء العربي محتداً والجزائري مولداً ، السيد الأمير مولاي عبد القادر محيي الدين تولاه الله"*(٣)

وما يميّز النفثات كونه منقولاً عن اللغة الروسية، ومؤلفه الأصلي إيفان كريلوف من رواد قصة الأطفال في روسيا والعالم، وقد أشار حسون بوضوح إلى ذلك في المقدمة حيث قال: *"وضعها كريلوف شاعر الصقالبة على طريقة بيدبا الهندي سالكاً مذاهبه رواية عن ألسنة الطير والبهائم"*(٤)

وحكايات كريلوف شكلٌ مطابق أو مقارب لحكايات شرقية معروفة في كليلة ودمنة وغيرها، ولا بد من الإشارة إلى خصيصة امتاز بها كتاب "النفثات"وهي احتواؤها على حكايات مترجمة شعراً أو نثراً، ونلاحظ أن المؤلف يميل إلى السجع في النثر، وهو فن كان شائعاً في زمنه، وتلفت نظرنا في القصائد تنوعاتها الإيقاعية، حيث لا تقف عند حدود معتادة في توزيع التفعيلات أو القوافي.

لكن الشاعر كان في كل نفثاته شديد التصنع، إذ نصادف على الدوام تقعراً في الصياغات، ويبدو أنها لم تستطع أن تخرج على شرطها التاريخي.

من ذلك ما في حكاية "بلبل وحمار"(٥):

من حمى بين الروابي   **، حوّق وقت الغلسِ**
عاين الدوح فوافى علما   **كاسياً من عشبه**
بات في ذيالك الغاب حمار
عي ما بين قطعان النعمْ
ـر البلبل وسط الدوح مارْ
ل قف تسمع كلامي المفتهمْ
، عند الناس صيت واعتبارْ
خيم الصوت بل حلو النغمْ

و"فارس وفرسه" (٦):

فارس بالأمس ربى   **سا يركبهْ**
في دروب السير قد   **فما يرغبهْ**
لا بسوط بل بصوت   **ضاً أدبهْ**

---

(3) النفثات . المقدمة.
(4) النفثات . المقدمة .
(5) سا . ص ٦ .
(6) سا . ص ٤٤ .

فتظنــى ربطــه أو جـرده — لا بقيــــد أو

قـال مـالي وكمـاة ركبـوا — ظهــر خيــل

حسب مهري في المسير — عارفـــــــــاً

ـــه طبـــع مـــدرب — فعـــــــــلام

حـل عنــه اللجـم قـوداً — ثـــم فـــي

وعلى نحو تنويعي آخر فيصدِّ ل ِّ ونمام"[٧]:

قـول جـرى علـى لسـان

يس ملعون عدو ّ الحقِ

لـم يتفـوه بكـلام الصـدق

ـا عليـه يجـب الإقـرار ُ

ننـي أقـول بالتأكيـد ِ

ما كل وقت شيمة العنيـ ِ

يهضـم حقـاً واجب التأييـد

يكن من طبعه الإضرار ُ

وفي "موت الحيوان" شكل جديد من توزيع الأشطار والقوافي والتلوين التفعيلي[٨]:

مـذ خمسـة أو سـتة مـن

والـثلج فـي الآفـاق غطـى

علفنا قد قل في ذاك الحين

فوسوسـت فـي صـدري

بـَّح بـي فـي الجوع طـول

يس من يقرضني للغوث ِ

نثـي إبلـيس كـل الحـث ِ

من عشب قس نلت قدر

وحكاية " تربية الشبل"[٩]:

فأعدوا مسرعين الألزما — قـدر الطاقـة فـي أسـرع

ومضـوا للنسـر بالشـبل — معوا رأياً بقلب ولسان ْ

وزهـا عـامين فـي الغـاب اتهر ْ

ن لسان الطير مدح ابن الأسد ْ

ل الطيـر عـن الشـبل السـير ْ

---

(7) سا . ص ١٧ .

(8) سا . ص ٣٢ .

(9) سا . ص ٣٨ .

ـن علــوم وفنــون ورشــدْ
جـب الكـل بـه لمـا انبهـرْ
عشـر الطيـر ومـن جـد وجـدْ

هذه الشواهد تقدم أمثلة على رغبة الشاعر حسون في التلوين الإيقاعي، وهو أمر لم يسبق إليه من قبل، كما ندر أن حاول شاعر بعده بعقود عديدة أن ينوع في قصيدة أو حكاية مكتوبة للأطفال.

لكن الشاعر يكتب حكايات عديدة على الأوزان الكلاسيكية المألوفة كما في "قرد ونظارة" (١٠):

قـرد علـى الزمـان أعيـاه	**يسـاءه مـن ضـعفه مـدّ**
بلغه فيما مضى من النفر	**دواء هــذا الــداء فــيهم**
بآلة الزجاج تحديق النظر	**تـاع نظـارات بلـور أغرْ**
مجريـاً أحسـنها للمختبـر	**رأسه يضعها كما ائتمرْ**
علـى ذ ُنيْـبه إذا اسبكر	**ان هذا دأبـه ومـا ظفرْ**
بمـا تمنـى نفعـه ولا شـعر	**حتى اعتراه اليأس من فرط**
ألقـى بهـا يقـول موفـور	**أحمـق مـن صـدق أقـوال**
ـديحم كـذْب نفـاق وهـذر	**دقتهم بذا فكنت المغترْ**
ضــربها ضــرباً شــديداً	**بـددها علـى الثـرى شـذر**
وقـد فشـا هـذا الخطـاء	**فـي النـاس مـن أفعـالهم**
فكل شـيء نـافع لـه خطر	**د الـذي يجهلـه لمحتقرْ**
' قدر الله جهو لاً إن قدر	**فـي فرصـة يكـافئ الخيـر**

وينظم حكاية "صيد الأسد" المشهورة بهذا الإيقاع السريع السلس(١١):

ـث وذئـب وثعلـبْ	**ـلـب صيد مجربْ**
تشــاركوا باتفــاق	**في الصيد من كل ما**
أن يكونــوا جميعـاً	**كل يسـعى ويتعبْ**
تشــاركوا بالتسـاوي	**ـماً بعقـد مرتـبْ**
فـــراح أول يـــوم	**الـة اصـطاد أرنـبْ**
دعـا الرفـاق إليـه	**الشـــروط تـــدربْ**
يقســموه ربـاعـــاً	**بينهم سدّ مسغبْ**
ـر ّه الليـث حتـى	**ه البـراثن أنشـبْ**
بالغـدر حملـق فـيهم	**ـــقه يتغضـــبْ**

---

(10) سا . ص ٥٢ .
(11) سا . ص ٥٥ .

وقـال إنـي علـيكم | ـم الصـيد أرغـبْ
هـذا لأول قسـم | شرط لـي قد ترتبْ
وذا نصـيبي لأنـي | ـث مليـك مرجـبْ
وذاك سـهمي لأنـي | بطشـاً مجـرّبْ
وذلـك القسـم بـاقٍ | الـه مـن تطلـبْ
مـن تقـرَّب منـه | ـيح رأسـاً ويعطـبْ

إن هذه المعاضلة في الأسلوب جعلت تجربة رزق الله حسون قليلة الانتشار[i]، حتى ندر أن أدخلت الكتب المدرسية العربية المبكرة حكاياته في ثناياها، حيث تكثر المفردات الصعبة، والدوران والحشو الذي قد يضيع المعنى على الكبير قبل الصغير.

من هذه الناحية بالذات نستطيع القول إن ترجمة محمد عثمان جلال كانت أجمل صياغة، بل فيها الكثير من الإبداع والمهارة والطرافة والسهولة.. وهي جميعاً من عوامل انتشار أي نص.

أما إيفان كريلوف الذي نقل عنه حسون حكايات "النفثات" فهو أحد رواد قصص الأطفال في روسيا، وذو شهرة واسعة في بلاده وخارجها، وقد عاش في مطلع القرن التاسع عشر يتيم الأب، وذاقت أمه مرارة العيش، لكنها فعلت الكثير لتربي ابنها إيفان على أحسن ما يكون،وتوفيت وعمره عشرون عاماً ، فسطع نجمه عندما ترجم حكايات لافونتين إلى الروسية، وألف بعض الحكايات، فكرمه اثنان من قياصرة روسيا هما إسكندر الأول ونيقولا الأول، وظل مقرباً من القصر، وله تمثال يشمخ في الحديقة الصيفية في بطرسبورغ.

عربياً .. بعد ترجمة شاعرنا ظهرت ترجمة حديثة قام بها أمين سلامة عام ١٩٦٩ بعنوان "حكايات من روسيا" لإيفان كريلوف،وفيها ما بلغ ضعف ما ترجمه حسون تقريباً ، وتمتاز بتكثيف شديد.[١٢]

وسأختم حديثي بنص كامل لحسون عنوانه "بستاني وحمار" يحكي واحدة من حكايات "النفثات" وفيها جوانب من قوة التجربة وضعفها[١٣]:

جنينـة لنزهـة النظـار | شـقها جداول الأنـهارِ
محفوفة بالورد والأزهار | مغدقة بـالكرم والأشـجار
مـن سـائر الأعنـاب | وسـلطة العصـفور
ـسـتهلك الغلـة بالمنقـارِ
فاختـار فـي الحراسـة | وحفظهـا بالصـون
لأنـه قد كان غير جاني | ـن غلـة كثيـرة الأثمانِ
فعقلـه دل علـى الأتـان | فابتاعهـا مـن يومهـا

(i) بلغ به التصنع أن الإشارة إلى الخطأ الطباعي جاءت كما يأتي :
صواب خطأ في الطباعة صدر زاغ عن تصحيحه البصر النفثات . ص ٨٤.
(12) حكايات من روسيا . كريلوف .
(13) النفثات . ص ٤٦ .

بســـلم الجنـــة للحمـــار

يحرسـها مـن طـارق أو	والجحش قد كـان أميناً
مـا خـان مـا مـان ولـم	مـــن غفلـــة لســـرقة
طـول النهـار فـي مكـان	لـم يقـتطم مـن فصـة

إذ كثــرة العلــف عليــه جــاري

لكنما الأمر لعين الرائـي	متضــح مــن دون مــا
مـا نـال عـام الخصـب	صويحب الجنة من ثراء
لجهـــل ذاك الجحـــش	عـدم العرفـان بـالإداره

طاحـــت الثمـــار بـــالبوار

فأصـــبح البســـتان	عشـاً لأطيـار السـما
وكل طير معمل منقاره	بقولــه أعنابــه ثمــاره
شـنت عليهـا كـل سـاع	تهرسها كالجحش دوس

مــا تركــت أوراق عــرق طــاري

لمـــا رأى صـــاحبه ذو	مـا نـال ذاك العـام أجـر
من عنب فاكهة أو بقل	بـادر فـي الحـال لسعف
تشـفياً بالضـرب ضـرب	من ظهـر ذيـاك الحمـار

لأبلـــه المســـبب المضـــار

فشمت الجيران بالجحش	والكــل قــالوا ذا جــزاء
مستوجب للضرب ممن	جلداً ولا يبقـي عليـه مـا
لـلْ حمـار جـاز يومـاً	لمثـل هـذا مـن جليـل

م حطـــب يحملـــه للـــدار

لقد فهمتم من كلامـي	وللحمـــار لـــم يكـــن
هلباجـة أحمـق حيـوان	قـد نــال بـالحق جـزاء
لكــن حكمــي بــالتزام	نب أيضاً للذي وجـّهه

حــرس بســتاناً مــن الأطيــار

بعد أن نشر رزق الله حسون "النفثات" في لندن لم نعثر على تجربة سورية في كتاب مستقل واصلتها في القرن التاسع عشر، إلا أننا لمسنا أن حركة تأليف مدرسي متطور قد بدأت دائبة في سورية (بلاد الشام كلها) ومن نماذج هذه الكتب "أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية" للويس صابونجي عام ١٨٦٦، و"النفائس لتلامذة المدارس" من دون مؤلف وهو صادر عام ١٨٨٦، وصولاً إلى الكتاب المهم ذي الأجزاء الستة "مدارج القراءة" لجرجس همام عام ١٩٠٠..

إلى أن جاء جرجس شلحت فوضع التجربة الرائدة الثانية في "النخبة" عام ١٩١٠.

الفصل الثاني
النخبة لجرجس شلحت

كأن جرجس شلحت(١٨٥٦ ١٩٣٨) في كتابه "النخبة من أمثال فنلون" قد تابع رزق الله حسون في نهجه إلى حد كبير،فقد ترجم قصائد الكتاب شعراً ،وبعض الحكايات نقلها نثراً ، وفي المقدمة التي كتبها عكس ثقافته الرفيعة في ذلك الوقت إذ يقول[١]:

"وبعد. فإن الأمثال صناعة سامية سماوية حتى إن الحق سبحانه لم يكلم العالم إلا بالمثال فلو خيّرت الحكمة لما اختارت لها مظهراً غير المثل. ولقد أورد بعضهم السبب في ذلك فقال: عُرض الحكمة عريّة من برد القصة القشيب إنما هو مدعاة الملل والسأم". وعليه فمنذ القديم عني حكماء كل أمة بوضع القصص وأجروها على أفواه البهائم وألسنة الطير ظاهرها فكاهة وأُلهية وباطنها عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وأعظم من اشتهر في ابتكارها الفيلسوف الهندي واضع كليلة ودمنة. ولقمان الحكيم المنسوبة إليه الأمثال العربية.وا يزوب الأديب اليوناني وقد حاك على منواله فادر الروماني. وكريلوف شاعر الصلقة وقد عرّب حكاياته صاحب "النفثات". ولافنتين الشاعر الفرنسوي وقد حاكى نغمته صاحب "الشوقيا " وسواه من فحول الشعراء المعاصرين.

هذا لما كانت أمثال مؤلف تلماك الحَبْر البحر النحرير السيد فنلون رئيس أساقفة كمبراي الخطير لم تنقل إلى لغتنا الشريفة مع أنها عِلق الروائع بل فلق البدائع، وكنت ممن يروم الدخول في دهماء ذلك السواد وورود هذه الشرعة مع الورّاد، رحت على ما أنا فيه من قصر الباع وسقط المتاع أعمل بعونه تعالى على تعريب نخبتها نثراً ونظماً مطرفاً بها أبناء وطني الكرام،وأنا أسأل جهابذة الأدب منهم غضّ الطرف عن الملام إذا عثروا على زلل في النقل وخلل في السبك والسلام ".

إلا أن تجربة جرجس شلحت كانت متقدمة كثيراً من الناحية الفنية على "النفثات" فالشعر فيها أجمل وأسلس، ويبدو لي أن شاعرية شلحت في الأساس أغنى من شاعرية حسون لهذا جاءت "النخبة" حالة أرقى من "النفثات".

وليس غريباً أن تأتي الحكايات التي نقلها نثراً خالية من الزخرفة البلاغية والسجع المقيت، بل نثر متطور على نثر زمانه، ويكفي أن تتأملوا هذا المقطع من حكاية" دبة وزاغ"[٢]

"لقد ولدت دبة ديسماً في القبح والدمامة، حتى كنت لا تكاد ترى فيه صورة حيوان. فهو شنع بشع لا هيئة له.فذهبت به وهي خجلة إلى جارتها أنثى الزاغ وقد كانت تحت أيكة تحدث لغطاً ودويّاً بنقنقتها ونعيقها ولقلقتها. فسلمت عليها وقالت: أعلميني يا صديقتي الثرثارة ما أفعل بهذا المسخ الصغير. فإني مزمعة أن أخنقه خنقاً . فأجابتها المهذار أن: احذري من ذلك كل الحذر."

ويبدو لي أن لرهافة جرجس شلحت دوراً في أن تكون لغته متطورة وحية، فإنه أثبت في بداية كتابه قصيدة مؤثرة فيها حنين إلى الطفولة والبساطة بمعانٍ رقيقة فياضة وروح ما زالت الطفولة حية في حناياها[٣]:

يـا ليتنـي عدت صـغيراً ... إجة بين هتاف وجلبْ
ألاعــب الأحــداث فـــي ... ومعهـم أمشـي الهـوينى
تخلصاً من زمرة زعانف ... َغـة بـين السـراة فـي
أولـئكم ملائـك وهـؤلاء ... ـــاطين غـــدوا فـــي

---

(1) النخبة . ص ٨ .
(2) سا . ص ٩ .
(3) سا . ص ٦ .

إن تنزهت ففي مدرسة	أنشأتها حباً لأبناء
أكرم بها من روضة	تزهو برمان ونخل
قصدي بها إنارة لمعشر	يقدرون قدر أرباب
ويبخسون العلما	وعندهم كل الأماني في
وفاتهم أن يعلموا أن	بين أولي علم وفضل

ويقول في ختامها:

عدنا بحكم الحال نمشي	لما غدا مقدماً فينا
يا حبذا لو نورت	وكنت في التنوير شمعاً

لقد كتب هذه القصيدة عام ١٩٠٢ وأهداها إلى إبراهيم اليازجي، وكم حملت من توثب روحه إلى مجتمع ناهض تسوده روح العلم والتطور.

أما "النخبةفقد حوت خمس حكايات نقلها نثراً وسبعاً نقلها شعراً هي "ثعلبان" و"ثعبان وثعلبان" و"بوم" و"حمام الزاجل" و"أرنب" و"ثعالة" و"نحل"، وقد نظم جرجس شلحت حكاياته على بحري الرجز والرمل.

ومن حكايات "النخبة" التي تعطي صورة عن قدرة الكاتب على القص والحوار والتشويق حكاية "ثعلبان"(٤):

اثنان من ثعالب البيداء	تصاحبا للصيد في
فواحد كان كبير السن	قد غدا أديمه كالشن
وهو شديد البخل لكن	مع ذاك حكمة الحريص
كسه الثاني فتيٌّ غرٌّ	إذ كان لم يحكم نهاه
فدأبه الطيش وهمه	ليس له في غير ذاك من
حتى إذا ما بلغا إحدى	والناس غائصون في سكر
تسللا إلى بيوت القريه	فخنقا بعض الدجاج خفيه
وبعد ذاك انتشب اللجاج	بهما واحتدم الحجاجُ
قال الكبير للصغير: يا ولد	مني النصح وإياك
من زاد عنك عمره يوماً غدا	أعلم منك سنة وأرشدا
فكيف من مرت به الأعوام	هذبت آراءه الأيامُ
حلب الأيام شطر شطراً	ونال في كل الأمور خبرا
سخ له سمعاً وخذ	في كل مسعاك تفز بنجحه
كل بعض ما خصَّك واذهب	معي لنأكل البقايا في غدِ
فإن صاحب الحجى من	لا يكون مسرفاً في ما
قال الصغير: بل وهمت	يته لكن برأيي فخذِ
كلْ ما أصبت كله في	تكفيك من دون طعام

---

(4) سا . ص ١١ .

واعلـم بـأن أينـا عـاد غـدا   يعــرض الــنفس لأشــراك
فصاحب الدجاج لا بد لنا   مرتقب حتى إذا صرنا هنا
فاجأنـا بالضـرب أو بالقتـل   زاء ما جئنا بـه من ختلِ
فبــات كلنــا رهــين حتفــه   كباحـث عـن حتفـه بظلفـه
ذ من غدا مخاطراً بنفسه   منقـر عـن حينـه بضرسـه
هـذا مقـالي فانتصـح فـي   فرب در يلتقـى فـي مزبلـه
وبعـد ذا كـل برأيـه عمـل   قد أبى كلاهما أن يمتثلْ
فالتهم الصغير حتى انتفخا   وكــاد للحظــة أن ينفســخا
فقـام ثـم جـر نفســه إلــى   وجـاره فمــات قبـل يصــلا
أمــا الكبيــر وهـو المعتقـد   نــه الأحكــم والمقتصــدْ
فآب في غد لكي يأكل ما   ذخــره مؤونـــة وينعمـــا
إذا بصــاحب الــدجاج قــد   فــانقض فــي الحـال عليـه
أشــبعه ضــرباً ففاضـــت   فكـان فــي مـأوى الـدجاج

وليس صعباً أن نلاحظ أن شلحت قد تصرف تصرفاً كبيراً في الترجمة عن الأصل، حيث زيادات من مشهور العبارات العربية الخاصة ومألوفها، عدا عن أن النص الأصل مأخوذ عامة من حكايات شرقنا، وليس غريباً عنا في الأساس.

يبدأ الشاعر في "بوم"حكايته قائلاً :

ذات يوم فرخ بوم أبصرا   وجهـه الأغبـر فـي مـاء
خالـه أجمل شـيء نظرا   لـه لم يلف   في الدنيا
قـال فـي الـنفس الغبـي   إن إبَّـان زواجـي قـد دنـا
فرأى الأم أتت فاحتشما   رضاً مازجه بالهجسِ
اتفــاً : كــان رضــاكم   ني من نيله لم أيأسِ
فأجابـت أمـه: يـا ولـدي   أنـت لـي فخـر ومـدعاة
ذا مــا شــخت يومــاً   فـافعلن مـا شئت فـوزاً
إمــلأ الأدغــال نســلاً   لـد البــوم در   ات

ورفض ملك النسور تزويجه، وازدراه، إذ إن فرخ البوم لم يستمع إلى نصيحة أمه، ثم تنتهي الحكاية:

هـذه عقبــى الـذي قـد   مشــى مســتكبراً فــي
عى تيهاً وا عجاباً بما   لـيس فيـه وهـو للأصـل

وضح لدينا أن الشاعر يعمد إلى تقفية متعددة كما في الحكاية السابقة، إذ إنها تتكرر بشكل ثنائي أو ثلاثي، ويعمد إلى تشابه قافية صدر البيت مع صدر البيت الثاني وتفرُّد عجز البيت بقافية مع عجز البيت الثاني وهكذا.

ليس صعباً أن يلمس القارئ الفارق الواضح بين لغة شلحت وحسون فلا تصنعَ يخل بالإيصال هنا، بل إن الكثير من الأبيات والمقاطع قد استطاعت أن تكون أمثلة جميلة على تجربة رائدة في شعر الأطفال عرفها الناس

مطبوعة عام ١٩١٠.

ويبدو أن جمال تجربة شلحت قد جعل الكثير من الكتب المدرسية قديماً تستعين بحكاياته الشعرية، وتقررها على تلاميذها.

الفصل الثالث
د. جميل سلطان

ولد الدكتور جميل سلطان في دمشق عام ١٩٠٩ وتوفي عام ١٩٨٠ودرّس في ابتدائياتها وثانوياتها وجامعتها بعد حصوله على الدكتوراه في فرنسا،وعمل فترة في وزارة المعارف مديراً للتعليم الابتدائي، وأسهم في وضع عدد من كتب القراءة والمطالعة والاستظهار لجميع المراحل. (١)

ألف سلطان عدداً من الكتب منها "جرير" و"الحطيئة" و"صريع الغواني" و"كتاب الشعر" و"شاعر على سرير من الذهب" و"حقوق الطفل"، إلا أن الجانب الريادي لديه هو إسهامه الدؤوب والمتميز في شعر الأطفال.

يعود أقدم نص استطعت العودة إليه لشاعرنا إلى عام ١٩٢٧، حيث وضع الشاعر قصيدتين، الأولى محاورة

---

(1) راجع ترجمته في "الأعلام" للزركلي و"أعلام الأدب والفن" لأمين الجندي .

غنائية، وعنوانها "الولد والعصفور" وقد قام بتلحينها أحد الرواد الأوائل للأناشيد في سورية مصطفى الصواف. وفيها يقول(٢):

غنّ يا عصفوري

وازرِ بالطيور

وأعد سروري

لي بالإنشادِ

العصفور:

خلِّ عنك الوهما

وتلقَّ العلما

يا فتى كن شهما

وامضِ للمدرسه

أما النص الثاني فهو " يا مريض الشم الأسود " ومنه(٣):

يا مريض الشم الأسودْ

هل أقفرت منك الربوع

ما للعلى عنا تحيدْ

هلاّ لها فينا طلوعْ

يا مهبط العز التلِدْ

نلاحظ أن النصين حويا أهم قيمتين كانتا محور فكر النهضة في تلك الفترة، وأعني العلم والوطنية، ولا شك أن في هاتين المحاولتين آثاراً تدلّ على طراوة التجربة وارتباكها من حيث الصياغة والفكرة، وليس في هذا غرابة لأن هذا الفن كان وليداً في الوطن العربي كله.

فيما بعد ستنمو تجربة الشاعر جميل سلطان، وستقترب لغته أكثر من البساطة والسلاسة، وتعكس قيماً متعددة لا تقتصر على العلم والوطنية، أو تغني هاتين القيمتين بطريقة أحدث وأبرع في التناول.

في قصيدة "عش الحمامة" يربط الشاعر بين العش والوطن وضرورة الدفاع عنه(٤):

سمعت حمامة تشدو

على فرع من الشجرِ

فجئت لعشها أدنو

فكانت بهجة للنظرِ

ثم يضيف:

مددت يدي إلى فرخٍ

---

(2) علم الموسيقى . ص ٨٣ .

(3) علم الموسيقى . ص ٩٨ .

(4) الجديد. للخامس. ص٦٧.

أداعب ريشه الغضا

فلم أر غير منقارِ

على كفي قد انقضّا

وفي نهاية القصيدة:

دع الأفراخ والعشا

فلست أخاف من يغشى

وهذه الروح قد رخصت

لدى وطني وما أخشى

وعلى النهج الوطني نفسه يكتب الشاعر قصيدة "بلادي"ولكن من غير أن يدخل فيها رمزاً حيوانياً ، بل يكتب مباشرة بأداء رقيق(٥):

قالوا:أحب بلاد

إليك ؟ قالت: بلادي

أبي وأمي فيها

ومهجتي وفؤادي

بها أقام جدودي

إقامة الأمجادِ

إلى أن يقول:

فكل شبر عزيزٌ

نفديه بالأجسادِ

وقد نذرنا لتحيا

ما قد علا في العباد

فليس في الكون أرضٌ

تفوق شأن بلادي

نستطيع أن نلحظ لغة الشاعر وقد عذبت، فسهلت مفرداته وجمله، وصار أقرب إلى عالم الطفولة، الأمر الذي لا نجده في بداياته، فهو عندما يخاطب الطفل سابقاً كان يمزج بينه وبين الكبير في لهجة عالية الموجة، كما حصل في "أغنية الصغير"(٦):

أنا في سن الصغرْ

لست أعرف الضجرْ

همتي فوق البشرْ

واجتهادي لا يلينْ

أو:

أبذل الروح لمنْ

علموني في الزمنْ

---

(5) الجديد . للثالث . ص ١٢٠

(6) الاستظهار المصور . ص ١٥ .

ولمن يهوى الوطنْ

بين أضلاعي حنينْ

ولا ينسى الشاعر أن يبعث في الطفل شعوره الحماسي بالأمة العربية وأمجادها، وبذلك يكمل دائرة الهدف الوطني والقومي.

والاتجاه نحو مفهوم العروبة يعود إلى مرحلة عطاء الشاعر الأولى عندما كتب عام ١٩٢٧ "يا مربض الشم الأسود"، ومنها(٧):

يا هبة المجد الوطيدْ

يا هزة العرب الحماة

قد نابكم خطب شديدْ

فاستعذبوا كأس المماتْ

فالحر خفاق البنودْ

وفي المحاورة الغنائية "الولد والعصفور" يمزج الشاعر بين مجموعة من القيم، إحداها تمجيد الأمة(٨):

اجتهد طول الزمنْ

ساعياً سعياً حسنْ

ثم صح عاش الوطنْ

ولنعش للأمةِ

ومن بين قصائد الشاعر "عمل الصباح" حيث يتحدث فيها عن السلوك اليومي لطفله، دافعاً إياه إلى الترتيب والنظافة وإشراق الملامح وشكر الخالق(٩):

ألم تنظر إلى شعري

على مهل أسرِّحهُ

وثوبي دائماً بالماء أغسله وأمسحه

ووجهي ما به كدرٌ

ولا شيءٌ يقبحهُ

وثغري كل إصباحٍ

بفرشاتي أصبِّحه

وأذكر نعمة المولى

تعالى من أسبحه

لكن أكثر قصائد الشاعر تدور حول أشياء وأدوات تحيط بالطفل في البيت والمدرسة والشارع، فتتحدث القصائد

---

(7) علم الموسيقى . ص ٩٨ .

(8) سا . ص ٨٣ .

(9) الجديد . للثاني . ص ٣٢ .

عن المدفأة والشراع والمسبحة والديك والدجاجة والقلم والدكان والكتاب، وفي حديثه عن ذلك ينجح الشاعر بعض الأحيان في تقديم ما يريد مع شيء من المرح والطرافة كما في "المدفأة"(١٠):

نفذت للغرفة عاصفة ٌ

حملت معها ريح المطرِ

فهّلَ لنوقدْ مدفأة

ولتسمعْ ألحان الشررْ

* * *

هات الكبريت لنوقدها

ناراً كالبرق إذا برقا

وتجنب لذع شرارتها

فيعود بساطي محترقا

* * *

هيا هيا واجلب حطبا

وانظره بها يغدو لهبا

الجمر يصيح بها ألما

وتزغرد مدفأتي طربا

ولا يترك القصيدة حتى يدخل فيها قمة تربوية غالباً ، ففي قصيدة "الديك" يتحدث عن شكله الخارجي، ثم يتحول تحولاً لطيفاً إلى الإشادة بالنشاط والعمل(١١):

تو َ يجي لونه أحمرْ

جميل حسن المنظرْ

وذيلي ذهب أصفرْ

وفيّ محاسن تذكرْ

إذا ما الفجر قد حانا

ملأت الكون ألحانا

وصحت: نهاركم بانا

لأني لست كسلانا

أنادي:أيها الرجلُ

دع النوم دنا العملُ

فينهض من له أملُ

---

(10) الجديد . للثالث . ص ١٠٢ .

(11) الاستظهار المصور . ص ١١ .

ويحلم من به كسلُ

ولشاعرنا قصيدتان تتحدثان عن الطبيعة حديثاً سهلاً عذباً ، وكأني به قد حاول أن ينوع في الموضوعات التي أراد أن يقدمها للطفل قدر الإمكان، ففي "الحر" يقول(١٢):

قد أقبل الحرُّ

فالجأ إلى الظلِّ

حصباؤها جمرُ

وماؤها يغلي

* * *

والشمس في الشرقِ

تشع نيرانا

كأنها تلقي

للنار عيدانا

* * *

الحر والبردُ

حاجات دنيانا

كلاهما يبدو

خيراً لم َ ح ْ يانا

هنا نكون مع الوصف مترافقاً مع التوجيه الصحي والمعلومة العامة في إطار لا يخلو من تشويقورهافة، أما القصيدة الثانية فهي "الربيع" حيث يغمرها وصف لطيف، وبعض الصور الماتعة(١٣):

ألا غني ألا غني

أيا عصفورة الوادي

وهاتي منك ما يُ غْني

عن الألحان والشادي

* * *

تولَّى موسم المطرِ

وبات الروض ندياًنا

وهذا الزهر في الشجر

حلا شكلاً وألوانا

* * *

تظن الزهر في الفننِ

---

(12) الجديد . للثالث . ص ٢١٨ .

(13) سا . ص ١٦٠ .

إذا ما اهتزّ أو لاحا

فتى في ثوبه الحسن

على الأغصان مرتاحا

ولدى شاعرنا قصيدة تلفت النظر، لأنه من خلالها قدم لوناً يعتمد على الطرافة في الشكل والفكرة، ففي "احزر" نكون مع قصيدة تقدم أحجية، يترك للطفل أن يحزر الكلمة المقصودة، فيقول(١٤):

ما قشرة رقيقةٌ

كأنها فنجانُ

مغلقة داخلها

اللؤلؤ والمَرجان

من مونة البيت

ومما يثمر البستان

ينالها المجدّ

والأديب والكسلان

وأنت تهوي أكلها

فاحزر هي:.....

ويترك الشاعر هذا الفراغ ليملأه الطفل بالطبع بكلمة "الرمان".

إن هذه التجربة تزيد من متعة الطفل، وتشركه في صناعة النص، وتحرك قابليته العقلية، إنها ألعاب شعرية ممتعة إن صح القول.

وللشاعر قصيدة عن أحب الناس إلى الطفل وأكثرهم قرباً منه، حيث سنلتقي مع "الأم" التي يقدمها على هذا النحو(١٥):

حنت عليّ بمهدي

وقد رعتني صغيرا

وحملت في سبيلي

من العذاب مريرا

وغاية القلب منها

بأن أُرى مسرورا

فلست أنكر شيئاً

منها ولست كفورا

---

(14) الاستظهار المصور . ص ٨ .

(15) الجديد . للثالث . ص ١٧٢ .

ولن ترى في صفاتي
مشاكساً أو عسيرا
وسوف أبغي رضاها
طفلاً وشيخاً كبيرا
وليس تسمع إلا
حمداً لها وشكورا

فنحس أن الشاعر كتب قصيدة طفلية حقاً بموضوعها الحنون، ووضوح العبارة فيها، والأسلوب التربوي المناسب داخل الأبيات.

ل‌افلأ ا رعش –

ولجميل سلطان قصيدة لعلها من أواخر ما كتب من تجارب الأطفال، وهي تجري على وزن قصيدة "أمي" السابقة.. إنها "عائدون" وهو نص مكتوب بعناية وشجن، يتحدث عن مأساة فلسطين بصوت تفاؤلي واضح(١٦):

ال المشرد يوماً : ... بـد أنـا نعـودُ
فــــالأرض أرض ... ن يضيع الجدودُ

* * *

الــــروض لــــي ... ساقيات العذابُ
كـــل تـــل وواد ... ـا بــه أحبــابُ

* * *

ويقول أيضاً :

والـدار بـين هدير ... كـي وقفـر ينـوحُ
فمـا بهـن حـديث ... الـدما والجـروحُ

* * *

كفكــف دموعــك ... للحــق شـــاكي
فلـن تعـود بـلادي ... بغيـــر بـــذل

* * *

مـن شــاء بغيــاً ... ـاه حين يجورُ
فـنحن نــار تلظـى ... ـن أمـن ونـورُ

* * *

ـي لأسمع رعداً ... يلقى بـه الهادرونا
يقــول: يــا أرض ... إلـــى الحمـــى

عندما نقيّم القصائد التي كتبها الشاعر جميل سلطان، لا بد أن نضع في اعتبارنا أنها بدايات، لها فضل المحاولة والتأسيس، لذلك فهي نصوص تبدو فيها التجريبية بوضوح، بسبب افتقاد هذا اللون الشعري إلى الانتشار والاتساع، حيث يبدو المحاول فيه يسير في طريق موحشة.

قد نلمس أن الشاعر يستخدم بعض المفردات الصعبة، وأن جملته تشكو قليلاً من كونها جملة للكبار بطولها

---

(16) الجديد . للسادس . ص ١٩٧٥.

أو أسلوبها اللغوي، إلا أن ما يحسب لجميل سلطان كونه استطاع أن يسهم في وضع اللبنات الأولى لشعر الأطفال الحقيقي في سورية، من خلال الفكرة الطفولية والنص السهل والعذب والحامل لعدد من القيم الإيجابية.

إلا أن أبرز نجاح حققه الشاعر في رأيي هو التنوع اللافت في الوزن والقافية، كل هذا في أوزان تعتمد على القصر،وقصيدة الشاعر محدودة الطول دائماً ، لأنه وعى مبكراً أن على النص المكتوب للطفل أن يكون محدود الطول، فأطول نص لا يتجاوز ما فعله الشاعر في "المدفأة" وفي الربيع" حيث يقول:

الأرض خضراء عليها ظل

كقطع السحاب إذ يطل

والزهر مثل الثلج في الأغصان

أو إنه قلائد الحسان

أما باقي القصائد فتتراوح بين تفعيلتين متساويتين، أو تفعيلتين مختلفتين، وهذا يثير الإعجاب لتركيز الشاعر على الإيقاع الراقص السريع، وهو مما يعد من خصائص شعر الأطفال.

فها هو يقول في "مسبحة أبي"معتمداً على مجزوء الرجز:

مستفعلن مستفعلن

مستفعلن مستفعلن

إذ نقرأ له:

رأيت في كف أبي

مسبحة كالذهبِ

تمر في إصبعهَ

كالماء من منبعه

أما في "أغنية الصغير" فقد استخدم تفعيلتي: فاعلاتن فاعلن.

ويستخدم في باقي النصوص تفعيلتين متساويتين كما في الشراع" و"الربيع" و"يا مريض الشم الأسود" و"الديك" و"دجاجتي" و"دكان البيت" و"كتابي" و"المذياع" بينما يختار الشاعر تفعيلتين مختلفتين في "الحر" و"احزر" و"أغنية الصغير" و"القلم المداد".

تبقى مسألة مهمة تخص شاعرنافجميل سلطان لم يأتِ إلى شعر الأطفال مصادفة، لقد رأينا أن محاولاته مبكرة، تعود أولاها إلى كتاب منشور عام ١٩٢٧ وهو كتاب "علم الموسيقى" لمصطفى الصواف، ولكننا نعلم أن الظروف التي تشجع هذا اللون من الكتابة كانت شبه منعدمة، لهذا ظلت إطلالات الشاعر على قصيدة الطفل متباعدة، ولكن دون انقطاع،علماً أن كثيراً من القصائد مبثوث في الكتب من غير إشارة إلى اسم كاتبها.

وقد حيرتني نصوص موجودة في الكتب التي كان الراحل المؤلف الرئيسي لها، فهي مغفلة من اسم الشاعر، وأعتقد أن جميل سلطان هو مبدع هذه القصائدوا ٍذا تركنا جانباً الإحساس الفني فإن هذه الكتب نفسها، إما أن تنص على اسم الشاعر صريحاً أو نقرأ أحياناً تحت القصيدة "ج. س"،أو نقرأ أحياناً "ج" فقط !.

لا أعرف ما هي دلالة هذا الإهمال في نسبة النص إليه شخصياً ، هل كان راغباً عن أن تنسب إليه، وأنه كان يؤدي واجباً تربوياً فقط؟ ربما !.

فمثلاً في قصيدة "المذياع" نقرأ في آخرها حرف الجيم بين قوسين "ج" ونعرف أن الكلام ينتسب إلى أسلوب جميل

سلطان[١٧]:

**أي صندوق حبيب		فنيت فيه كروبي**
**عينه تفتح لكن		يرى أي قريب**

وفيها:

**قوله إن شئت		ــر ُ مســـموع**
**ِذا كـان جهيـراً		جـاء بالصـوت**

لكن في الكتب التي ألفها نجد قصائد لم يسمّ قائلها مع أنها من أنجح النماذج التي تمرّ معنا سواء لجميل سلطان أو لغيره، ونحن –وإن كنا نعتقد بأنها له – لانستطيع القطع بذلك.

ومن أمثلة هذه القصائد التي أعتقد أنها لشاعرنا قصيدة "لكل ما يناسبه" ومنها[١٨]:

**قصــدت الحقــل		ظل الجوز والتين**
**أريـح النفس من		ـرّ بات يؤذيني**

* * *

**وفي الأغصان قد		صغار الجوز من**
**ولليقطين أغصان		ضــعاف فهــي**

* * *

**فهـــذي رخــوة		ـيلاً بالغ الوزن**
**وغصن الجوز لم		ـوى هيْن على**

كذلك قصائد "الحطاب والموت"[١٩] و"احزر"[٢٠] و"يد الفلاح"[٢١] و"المطر"[٢٢] و"رقص الثلج" المميزة[٢٣]:

**ِقصاً رقصاً		طع الثلج**
**هيا غطي		وجه المرج**

* * *

**دوري دوري		العصـــفورِ**
**هيا ارتاحي		فوق الدور**

* * *

**غطــــــي		جه الأرضِ**
كوني فيها الثوب الفضي

لقد اكتفى الشاعر الدكتور جميل سلطان بنشر قصائده في الكتب المدرسية، ولم يحاول أن يصدر مجموعة خاصة به، ولعل أقصى ما فعله هو إصدار مختارات شعرية له ولغيره، كما فعل في كتاب "الاستظهار المصور" الذي شاركه في تأليفه مربيان آخران هما عبد الرحمن السفرجلاني وأنور سلطان عام ١٩٣٢.

(17) الجديد . للسادس . ص ١٨٣.
(18) سا . ص ٧٣ .
(19) سا . ص ١٠٠ .
(20) سا . ص ١٩٩ .
(21) سا . ص ٦١ .
(22) الجديد . للثاني . ص ١٤١ .
(23) سا . ص ١٢١ .

الفصل الرابع
حديقة الأشعار المدرسية للحيدري

على الرغم من الأهمية البالغة لمحاولات شعر الأطفال الأولى في سورية إلا أن ما قدمه عبد الكريم الحيدري[i] كان نقلة نوعية كبرى فيه، إذ امتلك هذا الشاعر موهبة خاصة جعلته يتفهم خصوصية الطفل خاصة أنه أمضى حياته في التعليم، ويعكس ذلك فيما أنتجه من شعر.

وقد نشر الحيدري "حديقة الأشعار المدرسية" في حلب عام ١٩٣٧ عن مطبعة النصر في حلب، ثم أعاد نشرها في وقت آخر على شكل طبعة مزيدة ومنقحة اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، ويرجح أن تكون صادرة في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات.

بالمعنى الفني أرى أن عبد الكريم الحيدري هو الرائد الحقيقي لشعر الأطفال في سورية، وهو في تجربته النوعية يشبه محمد الهراوي في مصر، وأهدى الشاعر كتابه "إلى حضرات رجال التربية والتعليم المحترمين في الوطن العربي الحبيب وإلى أبناء أمتنا العربية المجيدة وبناتها."[١] وقد جاء في مقدمة الكتاب[٢]:

(i) المعلومات التي حصلنا عليها من ابن الحيدري مظفر الحبدري مشكورا ◌َ ◌َ ◌ً .
(1) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٢ .
(2) سا . ص ٣ .

" أبناء الوطن وبناته الأعزاء !

هذه قصائد نظمتها لكم قديماً وحديثاً ، أما قديمها، وهو النزر اليسير، فقد نشرته في "مجلة الطفل ". وما كاد يظهر حتى تهافت عليه نخبة من كبار الأساتذة المؤلفين، ودونوا مختارات منه في مؤلفاتهم.فسرني اختيارهم كثيراً ، إذ دلني على أنني كنت موفقاً في إرضاء ميولكم اللطيفة وأمانيكم الطيبة.

وهذا التهافت امتزج برغبتي الصادقة في تقدمكم، فحملني على أن أجمع قصائدي المدرسية، وأن أنسقها وأخرجها مشروحة في ثوب أنيق.......

ولا تظنوا كتابي هذا محفوظات فقط، بل هو إلى ذلك كتاب مطالعة شائقة، تبعث قراءته في نفوسكم الذوق الشعري الجميل، وتربي فيها ملكة الإنشاء كما تربيها مطالعة القصص والكتب النثرية.

على أن مكتبتكم اليوم أشد حاجة إلى الكتب الشعرية من غيرها لقلة من ينظم الشعر لكم خاصة."

تبرز هذه المقدمة بوضوح الفهم النوعي الجديد لشعر الأطفال، وهو نتاج ما شهدته الثقافة العربية حتى ذلك الوقت من انفتاح على العالم وعناية بالتعليم، وترجمة للكتب الأجنبية، ودخول الثقافة العربية في حوار مع ماضيها وحاضرها. هذا كله دفع إلى ترقي الوعي بما يحتاجه الطفل من أدوات تعبير أدبية تخاطبه على نحو أكثر تطوراً وفهماً .

وشاعرنا كان جم النشاط على ما يبدو في مجال ثقافة الطفل، فقد ألف كتب مختارات مدرسية، وأسهم في قصة الطفل ومسرحه، وبالطبع كان تألقه الكبير في شعر الأطفال، حيث استطاع أن يكتب نصوصاً من أجمل ما كتب للأطفال، الموضوع الوطني يحتل صدارة ما أراد الشاعر غرسه في قلب الطفل العربي،ولا ننس َ أن الحيدري كان يتحدث على الدوام عن وطن عربي، ولم يحصر الوطنية في إطار بلده الأول (سورية). ها هو يقول في "وطني"[٣]:

لا أنثنـــي عـــــن
رم ْ بــه أع ْ بـه ِ
ـن سـكن ِ
مهــــد بحـــــر
إلمــــنن ِ
ما لي له ِحي له ُ
مــع بـدني

حتى إن الشاعر يخص "البضائع الوطنية" بقصيدة يحض فيها على شرائها، والعزوف عن الصناعات الأجنبية.[٤]

وينشد الحيدري في "علمي"قائلاً [٥]:

علمــي المحبـوب إهياً ِ كبرياء ْ
مشــرق الطلعــة لابساً أبهى رداء
رافع الرأس بعنف نحــــو هامـــات
ـدِّ العرب وقوِّ فيهم روح الإخاء

(3) سا . ص ٥ .
(4) سا . ص ٩ .
(5) سا . ص ٤٥ .

. . . .

علمي لا زلت في عز وأمن وصفاء

حاطـك المــولى   مـــا بـــدا نجــم

ويقول في " دعاء العربي"(٦):

ـا إلهــي صــنْ   مـــن إســـاءات

حبُ نـــا النصـــر   ي ميادين الجهادِ

* * *

ر ْ أفكارنا بالعلم: صباح الرشادِ

وعلـــى الحســنى   على حفظ الودادِ

ولأن القصيدة مزيدة على الطبعة الأولى، فإن الشاعر لا ينسى أن يوجه الكلام لـ "إسرائيل" التي كانت قد زرعت في قلب الوطن العربي،لكن بأداء هابط شعرياً :

واحــرق اسـرائيل   ثل إحراق السمادِ

ذاك ســـــــــؤلي   يـا رؤوفـاً بالعبـادِ

ويدعو إلى الاتحاد بين أبناء الوطن وا إلى التآخي بغض النظر عن الدين أو القطر فيكتب في " أنشودة الاتحاد قوة "(٧):

إن التضـامن قـوة   لرجالنـــا وأخـــوة

وكرامـــة مرجـــوة   تـــدع المـــواطن

* * *

أدياننـــا كغـذائنا   ليســـت مجـــال

مـــا دام صـــرف   للمـــوطن الغـــالي

وفي قصيدة "نشيد الوطن" وهي من المزيدات على الديوان في طبعته الثانية، تظهر إشارة أخرى إلى الدولة الصهيونية الوليدة أيضاً (٨):

ِ دْ غدار وغاصب   ـدنا أقدس واجبْ

فـــي الـــوغى نفنـــي   ا في البطش ذكرُ

* * *

عاش جيش العرب   طـاش سـهم الخصـم

وبنو صهيون حاشا   بيننـــا أن يســـتقروا

والملاحظ أن القصائد الوطنية من الناحية الفنية أضعف ما في مجموعة الشاعر، ولا سيما حين يبلغ الأمر حد نظم قصيدتين يمكن أن نعدهما للكبار ببساطة هما "عيد الجلاء" و"تأهب لأخذ الثأر"(٩) ولم يستطع الشاعر أن يدخل إلى المعاني الوطنية من زاوية قريبة من عالم الطفل ولغته.

---

(6) سا . ص ٦٥ .

(7) سا . ص ٦٧ .

(8) سا . ص ٦٩.

(9) سا . ص ٥٤ و ٦١ .

على العكس تماماًمن خشونة التناول ودعائيته العالية يتألق الشاعر في قصيدة "العصفور والطفل" و ينجح في كتابة المؤثر الجميل لغة ومعنى[١٠]:

ودع مـا يفعـل أمانـــاً أيهـــا
أخـــي لا تمـــش
مـد الكـف للـبطشِ
بـأفراخي، يـالعشِ
فرفقـــاً أيهـــا فعيشـي بعد لا
تصور حزن أهليكا
أخفـاك مـ ُخ ْفيكـا
فـــإن الأم تبكيكـــا
فعطفـــاً أيهـــا وعنك الدهر لا

وعلى نحو قريب من هذه القصيدة،ولكن أكثر طرافة ومرحاً نكون مع قصيدة طويلة نسبياً هي "حيوانات الفلاح تستيقظ"[١١]:

قـــد صـــفق الـــديك إنـــي أرى نـــور النجـــوم
هيـا إلـى الأعمـال يـا نوم بعد يقظتـي حرام
فهـب مـا فــي الخـم من طائر وحيوان أهلـي
وارتفع الصهيل والنقيق والســـجع والخـــوار
واختلط النباح بالمواء فـــي الـــدار والهـــدير
كـأن كـل حيـوان كانـا يريـد أن يشـنف الآذانـا
فمـــد فـــي أنغامـــه كمن يريد الفن والقياسا
يـــزعم أنـــه المغنـــي وأن غيـــر صـــوته لا
فـــنهض الفـــلاح مـــن حمد مولاه على معاشهْ
مبتسـماً يقـول: " يـا فإن عندي فرقـة الغنـاء
يسـار فـوراً يطعـم والـوز والحمـام والنعاجا
والكلـــب والهـــرة والثـور والبعيـر والأتانـا
فهمـدت جلبـة شـديده مضـحكة غريبـة فريـده

أفرغت البهائم المجهودا فيها، ونالت أجرها المنشودا مثنية على نشاط الديك ذاك الذي قد صاح "كيكي، كيكي"

وفي "أحدوة الجمال" و"الطيبور" يكتب الشاعر نصين ناجحين مأخوذين من عالم الطفل أيضاً[١٢].

وكما يقترب الحيدري من الطفل وهو يتناول موضوع الحيوانات، فإنه ينجح كذلك عندما يكون العلم والتعليم موضوعاً شعرياً ،فله نصان اشتهرا كثيراً في الكتب المدرسية، الأول بعنوان "حسابي"[١٣]:

---

(10) سا . ص ١٣ .
(11) سا . ص ٤٩ .
(12) سا . ص راجع ص ١٦ و ٢٨ .
(13) سا . ص ٧ .

أعــدُّ فـــي **دراهمـــي فـــي**
أقــول قــرش **واثنـــان بعـض**
ثلاثـــة أربعـــة **إن قروشـــــــي**
وخمسة فستة **فسبعة ثمانيـه**
فتسعة عشرة **أحصـــــــيتها**

والنص الثاني هو "تعلمت القراءة"[١٤]:

قد تعلمت القراءه **ـا طفل صغيرْ**
وتعلمت الكتابـه **فـــي قليـــل مــن**
صـــرت ذا علـــم **وفـــؤاد مســـتنير**
فسروري لسرور **لا يجاريـه سرور**
بِّ وفقتـي وكـن **ـائماً خير نصير**

وللأم كتب الشاعر قصيدتين خاصتين بها، وفيهما سلاسة معهودة تشيع في أكثر قصائد الشاعر، وهما: "عيد الأم"[١٥] و"الأم في المنزل"[١٦] وهي من أنجح تجارب الشاعر لأنها تعتمد على تكرار لغوي جميل تحتاجه قصيدة الطفل، ولم يكن شائعاً في ذلك الوقت المبكر، وقد قدم لها الحيدري بجملة "تلقى مع الحركات التقليدية" وهي تتحدث عن مجموعة مشاهد تتعلق بـ "الأم في المنزل" نختار هذه الأبيات منها:

تطبخ الأكل في **هكذا، هكذا، هكذا**
ق نار غضا تلتهبْ
توقـــد النـــار **هكذا، هكذا، هكذا**
ضيف إليها الحطبْ
مثلمـــا تكـــنس **هكذا، هكذا، هكذا**
شـاط يثيـر العجـبْ
هـــذه بعـــض **عوفيت، عوفيت،**
ـذا حبهـا قـد وجـبْ

وللطبيعة عند الحيدري ست قصائد كاملة تتناول الشجرة والفصول والمطر والحدائق، ولكن الشاعر استطاع في قصيدة "الخريف"أن يقدم نموذجاً متميزاً ،عن الطبيعة إذ قدم هذا الفصل تقديماً خاصاً ، وبهذا اكتسب النص خصوصية، إذ امتزج بتجربة حياتية ملموسة في إطار ضاحك، وأسلوب يعمد إلى القص والحوار والتنوع في البناء اللغوي والإيقاعي، لذا ننقل لكم النص كاملاً[١٧]:

الصـيف ولـى وأتـى **جـوه المعتـدل اللطيـفُ**
وجاء غيم وافر كثيف **كأنـــه قطـن ســـما أو**
غـنم فـي أفقنـا تطـوفُ

---

(14) سا . ص ٨ .
(15) سا . ص ٤١ .
(16) سا . ص ١١ .
(17) سا . ص ٢٥ .

أهلاً بفصل نفعه منيف	**قـد فتحـت فيـه لنـا**
وأقبـل المعلـم الألـوف	**يشدنا ورشده معروفُ**

*   *   *

لم سـرَّ قلبـي حـادث	**في الصـف والصـفُّ بـه**
مـن ذاك أن قـام فتـى	**يصـيح تيهـاً : "إننـي**
إنـي بمـن أطـاعني	**ومـن عصـاني فلـه**

فنـادت الطـلاب: " يا لطيـفُ !"

وفـي الخريـف طابـت	**ثـم ابتلـت أشـجارها**
آه، فـأين الـورق	**وأين أين الظل والرفُ**

لم يبـقَ إلا النـادر الطفيـفُ

إنمـا خطافنـا العفيـف	**والقبـر التـي حواهـا**
هـذي ومـن أمثالهـا	**قـد هـاجرت، لا نالهـا**

إلـى اللقـا.. تهـا الضـيوفُ !

وهناك قصيدة متميزة أخرى هي "حيوانات الفلاح تستيقظأضاف الشاعر إليها هدفاً تعليمياً مباشراً، ففي ثناياها يتعلم الطفل أسماء الأصوات كقول الشاعر(١٨):

وارتفع الصهيل والنقيق	**والسـجع والخـوار**
واختلط النباح بالمواء	**فـي الـدار، والهـدير**

وينهيها الشاعر نهاية عذبة إذ يقول إن الحيوانات في النهاية قد أنهت استعدادها: مثنيةً على نشاط الديك ذاك الذي قد صاح: "كيكي، كيكي"

وفي "حديقة الأشعار المدرسية" عدد من الموضوعات الأخرى مثل الحديث عن الأخ الصغير والفقراء والتوجيهات التربوية والدراجة والأرجوحة والدمية والرياضة.

وفي قصيدة جميلة هي "الملعب" يقول الحيدري(١٩):

أساحة للهو في	**مدرستي مسرحُ**
نلعب في أنحائها	**خفـة ونمـرحُ**
مـن زارنـا فـي	**صـدره ينشـرحُ**

إلى أن يقول:

وصبية قد نظموا	**صفوفهم وأصلحوا**
يجـرون كالقطـار	**والوجـوه بشـراً**
أولهـم يصـفر أو	**يصـيح: "إخـواني**
هـل بعـد هـذا	**فوق أو يفـرِّحُ**
ما أنفـع اللعْـب	**فـي الـدرس كـان**

---

(18) سا . ص ٤٩ .

(19) سا . ص ٢٠ .

ويحسب للشاعر أنه من أوائل من كتب المسرحية أو التمثيلية أو الحوارية للأطفال في الوطن العربيكله، فقد بدأ المسرح الشعري للأطفال الشاعر أحمد شوقي،[٢٠] ثم تابعه محمد الهراوي،ولا نعلم هل سبق الهراوي الحيدري أم تزامنا أم أن الحيدري قد سبقه، فليس لدينا ما يشير بدقة إلى تاريخ تأليف الحيدري لمسرحياته الشعرية والنثرية، ولكنها على الأغلب كتبت ما بين أوائل الثلاثينيات وأواخر الأربعينيات.

إن المسرح ولا سيما المسرح الشعري للأطفال على الأخص خارج خطة هذا البحث، ولكن الإشارة واجبة إلى مساهمات عبد الكريم الحيدري، ففي "حديقة الأشعار المدرسية" عدة حواريات شعرية وفيها أيضاً عدة تمثيليات هي "الأرانب والثعالب" و"فخر العاملين" و"استيقاظ الربيع" و"هزيمة الاستعمار" وهناك نص نثري سماه المؤلف" من ليالي الأندلس" وقال إنه فصل تمهيدي لرقصة السماح".

ولا بد لي من الإشارة إلى أن حديقة الحيدري تحوي نصوصاً للأطفال الصغار جداً، وأخرى للأكبر سناً ، وهذا يتضح من الموضوع وتنوع الأسلوب، ويكفي أن نقارن بين قصيدتي "حسابي" و"العودة إلى المدرسة".

وقد اختار الشاعر أوزاناً قصيرة في الغالب، مما يناسب قصيدة الطفل، ولكنه يفاجئنا أحياناً بما هو خارج خصائص شعر الأطفال فكرة ولغة ووزناً إلى حد أن نقرأ قصيدة على البحر الطويل بعنوان "تأهب لأخذ الثأر" يقول فيها:

راك جزوعــاً لا تنـــي ... وتشكو زمانـاً للأسـافل

ومنها:

رجال الغرب لا درّ درُّهم ... حوا خيم في جيش اليهود
أخا العرب كفكف أدمع الغيظ ... فما في البكا نصر، ولا فيه
أبت سنة الأكوان أن يرحم ... وساً تلظى أو محاجر تدمعُ

إن هذه القصيدة وأمثالها نشاز بارز في قلب مجموعة شعرية رائدة حملت الكثير من إنجازات شعر الأطفال في سورية والوطن العربي كله.

الفصل الخامس
روضة الأطفال لجسماني شقرا[i]

مشاركة المرأة في شعر الأطفال ظلت نادرة، ومن الغريب ألا يكون ضمن اهتمامات شواعرنا كما يتوقع المرء للوهلة

---

(20) يقول عبد التواب يوسف في كتابه الهراوي رائد مسرح الطفل العربي" إن أحمد شوقي "لم يكتب مسرحيات للأطفال" ص ٣٩ .
والحقيقة أنني عثرت على مسرحية شعرية للأطفال لأحمد شوقي في كتاب مدرسي، كما أن الحيدري نفسه معاصر للهرواي وكان المفترض أن يحترس المؤلف من الجزم بالريادة دون اطلاع كاف على التجربة العربية.

(i) جسماني حبيب شقرا (.... – ١٩٤٨) شاعرة من حمص لم نعثر على سيرة وافية لها.

الأولىوفي وقت كان وجود المرأة الشاعرة استثناء في حدّ ذاته،نفاجأ بشاعرة سورية تصدر مجموعة شعرية كاملة للأطفال بعنوان "روضة الأطفال" عام ١٩٣٤، وقد كتب على غلافهانشائد تهذيبية لصغار التلاميذ إناثاً وذكوراً" إنها جسماني حبيب شقرا التي تقول في مقدمة كتابها[(١)]:

"وبعد. فهذا ما اقتطفته يد العناية من بستان القلب الذي يشكر لوالدي تربيتهما الصالحة. ولمعلماتي والمدارس التي بثت في روح التهذيب العناية الناجحة.أزهاراً تنعش الخاطر، وتروق للناظر. في إكساب الصغار من صبيان وبنات. كريم الأخلاق وحميد الصفات.دفعني إلى إبرازها اقتراح وزارة المعارف اللبنانية الجليلة على الأدباء والأديبات إنشاء نشائد لطيفة المغزى. قريبة المعنى. سهلة المبنى. فأعانني في تنسيق غاياتها وتنميق كلماتها شريك حياتي، فجاءت حرية برضا أهل الفضيلة والعلم.

والله أرجو أن تروق للأدباء والأمهات. وينتفع بها الصبيان والبنات. ويصفح أهل العلم عما فيها من الهفوات. وا ٍنما الأعمال بالنيات."

يتضح من هذه المقدمة الصغيرة أن الشاعرة واعية للسمات العامة في قصيدة الطفل،وتكتب انطلاقاً من هدف تربوي واضحوا ٍدراك للشروط الشكلية التي كانت تتعلق باللغة والوزن.

المجموعة أربعون صفحة،وفي كل منها لا يقل عن خمسة عشر بيتاً شعرياً، ويظهر من مقدمة الشاعرة أن المدارس كانت في حاجة ماسة إلى القصائد إلى حد أن طلبت وزارة المعارف من الشعراء أن يزودوها بها،وهو ما يؤكد أن شعر الأطفال في الغالب كان استجابة لغرض تعليمي، وهذا ما جعل البدايات مثقلة بالتعاليم والوعظ والإرشاد وبشكل مباشر.

تبدأ المجموعة بقصيدة "تسبيحة الصباح"[(٢)]:

إله الرحماتِ يـــا جزيـــل
لـك فـي نـور كـــل يـــوم
بـق لـي بابـا وأشـــــقائي
عطهـم عمـراً وصـــــلاحاً

وبوضوح يظهر التوجيه الديني كثيراً في المجموعة، وهو أمر سائد في ذلك الوقتوا ٍن كان يتوجه بشكل عام[(٣)]:

وفـي السـما لنـا ضل من كل أبِ
نعمته أنفس من لابـس ولعــبِ
رحمتــه عظيمــة في كل حين وارده
إذا ارتضــى نلنــا مـن والـد ووالـده

والغناء للأم والأب يتكرر في المجموعة [(٤)]:

نكرم دوماً أمنا ونكـــرم الأب
فهــل لأم وأب بكـــل حـــب
هذا الصنيع أفضلُ

---

(1) روضة الأطفال . ص ٢ .

(2) سا . ص ٣ .

(3) سا . ص ٣٢ .

(4) سا . ص ٧.

ويتجلى الحس التربوي في لهجة المجموعة الخطابية الوعظية المباشرة، بحيث يضيع الكثير من جماليات الصور والتعبيرات المرحة، كما هو مفترض في النصوص الناجحة للأطفال.

ولسنا هنا في معرض مطالبة تجربة رائدة مبكرة بذلك، بل من قبيل الإشارة إلى طبيعة النص الذي كتبته الشاعرة جسماني،لذا سنقرأ على الدوام في المجموعة أبياتاً من هذا النوع(٥):

فـــالألى يبـــدون　　　حســـناً إذ هـــم
يكرمـــون الشـــيخ　　　ـِ مـــوا إذ هـــم

أو(٦):

عنايـــة الكبيـــر　　　شـــاهدة بجـــودة
يحرزهـا كـل فتـى　　　وكـل بنـت قلبهـا
فشـــكر كـــل محســـن
وزارة المعــــــارف　　　تحـــارب الشـــرور
وتنشــــر العلـــوم　　　حتـــى تعـــم الشـــيم
فيا لـها من غاية نبيله

لكن الشاعرية تستطيع مع ذلك أن تحقق من خلال هذه المباشرة والتعليمية قدراً مقبولاً من النجاح، وعلى الأخص عندما تكون السلاسة متوفرة في الصياغة، فيقل التصنع والحشو، ومثل هذا نجده في كثير من المقاطع كقول الشاعرة في"الملابس الوطنية" حيث تحث على الانحياز للبضاعة الوطنية(٧):

دليـــل حـــب　　　لـــبس النســـيج
يبـــدو بـــديعاً　　　وهـــو رخـــيص
. . . .
لنسمع القول　　　حكـــيم دهـــر
من لا يصون　　　لـــن يحـــرز

وفي قصيدة "حياة المدرسة"(٨):

إن حيـــــــاة　　　أشـــهى حيـــاة
فائـدة أكسـبها　　　خيـــر مـــن
. . . .
عن حفظنا الدرس الصغير　ظفـر بـالعلم الكثيـرِ
عـــن قطـــرة　　　يجتمـع البحـر

وتقول الشاعرة في قصيدة "نصائح الصوادح"(٩):

وشـــــــملنا　　　كلؤلـــؤ فـــي

---

(5) سا . ص ٢١ .
(6) سا . ص ٣٥ .
(7) سا . ص ٣٣ .
(8) سا . ص ٢٨ .
(9) سا . ص ٨ .

فــإن أشـــهى   طابــت حيــاة

فـــة البركـــات

. . . .

ومــن يكــون   منا يعز صغيرا

ومــن يكــون   منـــا يجـــل

كمـــا يجــل الأميــرا

ومما يحمد لجسماني شقرا أنها غطت كثيراً من الجوانب المهمة والمتكاملة، فقد تحدثت عن الأبوين والمدرسة والكتاب واللوح والثلج والعام الجديد والمعلمة ومساعدة الآخرين والله والأسرة وغير ذلك، وكأن الشاعرة أرادت أن تزود الطفل بالمجموعة المكونة لِقِيَمه وإحساساته الجمالية، ومن نماذجها الجميلة قصيدة "الثلوج"[10]:

ما أجمل الثلوجا   قد غمرت مروجا

وكل ذي فهم رأى   منظرهـا البهيجـا

ـــبح الله الكـــــريم

. . . .

الـثلج فــي روس   تيجـــان مجـــد

وفـــي الســـهول   والـــدور أثـــواب

ـنح الخيــر العمــيم

. . . .

الـثلج عنـد الأمـم   يـــدعى رســـول

فـــأكرموا وفـــوده   ظفروا بالمغنم

ن رحمـة الـرب العظـيم

إلا أن الملاحظ أن جسماني شقرا لا تقدم لنا قصيدة صافية،حيث ستواجهنا دائماً عبارات ثقيلة الأداء، ومفردات محشوة حتى في النصوص الناجحة قياساً إلى ما في هذه المجموعة، ولو أخذنا قصيدة"الثلج"نموذجاً لقرأنا فيها إضافة إلى المقاطع التي ذكرتها قولها:

الـــثلج حيـــث   خصب عجيب

فتجتلي النـاس   في رغد عيش

ـي حمــى يســر تقــيم

إن هذه المعاضلات الأسلوبية تؤثرسلباً في انطباعنا عن المجموعة، إذ قد تبلغ أحياناً حد الفذلكة الأسلوبية الجامدة كما في قول الشاعرة[11]:

إنا نهب بكورا   مفارقات وكورا

أو[12]:

أبهـــج بــــه   بــــاللحظ قـــد

(10) سا . ص ١٣ .

(11) سا . ص ٨ .

(12) سا . ص ٢٧ .

أو [١٣]:

وأعطيانا لعبا هجْ بها من

أو [١٤]:

ومن يكن في صغر فهو كبيراً جالب
بجْ به بين الورى من سليلْ

وقد تذهب بعيداً في هذه الصياغات الغريبة كقولها[١٥]:

َن شباباً أهل هم شيوخاً

أو [١٦]:

وأقبلت أم بأبنائها تطوف في الروضة بين
إذ شاهدوا الغرسين في كان بما استقام كل

أردت من خلال هذه الأمثلة التدليل على بعض ما يعسر أن يكون نصاً سائغاً أو مفردة أو جملة للأطفال، ففي المثال الأول لا يستطيع الطفل فهم "مفارقات وكورا" لأن صيغة اسم الفاعل العامل عمل فعله قد تصعب على بعض الكبار، وكذلك صيغة التعجب أفعل به، وهي صيغة كلاسيكية بقوة لدرجة أننا لا نستسيغ منها إلا الصيغتين الشائعتين أكرم وأنعم به، والمثالان الأخيران لا يحتاجان إلى تعليق، ففيهما من الحذلقة والحشو الكثير المنفر.

إضافة إلى ذلك فإن ضرورات وزنية ولغوية تكررت في المجموعة مما يدل على خبرة الشاعرة القليلة في فن الأداء الشعري كقولها[١٧]:

ـل مرْ ء بظلمة العيش

أو [١٨]:

فإذا جازيتها حسناً ف حقاً من

أو [١٩]:

حكومة عادلة تنشر من فوقي

أو [٢٠]:

إن الغراس عندها من اقتناها عاش عيش

فكلمات "مرء" و"أوف" و"الأمن" جاءت غريبة مرة وخاطئة لغوية مرة أخرى أما الثالثة فقد حركت للضرورة بحيث انمسخ أصلها في ذهن الطفل.

بقي أن أشير إلى أن الشاعرة نجحت في تلوين بنية أشعار "روضة الأطفال" وزناً وقافية، فجاءت كلها من أوزان

---

(13) سا . ص ٣١ .
(14) سا . ص ٣٥ .
(15) سا . ص ٢٠ .
(16) سا . ص ٣٤ .
(17) سا . ص ١٠ .
(18) سا . ص ٩ .
(19) سا . ص ٢٣.
(20) سا . ص ٣٤.

قصيرة متعددة الإيقاعات والقوافي، ومن نماذج ذلك قولها[٢١]:

لوا الذي لم يذهبِ　　　غِبــة للمكتـبِ
لكسب حسن الأدب　　　ـو الجهـولْ . هـو
ه الشـقاءْ ◌ْ . ه الشـقاءْ

أو[٢٢]:

جميـع مـا يبـدو لعين　　　مــن الثيــاب ومــن
سينقضي انقضاء دهر　　　ِنمـا يبقـى لكـل ذاكرِ
ـــيت حســـنْ . ـــيت حســـنْ

وفي المجموعة حكاية شعرية قصيرة هي "غرسان في روضة" تتحدث عن غرسين أحدهما مستقيم والآخر مائل، ثم تنهي حكايتها لتؤكد دور التربية منذ الصغر[٢٣]:

إن الذي استقام يحكي　　　ولاه عـــزاً نهجـــه
أمـا الـذي مـال ولـم　　　فهـــو رديء نهجـــه
ـيش فـي دنيـاه عيش الـذليلْ

لكن لا يمكننا أن نربط قيمة معنوية بثمن مادي خاصة في نص الطفل[٢٤]:

ككوكــب فـــي　　　ـدرة فـي عنـقِ

أو[٢٥]:

وأدبـي أحسبـه　　　أنفــس كنـــز

أو[٢٦]:

فضـلها مـا عشـت　　　مثـل عقـد الـدر فـي

أو[٧٢]

فوق أوراق حسان　　　حور الغانياتِ

إن اسم جسماني شقرا سيظل محفوراً بقوة في تاريخ شعر الأطفال العربي، لا لأنها من أوائل من شاركوا في هذا اللون الأدبي، بل لأنها شاعرة عربية أصدرت مجموعة شعرية كاملة للأطفال.. بل ربما كانت أول من أصدر مجموعة شعرية مؤلفة وليست مأخوذة عن أصل أجنبي في سورية.

---

(21) سا . ص ٦ .
(22) سا . ص ٢٢ .
(23) سا . ص ٣٤ .
(24) سا . ص ٢٧ .
(25) سا . سا . ص ٢٦ .
(26) سا . ص ٩ .
(27) سا . ص ٩ .

الفصل السادس
شعراء الأطفال حتى الخمسينيات

رزحت سورية تحت وطأة سيطرة عثمانية مباشرة، فنالها ما نالها من سياسات العسف والتتريك، مما نستطيع أن نعرف تفصيلاته في الكتب التاريخية التي تعرضت لهذه المرحلة، إلا أن ما يهمنا قوله هو أن شعر الأطفال كان محاولات نادرة، وعلى شكل حكايات منظومة تهدف إلى التوجيه والتربية، لكن ما إن قامت في سورية الحكومة العربية حتى فتحت البلاد نوافذها على بداية تعليم يضع العربية كلغة قومية في قلب مهماته.

ومعروف أن كوكبة من أدباء بلاد الشام ومربيها قد التفت حول هذه الحكومة الوليدة، وراح بعضهم يضع على عجل قصائد و أناشيد لتلاميذ المدارس، في جو حماسي من الدعوة إلى العروبة وسورية وقيم العلم والحضارة والوحدة الوطنية، في إيقاع موحد تردد لدى شعرائنا الذين أسهموا في هذه التجربة.

ولا بد هنا من أن أشير إلى أنني لا أستطيع في هذه المرحلة أن أميز الكاتب الشامي في فلسطين أو لبنان أو الأردن من الآخر، فقد جمعت الدولة العربية الناشئة مجموعة عملت في دمشق كأبناء سورية، وعندما انهارت الدولة العربية بسبب الاحتلال الفرنسي فإن عدداً من هؤلاء عملوا في العراق أو الأردن أو فلسطين بشعور من يعمل داخل بلده تماماً ..

فعلى سبيل المثال لا أستطيع أن أستبعد مصطفى الغلاييني بل أعده سورياً أصيلاً وهو يعمل في وظيفة رفيعة في ديوان وزارة داخلية الحكم العربي ويكتب الأناشيد والقصائد للأطفال، ومحمد الحوماني اللبناني تنقل في بلاد الشام واستقر طويلاً في الأردن وعز الدين علم الدين اللبناني كان من رجال الثور ة العربية، وخرج مع الحكومة العربية إلى العراق، وعمل معلماً في العراق والأردن وفلسطين، ثم عاد إلى سورية ليصبح عضواً في المجمع العلمي، ويعمل في التعليم، حتى إنه صار مديراً للمعارف إضافة إلى حليم دموس وتيسير ظبيان وعبد الكريم الكرمي وحسني كنعان.. وهكذا..

ونجد كثيراً من الزعماء لا يجدون فرقاً بين بقعة عربية وأخرى، فقد كانت الحركة القومية في صعود شعبي ووجداني عارم.. ألم يكن اللبناني فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية منذ انطلاقتها في الحجاز؟!

لا نغفل أن المساهمات تراوحت بين المشاركة في أنشودة أو أكثر، وبين عشرات القصائد والأناشيد كما لدى المربي الكبير سليم الحنفي الذي يعد من أغزر من كتب للأطفال في مرحلة العشرينيات في سورية، فهو من المعلمين البارزين الذين أسهموا في وضع اللبنات الأولى للتعليم العصري في سورية.

سليم الحنفي

هو مرب وشاعر ومن المساهمين في بداية المسرح السوري، ويرجع إلى أصول جزائرية، وثالوث سليم الحنفي في قصائده الوطن والعلم والعروبة، فها هو ينشد للوطن "أهواك يا موطني"[1]:

أهواك يا موطني مطلع الأقمارْ

(1) مجموعة أناشيد . ص ٢٧ .

وعنــك لا أنثنــي		أجمل الأقطار ْ
* * *
ما لـي أرى أمتي		طريـك بــالأقوال ْ
هـل ترضــى يـا		منهـــا ســـوى
* * *
كم قد سمعنا فتى		ينشــــي بــــك
فــي صـوته قـد		بــل الأســحار ْ
* * *
لكنـــه عنـــدما		يـــدعى إلـــى
يجيب دعني فما		عنـــدي ســـوى
من كان ذا حالـه		فاضـرب بــه يـا
أقوالـــه مالـــه		يبغي ا الأرباح ْ
* * *
لنيـل أوج العلـى		يخلقوا الأسباب ْ
لا المال يكفي ولا		لـيهم الأحساب ْ
إن يطلبوا مرتقى		العلم والأخـلاق ْ
أو لا فهـم للشـقا		يســـــــــعون
* * *
مـن كـان يهـوى		لأمــة الأوطـان ْ
، ترتــقِ تجــلِ		رو هـا الأحـزان ْ

فالغناء للوطن في تلك المرحلة لا يمكن له إلا أن يختلط بالدعوة إلى العلم، أما دعوة العلم فلها مساحة أوسع عند الحنفي كما نجد في قصيدة "علموا"(٢):

علمــوا الــنشء		وانقــذوا الشــعب
إنما النشء تهيا		يطلـــب العلـــم
علمـــوه هـــذبو ه		هـ ّلـــوه للمعـــالي
* * *
أيها الشرقي بادر		فـــإلى كـــم ذا
بالحـــقِ الغـــرب		كتشاف واختراع ْ
حيث تحيا كالثريا		محيـا كـــالهلال ْ
* * *
لا يـــرى شـــيئاً		مـن غـدا ماضـي
لا تـــدع يومـــاً		ن للأوقات قيمـه ْ
ر ْ جد ّ ويوجد		نحـو مجـد فهـو

---

(2) سا . ص ٢٣ .

* * *

يـا فتـى العـرب إن تكـن تبغـي

أو إلـى المـوت إذ لـك المـوت

* * *

من تعلم أو تفهم تقدم كـل حـال

إيـه يـا قـومي موا أبنـاءكم

إلـى المجـد خدموا أوطانكم

حيث نحيا كالثريا م حيًّا كالهلال

وفي قصيدة "العلم" يعكس الشاعر طبيعة النظرة إلى النهوض في ذلك الوقت المبكر، إذ كان الغرب قدوة للنهوض، لهذا فهو يخاطب التلميذ العربي(٣):

يا بن العرب العالي يا بن المجد السامي

رحماك فديتك لا تنم واذهب للدرس بلا

* * *

العلم حياة للوطن يدريه الشهم أخو

غر يبيت على عن مجد العلم مدى

* * *

المدرسة الروض فيها العلم الزاكي

فيها الأدب الوافي تستصرخ أبناء

* * *

بالعلم الغرب لقد وعلى الشرقي به

هل يبقى الشرقي بإزار الجهل مدى

* * *

بالعلم تسود بلا وبه ترقى أعلى

فالجهل يسوق إلى ى ذل وإلى محن

أما في "التلميذ" فنجد الشاعر يميل إلى نبرة هادئة تركز على التعلم دون أن تذهب أبعد من ذلك لهذا ينشد(٤):

أيها الطالب مني اللعب في

وانتشاق الزهر في الروض مع

حسبي العلم فدعني أيها

إنما الألعاب يد الدروس

حيث إن العلم س للنفوس

حسبي

أنا أختار لقومي الغاية العليا

---

(3) سا . ص ١٨ .

(4) سا . ص ٣٠ .

**ولهـــا كـــل		قـد غـدا سـعيا**

حسبي

**وهــب الـــدرس		ـــــة الأرواحْ**

**ويســيف العلــم		تـــل الأتـــراحْ**

حسبي

**درسنا يا صاح		ـطـرب الأسـماعْ**

**مـن فـم الأسـتاذ		ـــرئ الملتـــاعْ**

حسبي

أما الحس العروبي فيظهر مختلطاً بالدعوة إلى العلم على الدوامولا يكف الشاعر عن تقبيح الجهل وا ٍبراز ما يفعله العلم، لا سيما إذا اقترن بالعمل(٥):

**وطـن العـرب أيـا خيـر		ـا أفديك بقلبـي والضـلوعْ**

**نحن في العلم سنغدو في		وكـذا أنـت إلـى أوج العـلا**

**ديننـا العلم وحب الـوطن		فيهمـالعز الـذي لـم يكـنِ**

**نحــن أهــل الجــد أهــل		ليس فينا للمعالي من سلا**

* * *

**نحــن بالمدرســة اليــوم		ـن طلاب علـوم لا جمودْ**

**فهــي مرقانـــا إلـــى أوج		ـ بغيـر العلـم لا عـزّ ولا**

**إيـه قومي إنما أنتم نيام		تطلبون المجد فالمجد مرام**

**كلنا المجد صبٌّ مستهام		نحســن القــول ونجفــو**

وفي الإطار نفسه يقول في " يا بن العرب "(٦):

**يا رجال العرب لبوا داعيا		صـوته المحبـوب أضـحى**

تنـــاموا إنمـــا الوقـــت ثمـــينْ

**آه لـولا الجهـل كنـا أمـةً		فـوق هـام الشـمس نالـت**

**قد كسانا الجهل منه ذلةً		ولهـذا جئـت أدعـو صـبيةً**

ـــلاب العلـــم حينـــاً بعـــد حـــينْ

**من يحب العرب أو يهوى		يطلـــب العلـــم ولا يخشـــى**

**إذ بغيـر العلـم لا تمحـى		فـــإلى أهـــل النهـــى أهـــل**

---

(5) سا . ص ١٢ .

(6) سا . ص ١٤ .

ـغت قـولي فليجيبـوا مسـرعين ْ

وفي نشيد "معشر العرب" دعوة للأحفاد أن يقتدوا بأجدادهم الذين صنعوا حضارة وصل نورها إلى العالم(٧):

معشـــر العـــرب ــى أنــتم نيــام ْ

عـــن نهـــوض ــا النـوم حـرام ْ

* * *

علمونـــا علمونـــا ــ نرقى يا كرام ْ

أو إلـــى المـــوت لى الدنيا سلام ْ

* * *

إيـه يـا قومي ألـم تــذكروا أجــداد ْ

يــوم شــادوا فــي ـع المجد لكم ْ ؟

بقي لي أن أعر ّج أثناء الحديث عن هذا الشاعر المربي إلى لفتاته المهمة في البناء الإيقاعي لهذه القصائد والأناشيد التي وضعها للأطفال.

فقد أدرك حاجة الطفل إلى الموسيقا في القصيدة، أي الاهتمام الخاص بالتنويع في تشكيل الأبيات والقوافي من خلال توزيعها المتقن، فلنتأمل في قصيدة " باب العلا " هذا التقسيم الجميل فيها(٨):

المدرسه باب العلا من يشتهي دخولها ؟

ما أتعسه ! من قال: لا لا أبتغي سيراً لها

فهي الأم فيها ننمو

* * *

يا بن العرب ـ ّ الطلب قد فتحت

عز الأدب فوق النسب لذا دعت

يا بن ودِّ ي خذ بجدٍّ

م ُ ج ْ د ِ للملا

* * *

أجدادكم أبقوا لكم جداً رفيعاً يحد ْ

آباؤكم أعمامكم لأبد ْ

ا ء الجهل ِ عين الذلِّ

ببب القتل ِ والبلا

يندر أن نجد شاعراً يلتفت إلى التفنن الجميل في هذا التوزيع الخفيف لمقاطع قصيدة غنية بالموسيقا. وفعل شيئاً قريباً من ذلك في " تحصيل العلم "(٩):

يـا مـن يبكـي مجـد ويريـق الـدمع مـن

---

(7) سا . ص ٢٥.

(8) سا . ص ٣ .

(9) سا . ص ٢٤ .

فإذا ما كنت أخا جد   وتــود العــود إلـــى

ليــك بتحصـــيل العلـــمِ

نـه التربيـة الحقـهْ   وشـــريف المبـــدأ

فـإذا اسـتوفى منهـا   فـــإلى العليـــاء إذاً

ـمى بالبطــل الشـــهمْ

حسني كنعان

وفي الفترة نفسها برز شاعر آخر هو حسني كنعان، وتتردد قصائده في كتب مدرسية قديمة تعود إلى العشرينيات، وتمتاز قصائد كنعان بأنها كانت أقرب إلى مستوى الطفل من أكثر التجارب التي عاصرته، ومثل الآخرين فقد كان محور كتابته الأساس الدعوة إلى العلم كما في "روضة المدارس":

روضـــة العلـــم   نرتجـــي منـــك
نحـــن عشـــاق   عصـبة المجـد

*   *   *

أمنا سوريا قومي   نشـري أعلامـك
ولطــلاب العلــوم   فــافتح أبوابـك

*   *   *

مـا لنـا أم سـواك   فـــي ابتـــداء
روحنا دوماً فداك   فـــاقبلي منـــا

*   *   *

يـا رجـال العلـم   فتتـاح المعهـد
فـــابن ســـوريا   نتظـار الموعـد

*   *   *

ل ّ يا علم هلالك   نفـــى الليـــل
م ّ سوريا جمالك   ـلا القلب هنـاء

إن مخاطبة سورية الأم، ومطالبتها بفتح أبوابها، وعبارة "هل ّ يا علم هلالك" تجعل طريقة الخطاب أكثر قرباً من الطفل، وأشد حميمية وشعبية من الجزالة القاسية التي كانت تطبع الكتابة في ذلك الوقت.

وفي قصيدة "طلاب العلوم" مزج بين روح العلم والتآخي وبين أبناء الوطن على اختلاف طوائفه، مع الالتفات إلى الوطن وعزه ومستقبله(١١):

ل‌افلأ ا رعش —

نحـــن طـــلاب العلـــوم   ـــرة المســـــتقبل
نزدهـــي مثـــل النجـــوم   ـــي الهزيـــع الأول
بيننـــا كـــل غـــلام   ـــب الأصـــل همـــام
دأبـــه حفـــظ الـــذمام   ـــع كـــل الملـــل
قـــد ألفنـــا الكتبـــا   وعشـــقنا الأدبـــا
ورضـــينا التعبـــا   غبـــة فـــي الأمـــل
لا نبـــالي بـــالمحن   لرزايـــا كـــالمنن
ديننـــا حـــب الـــوطن   ـــم حـــب العمـــل

*   *   *

---

(11) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ١٢ .

حكمـــــت أقلامنـــــا   أن تـــرى أعلامنـــــا
مثمـــــرات للمنـــــى   ـــي ريـــاض الــدولِ
فليعـــــالج داؤنـــــا   ولتمـــــت أعـــــداؤنا
ولتـــــدم أوطاننـــــا   فـــي المقـــام الأفضـــلِ

ويبدو أن حركة الكشافة قد كانت في بدايتها، والحماسة لها على أوجها، وكتب أكثر من شاعر في هذه الحركة التي كانت تضم الأطفال والكبار،وشاعرنا وجه خطاباً مباشراً إلى "الكشاف" في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه(١٢):

ــا الكشـــاف بـــادرْ   وارتـــقِ أوج العلـــى
ـب المجـد وفـاخرْ   كـــي تنـــال المــأملا
لا ترقـــي لا معـــالي   ن جـــدٍّ واجتهـــادْ
ـرْ إلـــى أوج الكمـــال   ـتعش فيــك الـــبلادْ

*   *   *

فرقـــة الكشـــاف هيـــا   للريـــــاض الزاهـــــره
واجتنـــوا رطبـــاً جنيـــاً   مـــن ثمــــار فــــاخره
خـاطبوا فيهــا الطبيعــه   ـم نـــاجوا الكائنـــاتْ
ـي ســـوريا منيعـــه   كــم أبهـــى حيـــاةْ

*   *   *

اطلبـــوا لـــيلاً نهـــارا   ـــل مجـــد تالـــدِ
واهتفـــوا ســـراً جهـــارا   ـــي لســـان واحـــدِ
ـتعشْ ســوريا فينـــا   ـــامة بـــين الـــبلادْ
ـدمْ حصـــناً حصـــينا   دهـــي فـــي كـــل نـــادْ

ومن طرائف تجربة الشاعر حسني كنعان أنه تحت تأثير النص الطفلي كتب قصيدة بلغة "ثالثة" إن صح التعبير، لغة وسط بين الفصحى والعامية وذلك في نشيد الروضة، وقد يكون سبب ذلك على ما يبدو أنها كانت للأطفال الصغار جداً ، وهي قصيدة "نشيد الروضة" (١٣):

روضـــتنا حلـــوه   روضــــتنا زينـــه
روضـــتنا جنـــه   فيهـــا تربينـــا
قولـــوا معانـــا   يلـــي تحيونـــا
تحيـــا روضــــتنا   أمـــاً حنونـــا

*   *   *

نحـــن أطيـــار   فيهـــا نغنـــي
نطلـــب العلـــم   مـــن كـــل فـــن
هيـــا إلينـــا   نفـــرح ونغنـــي
تحيـــا ســـوريا   حصـــناً حصـــينا

*   *   *

(12) مجموعة الأغاريد . ص ١٦ .
(13) موسيقا وأغاريد الطفولة . العقيلي . ص ٦ .

تحيـــا ســـــوريا   أم الــــــــــــــبلاد
مهــــد العلــــــوم   مهــــد الرشــــاد
يـــا رب احميهـــا   مـــن الأعـــــادي
كـــي تبقـــى يومــاً   حــــره مصـــــونا

وكانت للوطن حصة مهمة من تجربة الشاعر مع قصائده للأطفال وفيما كتبه نلاحظ تركيزاً بارزاً على سورية إذ يقول في "النشيد الوطني"[14]:

يـا بـن سـوريا ويـا بـن   عش مـع العلياء عيش
إسـتعد مجـداً عظيمـاً   شاده الآباء قدماً للورى
يـا بن سوريا ويا نسل   إلـزم العلـم تنـل أقصـى
إنمـا العلـم حياة للـوطن   فاغتنمـه واطـرح عنـك

* * *

يـا بـن سـوريا ويـا بـن   جـد واعمـل يـا بـن
إنما الأقوام تحيا بالعمل   لا بجهل وانقسام وكسل
يـا بـن سـوريا تمسـك   ناشراً فـي الشـعب أعلام
لا تقـل طــه وعيســى   كلنـا مـن نسـل قحطان

والشاعر في مقطعين آخرين من القصيدة يركز على سورية، ولكنه كما رأينا لا ينسى ربط ذلك كله بالجذر العربي، وهذا نتاج طبيعي للإحساس العارم بالنهوض السوري والتحديات التي تواجهه، مع الوعي بالقومية العربية الذي أذكته حركة الثورة العربية وأنصارها في بلاد الشام.

ولحسني كنعان قصيدة جميلة أخرى عن الوطن يشيع فيها إيقاع سريع ومعان بسيطة رقيقة وهي قصيدة "محبة الأوطان"[15]:

محبـــــة الأوطـــــان   تـــاً مـــن الإيمـــانْ
أهـــاج لـــي أشـــجاني   مالهـــــا الفتـــــانْ

* * *

أوطاننـــــا البهيـــــه   الغــــادة الأبيـــــهْ
أســـــرتها الزكيـــــه   ـرى بنـــي عـــدنانْ
فهـــم نجـــوم الآتـــي   لجـــــد والثبـــــاتْ
فليـــــدركوا الغايـــــات   لفضـــل والعرفـــانْ

* * *

متـــى تـــرى ســـوريا   ـــــا وللذريـــــهْ
مـــأوى قـــوى فكريـــه   ـيـــي قـــوى الأبـــدانْ

* * *

فمـــا لنـــا ســـواها   أرواحنـــــا فــــــداها
حـــازت عـــلا وجاهـــا   لـــى مـــدى الأزمـــانْ

* * *

(14) المحفوظات العربية . ص ٤٥ .
(15) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢٨ .

فلتبقـــي يـــا أوطـــاني   يـــــدة البلـــــدانْ
صـــنيعة الإحســـــان   ِمــاً فـــي كـــل آنْ

ولشاعرنا قصيدة تعود إلى ما بعد الاستقلال هي "عيد الجلاء" يقول فيها(١٦):

عيد الجلاء عيدنا

عيد الجلا فيه فيه والهنا
فيه انجلا عنا العنا ثم مجدنا

* * *

يا سعدنا بعيــدنا لقد جلا عـدونا
عنا ونلنا حقنـــا وجاءنـــــــــــا

وقد قصدت أن أكتب هذين المقطعين بهذا الشكل ليبدو التنغيم الذي أراده الشاعر لقصيدته حيث امتلأت بالقوافي الداخلية.

جرجس عبد الملك

لم يقتصر عمل المربي جرجس عبد الملك على كتابة شعر الأطفال، بل وضع كتباً تعليمية، فكتابه "سلم القراءة الحديث" بأجزائه الخمسة من أهم الكتب التعليمية التي ظهرت في الوطن العربي في هذه المرحلة، إذ كان واضحاً فيها الاعتماد على مبادئ حديثة وعلمية في النظر إلى مادة التعليم وطريقته، ويكفي أن نطلع على كتابه الآخر "قاعدة السلم" لتدهشنا هذه الأفكار التي تبدو كأنها مكتوبة في أيامنا، وفي هذا الكتاب وجه المؤلف نقداً هادئاً عميقاً إلى طرق تدريس الأطفال في زمنه(١٧).

ويكفي أن نقرأ له هذا التوجيه للمعلم لندرك دقته وعلميته إذ يقول: *"راعِ في إلقائك الدرس مقدرة المتعلمين. اجعل الشرح بسيطاً ليتم فهمه. ومرتباً ليهون حفظه.ومختصراً ليسهل تذكره".*

إلا أن ما يهمنا هنا كونه شاعراً للأطفال إذ سجل نجاحاً كبيراً قياساً إلى الفترة التي عاش فيها، فجرجس عبد الملك من النادرين الذين كتبوا بسهولة وسلاسة وموضوعات طفولية، إلى حد أنه أحد واضعي التجارب الأولى لأغاني ألعاب الأطفال والحواريات، وتلفت نظرنا حتى عناوين قصائده قياساً إلى الآخرين، فله مثلاً "القمر" (١٩):

ـــذا هـــذا نـــور القمــرِ   ـلـــو حلـــو نـــور القمــرِ
ونجـــوم رقصـــت رقصـــت   ريــاً طربــاً حــول القمــرِ

* * *

قمـــر قمـــر بـــدر بـــدر   رحـت فرحـت كـل البشـرِ
يا ما أحلى الخلق الأسمى   ـا مـا أحلـى وجـه القمـرِ

* * *

عندي عندي صور صور   ـــذا شـــجر حلـــو الثمــرِ
أمـــي أمـــي غنـــي غنـــي   ـلـــو حلـــو نـــور القمــرِ

---

(16) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ٥ .

(17) قاعدة السلم . ص ٥ .

(19) مجموعة الأغاريد . ص ٣٣ .

أو "الطابة"[٢٠]:

غنوا دارت هذي الطابه   ضت قفزت مثل الفاره
جاءت تحوي أهلاً فيها   لا ترميها يا بريباره
خذها مني سيد حسني   خذها وادفع ألفي باره
فوق الأيدي قفزت قفزت   غنت قالت إني دره
يا ما أحلى لعبي معكم   أنتم فلكي وأنا الزهره

أو "ترتيب الأوقات"[٢١]:

ساعات اليوم يرتبها   ـل وتنظمها شمس
بالدرس بدأنا في كتب   ن درس درس درس

*   *   *

من بعد الدرس أتى وقت   ـب وذا حلو عذب
نحن الأولاد ينشطنا   ـب لعب لعب لعب

*   *   *

والعامل أيضاً يشتغل   صناعته فله الفضل
الكار سوار من ذهب   ـغل شغل شغل شغل

*   *   *

والشمس متى غابت قالت   ـوم مضى منه قسم
هيا صلوا فالليل أتى   ـوم نوم نوم نوم

وعن الحيوان والطبيعة يكتب قصيدته الجميلة "العصفور" التي يقول في بعض مقاطعها [٢٢]:

يا ليتني طير على   الأغصان في هذي الربى
هيا نغني كلنا   يا مرحبا.. يا مرحبا

و "ترنيمة السرير"[٢٣]:

بهجتي بل نور عيني   أنت محبوبي الصغير
بدر تم في سرير   بالهنا نم يا أمير
وإ ذا ما الشمس لاحت   قم وغرد كالهزار
وابتسم كالزهر لما   تنجلي شمس النهار
يا ملاكاً في سرير   أنت عنوان السلام
ربنا احفظ لي حبيبي   سالماً وقت المنام

لا أشك أن القارئ قد لاحظ التميز في هذه اللغة المفاجئة ببساطتها ورشاقتها، مما يدل على أن عبد الملك صاحب الآراء الفذة في الطفل والتربية قد استطاع أن يقدم نماذج شعرية تؤكد هذا الوعي الذي امتلكه تطبيقياً،

---

(20) سا . ص ٣٦ .
(21) سا . ص ٣٤ .
(22) سا ٣ / ٣٢ .
(23) سا ٣ / ٤٢ .

إضافة إلى غنى الجانب التصويري في قصائده، إلى حد أنه قدم نموذجاً رائعاً يقترب فيه من الشعر المتطور للأطفال في المحاورة بين "الأم والقمر" التي يقول في بعضها[٢٤]:

الأم:

انــزل ولاعــب ولــدي   ا قمـر انـزل بالعجـلِ

ابنـي سـروري مهجتـي   ييت في قلبـي الأمـلِ

القمر:

إنــي أجـول فــي الفضـا   حتـــى أرى كـــل البشـــرْ

كـــل ينــــادي قــــائلاً   أهــلاً وســـهلاً يـــا قمـــرْ

عز الدين التنوخي

عرفت سوريا الشاعر والمحقق والمربي عز الدين علم الدين المشهور بالتنوخي، وقد كان شاعرنا من الرعيل القومي الأول الذي ذاق الكثير من الاضطهاد والمعاناة والتشرد بسبب ذلك، ومع أنه من أبناء لبنان إلا أنه قدم سنوات عمره المعطاءة في الكتابة والعمل والتربية في سورية والعراق.. وترقى في المسؤوليات الرسمية في التعليم إلى حد تسلمه بعض إداراته في سورية، وكان عضواً في المجمع العلمي بدمشق.

تتشابه كتابة الشاعر للأطفال مع تجربة جرجس عبد الملك في كونها انتبهت إلى بعض خصائص قصيدة الطفل، فإلى جانب اللغة والموضوع، أسهم أيضاً وبنجاح في كتابة العديد من قصائد تغنى لألعاب الأطفال، إلى جانب إدخاله للأصوات في ما كتب، كما نلاحظ في "فرخ البط"[٢٥]:

انظـــر فـــرخ الـــبط   ـرخ الـــبط عـــوامْ

ســـابحاً فـــي الشـــط   ينـــــد الأنغـــــامْ

فمـــــــن طربـــــــه   رحـــــاً يميـــــــلْ

ومـــــــن زغبـــــــه   لؤلــــؤ يســــــيلْ

واق   واق   واق   واق

واق   واق   واق   واق

ويبدو أن شاعرنا قد أولى أغاني الألعاب اهتماماً خاصاً ، إذ لم تقتصر محاولته على تجربة واحدة أو تجربتين كما فعل بعض الشعراء، بل وضع نصوصاً عديدة من هذا النوع كما نجد في "يد بيد"[٢٦]:

يـــد بيـــد   ـــد بيـــدْ

هلمـوا دوروا

تــــــرالالا..

ســــــراعاً

يـا لله طيـروا

جيـك جيـك

---

(24) مجموعة الأغاريد ١ / ٤٠ .

(25) الأناشيد المدرسية ٢ / ٥ .

(26) سا ٢ / ١١ .

واضح هنا أن الشاعر تخلى عن الفصحى الكاملة،لما تقتضيه كلمات نص الألعاب أحياناً من ترخص في الفصاحة والإيقاع المألوف كما في "أم عميش"أيضاً :(٢٧)

دوروا دوروا وغنــــــوا　　　واعرف أنت مـن نحـن

بالعصـا يـا أم عمـيش　　　أبحــث عنـــا وفـــتش

* * *

حـزرت، حقـاً، حـزرت　　　هـذا دوري ابعـد أنــت

فتح عينيك وهـات لـي　　　عصـاك ودوروا حـولي

* * *

لا، لا، لا لــم تعرفنـــي　　　أم عمـيش أبعـد عنـي

إلــزم الوســط هنـــاك　　　وانتظرنـــا بعصـــاك

وفي قصيدة مهمة هي " أنشودة الفتاة العربية "يشدّد الشاعر على تعليم الفتاة، ويربط ذلك بنهوض الأمة كلها، مما يدل على إنسانيته وسعة أفقه.. ولا بد أن ننتبه إلى التنويع الموسيقي في هذه الأنشودة، واعتمادها على التكرار، وهي(٢٨):

نحــن أزهــار المعــالي　　　ـــن أغـراس الــوطنْ

فـي حقـول العلـم تنمـو　　　ارجـــــات للوســــنْ

قــد نهجنـــا جاهــدات　　　منـــى خيـــر ســـننْ

ثّ الطيب فوّ احاً على مرّ

ـا خسار الألى يهملون الفتاةْ

إن نقـم نحـن يـنهض بنـا قومنـا

نحـن للأمــة إن حلـت تصـاريف

رهف مـاضٍ بـه تغزى جيوش

نحن للمجد فؤاد　　نحـن للعز

نحن فـي كـف الترقـي　　　أيهـا القـــوم بنـــان

* * *

نحن أنوار الهدى نجلو سحابات

لا نرى للمجد إلا العلم يوماً سلما

علمونـا، علمونـا، حـمٍ بـالعلم

إن فـي الـدار لمجـداً　　　بالمعـالي معلمـا

إن نقـم نحـن يـنهض بنـا قومنـا

خســار الألـــى يهملـــون الفتـــاة

مصطفى الصواف

اسم كبير في التربية الموسيقية في سورية، حيث كان من الرواد الذين درسوا الموسيقا في أوربا ثم عادوا ليمارسوا

---

(27) سا ٢ / ٩ .

(28) سلسلة المحفوظات العربية ٢ / ٢١ .

تأثيرهم الجميل على أجيال من الطلبة،وقد كتب عن الصواف مراراً في الصحف والمجلات والكتب، فالرجل من أوائل المدرسين وواضعي الكتب في مادة التربية الموسيقية.وهو إن لم يكن شاعراً محترفاً إلا أنه حاول كثيراً أن يسد فراغاً أثناء تعليمه وتأليفه، فقد كان بحاجة إلى نصوص سهلة للأطفال، لهذا راح يحاول بنفسه نظم العديد من القصائد ويلحنها وينشرها مع السلم الموسيقي كما نرى في كتابه الرائد "علم الموسيقى" وقصائد الصواف التي عثرت عليها كانت محصورة في الغالب الأعم في هذا الكتاب.

إلا أن ما نظمه الفنان مصطفى الصواف فيه ضعف واضح في الصياغة،نلمسه من الناحية اللغوية والوزنية، إلا أن ما يعوض ذلك، وما يمنح التجربة قوتها هو امتلاكها السهولة والاعتماد على الأصوات والأفكار الطريفة، مما تحتاجه قصيدة الطفل.. إذاً هي تجربة بدت فيها علائم التحديث أكثر، فكانت خطوة أخرى إلى الأمام.

يقول الصواف في "الصباح" (٢٩):

قد أشرق الفجرولاحْ
مستبشراً والديك صاحْ
كوكو.. كوكو

وفي "الطفل في المهد"(٣٠):

نم يا بني إن الليلْ
جاء وقد ولى النهارْ
دو. دو. دو. دو

* * *

نم إن في النوم حياةْ
ترفع من شأن الصغارْ
دو. دو. دو. دو

كذلك في "الموسيقي الصغير"(٣١):

إنني صغير السنِّ
وأنا من هواةالفنِ
فاسمع اللحن مني
دو ري مي فا صول لا سي
غنِّ يا أخا الأمجادِ
غن واستمع إنشادي
إني مطرب شادي
دو ري مي فا صول لا سي

---

(29) علم الموسيقى . ص ٧٦ .
(30) سا . ص ٩٠ .
(31) سا . ص ٨٦ .

إن هذه المزايا التي تحسب للصواف لا بد أنها كانت من خلال اطلاعه على نماذج غربية وألمانية تحديداً حيث درس إذ لم يكن شائعاً بعد أن ينتبه شاعر في العشرينيات إلى هذه الخصائص في شعر الأطفال.

وتحسب للصواف اختياراته لموضوعات قصائده، إذ أكثرها يدل على تخيل وتنوع كما مر معنا.. وكما نجد في "الناعورة"[٣٢]:

هلاّ ترى الفلاحا

وزوجه قد راحا

منشدين طربا

* * *

الكون في سرورْ

يسمع للعصفورْ

لحنه المستعذبا

ويحاول الصواف أن يكتب ما يثير عواطف الأطفال في قصيدة "اليتيم"لكنه يقدم صياغة ضعيفة جداً [٣٣]:

مدوا إلى اليتيم الأيدي

ذا من أقدس الواجباتْ

وكفكفوا دموع الباكي

نيل المراد هل تذكرونْ ؟

ومن المناسب الحديث عن حكايات هذا الشاعر الفنان لأنه كان من المسهمين في الحكاية الشعرية والحواريات، إذ قدم لنا عدداً منها، وبعضها مما اكتسب شهرة لسنوات طويلة بين تلاميذ المدارس في العشرينيات.

النص ذائع الصيت لدى الذين تعلموا في تلك الأيام هو حكاية "الراعي الكذاب" الذي يعود إلى عام ١٩٢٦ ونصه[٣٤]:

ـــذابْ . ـــذابْ

ـه شـــر الصـــحابْ

الكـــذاب. ـــذابْ

ـيس يفلـــح الكـــذابْ

* * *

ـــان زيـــد راعيـــاً

ـــي البـــراري والجبـــالْ

ـــاح يومـــاً باكيـــاً

ـذئب الـذئب يـا رجـالْ

---

(32) سا . ص ٨٩ .

(33) سا . ص ٨٥.

(34) سا . ص ٧٨ .

ـمع القــوم الصــياحْ
ســــتعدوا للكفـــــاحْ
ســـــيوف ورمـــــاحْ
لـــــوب لا تهــــابْ

* * *

وجدوا الراعـي الصـغيرْ | ذبـــاً فيمـــا يـــذيعْ
جــــاً لا يســــتجيرْ | ـاخراً مــنهم جميــع

* * *

ـــــادروه نـــــاقمينْ | ـن فعـــال الكـــاذبينْ
ء ذئب ذات يومْ | قــض علــى الغــريمْ

* * *

ـل الـــذئب الغـــلامْ | جـــزاء الكـــاذبينْ
فالصـــدق خيـــر الكـــمْ | نــوا دومــاً صــادقينْ

ويعيد الصواف نظم حكاية "الغراب والثعلب المشهورة" التي ينهيها بقوله[٣٥]:

لـم يكـد غرابنـا يغنـي
حتـــى رأى قطعـــة
قـــد صـــارت لغيـــره
وهـــو غـــدا صـــفر

أما المحاورات الغنائية فكما في "السعي والعمل" حيث يدور حوار بين الولد والفلاح والحطاب والحداد والطالب، وكل قصائد الصواف مكتوبة وملحنة من قبله[٣٦]:

الولد:

عمي الفلاحْ
دامت لك الأفراحْ
ما لي أراك تعدو في الصباحْ

الفلاح:

إلى حقلي
فمنه أجتني
جلّ قصدي
فأعيش بارتياحْ

ومنها أيضاً :

الولد:

---

(35) سا . ص ٧٥ .
(36) سا . ص ٧٥ .

يا ذا الأديبْ

والطالب النجيبْ

أيالمسيرْ

في ذا الفجر المهيبْ ؟

الطالب:

للمدرسة..

إلى مهد العلومْ

فيها النجاح والنفع للأوطانْ !

وفي أناشيده التي قدمها للأطفال استمرار لأسلوبه الذي عرف به، إضافة إلى اهتمامه بالقيم الوطنية التي كانت شائعة بقوة، لهذا يقول في "يا بن سورية الفتية"(٣٦):

يـا بـن سـورية الفتيـه ـت ذو المجـد الرفيـعْ

فـانهج السـبل القويـه لمـا الوقـت يضـيـعْ

بـــه للعلـــم بـــادرْ

، فجـــر العلـــم لاحْ

إمـــلأ الأيـــام ســـعياً

ايـة السـعي النجـاحْ

نصرة سعيد

علم آخر من أعلام شعر الأطفال في سوريةوهو مربٍ عمل في التعليم ردحاً طويلاً من حياته، لذا كان لديه قصائد وأناشيد ناجحة استطاعت أن تشكل مع الآخرين جزءاً مهماً من هذه التجربة الشعرية والتربوية الجديدة، ومن الجميل أن نجد عنده قصائد كتبت لأعمال مختلفة،فقد نلتقي بما هو خاص للأطفال الصغار جداً كما في "نم يا أخي البوبو "(٣٧):

نم نم يا أخي البوبو منـــي لـــك الحـــبُّ

نـم نـم كفـى تحبـو وليحمـــك الـــربُّ

نـم نـم يـا أخـي

* * *

نـم يـا حبيبـي نـم ـت التلهـي تـمْ

نم يا عيوني، احلم ، يـا فـؤادي اسلمْ

نـم نـم يـا أخـي

* * *

روحـي ارقـد الآنـا فالليل قد آنا

والـنجم قـد بانـا وقـت الكـرى حانـا

---

(36) سا . ص ٩٦.

(37) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ٩ .

نـم نـم يـا أخـي

وكما في "أهوى الغناء" التي تعتمد على إدخال أسماء العلامات الموسيقية والأصوات(٣٨):

أهــوى الغنــاء　　نبـــع التهنـــي
أســلو الغنــاء　　ــــا أغنـــي
دو دو سي سي　　لا لا صـــــول
صول فا فا مي　　مـي ره ره دو

* * *

أهـوى الصـغير　　ثــل البلابــل
عنــد المســير　　ــين الخمائــل
دو دو سي سي　　لا لا صـــــول
صول فا فا مي　　مـي ره ره دو

* * *

نفســي تحــب　　مــا كــان لهـوا
أهــوى اللعــب　　والضـحك أهـوى
هـا هـا هـا هـا　　هـا هـا هـا هـا
هـا هـا هـا هـا　　هـا هـا هـا هـا

وفي قصائد أخرى نجد الشاعر قد رفع من صلابة لغته، وبذلك نرجح أنه كان يفكر في طفل متوسط، أي بين الصف الرابع والسادس تقريباً ، كما في "معهدي" التي يقول فيها(٣٩):

يــا معهــدي يــا فخــاري　　هـــواك مـــلء فـــؤادي
يـــا مرشـــدي ومنـــاري　　قائـــــدي للســــــداد
دم فـــي عـــلا وازدهـــار　　عـــــــزّة لـــــــبلادي
وض العلـــوم الجنيّـــه　　درســـــتي الوطنيّـــه

و "وطني الحبيب"(٤٠):

ـا أرض آبــائي الكــرام　　ا إرث أجـدادي العظـام
أرعـى لـك العمـر الـذمام　　في الحشا أسمى نصيب

ـواك يـا وطنــي الحبيـب

ـــا جنـــة بكمالـــه　　ـــا روضـــة بجمالـــه
ســــهوله وجبالـــه　　يا مـوطن السن العجيب

ـواك يـا وطنــي الحبيـب

مهـد الحضــارة والهـدى　　فــي فخـــار للمـــدى
إذا أتـــاك مـــن اعتـــدى　　ـقي ثـراك دي الصـبيب

---

(38) سا . ص ٣ .
(39) النشيد والموسيقى . الفرا . ص ١٣١ .
(40) سا . ص ١٥٠ .

ـواك يــا وطنـــي الحبيــب ْ

وللشاعر اختيارات تدل على فهم الطفل وما يميل إليه، إذ كتب الشاعر "أنشودة الربيع"ممجداً الطبيعة وواصفاً ما فيها من سحر وجمال(٤١):

الطيـر يشـدو طربـا ـــــرب الحقـــــول ْ

والمـاء يجـري طيبـا ــــين الســــهول ْ

حـــــل الربيـــــع ـــــلوى الجميــــع ْ

وللعيد يكتب نصرة سعيد "أنشودة العيد" (٤٢):

يــا غنيـاً بالأمــاني ؤســـخياً بالتهـــاني

أنت نور في الزمان ـل مــا فيـك جديـد ْ

وفي واحدة من أجمل قصائده وهي "الجمل" يقدم الشاعر قصيدة متفردة في طريقة صياغتها، حيث يعمد إلى المقاطع القصيرة، والجمل الطلبية، والتعجب واستخدام الأصوات والتنويع في المقاطع والقوافي والتفعيلات، هذا إضافة إلى الطريقة المدهشة في الحديث عن الجمل نفسه(٤٣):

من حمل ْ

واحتمل ْ

فيالعمل ْ كالجمل ْ ؟

ما أنفعك ْ !

ما أرفعك ْ !

هوب هوب هوب هوب يا جمل ْ

* * *

أنت سفينة البراري

بلا شراع أو بخار ِ

لولاك سكان القفار ِ

لم يسلكوا عبرالصحاري

مهما يـ َصر ْ

دوماً يـ َسر ْ

في البر ّ في الحر ِّ في القر ّ

ومن مساهمات الشاعر نصرة سعيد المتميزةأيضاً كتابته القصائد الراقصة، والتي تصلح لترافقها الدبكات والرقصات والألعاب كما في "حلقة اللعب"ببنائها الراقص(٤٤):

مــن لعبـــة للعبـــه هذي حياتي الحلـوه

مـن رقصـة لرقصـه يـا مـا أحيلـى السلـوه

بتـــي فلنلعـــب ْ ا رفقتـــي فلنطـرب ْ

نـوا ارقصـوا فـي الحلقـة ِ

---

(41) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٦ .

(42) سا . ص ١٦.

(43) النشيد والموسيقى . الفرا . ص ٩٢ .

(44) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٠ .

مـــن قفـــزة لقفـــزه   ـــذا تمـــام الســـعدِ
مــــن دورة لـــدوره   ـــذا مجـــال الرغـدِ
نلعـــب اللعبـــاتْ   نـــرقص الرقصـــاتْ

نـوا ارقصـوا فـي الحلقـةِ

ـــن نزهـــة لنزهـــةِ   ي غايـــة الآمـــالْ
ن ضحكة لضحكةِ   ي عيشـــة الأطفـالْ
هيـــا بنـــا إخـــواني   ولننشـــد الأغـــاني

غنـوا ارقصـوا فـي الحلقـةِ

ولشاعرنا اهتمام بالحكايات الشعرية، ومثال على ذلك ما كتبه في "الغراب والثعلب" فإن تفصيلات الحكاية معروفة،وأنقل ما قاله الشاعر في الختام على لسان الثعلب مخاطباً الغراب(٤٥):

وقـــال للمخـــدوعِ :   ـــا أبشـــع الطيـــورِ
أشبعت منك جوعي   المـــدح والتكبيـــرِ
نلـــــت مرامـــــي   فاســـمع كلامـــي:
مـن يكثـر المـدائحا   يقصد بها مصالحا

وختاماً فإن نصرة سعيد قد أسهم في القصة الشعرية للأطفال، وبهذا يكون قد قدم للطفل القصيدة والنشيد وشعر الحكايات.

الفصل السابع
شعر الأطفال حتى الخمسينيات

الإسهام في شعر الأطفال شمل أسماء شعرية كثيرة مشهورة أو مغمورة، وقد تراوحت هذه المساهمات بين النتاج الغزير وبين المحاولات المتفرقة أو اليتيمة لهذا أفردت لمن أعطى الكثير حيزاً خاصاً أما في استعراضي هذا فسوف أمرُ سريعاً بالمحاولات الكثيرة التي استطعت الوصول إليها لجميع الشعراء في سورية.

وسأبدأ بالزعيم الوطني المعروف والفنان فخري البارودي. فله عدة قصائد للتلاميذ كانت من الزاد الأول في العشرينيات، وعلى رأسها "نشيد سورية" ونصه(١):

أنت سوريا بلادي   ت عنوان الفخامهْ
كل من يأتيك يوماً   امعاً يلقى حمامهْ

(45) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٩٦ .
(1) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢ .

* * *

أنت سوريا بلادي   في جبين الأرض

لن تكوني لسوانا   لأعداك الندامه

* * *

كم شهيد باع نفساً   ـك حباً وكرامه

جعل النفس فداك   ـلا نحيي مرامه

* * *

نحن في الحرب أسود   لدى العلم حمامه

نطلب الموت لنحيا   هل على هذا

ومن المعروف أن الشاعر فخري البارودي هو مؤلف النشيد الخالد "بلاد العرب أوطاني" ومن المؤكد أن الحاجة إلى الأناشيد الحماسية للكبار خلقت حاجة مماثلة إلى العناية بأناشيد الأطفال، ففي "الكشاف" يقول البارودي[٢]:

سيروا بجد في الملا   وامشوا بنا إلى العلا

فلا تنال الأملا   إلا بجد واجتهاد

ومبكراً كان البارودي من أنصار تعليم الفتاة، ودلالة على ذلك فقد خصص قطعة أرض له هدية لإقامة مدرسة لتعليم الفتيات في بلدته دوما، وقد كتب "أغنية الفتاة"قائلاً [٣]:

يا بني الشام استفيقوا   حسبكم ذاك السبات

عبثاً نيل المعالي   دون تعليم البنات

لا معالي[i] لا مزايا   لا ترقي لا حياة

كل هذا مستحيل   مع جهل الأمهات

نحن لا نحيا بأسر   جاهلات خاملات

إنما نحيا بعلم   يقتضي أسمى الصفات

فإذا أبصرتمونا   فتيات عالمات

فاهتفوا يا قوم بشرى   للبلاد البائسات

وثمة شاعر آخر تردد اسمه في مصادر مبكرة هو أديب التقي، وله ديوان مطبوع، وكان ممن أسهم في كتابة بعض المحاولات الشعرية للأطفال كما في "هبت إلى السعي الطيور"[٤]:

هبت إلى السعي

حت النحل تدور

هبوا للسعي لا تنوا

فالناس بالعلم ارتقوا

---

(2) منتخبات الأناشيد العربية . العقيلي . ص ٤ .

(3) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ٢٩ .

(i) كذا في الأصل .

(4) علم الموسيقى. الصواف . ١٠٨ .

بن المكتبْ   جـــدَّ واتعـــْ
تهـاد ودوامْ   قـي في كل عامْ

وبإحساس قومي جميل وأداء موفق كتب التقي للأطفال "صوت الجدود"(٥):

وطننـــــا ينــــــدبنا   ـعي والجـد الكثيـرْ
أمتنــــــا ترقبنــــــا   أيها الطفل الصغيرْ
أجـدادنا ضـمن اللحـود   ـدعوننا للنهـــوضْ
فاصغوا إلى نـدا الجدود   وعجلــوا أدا ــروضْ
وطننـــا لـــه حقـــوق   ـل حقــوق الوالــدينْ
قعودنـــا عنـــه عقـــوق   ـل عقــوق الأبــوينْ

وقد خص دمشق مدينته الرائعة بقصيدة سلسة وبسيطة بعنوان "روابي قاسيون"(٦):

روابي قاسيونْ   كـل قلـب فيـك هامـا
لمـــا زاد بعـــاداً   ده البعـــد هُ يامـــا

* * *

أنت للطة حـ رزٌ   صـــانك الله دوامـــا
مـا سـما صـخرك   ليحـاذي الـنجم هامـا

* * *

اذكري عهد كرام   ضــربوا فيــك الخيامـا
ينـوا فيـك قبابـاً   نورهـا يمحـو الظلامـا

* * *

رتْ تلـــــــــك   ـي شُـمٌّ تتســـامى
أنها قامت تحيي   مُ عَلاهـا الشـآما؟

وميخائيل الله ويردي شاعر معروف وموسيقي كبير عرفته سورية في النصف الأول من القرن العشرين، وله ديوان كبير وأنيق مطبوع باسم "زهر الربى" إضافة إلى عدة مؤلفات في الموسيقا.

ومن إسهاماته قصيدة "الغناء العربي" يقول فيها(٧):

طلـع الفجـر علـى الفـن الـذي
فـــإذا العهـــد ربيـــع   الـــدنيا ابتســـامْ

* * *

نـردد يـا رجـال العـرب ألحـان الجـدودْ
نصـــنْ خيــر تــراث   هــو رمــز للخلــودْ
فبأنغـــــام حســــان   ثلـــــــــت أدوارهْ

---

(5) مجموعة الأغاريد ٣ / ١٢ .
(6) ديوان التقي. ص ٢٣٢ .
(**) في الأصل: تحول.
(7) أغاني الديار . الصواف . ص ١٠٠ .

بجمـال الشـرق بـاقٍ		يــــــة آثـــــاره ْ

* * *

غنــاء الحـي ّ يـذكي		في الورى أسمى الهم ْ

أن الفن مقياس لأمجاد الأمم ْ

* * *

وكـــأن المجــد روح		ـــدثتنا فـــي المهــود ْ

ليســد ْ فينـــا طمــوح		ـل ّ ماضـــينا يعــود ْ

وفي "العام الجديد" نلمس روحاً إنسانية فياضة لدى الشاعر، حيث تشيع المحبة وروح السلام في تضاعيف الأبيات كقوله(٨):

كلنـا فـي الأر جـار ْ		صـن عهـد السـلام ْ

وبـــــــلاد الله.. ْ		ـر مـا فيهـا الوئـام ْ

هذه الروح الإنسانية تشيع في كل شعره ونشاطه الفني والفكري،إذ يقال إنه كان من المرشحين مبكراً لجائزة نوبل للسلام أكثر من مرة، وعلى المنوال نفسه يكتب في "الوطن" التي تعود إلى عام ١٩٢٠(٩):

وطني هو الأرض التي		عرفـت همـوم حـداثتي

منهـا رشـفت العلـم حتـى نلـت منـه

وخلصت من درسي إلـى عملـي وبـدء

والآن يــا وطنـــي ألســت بحاجــة

، مـن راع ٍ يحـن ّ علـي ّ منـذ

أطعمتنـي الثمـر الشـهي وكنـت دار

وسقيتنـي المـاء الـزلال وفـي هوائك

قسماً سأرعى تربك الميمون طوع إرادتي

فكرامــة الـوطن الــذي أهــواه نــدٌّ

وسـلامة الأرض التـي أحببـت مثـل

وطنــي كبيتــي أبتنيــه وأرض غيـري

هـذا اعتقـادي فلـيكن		يــوم الفخــار قلادتـــي

وتمتاز تجربة ويردي بالأصالة والصياغة السليمة،إذ تخلو من الضعف الإيقاعي والأسلوبي الذي كثيراً ما يمر ّ بنـا عنـد كثيـرين، ومثـال أخيـر علـى مـا قدمـه الشـاعر هـذا النشيد الـذي كتبـه للعلـم منوعـاً فيـه فـي تكوينـات النشـيد المختلفة(١٠):

أمـــة العـــرب تنـــادي		ـا أســودي النـــبلاء ْ

ـــــــــددوا العهـــــــــود ْ

واستبدوا بالجهاد ِ		وادّكـار

---

(8) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٤٦ .

(9) زهر الربى . ص ١٥٩ .

(10) سا . ص ١٦٣ .

ـــــــــــزة الجـــــــــدودْ

ســـر ْ نحـــو العلـــى		ـئـــــام واتحــــــادِ

ــــــــــــأمن المحــــــــنْ

ولــــنكن نــــور المـــلا		ـ عهــد المجـد عـادْ

ـــــا بنـــــي الـــــوطنْ

الشاعر بدر الدين الحامد من أعلام الشعر الكلاسيكي في سورية، وقد يصح أن نطلق على شعره أنه من الكلاسيكية الجديدة، فهو من قلائل أضفوا على الإطار التقليدي الكثير من روح التجديد والتمرد، وقد يكون من مظاهر ذلك التفاته إلى وضع الأناشيد القليلة،والتي كانت زاداً هاماً لتلاميذ المدارس، فله "يا بن سورية تقدم"[١١]:

بن سورية تقدمْ		إجـنِ أثمــار العــلا

وامتعد مجداً قديماً		ـصــار رهنـــاً للبلـــى

و"نداء الوطن"[١٢]:

ـاج فـي الـنفس الشـجنْ		ـــائر فـــوق الفـــننْ

ينــــدب القـــوم وهـــم		ـــي خمـــول ووســـنْ

يــا بنـــي العـــرب كفـــى		ــا لقينـــا مـــن محـــنْ

فاعقـــــدوا نيـــــاتكم		فعــوا هـــذا الـــوطنْ

ـــــــتم الكــــــرامْ		ــا بنـــي الشـــآمْ

ـــا لكـــم نيـــامْ		ـــــى أقـــــامْ

ـــي حمـــاكم والســـكنْ

وكما سبق أن لاحظنا عند الشعراء الذين تحدثوا عن الكشافة فإن شاعرنا له "الكشاف السوري" وهو نشيد حماسي، يعتمد على بحر الرمل والتقفية الثنائيةوا إليكم المقطع الأخير منه[١٣]:

ـ تراعوا من خطوب ومحنْ		ـوالى كيفمـا شــاء الـزمنْ

أنـتم الـذادة عن هذا الـوطن		ـواكم فاسـلكوا خيـر سـننْ

ــذوا العلــم قنـاة وحسـامْ		ـاد الـرأي رمـزاً ووسـامْ

كونــوا فرقـاً بـين الأنـامْ		بنـي يعرب فـالعيش صدامْ

ومن أناشيده الناجحة "نشيد خاص لمدرسة ملجأ الأيتام" لأنه بذل جهداً ملموساً في تكوين شكل تجديدي للنشيد إيقاعاً ووزناً وقوافي ومنه هذا المقطع[١٤]:

دار اليتــــامى دارنـــا		والعلـــم فيـــه نورنـــا

قـــد طـــاب عيشـــنا

وراق وردنـــــــــــــا

---

(11) علم الموسيقى . ص ١٠٦ .
(12) سا . ص ١٠٢ .
(13) سا . ص ١٠١ .
(14) مجموعة الأغاريد ج ١ ص ٤٢ .

وســــــار ذكرنـــــا

بــــــين الأنــــام

ـين الجنــان اليانعــهْ	**ـحر الأغـاني الرائعـهْ**
ـالأذن فيهـا سـامعهْ	**لـنفس فيهـا خاشـعهْ**

قـــد طـــاب عيشـــنا

وكتب الشاعر شفيق جبري ثلاث قصائد للأطفال هي "أغنية المغلول"[١٥] و"مناجاة الطير"[١٦] و"ترقيص الطفلة"[١٧]متأثراً كما قال بما قرأه من شعر الأطفال عند مصطفى صادق الرافعي، إلا أن النماذج التي قدمها جبري تحمل لغة الكبار وهمومهم، إضافة إلى تقليدية واضحة في الأسلوب الشعري، إذ يقول الشاعر في قصيدة "ترقيص الطفلة":

ـميض البـرق فـي ثغركْ	**فـــديت البــــرق والثغـــرا**
وهذا الشعر من سـحركْ	**فمـــن علمـــك الســـحرا؟**
بحار الدر فـي نحركْ	**فضـــحت الـــدر والنحـــرا**
ـا أسـماك فـي طهـركْ !	**لكـــت العـــفّ والطهـــرا**

وكان لخير الدين الزركلي دور بارز في وضع الأناشيد الأولى في سورية، وقد دخلت في وجدان الكبار قبل الصغار كما في نشيد يعود إلى عام ١٩١٢ هو "هيا بنا" ومنه[١٨]:

ـن بنـي العـرب الكـرامْ	**ن شـأننا حفـظ الـذمامْ**
وضيفنا ما إن يضامْ	**ومـــن يضـــيم ضـــيفنا؟**

ونشيد "الفتيان" الذي يقول فيه[١٩]:

الســـــرى للعلـــــى	**ــي ســـبيل الـــوطنْ**

* * *

نحـــــن فتيانـــــه	**رســـــو غابتِ ــــــهْ**
مطلعـــــو فجــــره	**فعــــــو رايتـــــهْ**

و"أجج الضرم"[٢٠]:

ــــضِ واثبـــا	**خطــى ثمـــنْ**
لا مراقبـــــــا	**فلـــة الـــزمنْ**
صـــاح صـــاخبا	**ـــارخ الـــوطنْ**

وفي "أنشودة العامل" نقرأ تجربة فيها عناية واضحة بالتكوين الفني للأنشودة، حيث التنويع ظاهر في كل شيء[٢١]:

---

(15) نوح العندليب . ص ٧ .
(16) سا . ص ٩ .
(17) سا . ص ١٠٧ .
(18) ديوان خير الدين الزركلي . ص ٤٨.
(19) سا . ص ٩٤ .
(20) سا . ص ٣٤٥ .
(21) سا . ص ١٤٥ .

ى العملْ   ى العملْ   ي أملْ   لا عجلْ ؟

سواعد شديده   ونهضة مجيده

وأمة رشيده   جدها جرى المثلْ

*   *   *

الطير في صباحه   سعى إلى رباحِ ه

ينفض عن جناحه   دى التواني والخبلْ

*   *   *

د إلى يد تمدْ   سند إلى سندْ

مل في جد وكدْ   في اغتباط وجذلْ

ولشاعرنا قصيدة بعنوان "أوطاننا"(٢٢) ومنها:

أوطاننا نحيا لها   تديها بالنفوسْ

إن لم نصن ظلالها   طلعت فينا الشموسْ

وقد عرفت دمشق مربياً مشهوراً ذائع الصيت في مطلع القرن العشرين هو الشيخ العلامة عبد القادر المبارك، وقد وضع عدة قصائد وأناشيد للأطفالوا ٍن ساد فيها جو من البناء التقليدي كما نرى في "صوت الوطن"(٢٣):

بن سورية استعد مجد البلادْ   ن طريف مستفاد أو تلادْ

هضاً نحو الترقي بالعملْ   ي ترى أثمار أشجار الأملْ

وقصيدة بعنوان "يا وطني" منها(٢٤):

ا وطني يا أعز البلادْ   أنت كأمي وأبي

ا وطني يا صديق الفؤادْ   عندك أقصى مطلبي

وله قصيدة سماها "أغنية" يتوجه بها إلى الفتاة العربية، يقول فيها(٢٥):

يا بنة العرب الصغيره   بادري نحو العلا

ولتكن بنت الجزيره   زهرة بين الملا

إن أسلافك كانوا   زينة القوم الألى

فليسد نسلك علماً   ليضاهِ (i) الدولا

ووقعت على نص قديم لشاعر اسمه عبد الرحمن قات،كتب قصيدة تقترب كثيراً من مفهوم شعر الأطفال، ولم أعثر له على نص آخر، وعنوان القصيدة "ألعوبة" وهذا نصها كاملة(٢٦):

الطابة الخضراء:

لي طابة ظريفهْ   قد اشتراها لي أبي

---

(22) سا . ص ٣٤٨.

(23) مجموعة الأغاريد . ص ٨ .

(24) سا . ص ١٩ .

(25) سلسلة المحفوظات العربية ١ / ١٤ .

(i) في الأصل : وليضاهي .

(26) مجموعة الأغاريد . ص ٣٥ .

ضراء لونها الحسنْ   يـا فرحـي يـا فرحـي

الطابة الزرقاء:

أمـا أنـا يـا إخـوتي   هـل تعرفـون طـابتي ؟

زرقـاء مثـل بطتـي   ألهـو بها مـع قطتـي

الطابة الصفراء:

وهـا أنـا لـي طابـه   ـصفراء كالليمونـهْ

أعطتنهـا صـباحاً   والـدتي الحنونـه

الطابة الحمراء:

لـي طابـة طيـاره   هـو بهـا مـع سـارهْ

حمـراء مـا أجملهـا   تـنط مثـل الفـاره

الجميع إلى الحمراء:

لـم نـر قطعـاً مثلهـا   حقـاً جميـل شـكلها

الحمراء:

هيـا إذاً هيـا بنـا   نلعـب بهـا جميعنـا

هـا قـد وصلنا الملعبا   يـا مرحبـاً يـا مرحبـا

الجميع:

ذرْ اذر أين الطابهْ   الطابـة ضـاعت لا لا لا

وهناك الشاعر تيسير ظبيان الذي عاش في أكثر من قطر في المشرق العربي، ومارس التعليم والصحافة ومن قصائده "مناجاة الوطن"[27]:

لني أنت الحبيبْ   ـا صـبٌّ كئيـبْ

ذوى غصني الرطيبْ   ـتعش حـراً مصـونْ

ولسليم الزركلي عدة أناشيد مشهورة منها "نشيد الطلاب"[28]:

ـل لاح علـى فجـر الشـبابْ

ـرق الأحلام منضور الشعابْ

ـلأ الـدنيا بألحـان عـذابْ

روعـة الفنـون   ـي إهابـهْ

متعـة العيـون   ـي رحابـهْ

نحـن ذاك الأمـل اللامـع فـي أفق

نحـن ذاك القـبس السـاطع فـي

و"نشيد الكشاف" [29]:

---

(27) الأناشيد العصرية . ص ٤٧ . وفي مجموعة الأغاريد ج ١ . ص ٧ باسم "الوطن السوري" مع تغييرات طفيفة .

(28) أغاني الديار . ص ٩٨ .

فئـدة بأســها مــن حديــدْ
دمغـــة أولعـــت بالجديـــدْ
نريـد الحيـاة نبوغـاً وفنـا ونهوى الحياة فتونـاً وحسنا
تخذنا السلاح سبيلاً وهما
رضـنا الزمــان نشــاطاً
جنحـة مـا تنـي فــي صـعودْ
تحطـم مـا يعتـري مــن سـدودْ
نحب الحيـاة صفاء وبشرا ونبغـي الحيـاة جمـالاً وشـعرا

ووضع إدوار مرقص عدة قصائد وأناشيد للأطفال بشكل مباشر، خاصة أنه كان معلماً مرموقاً ومؤلف كتب مدرسية لشتى المراحل في فترة الثلاثينيات، ومن قصائده "أيها الطفل"(٣٠):

أيها الطفل المفدى أنت مجموع الأماني
أنـت نـور مقدسـي نـه يعيـا القمـرانِ
لـيس أفـق لـك فـي الـــدنيا ولكـــن
والـدا فضـل وحـب جنـو مسـعدان

وله "نشيد ناشئة"(٣١) و"محاورة مدرسية"(٣٢) و"نشيد استقبال مدرسي"(٣٣) و"نشيد مدرسي" الذي فيه(٣٤):

يا بني الدرس استعدوا ن تكونـــوا للـــبلادْ
دأبكــم حــزم وجهــد مـــا الـــدنيا جهـــادْ
إن تكونـوا اليـوم ولـداً فـــداً أنـــتم رجـــالْ
ترتجـي الأوطـان مجـداً نكم بـــاهي الكمـــالْ

ولا تخفى هذه النظرة الذكورية التي ألغت الفتيات من بين "بني الدرس"،فالحديث موجه لمن سيكونون رجالاً.. لا نساء!.

والمربي الكبير والشاعر عمر يحيى حاول في هذا المجال أيضاً ، ولكن ما فعله أشبه بمحاولة شفيق جبري، من حيث ابتعادها عما تتطلبه الطفولة من لغة وعوالم خاصة لهذا جاءت قصيدته "مدرستي" على هذا النحو وهي مكتوبة عام ١٩٣٨(٣٥):

رستي فيـك المعـالي تطلـبُ يـك ينمـو الأمـل المحبـبُ
العلم في روضك معسول الجنى فـــة أغصـــانه والأدبُ
كم من فتـى لولاك ما كـان لـه ي دولـة الأيـام ذكـر يكتـبُ
بـالعلم نبنـي مـا بنـى أجدادنا ـــتعاد الغـــابر المحجَّـــبُ

وله قصيدة بعنوان " ابنتي رفيف " منها(٣٦):

---

(29) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٤٢ .
(30) ديوان إدوار مرقص . ص ٣٠٣ .
(31) سا . ص ١٦٦ .
(32) سا . ص ١٥٠ .
(33) سا . ص ٣٢١ .
(34) سا . ص ١٤٩ .
(35) ديوان عمر يحيى ٢ / ١٠٣ .

رفيــف يــا لمحــة شــعر حافـل
يا بسمة في شفتي   وزهـرة فــي
يا عطر روحي، يا صباي، يا أعز

وأنور العطار واحد من شعراء سورية المجددين، وهو معروف بشعره الرومانسي الرقيق في ديوانه "ظلال الأيام"، وله عدد من القصائد والأناشيد المدرسية منها "الفتوة"[٣٧] و"مدرستي"[٣٨] التي يقول فيها:

مدرســـــــتي مدرســـــــتي   يـــا مطلبـــي ومهجتـــي
لأنـــت موئـــل الصـــبا   ومســـــرحي وروضـــــتي
أيــا ســرحة الفكــر الوارفــه   ســونك منــا ومنــا الطيــور
نفــديك راعيـــة عاطفـــه   سفيك أصدق ما في الصدور

ونحميـك مــن قارعـات الـدهور
عشر ا الأفال
نغنــي وأنــت النشـيد الرقيـق   وأنــت المــرام وأنــت المنــى
حبسنا عليك الـوداد الشـفيق   وعشـنا هـواك فعيشــي لنــا

وجـودي علينــا بضــافي الســنا

مدرســـــــتي مدرســـــــتي   يـــا مطلبـــي وبهجتـــي
لأنـــت موئـــل الصـــبا   ومســـــرحي وروضـــــتي

وله قصيدة اشتهرت في الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية، وهي "الشجرة" التي يقول مطلعها [٣٩]:

نمي على الكون شتى الصور   فأنــت المــرا/أنــت الــوطر
لقد زين الله هذا الوجود   نـي الحقـول وزهـو الشـجر

وفي كتاب "نخبة الأغاريد" لزكريات البيات الصادر عام ١٩٢٥ نصوص عديدة لم يذكر اسم مبدعها، وهو أمر يربك الباحث، فإذا كان يستطيع أن يكتشف بعض كتاب تلك النصوص، فإن الكثير منها يبقى مجهولاً، وهو أمر نلحظه أيضاً في سلسلة المحفوظات العربية بأجزائها الثلاثة الصادرة عام ١٩٢٣ لعبد الرحمن السفرجلاني، وكذلك "الاستظهار المصور" الصادر عام ١٩٣٤.. وتستمر القائمة لو أردنا تتبعها. إننا نترك أمر هذه النصوص لمن يستطيع أن يكشف عن كتابها.

وبعض هذه النصوص تجارب مهمة في شعر الأطفال، كما في "نشيد الدائرة"مثلاً [٤٠]:

امســكوا يــداً بيــد   واركضــوا فــي دائــره
رتبـــوا أرجلكـــم   وهــي فيهــا ســائره

* * *

صــفقوا يــداً بيــد   وقفــوا فــي دائــره
رفرفـــوا أجـــنحكم   كالحمـــام الطـــائره

---

(36) سا ٢ / ٢٢٦.
(37) أغاني الديار . ص ٩٤ .
(38) سا . ص ٩٠ .
(39) ظلال الأيام . ص ٩٠ .
(40) نخبة الأغاريد . ص ١١ .

نلتقي أيضاً خليل مردم في قصيدة طريفة اسمها الدُّ رة" وهي نوع من العصافير، فيصفها بشكل محبب، ويختار هذا الإيقاع الراقص[٤١]:

ا حسنها طو يئره	بروضــــة منــــوره
أيامنـا مـن الظـلال	كالليـالي المقمـره
على ضفاف جدول	مياهــه مثرثــره
منقارهــا وعينهــا	عقيقــة وجـــوهره
وكفهــا خضــيبة	وســاقها مشــمره
تلفتــت مريبــة	مــذعورة منفــره
إلــى عـل وأسـفل	ويمنـــة وميســره
وانتفضــت كأنهــا	قــد بللتهــا مطـره
وذبــذبت بــذيلها	تضـــمه لتنشــره
فتـــارة منقـــره	وتـــارة مصـــفره
ومــن هنــا وههنــا	تــدور دور البكــره
ورجعــت بلحنهــا	معيـــدة مكـــرره

كما عرف عن المربي الكبير د.أمجد الطرابلسي مساهمات في شعر الأطفال، وقد شارك في تأليفه الكثير من الكتب المدرسية في القراءة والمحفوظات، ومن قصائده المشهورة "الطفل القاسي" وهي تشبه قصيدة لعبد الكريم الحيدري في فكرتها[٤٢]:

أيها الطفل وهل أقبح من طفل

ما جنى تر بك حتى ألوان الهمتوم ؟

سمه الأز غب لا ينهض بالخطب

نـزّى فرقاً كالزهر في لفح

أو كغصن مرعش ما ين عصف وهزيم

* * *

أمه يا طفل تبكي ي دجى الليل البهيم

تتمشى فوق أغصان الربى مشي

لم تذق طعم الكرى من جها الدامي الأليم

غاب لا تدري ي و أم بعض الرميم

عد به للوطن الغالي لأم الرؤوم

وارحم الضعف فما يقسو سوى

كن رحيماً إنما الإنسان ذو القلب

---

(41) ديوان خليل مردم . ص ٦٩ .

(42) أزهار الأدب العربي ١ / ٥٩ .

ولفخري أبو السعود قصيدة لطيفة اسمها "القطة"(٤٣):

ادلتهـا الـوداد مـن زمـانِ ـــأكرم الأصـــحاب والخـــلانِ
ـش ّ لـي حـين تراني بشـرا وتعقص الذيل وتحني الظهرا
تمسـح بـي فراءهـا الصـقيلا ترتقـب التربيـت والتـدليلا
ـــا فـــراء نـــاعم كثيـــفُ ـــد ّل مرجـــل نظيـــفُ
ـابنـــا والفـــرش والوســـادُ ـ حجر من شاءت لها مهادُ
ـــام فـــي الظهـــر وكـــل آنِ تسـهر الليـل بـلا أشـجانِ
تجوس في الدار وفي الحديقه تطلـب فـأراً تبتغـي تمزيقـه
مكرمـة حيـث مضـت أميـره عزيـــزة مـــا بيننـــا أثيـــره

وأختم الحديث عن محاولات شعر الأطفال في سورية حتى الخمسينيات بقصيدة رائعة للشاعر بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) وهي بعنوان "البلبل الصريع" وهي مكتوبة عام ١٩٢٢ وفيها يقول(٤٤):

عـاش مـا عـاش طليقـاً فـي ـبـى حسـن ولـون وعبيـرْ
يتغنـــى بأناشـــيد الهـــوى ـمـاً بـالعمر والعمـر قصيرْ
فغـدا اليـوم أسـيراً بعـدما ـن حـراً بـين روض وغـديرْ
مـن لبـاب البـر قـد أطعمتـه ولقـد أرشـفته المـاء النميـر
غيـر أن الطيـر فاضت روحـه بـين حـزن وشـهيق وزفيـر

* * *

أيهـا الصـياد لا تنصـب لـه ـاً واسـمح بتقطيع الشر َكْ
دعـــه حـــراً فلقـــد صـــوره ـلق الكون الذي قد صو َركْ
تعـس الصـياد مـن ذي قـوة ـر َّب الـدنيا طـويلاً وعـركْ
مـذ رأى البلبـل فـي غفلتـه ـو َّب السـهم إليـه وبـركْ
فـارتمى الطيـر صـريعاً وهـوى ـركـا أفراخـه فيمـا تـركْ

في نظرة متمعنة إلى شعر الأطفال الذي شهدته سورية حتى الخمسينيات نلاحظ أن هذا الشعر نشط بتأثير من حركة النهوض الوطني والقومي، ودخول البلاد معترك الانفتاح على التعليم والعلم والعالم، لذا نشط هذا اللون الأدبي على الأخص في العشرينيات و الثلاثينيات، لكنه ركد وتراجع الاهتمام به فيما بعد من قبل الشعراء، لكن الاهتمام سيشهد انطلاقاً جديداً في عام ١٩٦٩ مع ولادة مجلة "أسامة" التي صدرت في ١ شباط من ذلك العام، ونبهت الشعراء من جديد إلى أهمية شعر الأطفال وضرورته.

والتقت مجلة أسامة في هذا الدور بما شاع بعد نكسة حزيران من اتجاه نحو المستقبل، والإيمان بالجيل الجديد إحباطاً ويأساً من الأجيال السابقة، فراح شعراء كثيرون يرون في الكتابة للطفل عزاء ومشاركة وجدانية في صنع الأمل.

---

(43) الكتاب الوحيد . الحبال . ص ٣٠ .

(44) ديوان بدوي الجبل . ص ٤٧٩ .

الفصل الثامن
شعر الأطفال منذ السبعينيات

مر شعر الأطفال في سورية بما يشبه المرحلة الانتقالية فقد انقطع النتاج النشيط في هذا اللون منذ أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين حتى انطلاق مجلة "أسامة"التي دفعت شعر الأطفال كماً ونوعاً إلى الأمام.

ثم عاضدها بقوة ظهور مجلات وصفحات خاصة بالأطفال، كذلك برامج الأطفال في الإذاعة التلفزيون، وبدأت وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في سورية بنشر مجموعات شعرية خاصة بالأطفال، إضافة إلى النشر الخاص. أما المرحلة الانتقالية فكان يملؤها نتاج مأخوذ عن الشعراء المصريين منذ القرن التاسع عشر، مع غياب ملحوظ للنتاج السوري في الكتاب المدرسي، ما عدا المساهمات النشيطة للدكتور جميل سلطان وبعض القصائد اليتيمة لأسماء لا نعرف لها نتاجاً شعرياً أو نثرياً للأطفال كنهاد الطرزي الذي له قصائد جميلة مثل "حان الدرس"[1]:

حـــان الـــدرسُ   الجــــــــرسُ

اســمعوه.. اســمعوه

ســــوته جميـــــلُ   ـــا لـــــه مثيـــلُ

نِ.. نَ.. نُ

هيـــــا نســـــعى   ـــو العلـــــمِ

والعرفان.. لعرفانْ

جــرس يـــرنُ   فـــي الأذن يطـــنُّ

دن.. دن.. دن

---

(1) النشيد والموسيقا . الفرا . ص ٥٣.

أو "الوطن الغالي" لعبد المجيد المشوح[٢]:

ِطني غـال علـيْ ـ شـيء في يدَ يْ

أنـــا محتـــاج إليـــه ـو محتـاج إلـــيْ

* * *

كلمـــا ازداد علـــوا زدت في الكون سموا

من لـه صـار عـدوا ــــته بقــــدمي ْ

ولدت مجلة "أسامة" وعلى صفحاتها درج شعراء كبار وصغار، بعضهم نجح وواصل، وبعضهم نجح ولكنه انقطع، وبعضهم لم ينجح ولم ينقطع!.

شهدت ولادة أسامة عدداً من المساهمين في كتابة شعر للأطفال، فقد نشر العدد الأول قصيدة ناجحة للشاعر حامد حسن هي "الخبز"[٣]:

أنـــا الخبـــز أنـــا الخبـــز ـــا النعمـــى أنـــا الكنـــزُ

إذا مـــا كنـــت فـــي بيـــت يـــــه البيـــــت يعتـــــزُ

أنـــا الخبـــز.. أنـــا الخبـــز

أنـــا المولـــود مـــن حبـــه ـــن المحـــراث والتربـــــهْ

تغربـــــــت وعانيـــــــت ـــن الأســـفار والغربـــــهْ

ـــا المولـــود مـــن حبـــهْ

أنا في الحقل في نيسان مرج

ولمـــا شـــبت شـــالوني ـــد الحاصـــد الأســـمرْ

مـــن الحقـــل إلـــى البيـــدر

ضـيت الضـرَّ مطواعـا كـــل الشـــر والغـــبنِ

سحق الجسم في الطحنِ جـــر النـــار فـــي الفـــرنِ

لأشـــبع كـــل مـــن جاعـــا

ثم توالت قصائد أخرى له مثل "قطي"[٤] و"المظلة" التي منها[٥]:

ترقص كالشيطانه بتلـــة فرحانـــهْ

تســــــبح كالشـــــراع مـــن فـــوق رأس الراعـــي

تقـــول: لـــولا المطـــر اهـــتم فـــيّ البشـــرْ

وعشـــت فـــي الخزانـــه ليلـــــــة مهانـــــــهْ

مغلقـــــة مطويـــــه مهملـــــة منســــــيهْ

لا تفـــــرح المظلـــــه ن لـــم تكـــن مبتلـــهْ

---

(2) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٤٨ .
(3) أسامة العدد ١ – ١٩٦٩ .
(4) سا . العدد ٧٩ – ١٩٧٢ .
(5) سا . العدد ٨٨ – ١٩٧٢ .

ظلـي ارقصـي ظلـي العبـي فـــي المطـــر المنـــكبِ

وله "المنجم"(٦) وهي حكاية شعرية أعاد صياغتها،ثم كتب شعراً وطنياً للأطفال، وعندها نلحظ أن صاحب تلك القصائد الجميلة كتب شعراً خطابياً مباشراً وجافاً كما في "نشيد الفدائي العربي"(٧) و"جبل الشيخ حرمون" التي يقول في بعضها(٨):

ودمشـق دمشـق العربيــه لــم تــرض غيــر الحريــه

تطلــع مـن بـردى بركانــا يغـرق باللهــب الجولانــا

تسـكب فيــه فـوق الـوهجِ نــور المقـل..ودم المهــجِ

شـعبي جيشـي يمشـي زحفا قصـفاً قصـفاً قصـفاً قصـفا

في العدد الأول من "أسامة" كتب الراحل حسيب كيالي المسرحية الشعرية "الديك الصديق" ونشر بعض القصائد، إلا أنني أعتقد أنه أحس بضعف ما قدمه، فكف عن مواصلة التجربة،مع أن في ما قدم حداً مقبولاً من النجاح، كما في حكايته الجميلة "الحب"(٩) وقصيدة في عيد الأم، ونصها(١٠):

في عيد الأمْ
أتقنت الرسمْ
أحسنت الفهمْ
ومعلمتي قالت: " مرحى
هذا إملاؤك قد صحًّا !"
فأتيت أبشر بي أمي
وأقول لها: " لا تهتمي
ماذا أهدي لك في العيدِ ؟ "
قالت: " تهدي لي يا عيدي
أن تأخذ في درس الإملاءْ
أولتىهذا أحلى إهداءْ !"
أرأيتم أعظم من أمي
قولوا لي يا أهل العلمِ ؟

وأسهم نجاة قصاب حسن(i) في شعر الأطفال، فكتب عدداً من القصائد الجميلة، وبعضها مما يلائم الطفل الصغير جداً كما في " الساعة "(١١):

ـك تــك تــك تــكْ

مثـــل الســـاعه ـك تــك تــك تــكْ

إبــــدأ دومــــاً ـــــب وقتـــــكْ

---

(6) سا . العدد ١٨٣ – ١٩٨٢ .
(7) سا . العدد ١٢٦ – ١٩٧٤ .
(8) سا . العدد ١٢٨ – ١٩٧٤ .
(9) سا . العدد ١٥٩ – ١٩٧٥ .
(10) سا . العدد ١٩٧٤ – ١٩٧٦.
(i) المرحومان حسيب كيالي ونجاة قصاب حسن كانا عضوين في أول هيئة تحرير لمجلة أسامة الصادرة في سورية .
(11) الأناشيد . العيسى ص ٤٧٩ .

إنهـــض بــــاكر   إهجــــر نومـــكْ
إغســـل والـــبس   إمـــــلأ يومـــكْ

وله "الشعب العامل"[١٢] و"بلاد الشباب"[١٣] و"أحلامي"[١٤] التي تقول كلماتها:

أحلامـي أن أكبـر أكبـر   نى أصبح طول البابْ
أن أتعلـم مــاذا يعنـي   ـط مكتــوب بكتــابْ
أن تهـديني أمـي لعبـه   سـها أحلـى الأثـوابْ
تأكــــــل مثلـــــــي   تشــــرب مثلـــــي

وتشـــاركني فـــي

والشاعر مصطفى عكرمة من القلة التي بدأت وواصلت كتابة شعر الأطفال منذ أكثر من ثلاثين سنة، وأصدر العديد من المجموعات الشعرية لهم،وقدم الكثير من القصائد الناجحة، وقد نوَّع الشاعر، حتى إنه أراد أن يغطي معظم عوالم الطفولة، وما يريده من قيم لها، وتغلب على نتاجه أجواء دينية، والتفات دائم إلى التراث ورموزه، ولكنه لم يغفل جوانب كثيرة هامة للطفل، فلهمثلاً قصيدة "الهرة" التي تبدأ هكذا[١٥]:

فـي منزلنـا تحيـا هـره   ـقراء وبالشـقرة سـمرهْ
ونـدللها حتـى أضـحت   في الأسرة من بعض الأسره

ومثلها قصيدة "شرطي السير"[١٦] أو "يا سعد" وهي من القصائد الناجحة[١٧]:

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعد   سـاعات نقضـيها نشـدو
أمـواج البحـر تـداعبنا   والمــوج يجــيء ويرتــدُّ

يـا سـعد أتـذكر يـا سـعد

نلهـو ونعـد الأمواجـا   أفواجـاً تتلـو أفواجـا
ونعاتـب أمـواج البحـر   إن ضـج المـوج أو اهتاجا

ا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

ونخط على الرمل الخيلا   واثبـة لا تخشـى الهـولا
وعليهـا (عقبتنـا) يسعى   ليزيل عن الغرب الجهلا

ـا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

كـم بيـت أسسـنا فيـه   هدمـه المـوج ويبنيـهِ
والمـوج يغنينـا لحنـا   أرق اللحـن نغنيـهِ

ا سـعد أتـذكر يـا سـعدُ

---

(12) دليل المعلم . للرابع . أبو السعود . ص ٤٢ .
(13) سا . ص ٩٤ .
(14) دليل المعلم . للأول . أبو السعود . ص ٢٦٠ .
(15) أسامة . العدد ٥٥ – ١٩٧١ .
(16) سا . العدد ٥٦ – ١٩٧١ .
(17) سا . العدد ١٣١ – ١٩٧٤ .

قد عاد الصيف وما عدنا   **يــا ســعد عــلام تأخرتــا**

أرســلت كتــابي للــذكرى   **هــلا يــا ســعد تــذكرتا**

إنــي مشــتاق يــا ســعدُ

كما دخل هذه الحلبة الشاعر المعروف شوقي بغدادي الذي أصدر مجموعتين شعريتين للأطفال فيما بعد هما "عصفور الجنة" و"القمر على السطوح" ومن شعره الجميل "صياد الفراشات" (١٨):

ذهبت كـي أصطاد   **إشـــة جميلـــهْ**

رأيتهـــا هنـــاك   **طيـر فـي الخميلـهْ**

جناحهـــا الرفـــاف   **ضـيء بـــالألوانُ**

بـــالأحمر النـــاري   **لأصـــفر الفتـــانُ**

رأيتهـــا لكننـــي   **ـت كالمســـحورُ**

أرنـو لهـا فـي نشوة   **ـداعب الزهـــورُ**

تركتهـــا طليقـــة   **دور فـــي حبـــورُ**

وكـــل مـــا ربحتـــه   **ـلاوة الشـــعورُ**

أنني مســـرورُ

نهـــا فراشـــةٌ

يلـــة تـــدورْ

وياسر المالح من الأسماء المهمة التي عرفتها سورية في مجال أدب الأطفال، إلا أن نتاجه مكرس كاملاً للإذاعة والتلفزيون في أقطار عربية عديدة، وقد كتب ما يقرب من ثلاثمئة أغنية للأطفال، وكثير منها موجود في مسلسل "افتح يا سمسم" المعروف.

ومن خلال نصين منشورين له نعرف مدى موهبة الشاعر ودقته في التعامل مع شعر الأطفال، كما في "موسيقا الروض"(١٩) و"معرض دمشق"(٢٠) ونصها:

بردى يتدفق بالنورِ

والشام عروسْ

تتهادى بثياب الحورِ

وتضيء شموسْ

ويجيء الناس على موعدْ

من شرق الأرض يجيئونا

من غرب الأرض يجيئونا

وضفافك يا شام الموعدْ

---

(18) سا . العدد ٢١٢ – ١٩٧٧ .

(19) حديقتي . المالح . للثالث . ص ٧٣ .

(20) حديقتي . المالح . للثاني الجزء ٢ ص ١١٨ .

*   *   *

أطفال العالم في بلدي

أهلاً ..أهلاً

هاتوا يدكم شدوا بيدي

أهلاً ..أهلاً

شدوا فالقوة في الوحده

ولنلعب في ضوء القمرِ

نمرح نقفز تحت الشجرِ

ولنزرع للذكرى ورده

إن عناية الشاعر المالح البالغة بتفاصيل قصيدته قلما نجدها عند شاعر آخر، حيث يعمد عن خبرة إلى اختيار اللغة واعتماد الطرافة في الفكرة، ومزج المرح بالقيم.

ممدوح سكاف اسم آخر نشط منذ أواخر السبعينيات في مجال شعر الأطفال، وأصدر مجموعتين هما "شواطئ بلادي" و"نشيد الصباح"وقدم شيئاً جميلاً كما في "حفلة عيد الميلاد"[٢١]:

يا كعكعة عيد الميلادِ

يا جنة روحي وفؤادي

زيَّنك الصلنع بالشمعِ

عشراً تتباكى بالدمعِ

فبرزت حديقة ألوانِ

من أبيض أو أحمر قانِ

وتحلق حولك أحبابي

في مرح حلو جذابِ

وعلى إيقاع النغماتِ

أطفأ سماري شمعاتي

وانهال التقبيل عليا

من جدي، عمي، أبويا

مبروك قالوا يا نسرينْ

عقبى لك بالعيد العشرينْ

وكتابة سمير مراد غزيرة في شعر الأطفال، وقد انحصرت مساهمته في النشر المتواصل في مجلة "أسامة" ومن

---

(21) نشيد الصباح . ص ١٣ .

قصائده الناجحة "أغنية المطر"(٢٢):

يا قطرة المطرْ

يا أثمن الدررْ

هيا تساقطي

وأنبتي الثمرْ

سيلي على الربى

وأنعشي الشجرْ

وزيني لنا الحياة بالزهَرْ

وأبدعي دنى

ولوِّني صورْ

والشاعر وفيق خنسة من الذين قدموا لقصيدة الطفل العديد من التجارب الجميلة، وأصدر مجموعة كاملة من هذا اللون هي "أغاني الطفولة"وتشيع في قصائده الصور والأفكار المجنحة التي لا تسعفها الصياغة المناسبة للطفل حيناً ، ولكنها تنجح حيناً آخر كما في "وطن السنبلة"(٢٣):

عندما جاء الطلجْ

كان قلبي سنبلهْ

قلت أهدي السنبلهْ

لفتى يحرث في حقل بعيدْ

يصنع الفجر الجديدْ

* * *

عندما جاء الصباحْ

كان قلبي قنبلهْ

قلت أهدي القنبلهْ

لفدائي أضاءْ

ومضى نحو السماءْ

كي تعيش السنبلهْ

* * *

عندما جاء الصباحْ

قال قلبي للرياحْ :

---

(22) أسامة . العدد ١٧٦ / ١٩٧٦.

(23) أغاني الطفولة . ص ٩ .

وطني ما أجملهْ !

وقدم الشاعر مصطفى خضر مجموعتين للأطفال هما "دفتر النهار" و"أنشودة الأرض" ومن قصائده الناجحة "شطرنج"(٢٤):

يتقدم الجندي دوماً للأمامْ

والفيل يحرسه ويحرسه الحصانْ

فإذا القلاع تهدمتْ :

خرق المكانْ

ماذا ستفعل بالوزيرْ

والشاه يطويه الظلامْ

احفظ جنودكَ

من يضحي بالصغير

غداً يضحي بالكبير

وانقل حجارك باحتراس واتزانْ

ومعشوق حمزة من الذين أسهموا في كتابة عشرات القصائد للأطفال، وكان الطابع العام لتجربته الاستعجال، وإهمال التدقيق في مكوّنات القصيدة الطفلية،إلا أنه مع ذلك يمتلك حساً طفولياً ، وبساطة في أداء المعاني، وقد أصدر "سلوى تغني" و"أحلى من الوردة" و"عبير وقصائد أخرى" و"شتلة ليلى".

أما الشاعر جمال عبد الجبار علوش فقد بدأ بداية متواضعة، إلا أنه منذ سنوات يكتب نموذجاً من أفضل نماذج شعر الأطفال. ودل نتاج الشاعر على امتلاكه لأدوات النص الطفلي من جميع الوجوه.

أصدر علوش "لمن يغني النهر" و"وطني العربي" وهو غزير الإنتاج حيث ينشر باستمرار في مجلات عديدة، ولكنه على العموم يحافظ على مستوى جيد، من قصائده "لوحة ليلى"(٢٥):

في دفترها

رسمت أشجاراً خضراءْ

رسمت بيتاً

طفلاً يلعبْ

نهراً يضحك فيه الماءْ

قالت:

لا.. لا

ل‌افلأ ا رعش –

(24) دفتر النهار . ص ١٧.

(25) وطني العربي . ص ٣١ .

لم تكتمل الِلحة بعدْ

رسمت ليلى سرب طيورْ

رسمت أيضاً حقلاً أصفرْ

وعلى طرف اللوحة بيدرْ

حام الطير وحار ودارْ

رف ولوح بالمنقارْ

ضحكت ليلى

لم تكتمل اللوحة بعدْ

تحتاج لمن يحمي الحقلا

بعد قليل رسمت ليلى

شيئاً جعل اللوحة أجملْ

ماذا.. ماذا رسمت ليلى ؟

وقد أبدع الشاعر علوش في كتابة القصائد للأطفال الصغار جداً، وهو ما نجده في قصائده المنشورة في مجلة "توته توته" اللبنانية: مثل قصيدة "نجمة وهلال "[٢٦]:

حلو.حلو شكل النجمهْ

دوماً تبدو لي مبتسمهْ

وبجانبها يزهو هلالْ

فضي في شكل الزورقْ

يسبح في الليل ولا يغرقْ

وكذلك قصيدة " عصفور "[٢٧]:

في صبح عذبٍ

مسحورْ

حط على الشرفةِ

عصفورْ

أخرج في فرحٍ

مزمارْ

أسمعنا أحلى

(26) توته توته . العدد ٢٥ / ٢٠٠٢ .

(27) وطني العربي . ص ٧٧ .

الأشعارْ

قال:صباح الخيرِ

وطارْ

وموفق نادر اسم آخر كتب الكثير من القصائد، نشر حتى الآن "الغيمة تمرح" و"نائل يلتقي أباه" و"أنشودة المطر" و"أغنيات بطعم الليمون" و"عصفور الثلج"، وكتب قصائد جميلة مثل "يوم رسمت ريما"(٢٨):

رسمت ريما بالطبشوره

ناراً .. وبيوتاً مهجوره

عادت رسمت فوق الشارعْ

شجراً محروقاً .ومدافعْ

قالتهذي لوحة حربْ

بعد قليل رسمت ريمهْ

نهراً يجري وسط الغابهْ

وطيوراً خضراً وسحابهْ

كتبتْ :

" هذي لوحة ريما "

مرت في الشارع دبابهْ

سوداء تمشي بصلابهْ

فمحت حالاً لوحة ريما

فبكت ريما

قالت همسا:

حسناً ..حسناً

بعد قليلْ

بعد قليلْ

أرسم شمسا

ووليد مشوح كتب مجموعة شعرية للأطفال، قدم فيها قصائد قصيرة، وله مساهمات غيرها، ومن مجموعته "أناشيد المجد" أختار "الأرض"(٢٩):

يا أمنا يا طيبهْ

يا جنة محببهْ

نهديك كل جهدنا

وفيك ينمو كدنا

---

(28) عصفور الثلج . ص ٧ .

(29) أناشيد المجد . ص ٣٢.

يا أرضنا يا طيبه ْ

يا جنة محببه ْ

نسقيك من ماء الفرات ْ

فأنت تعنين الحياةْ

أبناؤك الشم الأباةْ

قد ورثونا التجربه ْ

يا أرضنا يا طيبه ْ

يا جنة محببه ْ

ونشر خير الدين الوائلي عدة مجموعات شعرية داخل سورية وخارجها، وأكثر قصائده ذات طابع ديني صرف، ويعمد إلى التوجيه المباشر الخالي من الجماليات الشعرية، ومع ذلك فقد قدم عدداً من القصائد المقبولة مثل "محفظتي"(٣٠):

محفظتي معلقه	**تفــي منمقــه ْ**
صديقة الذهاب	**يقــة الإيــاب**
غلافهــا ملــون	**قفلها محصن ُ**
قبضـتها متينـه	**جيوبهـا أمـه ْ**
أحفـــظ فيهـــا	**ودفتـري ولعبـي**
فـــي جيبهـــا	**تغـــرق فــــي**
أحملها بلا تعب	**فالصـــبر طبـــع**
الجـــد والنظـــام	**لو بــه الأيام ُ**

ومن التجارب اللافتة ما قدمه الشاعر ركان الصفدي من خلال ما نشره في مجلة "أسامة" منذ أواسط الثمانينيات، ومجموعتيه " النافذة" و"أحلام أنمار" وقصائده تمتاز بمتانة البناء والسلاسة، مع كونه مقلاً في الكتابة والنشر.

ومن قصائده "المعول" التي منها(٣١):

غنى،غنى هذا المعول ْ

تدعونا الأرض لكي نعمل ْ

كم حطمت عليها الصخرا

أفرشها أعشاباً خضرا

أو أزهاراً تنشر عطرا

* * *

غنى،غنى هذا المعول ْ

سوف يصير العالم أجمل ْ

و" أغنية الصباح "(٣٢):

---

(30) ديوان حكايات الأطفال . ص ٧٤ .

(31) النافذة . ص ١٩ .

دم دم.. تك تك.. دم دم. تاكْ

ترنو الشمس من الشباكْ

طلع الصبحُ

يا أطفالْ

هيا نصحو

كالأبطالْ

ننهض من هذي الغفوه

نحو المدرسة الحلوه

نبني أحلام المستقبلْ

كي تصبح دنيانا أجملْ

ننشد: تك تك.. دم دم. تاكْ

نزرع هذا الوطن الغالي

ورداً وندوس الأشواكْ

ومحمد منذر لطفي ممن أولوا شعر الأطفال اهتماماً خاصاً ، فنشر في "أسامة"كثيراً ، وأصدر ثلاث مجموعات هي "القمر يغني للأطفال" و"أغنيات الفصول الأربعة" و"من رأى العمال" ويتراوح ما قدمه بين نجاح وبين نظم سريع فلا يقدم لمسة خاصة في تكوين القصيدة، و"أنا نجار قدير" من القصائد الجيدة (٣٣):

أنــا نجــار قــدير   نـع الشـيء الكثيرْ

أصنع الكرسي والشباك واللوح

دتي قاطعة ثاقبـة متر حديدْ

ومسـامير وألـواح مـن الغـاب

عدتي مطرقتي تشدو ومنشار

إننـي أعمل كـي أهنأ بـالعيش

إننـي أتعب كـي أعطي بـلادي

ــي أشــقى لأبنــي عشــيَ

هكـذا أحيـا ويحيـا   ـل نجــار قــديرْ

هكـذا أحيـا ويحيـا   ـل نجــار قــديرْ

ومن الذين أسهموا في هذا المجال أسعد الديري الذي أصدر "أناشيد لبراعم الوطن" و"أغاريد" ونشر في أكثر من مجلة، وشعره غزير يعاني التسرع في النظم، مما يترك أثراً في الصياغة والفكرة، لكنه مع ذلك قدم أشياء جميلة كقصيدة "المطر" ومنها(٣٤):

أهــدى لنــا   أحلـــــى

مطـــر.. ـــرْ

---

(32) سا . ص ١٤ .

(33) من رأي العمال ؟ – ص ١٢ .

(34) مجلة أحمد . العدد ٣٤٠ / ٢٠٠٢ .

واســتيقظت كــل

عزفـت لنـا لحـن

فـي فرحـة نشـرت

ومضـت تغنـي فـي

سبحان مـن جعل

يـــة تهـــب البشــر

رحـــا ملیئـــا

لقد أسهم كثيرون من شعرائنا ومن مختلف الأجيال في شعر الأطفال، وتفاوتت القيمة الفنية لما فعلوه وهو ما سيمر معنا أثناء الحديث على المآخذ الفنية.. ومع هذا فلا بد من التنويه بالجهد الذي بذله وما زال شعراء كثيرون على رأسهم محمد وليد المصري وعبد الحميد هلال ونادر قباني وعدنان المالح وعيسى أيوب ونور الدين الهاشمي ورياض الصالح الحسين وصالح هواش المسلط وإبراهيم عباس ياسين وجرجس ناصيف وفارس قويدر وجمانة نعمان وحسان عزت ومريم خير بك وطه حسين الرحل وفيصل خليل وياسر الأطرش وسمير رافع وخالد البرادعي وزهير هدلة وسامر كحل ومحمد وحيد علي وغيرهم.. سواء من كتب نصوصاً قليلة أو أصدر مجموعات، لأن التجريب حق مشروع للجميع في هذا المجال الجديد من الشعر بغض النظر عن مدى النجاح فيه[١].

الفصل التاسع

سليمان العيسى.. كثافة العطاء

الشاعر سليمان العيسى أغزر شعراء العرب إنتاجاً للأطفال، فمنذ نهاية ستينيات القرن العشرين وهو يواصل الكتابة، وانتشرت قصائده في الكتب المدرسية السورية بكثافة، وخاصة في الفترة التي كان فيها شاعرنا موجهاً أول للغة العربية وواحداً من واضعي منهج اللغة العربية من الصف الأول الابتدائي حتى الصف الثالث الثانوي في وزارة التربية السورية.

(١)لا بد من الإشارة إلى أنني لم أفصل في الحديث عن تجربة شعرائنا الذين كتبوا منذ السبعينيات، لأن كتبهم ما زالت متوافرة، أما المرحلة السابقة فكان من الواجب التقصي، والتفصيل فيها، لأنها تكاد تكون مجهولة، وحتى تقدم للقارئ فكرة وافية عن الموضوع قدر الإمكان.

وقد حوت كتب المرحلة الابتدائية للغة العربية من الصف الأول حتى السادس ٥٤ نشيداً كان للشعراء العرب اثنان وعشرون نصاً والباقي لسليمان العيسى، واقتصر كتابا الصف الأول والثاني الابتدائي على نصوص الشاعر مع نصين مجهولي القائل هما: نشيد "إلهي" و"نشيد نعمة الله"[1].

وأعرف شخصياً أن غزارة الشاعر تفوق المتوقعفقد أطلعت على مخطوطات لعشرات القصائد غير المنشور ة، خلا العشرات من الكتب المترجمة والمؤلفة التي تنتظر من يطبعها.

أسوق هذا الكلام مدخلاً للحديث عن سليمان العيسى، لأن فيه نقاط قوة الشاعر وضعفه، فلا نملك إلا أن نعجب بهذا الدأب والحماسة لملء فراغ كبير في شعر الأطفال، إذ عمل بسرعة على رفد الطفل بمجموعة كبيرة من القصائد جعلته واحداً من أهم الأسماء التي كتبت للطفل، بل صرف في العناية به جل وقته حتى الآن، وهذا أمر نبيل ومهم، إلا أن هذا الأمر حمل في ثناياه ما يعتور الإكثار من الوقوع في التكرار والنظم الباهت والمراوحة الفنية.

غلبت على شاعرنا الموضوعات ذات الصلة بما آمن به طوال حياته كرجل قومي، فلا يمل من تأكيد وحدة العرب، والتغني بماضيهم في إطار من التفاؤل الكبير بالمستقبل، ومن نصوصه الجميلة قصيدة "وطني"[2]:

وطني أشجار وظلالُ
وترابي قمح وغلالُ
أتفيأ ظلك يا وطني
وأحب ترابك يا وطني
أرض الأجدادْ
وطن الأمجادْ
يتسلحبالعلمِ
لا يركع للظلمِ
عاش الينبوع المنسكبُ
عاشت شمس لا تحتجبُ
عاش العربُ
عاش العربُ

في هذا النص نجح سليمان العيسى في تطعيم الفكرة السياسية بما يخفف من جفافها وقسوتها، فيعطيها ما يقربها إلى الطفل من صور وا ٍيقاعات راقصة نابعة من وزن سريع وقوافٍ متنوعة.

ولكي نأخذ فكرة عن صعوبة هذا الأمر، وعما عاناه الشاعر فيه،وما أحسه أحياناً من متطلبات قصيدة الطفل، سأنقل إليكم نصاً مشهوراً للعيسى كما نشره أول مرة في مجلة "أسامة" وهو "الرسام الصغير"[3]:

أرســـــم مامـــــا أرســـــم بابــــــا
ـــــــــــــــــــالألوانْ

سليمان العيسى (١٩٢٠ - ....)

(1) الطفولة في الشعر العربي والعالمي . كنعان . ص ٦٤ .

(2) غنوا يا أطفال ٢ / ٢٧ .

(3) العدد ٥٦ العام ١٩٧١ .

(٤) غنوا يا أطفال ١٣/٤.

أرســـم علمـــي وجـــة نغـــمِ

أنــــــا فنـــــــــ ْ

الـنجم علـى كفـي ّ وفـر ّ

ى فـي شـفتي ّ كرومـاً مـن

دعنـــي أرســـم ـوء الــنجم

دعنـــي أرســـم ـــون الكـــرم

أكتـــب شـــعراً ــــــالألوان ْ

أرســـم حـــراً ـــا فنـــان ْ

نـا صياد اللـون الساحر أدَّى

بيت رسـومي النهـر الضـاحك

أرســــــم بيــــــــدي

فتنــــــــة بلــــــــدي

أكتـــب شـــعراً ــــــالألوان ْ

أحيـــا حـــراً ـــا فنـــان ْ

ففي هذه الصورة التي نشر بها الشاعر قصيدته للمرة الأولى نلاحظ أسلوب الكبار قد طغى على أكثرها، وراحت فكرة الفن وحريته تتجسد في صياغات معقدة ومرتبكة، بينما نجد الشاعرقد قلص القصيدة إلى هذا الشكل فيما بعد:

أرســـم مامـــا أرســـم بابـــا

ــــــــــــالألوان ْ

أرســـم علمـــي ـــوق القمـــمِ

ــــــــا فنـــــــان ْ

ا صــياد اللــون الســاحر ْ

أرض بـــــــلادي ـــز منـــاظر ْ

دعنـــي أرســـم ــــوء الـــنجم

دعنـــي أرســـم ـــون الكـــرمِ

أكتـــب شـــعراً ـــــــالألوان ْ

أحيـــا حـــراً أنـــا فنـــا ْ

هذه المعضلة ستظل تواجه تجربة الشاعر العريضة حيث تحس أن شعر العيسى للكبار يلقي بظله على شعره للأطفال، ومع هذا فقد ظل واحداً من قلة نجحت في كتابة شعر جميل للأطفال، فيه قدر كبير من الرهافة والوعي بخصائص الطفولة، مع متانة في البناء وسلامة في الأدوات لغة وموسيقى. والمتتبع المدقق لتجربة العيسى للأطفال يحس أن العديد من القصائد المتميزة قد جاء في مرحلة كتابته الأولى، فيما بعد أخذت تجربته تعاني من الوهن والنظم، وخفت التوهج فيها، ومن أهم قصائد الشاعر "الشتاء" وفيها يقول(٥):

أوقـــد.. أوقـــد ـــار الموقـــد ْ

---

(5) غنوا يا أطفال – ٣ / ٢٢ .

الــريح تــّ علــى الشــجرِ

تِعـــانق خيطـــان المطـــرِ

الـــريح رســـول ـــريح تقـــولْ

خبأنـــا للشـــجر العـــاري

ئبأنـــا أحلـــى الأزهـــارِ

أوقـــد.. أوقـــد ـــار الموقـــدْ

* * *

ـفور فــرّ مــن البــردِ

وتســلق نافــذة عنــدي

عصــفوري جـــاء ـجــو شـــتاءْ

عصـفوري الحلـو سـأحمهِ

ســـأطعمه وأدفيـــهِ

أوقـــد.. أوقـــد ـــار الموقَـــدْ

استطاع العيسى هنا أن يدخل الأجواء الطفلية بامتياز، حيث يتخلص من ضغط عالم الكبار عليه، وتتحول اللغة إلى أداة تنسج العذوبة والبساطة والدهشة. وعلى نحو مطابق، تتألف قصيدة "الخريف"[(٦)]:

ورقات تطفر في الدربِ

والغيمة شقراء الهدبِ

والريح أناشيدُ

والنهر تجاعيدُ

يا غيمة يا أم المطرِ

الأرض اشتاقت فانهمري

الفصل خريفْ

* * *

عدنا عدنا بدفاترنا

بأغانينا وبشائرنا

البسمة في شفتي

ما أحلى مدرستي

والفصل خريفْ

وقد استطاع العيسى أن ينتقل بقصائده الجديدة إلى مرحلة متقدمة من كتابة شعر الأطفال، في نماذجه المهمة أعطى الكثير من العناية في اختيار ألفاظه وتكوين صوره، والدخول العذب إلى ما يدهش الطفل، ويطوف معه في الكثير من عوالمه الشعبية والتراثية الساحرة، كما نجد في "افتح سمسم"[(٧)]:

---

(6) سا ٤ / ٢٩ .

ـتح سمسـم ْ

ماذا عندك ؟ ماذا عندك ؟ ـذا اليـوم ْ

افـتح سمسـم.. وزع وردك ـل النـوم ْ

افتح صدرك.. انشر عطرك لأجيـال ْ

افتح سمسـم.. ڼ ّ تحرك ْ هـر خيـال ْ

افتح سمسم.. ن وعلمٍّ ْ ن صغار ْ

وغداً نكبر..نـاً أخضر ْ حـرار ْ

نحن براعم.. ـد باسم ْ ي الأكمام ْ

افتح سمسم.. ت القادم ْ ـالأحلام ْ

ـتح سمسـم ْ ..

إن هذه القصيدة مثال بارز على بناء إيقاعي غني وفريد للأطفال، من خلال هذا الغنى بالتكوينات النابعة من اختيار الكلمات والقوافي والتقطيع المدروس للمقاطع.

وعلى هذا النحو من الإحساس الإيقاعي الخاص نلتقي نصاً جميلاً آخر ذا إيقاع لافت هو" الشجرة "(٨):

ـي خضـراء ْ مزدهـره

ـقيك المـاء ْ يـا شـجره

* * *

ـي ظلـك نلعب ْ يـا شـجره

طينـا الملعـب ْ والثمـره

* * *

ـي خضـراء ْ ناـه ْ

بـالثمر الأحلـى زدانـه ْ

* * *

ـي خضـراء ْ فـي وطنـي

أهـواك كمـا أهـوى وطنـي

وفي قصائد الشاعر المكتوبة بالعناية المطلوبة يحافظ على الإيقاعات القصيرة، مع تنويع في التقفية، وسعي دائم إلى التبسيط الذي يحمل في ثناياه مع ذلك قيماً كبرى، من هذه الأرضية ينطلق الشاعر،وهو يكتب نصاً جميلاً آخر بعنوان "اسمي شعلة"(٩):

اسـمي شـعله ْ أزرع نخلـه ْ

يسـقي بـردى يسـقي دجلـه ْ

هـذي الحلـوه هـذي النخلـه ْ

* * *

تكبـر تكبـر نـاً أخضـر ْ

---

(7) سا ٢ / ٥ .

(8) ديوان الأطفال . ص ٣٩٤.

(9) سا . ص ٣٩٢.

فيه الشمس وفيـه

ومــــع النخلـــــه لـــــي يكبـــــرْ

* * *

يصـــبح أشـــجار

تخضـــــر الأرض

تبقـــى كالأطفـــال

وعموماً يمكن أن نقول إن الغالبية العظمى من قصائد وأناشيد العيسى مكتوبة لأطفال المرحلة الوسطى والثالثة أي ما بين الصف الخامس والثالث الإعدادي على نحو نسبي وا ٍن كان طموحه أن يكتب لأطفال المرحلة الأولى (أي ما بين الصف الأول والرابع الابتدائي تقريباً) لأنه صرح في أكثر من موضع أنه وضع هذا النص للأطفال الصغار جداً ، إلا أن قصائده لم تخلُ من صعوبة التراكيب والصور كما لاحظنا في النصين الماضيين.

وقد كان لي تجربة طريفة مع الأستاذ سليمان العيسى إذ اشتركت معه في وضع قصيدة عن أحرف الأبجدية العربية، وقد كانت بدايتها لعدة أبيات لي، إذ تبدأ(١٠):

ـف بـــاءُ ـــاء ثـــاءُ

هيــــا نقــــرأ ــــا هيفـــاءُ

ألـــــــــفٌ أبنــــــــــي

بـــــــــاءٌ بلـــــــدي

بيـدي بيـدي أبنـــي بلـــدي

تـــاء تعـــدو ـــوي دعـــدُ

ومنها:

مـــا أذكانــــا مـــا أروعنـــا

ـــد الكــــاف تجـــيء الــــلامْ

ـــا أحلـــى هــــذي الأنغـــامْ

ميم مهر ــــــون نهــــــــر

مــر سـريعاً هــذشــهرُ

إنني هنا لست في معرض الكلام على تجربته المتعددة شعرياً ، فله مسرحيات وحكايات شعرية عديدة، إذ قصرت الكلام على القصائد والأناشيد المنفردة، ودون الخوض في المآخذ الفنية التي سيكون موضعها في فصل آخر.

---

(10) غنوا يا أطفال ١ / ٢٠ .

هذه القصيدة نشرتها عام ١٩٧٧ في "مجلتي" ببغداد ، ونشرت فيما بعد في مجموعتي "الأغاني" ص ٥٢ ، وقد أراد سليمان العيسى أن يشاركني في تكملة الحروف، ففعلت، ونشرنا القصيدة المشتركة في ملحق "تموز" للأطفال في بغداد عام ١٩٧٩ العدد ٨٤ ، وفيها "بدأ هذا النشيد بيان الصفدي وأكمله سليمان العيسى" ويبدو أن الصديق سليمان العيسى نسي الأمر فنشرها فيما بعد بعنوان "حروفنا الجميلة" في أكثر من مكان دون الإشارة إلى أن القصيدة بالأصل لي، ثم اشتركنا في تكملتها .

إن الإنجاز الخاص بسليمان العيسى كما أراه ينصب على جزء من نتاجه قد لا يتجاوز ربع ما كتبه، لأن شاعرنا كتب الكثير الكثير من القصائد العادية، أو ذات القيمة المحدودة، حيث شاع لديه الحديث عن قضايا كبرى وبلغة كبار، حتى لو قدمها لنا على أنها شعر للأطفال، إلا إننا مع ذلك نسجل له الفضل الكبير في الجانب المضيء مما قدم، ومما أحب أن أنهي به هذه الصفحات عنه قصيدة "الثلج"[١١]:

يا ريش العصفور الأبيضْ

يا ذرات الثلجِ

غطي أشجار حديقتنا

غطي وجه المرجِ

* * *

يا ريش العصفور الأبيضْ

يا لحن القيثارِ

غني غني في شرفتنا

غطي سطح الدارِ

* * *

يا ذرات الثلج انهمري

غطيوجه الدربِ

الآن سأكتب تمريني

وسأخرج للعبِ

---

(11) سا ٤ / ٢٥ .

الباب الرابع

التجربة اللبنانية

الفصل الأول
روّ اد شعر الأطفال في لبنان

خليل مطران

شكل خليل مطران محطة مهمة في الشعر العربي الكلاسيكي، ليس بسبب إنجازه الشعري، فقد غلبت عليه التقليدية وقصائد المناسبات التي شكلت معظم ديوانه، إلا أنه امتاز برؤية نظرية متقدمة في الشعر والفكر لم يعكسها في شعره إلا نادراً ، ومن مظاهر هذا التجديد حماسته ودعوته إلى الكتابة للأطفال، كما أشار إلى ذلك أحمد شوقي في مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات عام ١٨٩٨.

ولم يكتف مطران بذلك، بل أسهم عملياً في هذا الفن، وشجع أحمد شوقي وغيره على الكتابة فيه، ومن قصائده المشهورة للأطفال "الطفل والعصفور"[١]:

، إبن عم بالغ ٌ أربعاً   مــن عمــره أو دونهــا
طلــق المحيــا شـــعره   وثغره كنز حوى جوهرا
يختال ،الجندي مستكبراً   وما أحب الطفل مستكبرا
قالــت لـــه المرضـــع   حسـن سـيراً :" حـق أن

(1) المنتخب . ص ١٧٦ .

ا نـزر ْ جدتك الآن يا بني فالبس ثوبك الأفخرا

فراح مثل الظبـي يعدو غرفتـه جذلان مستبشرا

ومر في الدار بطير لهم قد أودعوه قفصاً مقفرا

وكـــان فيـــه صـــامتاً كمـــا يكـــون الحـــر

فتح البـاب لـه مسرعاً وقـال " حسـنت فخيـراً

راك مشـتاقاً إلـى جـدة تزورهـا فاذهـب وعـد

الشاعر هنا يقدم قصيدته على شكل حكاية ذات حدث وحوار وبداية متناسقة ونهاية جميلة، واختار لها البحر السريع، إلا أنه ينوع أحياناً على التشكيل الإيقاعي كما في "نشيد الحرية"(٢):

حييت أحلى تحيه يـا أخـت شـمس

يـيـت يــا حريــهْ

* * *

لشـمس للأشـباحِ أنـــت لـــلأرواحِ

الشـمس يـا حريـهْ

أنـت النعيم وأحلـى أنت الحياة وأغلـى

خلـــق يـــا حريـــهْ

* * *

شـارفتنا فانتعشـنا وفي ظلالك عشنا

لعـــدل يـــا حريـــهْ

* * *

كـوني لنـا عهـد عصر فخر ومجدِ

ـدوم يـــا حريـــهْ

وبعد وفاة الشاعر نشر أخوه ألبير مطران مجموعة كبيرة من الأراجيز التهذيبية للأطفال والشباب بعنوان "إلى الشباب" جمعها بعد أن كانت من محفوظات الراحل، وبدأها "إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول" وضح فيها أنها رسالة "للنابتين" أي للفتيان، ومنها(٤):

مـولاي فـي عهـدك وفـي هـدى حكمـك

حققـت أسـنى آمـال فـي شـعبها النـاهض

وكنت أحجى الملوك لجيلهـــا الناشـــئ

ومن أبرز ما في تلك القصائد التهذيبية القصيرة "التعاون" التي يقول فيها(٥):

ـل معـــدّ أمـــرا ممـا يفيـد القطـرا

يجــدر بالإمــداد خدمـــة الـــبلاد

أي داع ِ يدعو رأي فيــه النفـعُ

---

(2) أزهار الأدب العربي . عباس . ص ١٦ .

(4) إلى الشباب . ص ٥ .

(5) سا . ص ١٤ .

بقـدر مـا يعـان   تفـع الأوطـان ُ
ا سد ّ ذلك الطلب   مـن حاجـة فقـد
أكـان جلـب خيـر   م كـان دفـع ضير ِ
ـل ْ رأي عارفيـه   دعاً وشـارك فيـه
وامـدد بـلا تـردد   ـه يـداً إثـر يـد
رقـي ّ الأمـم   ـل هذي الهمم ْ

وله "قراءة سير العظماء"(٦):

من أفعل الأسباب   ي نهضة الألباب ِ
قـراءة الصـغار   ـسير الكبـار ِ
فإن في ما جاهدوا   إن في ما كابدوا
وجـددوا وأصـلحوا   وأيـدوا وأنجحـوا
وخلقـوا مـن العدم   خلقوا من الهمم ْ
درسا ً جليل القدر   فيـد أهـل الـذكر ِ
أما إذا ما اجتمعا   في الشعب شيئان
من سلف عظام   لـف كـرام ُ
فـثم نعـم الأسـوه   لمـن يـروم القدوه
بـالأثر المفيـد   لخبـر الحميـد ُ

وأكثر هذه المنظومات التربوية يغلب عليه الطابع التقريري الجاف، دون النظر إلى إغنائها بالصور والتنوع الأسلوبي، على عكس ما رأينا في قصيدتيه الأوليين.

فمعظم ما نقرؤه هنا لا يتفوق فنياً على شعر من نوع "أداء الواجب" التي يقول فيها(٧):

لا تـ َ بالمصاعب   ن أداء الواجب ْ
ـا وليـت فعلـه ُ   ممه ثم ارجع له ُ
سر ّ حتى يحسنا   واصـبر إلـى أن
أتممه غير طالب   قضاء الواجب ِ
لا رغبة في الأجر   رهبة من شر ٍّ
مـا مـن صـنيع   أتي بغيـر تعب ِ
وأي شـيء يجمـل   ا اعتراه الخلل ُ ؟
وهل سريع الخاطر   أتي بفن فاخر ِ ؟
سـوء النظـام   والطـيش آفـات

حليم دموس

---

(6) سا . ص ٣٥ .

(7) سا . ص ٧٨ .

في الربع الأول من القرن العشرين كان حليم دموس من شعراء التجديد في الشعر العربيوإ ن كان النقد العربي قد ظلمه بالتجاهل والإهمال حتى الآن، فقد حفل شعره بالرقة والعمق والشفافية، إضافة إلى كونه واحداً من التنويريين المهمين، وممن أسهموا في النهضة العربية، وكان له دور في نهوض الحركة القومية العربية، مما جعله يعمل في الحكومة العربية التي قامت في سورية بعد دخول الملك فيصل إليها، فعمل في محطة الحجاز في وظيفة مرموقة، وبعد سقوط الحكومة العربية آنذاك انتقل إلى العراق، وعاش فيها عدة سنوات، وتنقل بعدها بين الأردن وفلسطين وسورية ولبنان من جديد.

ومن اللافت للنظر أن هذا الشاعر المجدد من أهم من أسهم في شعر الأطفال،وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً ، لما في لغته من بساطة وعذوبة، وقدرة على كتابةالأناشيد المتميزة أيضاً .

حتى في القصائد والأناشيد التي كتبها للشباب قدم زاداً غنياً للأطفال أيضاً ، من خلال ترديدها أو وضعها في الكتب المدرسية، ومن منا لا يعرف ذلك النشيد الخالد له "أرض أجدادي" بكلماته الجميلة، ولحنه الأخاذ؟(٨):

يك مني السلامْ   يـا أرض أجـدادي
بك طاب المقامْ   وطـــاب إنشـــادي

* * *

عشــــقت فيـــك   وبهجـــة النـــادي
عشـــقت ضـــوء   والكوكـب الهـادي
ليل لما اعتكرْ   والنهــر والـــوادي
فجر لما انتشرْ   في أرض أجدادي

* * *

أهـــوى عيـــون   أهـــوى ســـواقيها
هوى ثلوج الجبلْ   ذابـــــت لآليهـــــا
هــــذي مجـــاري   ســبحان مجريهــا
سالت كدمع المقلْ   في أرض أجدادي

* * *

قوم هذا الوطنْ   نســـي تناجيـــه
فعــــالجوا فــــي   ــــراح أهليـــه
، تهجروه فمنْ   فــــي الخطـــــب
يـــا مـــا أحيلـــى   فــــــــــي أرض

لعلنا نحس في مثل هذا الكلام بنفحة الشعر الحقيقية وقد هبت على أرواحنا، على عكس ما لاحظناه في تجربة مطران مثلاً من جفاف ونظوإ ليكم نموذجاً ساحراً من ثلاثة أبيات هي "تمنيات طفل" حيث يحلق دموس في سماء الخلق المبدع:(٩)

وقف الطفل ونـادى: يـا   ألنـــا قــد خلقــت هــذي
فإذا كانـت لنـا مـا بالهـا   تزرنا وهي في الجوّ
ليتنـا يـا والـدي نلمسـها   مثلمـــا نلمـــس أطـــراف

إننا نحس إزاء نص كهذا شاعراً يعيش معنا الآن، وقال ما قاله بهذه اللغة الشعرية الحديثة. ولدموس نص آخر

---

(8) يقظة الروح . ص ١٣٠ .

(9) المثالث والمثاني . ص ٨٤ .

عن الوطن هذه المرة اسمه "أعز من الحياة" مكتوب عام ١٩٢٣ يقول فيه(١٠):

لني هواه يفتنُ **ـه سليمى تؤمنُ**
فبأرضـه وسـمائه **ً تقرُّ الأعينُ**
إن الحيـاة عزيـزة **وأعـــز منهـــا**

وفي "لغة الضاد" تغنٍّ باللغة العربية والعروبة، حيث نلتقي قصيدة من أشهر القصائد التي استقبلتها الكتب المدرسية الابتدائية العربية حتى الآن(١١):

لا تلمنـــي فـــي **أنا لا أهوى سواها**
مـــا أنـــا وحـدي **كلنـا اليـوم فـداها**
فتيـة الآتـي أفيقـوا **واســـمعوا صـــوت**
لـم يمـت شـعب **فـــي هواهـــا**
وأعيدوا يا بنيها **نهضـــة تحيـــي**
نزلــت فـــي كـل **وتمشت في دماها**
فبهـا الأم تغنـت **وبها المرضع فاها**
لغة الأجداد كوني **لحمة نحن سداها**

ولدى دموس عناية أحياناً بكسر القالب الوزني المتناظر، لذا يعمد في أحيان كثيرة إلى هندسة في الإيقاع والقافية كما في "التضامن الوطني"(١٢):

باســم التضــامن **تحيــا أمانينــا**
مها يفرقنا الزمنْ **فالحــب حامينــا**

* * *

يا شعب سر نحو **فالشرق قد سارا**
فجــر الحضـــارة **والـدهر قـد دارا**

* * *

نمشي إلى القصد **بلـــغ الغايـــهْ**
فليـنهض الشـعب **يحمــل الرايــهْ**

ولحليم دموس قصيدة هي "الدنيا أم" يعمد إلى الغنى التكويني للأشطار، إلى جانب نجاحه في تقديم واحدة من روائع شعر الأطفال(١٣):

أيهـا الراصـد فـي الليـل **ر تمٍّ**
وجدد لذة العهد القديمْ **دون**

---

(10) سا . ص ١٠٠ .
(11) سا . ص ٣٨ .
(12) سا . ص ١٦٩ .
(13) المختارات . نخلة . ص ٢٢٠ .

إن نفســـي غرفــت ذاك   قــرب

*   *   *

إذا كــرت علــى صــدري   وتـــوالد

ودوت أصـــواتها فـــوق   وتعــالد

ر الأم فتنجاب الهمومْ   باســم

*   *   *

رفاق في فؤادي حبهمْ   قــــد

أحبوني كما أحببتهمْ   فــــي

ر أني لم أجد ما بينهمْ   قلـــب

ومع هذا فالشاعر يكتب أيضاً للأطفال نصوصا تقليدية أو وعظية جافة كما في "نصيحة أم لابنتها"(١٤):

لـيكن طفلـك فــي هـذا   غرمـاً بـالعلم شـهماً ذا

يفعل الخيـر ويـأبى أن   بنة اليوم ويا أم الغدِ

وكما في "أم تصف حديقة غناء لابنتها" ومنها(١٥):

قفـي بـين الخمائـل يـا   لأســـمعك الـــدروس

هـذا الكـون سِـفر قـد   بـــه أســـمى المعـــاني

فمـا مثـل الطبيعـة يـا   ففـــي صـــفحاتها علـــم

وكذلك في "كتابي" التي يقول فيها(١٦):

يـا كتـابي أفنيـت فيـك   بيـع الشـباب غـضٌ

يـا أنيسـي عنـد ابتعـاد   وجليسي في وحدتي يا

إن هذه الجولة السريعة مع حليم دموس تعطي صورة عن تميزه الفني في شعر الأطفال، ولعل أفضل ما أنهي به الحديث عن تجربة الشاعر نشيد مميز في كل شيء اسمه "الشاعر والعلم" من عيون ما اختارته كتب المحفوظات العربية وهو مكتوب عام ١٩١٩(١٧):

أيها الأبطال حيوا العلما   حملوهْ

وانصـبوه فـوق أسـوار   إحرسو

علمـي هـذا فسر نحـو   يـا أخيا

فتـرى فـي ظلـه تلـك   تتفيـــا

علمـي كالنسر فـي برج   حلقـــا

(14) المحفوظات المختارة . عباس ٣ / ٦ .

(15) سا ٣ / ٤٥ .

(16) المنتخب ، ص ٧٦ .

(17) ديوان حليم دموس . ص ٢٦٢ .

وجناحـــاه لـــدى ذكــر	صـــفقا
علمـــي لاح صـــباحاً	الشفقْ
ـه كل فـؤاد قـد خفقْ	مـــــذ
علمي زينة أعلام الورى	علمـــي
وهواه يا سليمى قد جرى	فـــــي
لم الأوطان حقق لفتاكْ	أمـــــلا
فهو يـأبى أن يرى يوماً	بـــــدلا
كـن لقـومي رمـز مجـد	فـــــي
وّ ج فلك الشعب فداءْ	علـمْ

مصطفى الغلاييني

الصورة السائدة عن مصطفى الغلاييني أنه لغوي ألف كتاباً من أشهر الكتب النحوية في العصر الحديث هو "جامع الدروس العربية" إلا أن الغائب على هذه الصورة جانبان، الأول كون الغلاييني شاعراً له ديوان مطبوع، وفيه العديد من الأناشيد لتلاميذ المدارس،والثاني كونه واحداً من رجال الحركة القومية العربية منذ بداية القرن العشرين، وقد شغل منصب رئيس قلم الأمن العام في الحكومة العربية في دمشق، وسجن بسبب دوره القومي،وعمل قاضياً ومعلماً ،وألف عدداً من الكتب المدرسية، ولعل "أنشودة الفتيان" أول نص للغلاييني في هذا المجال كتبه عام ١٩١٠ (١٨):

ســائلوا عنــا العصــور	يـوم فقنـا النـاس مجداً
يوم قدنا بالعوالي الدولا	ائلوا عنا بطون الكتبِ
*	* *
ســائلوا الشــام ومصـراً	وسـواها سـائلوا السـبع
سائلوا الخطيّ والبيض	مـــا خططنـــا بالقنـــا
*	* *
إن دهــى البلــدان قــوم	مجــدنا العــالي وعنــه
عالينـــا لنـــا ترتقـــبُ	ناديـنـا بمجـد العـربِ
*	* *
يا بنـي الأبطال ما هذا	خصـمنا يرقـب والأمـر
تْ نحـي َ علـى مر	ونعـش عـيش الكـرام
إنما الموت حياة للألى	خطبــوا المجــد فهــزوا
فغـدوا بـين البرايـا مـثلا	ومـــديحاً فـــي لســـان

بعد هذا النشيد بثماني سنوات يواصل الغلاييني هذا النهج في فكرة النشيد، كالتغني بالماضي، والحث على إعادة ما فيه من مجد وتقدم، ومناشدة الجيل الجديد للتسلح بالعلم والقوة في تحقيق الهدف.. كل هذا في "الراية العربية"(١٩):

راية العرب راية المدنيه	يـة المجد راية الحريـهْ

---

(18) ديوان مصطفى الغلاييني . ص ٤١ .

(19) سا . ص ٤٤ .

أنـــت مهـــوى آمالنـــا   ومنـــار يهـــدي الســـبيل
ـت فينـا مـدى الزمـان عليّـه

*   *   *

بك نحمي الحمى المفدى   ثمـرات تحيـي الـديار
ونرجـي الحيـاة فـي   وارف ظلـه، خصـيب،
فـي حمـى دولـة العـلا العربيـه

*   *   *

ارفعوا راية الفضيلة فينا   واستثيروا مجد الجدود
إن صوت الآبـاء يـدعو   أن يهبـوا إلـى العـلا
فـوس تهـوى المعـالي أبيّـه

*   *   *

ناشـئ العرب يـا سليل   أنت غصن في روضة
جرد العزم في صفوف   احـم بـالنفس والظبـى
بـة العـرب رايـة المدنيّـه

وخص الغلاييني فتيان العروبة بنشيدين يؤكدان المعاني السابقة، كما في "فتى العرب" التي تكاد تطابق النشيد السابق في الأفكار[٢٠]:

نـروم التعـالي بسـجع   ولسـنا نبـالي بغيـر
ورشـف الـزلال وطيـب   وسـود الليـالي تخـيط

*   *   *

فتـى العرب أقـدم وخـل   ـز تـولى ومجـد أغنّ
فليسـت تنـال المنـى   فقم واشتر المجد غالي

*   *   *

وأحي العلوم بعزم ـيم   وحـزم يطـول منـاط
ي فتـى ألمعي حكيم   ر لـه شامخات القنن

*   *   *

ألست ترى الغرب ساد   وأخضـع بـالعلم صـيد
هـبّ إلـى المجـد   ولـم يبـق إلاك عبـد

*   *   *

أعـد ماضـي العـرب   عزاً تولى ومجداً دفينا
فصوت الجدود ينـادي   النداء ليحيا الوطن

وعلى المنوال نفسه تقريباً نقرأ له في قصيدة أخرى[٢١]:

ودع الألـى يلهون   المكارم باللعب

(20) سا . ص ٤٨ .
(21) سا . ص ١٧٠ .

هل راحة الإنسان   يـــدرون إلا فـــي
نرجـــو الحيـــاة   عز رائده الدأب
واحــــم التليـــــد   فتكـون خيـر ابـن

ومن الجدير بالذكر أن الصراع قد اندلع منذ القرن التاسع عشر حول المرأة، وما يجوز لها وما لا يجوز، ثم تحولت مسألة السفور والحجاب إلى ساحة أساسية بين مؤيد ومعارض، وبالطبع كان الغلاييني من المحافظين في هذا الجانب، ولكنه مع ذلك لم ينكر على الفتاة حقها في التعليم خاصة، ولهذا فقد ركز أكثر أناشيده على الفتاة بالدرجة الأولى، مطالباً بالمساواة بين الذكر والأنثى وفق الأصول الشرعية الأولى، لا ما لحق بهذه الأصول من تعتيم وقمع واستغلال كامل.

فلنقرأ له "أنشودة البنات" التي كتب أنه نظمها لابنته فاطمة(٢٢):

أنا بنت ذات عقل   أنـــا مـــن خيــر
أحفـــظ الـــدرس   للخصـــــــــــال
أطيـع الأم دومـاً   فهـــــــي روض
إنمـــا الخيـــرات   مـــن رضـــاء
إن أكـن ذا اليـوم   فـــي عـــداد
فغداً بـالعلم أرقـى   ي رفيـع الدرجات
كـل مـن تفعـل   جتني ورد الحياة

فاجتهـدن اليـوم تجنـين لذيـذ

إنمـا العلـم سراج   وهــــدى فـــي
وطريـق للمعـالي   لأمـاني الغاليـات

* * *

أيهـا الآبـاء يـا أهـل النهـى
أي فـرق بـين فتيـان الحمـى
هـذبوا بـالعلم والآداب أخـلاق
وأنيـروا بالهـدى ألبـاب هـذي
ليس يرقى الشعب   لبنات الصالحات

وعلى المنوال نفسه نقرأ له "أعزوا الفتاة"(٢٣) و"الفتاة العربية والعلم"(٢٤)وصولاً إلى فتاة العرب التي نلمس فيها شيئاً من التنويع في بناء النشيد(٢٥):

ى العلم سيري فتاة العرب   كظبـي عـدا
ـالعلم يشـرق نجـم الأرب   كصبـح بـدا

---

(22) سا . ص ٢٠٤ .
(23) سا . ص ٥١ .
(24) سا . ص ٢٦٤.
(25) سا . ص ٥٠ .

ـور المعارف يوم النوبْ   به يقتدى

* * *

ـا زهرة في رياض الأملْ   سقاها
يجك ينعش ما قد ذبلْ   ويحيي
هدي الذي عن صدُ ـوى   سبيل

* * *

أفيضي الشذا فوق هام   فيروى
فقد بلغ السيل هام الزبى   وجار
وأيدي الخطوب تحد الظبى   وتذكي

* * *

ديارك بنت المعالي تنادي   أجيبي الندا
يمينك فيها حياة البلاد   ومنها
وفيها سيوف ترد الأعادي   وتحمي

كتابة الغلاييني الشعرية كما نلاحظ منظومات قليلة الشعر، بما يعنيه الشعر من إبداع وصور وبراعة أساليب وتجديد، كما إن الجزالة التقليديةبادية على نصوصه جميعاً .. وهي لا تفرق بين ما يكتب للكبار والصغار من الناحية اللغوية.

الفصل الثاني
الكتاب التعليمي وشعر الأطفال

لأسباب عديدة أدَّت بلاد الشام الدور الأول والأشمل في حركة الطباعة والترجمة والانفتاح على العالم وتأليف الكتب المدرسية، واختلط الأمر في البداية بتأثيرات دينية واضحة، كما نلاحظ ما فعله رجال الكنائس في حلب ودمشق والموصل والقدس، إضافة إلى المراكز اللبنانية المشهورة في التأليف والطباعة.

ويمثل كتاب لويس صابونجي " أصول القراءة العربية " صورة من بدايات التأليف التعليمي، فقد حوى منتخبات من التراث العربي، في مقدمتها " الصادح والباغم ".. والأبيات المختارة منه كانت زاداً لغوياً وتربوياً

لتلاميذ تلك المرحلة المبكرة.

إلا إن كتاباً متقدماً في نو عيته مثل كتاب " مدارج القراءة "بأجزائه الستة قد شكل قفزة نوعية، سواء في منهجه التربوي أم في مراعاته لتسلسل المعلومات، وما يهمنا هو احتواؤه على قصائد وحكايات شعرية للأطفال، كما نلاحظ في حكاية "الحمار والكلب الصغير" وهي لرائد من رواد شعر الأطفال هو جبران النحاس[1]:

لا تأت أمراً لم تكن من ... ـاب عند أهله بجهله
فالجلف مهما كان يبدي ... ليس تراه العين إلا جلفا
مهما تلطف الغليظ ... فليس يستحب لطفه
وما أقل ما نلاقي ظرفا ... ولا نرى في ظرفهم تكلفا
ربنا يخص من يشابه ... ـلا تعن ّ النفس في
إ ن أبيت غير هذا ... ينلك ما نال الحمار
نه يقال ناجى نفسهُ ... يوماً بما يصدق عنه
فقال ذا الكلب الصغير ... ينال من مولاي خير
ولا يزال عمره مملقا ... بينا أنا كأنما حظي
ليس يصيبني سوى قرع ... فما علي يا ترى
لست أرى يا قوم غير ... فعها دلاً إلى سيده
وسيدي من فوره يضمه ... ـم رأوه مرة يلثمهُ
فإن يكن ثمة كنه السر ... فابشر فؤادي بزوال
وبينما أفكاره مشغوله ... بهذه خواطر الجليله
إذ جاء مولاه ووجهه ... ينزع عن فؤاد عافيه
ما توانى أن رمى عليه ... ـافره مخازراً جفنيه
وكي يزيد عنده تحبُّبا ... ـرّت شدقيه وأعلى
وتابع الصفير والنهاقا ... والفقع حتى طبق الآفاقا
وبينما الحمار في ذا ... أهوى الفتى عليه
حتى جرى الدم نجيعاً ... وانكفأ الحمار عن

والمؤلف نفسه جرجس همام كان له دور في شعر الأطفال، ليس في التعليم والتأليف وحسب، بل في كتابة القصائد التهذيبية المبكرة كما في "الأرجوحة"[2] و"من علم العصفور؟"[3] و"الفلاح وبنوه" التي يقول

(1) مدارج القراءة . همام ٣ / ٢٨٦ .

(2) قراءتي . للرابع . شويكي . ص ١١٦.

(3) أناشيد مدرسية . ص ٨٥.

فيها(٤):

صاب يوماً عاملاً في ... داء عيـاء بالقضـاء
وحين إذ طالت عليه ... وقد علته من جراها
ويات يائساً من ... عا بنيه ساعة أمامهْ
وقال: عني هذه ... خذوا اعملوا بها بحسن
طمرت في بستاننا ركازا ... يدفع عنكم بعدي
فنته ولم أقم عليه ... زاً لكي لا يهتدى إليه
فأفرغوا في البحث عنه ... واتخذوا الصبر لذاك
كثروا النقب تروه بعدُ ... فإنه في البحث عنه
دركته بعد ذا المنيهْ ... حتفظ الأولاد بالوصيهْ
فانطلقوا للأرض ... يكشفوا دفائن الفلوس
واجتهدوا في النقب ... وقلبوا البستان عزقاً
ولم يروا فلساً ولا ركازا ... قالوا: أبونا يقصد
وكان أن الأرض زادت ... وامتلأ السنبل فيها حبا
كانت الغلال منها وافرهْ ... حصدوها بقلوب شاكرهْ
عرفوا حقيقة المجاز ... في ما عناه الأب
لا شك قالوا: إنه ... لأرض حقاً كلها فوائدُ

أما خليل بيدس فهو تربوي استطعت أن أصل إلى عطاءاته، من خلال كتابه "مرآة المعلمين" برؤيته الحديثة، واطلاعه على الفكر التربوي والفلسفي العالمي في ذلك الوقت، وهي حالة نادرة،نظراً إلى المرحلة المبكرة جداً من معرفة ثقافات العالم عندنا. وله "درجات القراءة" في ستة أجزاء، أما الكتاب التعليمي المباشر فهو "العقد الثمين في تربية البنين" وفيه نقرأ لبيدس نفسه شعراً صحياً إن صح التعبير، في "وصايا الصحة العشر"(٥):

الهواء دائما نقيا ... مجددا مطهراً طريا
كلْ غذاء سالماً معتدلا ... غليظ كل مأكول
واشرب مع الماء شراباً ... وليكن الماء زلالاً صافيا
سم رُض رياضة ... ي تنال صحة معتدلهْ
والبس من الثياب ما ... فصل أنت فيه قائمُ
متنعن عن كل ما ... أو مادة مضرة تؤذيكا
انتخبن بلدة لسكنتك ... واؤها موافق لبنيتكْ
وغسلن رأسك والجسدا ... وثوبك احفظه نظيفاً

(4) مدارج الطفولة ٤ / ٦٤ .

(5) العقد الثمين . ص ١٤٨ .

وزيجة ما بين أقرباك لا … تعقد فإنها تذيق العللا
واجعل لأوقات الرقاد … فإن عملت الكل عشت

وجرجس عبد الملك تربوي آخر له مكانة هامة تقارب بيدس، من خلال كتابيه "قاعدة السلم" و"سلم القراءة الحديث" وفيه عدد من النصوص الشعرية، ومنها "الطير والإنسان"(٦):

لله زقزقة العصفور في … كم فرجت عنك من هم ومن
لكن نفسك والعدوان شيمتها … كم حدثتك برشق الطير
لا يعرف الناس قدر … راح الجميل سدى في العالم
يشنف الطير مجاناً مسامعنا … بكل لحن جميل الوقع مبتكر
ونحن نصلي له دبقاً لنأسره … حياً ونذبحه للأكل وهو طري
وللرياضة والتمرين نقتله … بويل نار من البارود منفجر
ونملأ الأرض والآفاق مرجلة … على صغير كهذا غير مقتدر
وفي سجون من الأقفاص … إنما الصوت فيه غير
يشكو إلى الله بطش العالمين … وظلمهم وهو من كل الذنوب
أمل الطير بالألوان مزدهراً … فإنه صورة من أبدع الصور
وانظر إليه على الأغصان … بسرعة أين منها سرعة
يبكر الطير إن حان المساء … نوم وينهض للتغريد في
إنما الطير يضني جسمه … مقصراً عمره المحدود بالسهر
والطير هام بنقد الحب منفعة … والمرء هام بحب النقد للضرر

والمربي الكبير يوسف صفير صاحب كتاب هام آخر هو "ترقي الصغار" لم ينس فيه أن يثبت عدداً من القصائد لعدد من الشعراء، تجمعها الطرافة والبساطة وإن لم تكن أصلاً للأطفال، ولكنها تعطينا صورة ملموسة لطريقة اختيار النص الشعري المناسب لهم، ومن ذلك قصيدة "تفاخر الزيت" لواحد من رواد الإحياء الشعري في لبنان وهو نقولا الترك (١٧٦٣ – ١٨٢٨)(٧):

ا الزيت الذي كلٌّ إليه … بمحتاج ووصفي قد
فنوري شاهد في عظم … إذا ما في ظلام الليل
وفي حلك الدجى يغدو … ضيئاً مشرقاً بهجاً
ومني يكسب الصابون … ذكياً يشبه المسك
به قد تغسل الأدران طاً … عن الأبدان والملبوس
وكم لي من مزيات … يضيق بوصفها الشرح

---

(6) سلم القراءة الحديث . ص ٩١ .
(7) ترقي الصغار . ص ٣٩ .

وقد لاحظت أن هذا الشاعر التقليدي قد امتاز بشيء من القدرة على كتابة ممتعة تصلح أن تكون نصاً يقدم للطفل كما في قوله(٨):

الحمـد لله الـذي   ولـدت حمارتنـا
جاءت لنا بحمارة   يـا ليتهـا كانـت
لكنمـا بخلاصـها   فـرح الصـغار مـع
طبخـوا حلاوتهـا   مـن جـارة أكلـت
الله ينشدها عسى   منهـا نـرى كثـرْ
ونــرى الحميــر   عيـون بكـل دارْ

وفي الكتاب نص جميل هو "تحية بلاد الشام" لفؤاد سالم(٩):

بـلاد الشـآم مقـر الكـرام   ـلام عليك وألـف سـلامْ
فقـد كنـت مطلـع شـمس   وقـد كنـت مطلـع شـمس
وقد كنت مهبط أهل اليراع   وقــد كنــت مهـبط أهـل
وقد كنت للناس خير مقام   ـوف تكونين خير مقامْ
فيـا أرز لبنـان يـا بعلبـك   دار كـل علـيِّ المقـامْ
ويـا أرض تـدمر يـا أرض   ا أرض بغداد دار السلامْ
ويـا أرض عيسـى ويـا أرض   ويـا أرض نـوح ويـا أرض
أحييك بالقلب قبل اللسان   ـثـو لـديك بكـل احتـرامْ

وهناك نص آخر يبدو أنه وضع أصلاً للأطفال وهو "حرية الطائر" للشاعر نقولا رزق الله (١٨٦٩ – ١٩١٥) يقول فيه(١٠):

وارحمتاه لذاك الطائر الغرد   هو السجين ولم يذنب إلـى
قـد كـان فـي البـر حـراً لا   فنالـه الضر مـن مستوطن
يسـتقبل الفجـر بالتغريـد   مســبحاً للقــدير الواحــد
يهـيم فـي جنبـات الغـاب   طعامــه بـين نـاب الـذئب
لا يرهــب الأسـد الضـاري   جناحــه عــدة مـن أفضـل
يطير من غصن فيها إلـى   ولا يقـيم علـى بـؤس و لا
دهتــه مـن شـرك القنـاص   فعاقبتـه علـى مـا نـال من
وبـات فـي قفـص يشـكو   أهـل المـروءة عـن قـرب

ومن الكتب التعليمية الهامة كتاب "المجاني الشهية في الحدائق العربية" من أربعة أجزاء لوديع سركيس، وفيه مختارات منتقاة بذوق رفيع سواء أكانت مكتوبة للأطفال أصلاً أم من الشعر الجميل السهل الذي يصلح أن

(8) ديوان المعلم نقولا الترك . البستاني . ص ٢٠٧ .
(9) ترقي الصغار . ص ٤٥ .
(10) سا . ص ٢٣٨ .

يضم إلى محفوظاتهم.

ومما يمكننا عدّه شعراً تعليمياً ما جاء في "مجمع البحرين" للرائد الكبير ناصيف اليازجي، فهناك نصان شديدا الوضوح في كونهما شعراً تعليمياً للصغار كقوله[11]:

لمسكن الناس يقال	**ومثل ذاك للجمال**
اصطبل خيل زرب شاء	**وجار ضبع والعرين**
ونقف الخلد كناس	**والنافقاء لليرابيع خبا**
جحر الضباب قرية	**وهكذا خلية نحل**
والوكر للطير وأفحوص	**منه، وأدحي النعام**

ولديه منظومة تعليمية ثانية عن الأصوات منها[12]:

هزيز ريح وحفيف	**نزيم رعد ودوي المطر**
وسواس حلية صليل	**قلقلة المفتاح ضمن**
رنة قوس وصريف	**صرير أقلام على**
غطيط نائم عويل	**كذا قهقهة الضحّاك**
معمعة الحريق والحنين	**للنوق والمرضى لها**
صهيل خيل وشحيح	**نهيق عفو وخوار**

إضافة إلى نصائح أخلاقية عامة في منظومة ثالثة[13]. ومساهمات خليل سكاكيني في كتابيه "الجديد في القراءة وفي المطالعة" ثلاثة أجزاء، وشريف النشاشيبي في "القراءة الفريدة"أربعة أجزاء و"الأدب التهذيبي"وا إسعاف النشاشيبي في كتابه الممتاز "البستان" وفي "أشعار عربية يستظهرها الطلبة الصغار".

فيما سبق نماذج لأبرز الكتب التعليمية المبكرة في بلاد الشام، وهي تمثل صورة من صور تقديم الشعر للتلاميذ، حيث كان الاعتماد الأساسي على نصوص قديمة معروفة، إلى جانب بعض القصائد والحكايات الشعرية المعاصرة.

الفصل الثالث

(11)مجمع البحرين . ص ٨٦.

(12) سا . ص ٢٣٨ .

(13) سا . ص ١٠٧ .

تجارب لبنانية في شعر الأطفال

كان للبنان كما هو معروف دوره الكبير مع باقي البقاع الشامية في النهضة التعليمية، وبذور هذا الدور نجدها لدى عدد من المتعلمين الأوائل وعلى رأسهم الشاعر والمربي والأديب ناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) فقد كان مثقفاً موسوعياً في زمنه، يكتب الشعر والنثر، ويسهم في الدعوة لنهوض العرب، ويدعو إلى تحرير المرأة، ويمارس التعليم، ويؤلف الكتب التعليمية.

ولدى اليازجي نصوص شعرية تعليمية مهمة في "مجمع البحرين" خاصة، إضافة إلى شعره التربوي، أما بطرس البستاني (١٨١٩-١٨٨٣) فهو رائد مهم آخر، ومعلم ذائع الصيت، وصاحب قصيدة من القصائد الذائعة الصيت في الكتب المدرسية العربية كلها وهي قصيدة "وطني"(١):

سواد العين يا وطني … قلبي لا يودّ سوى
نشأت على هواك فتى … وما عودتني إلا وفاكا
رضعت مع الحليب … فعززني وشرفني هواكا
فما لي فيك غير حمى … وهل يحمي بنيك سوى
فأنت حديقتي ونعيم … وحسبي نعمة أنى أراكا
سأنشر في الورى ذكراك … يفوح بكل ناحية شذاكا
عليك وقفت يا وطني … وما أشهى المنية في

والدعوة إلى العلم شكلت أسّاً في النهوض التنويري، وفي هذا يقول شاعر لبناني في أواخر القرن التاسع عشر هو أسعد طراد(٢):

علم أفضل هادِ … ى طريق الرشادِ
والعلم للناس … في مذهبي
والعلم أفضل واق … نفوسنا من فساد
والعلم تاج شريف … للمرء في كل ناد
والعلم أثبت خل … على الوفا والوداد
والعلم كنز ثمين … لا يبتلي بنفاد
والعلم ماء زلال … لكل آت وغاد
والعلم خير … ألقي عليه
والعلم عوني … بالمعضلات
والعلم سيفي … وجعبتي وجوادي

إلا أن العناية الكبيرة، والواعية بشعر الأطفال نجد إرهاصاتها المهمة لدى مرب كبير، ومؤلف لكتب تعليمية عديدة هو جرجس همام، ففي تجربته ملامح لقصيدة طفل استطاعت أن تدرك الكثير من خصوصية لغة الطفل، كما نلاحظ في قصيدة " من علم العصفور؟"(٣):

---

(1) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٣١ .

(2) ديوان أسعد طراد . ص ٦١ .

(3) أناشيد مدرسية . ص ٨٥ .

من علم العصفور	ـي َ عشـاً فـي
كقصر ملك شاده	ولـم يضـع فيـه

* * *

من علم البلبل أن	يتلو أناشيد الهنا
يطـرب كـل سـامع	بكـل لحـن وغنـا؟

* * *

مـن علـم النحلـة	تجنـي مـن الزهـر
قوتـاً لأيـام الشـتا	جمعـه بـلا مللْ ؟

* * *

أم مــــن هــــدى	تجمع في الصيف
تخزنـه في حجرها	لحينـــه علــــى

* * *

الله قــد علمهــا	ذاك وأعطاهــــا
وهـو لكـل مرشـد	لكـل خيـر أبـدا

وعلى هذا المستوى الرفيع من قصيدة الطفل المبكرة نقرأ في موضوع لافت هو "الأرجوحة" ونصها(٤):

ّـح برفـق رجـحِ	بـــين الصـــحاب
فلنشـد طـرباً بالهنـا	بخـاطر منشــرحِ

* * *

أنعم بها أرجوحـه	فـــي روضــــة
أطيارهــا مليحــه	مــن كــل شــكل

* * *

نلعب وقت لهونـا	نرجــو الســـرور
أما إذا الدرس دنا	فالـــدرس شـــأن

* * *

والـدرس مـن بعـد	شـــأن النبيـــه
فالعــــب قلـــيلاً	علماً نفيساً تنجحِ

والحكاية الشعرية للأطفال شكلت لوناً مهماً من شعر الأطفال،وقد برع فيه جبر ان النحاس صاحب "تطريب العندليب" وهي مجموعة شعرية للأطفال طبعت طبعتها الثانية عام ١٩٥٠، وكتب إبراهيم المنذر واحدة من القصائد ذائعة الصيت مدرسياً بعنوان "قلب الأم" ونصها (٥):

غـرى امـرؤ يومـاً غلامـاً	وده كيما ينال به الوطرْ
قـال: ائتنـي بفـؤاد أمـك يا	ولـك الجـواهر والـدراهم

---

(4) قراءتي . للرابع . شويكي . ص ١١٦ .

(5) شعراء القصة والوصف . سابا . ص ١٦٩ .
ومن المصادفات أن الحكاية درسناها في مقرر الفارسية في الجامعة لشاعر فارسي قديم، ونظمها طانيوس عبده ثانية.
راجع ديوانه ص ١٠٦ .

مضى وأغرز خنجراً في ... والقلب أخرجه وعاد على
لكنه من فرط سرعته هوى ... فتدحرج القلب المعفر إذ
ناداه قلب الأم وهو معفر: ... ولدي حبيبي هل أصابك
فكأن هذا الصوت رغم ... غضب السماء على الوليد
فدرى فظيع خيانة لم يأتها ... ولد سواه منذ تاريخ البشر
وارتد نحو القلب يغسله ... فاضت به عيناه من سيل
ويقول: يا قلب انتقم مني ... تغفر فإن جريمتي لا تغتفر
إستلّ خنجره ليطعن صدره ... حنقاً ويبقى عبرة لمن
ناداه قلب الأم: قف ولدي ... تذبح فؤادي مرتين على

وراحت تجارب الكتابة الشعرية للأطفال تتقدم مع انتشار التعليم، وتنبه بعض الشعراء أكثر فأكثر إلى أهمية القصائد والأناشيد، وما تؤديه من دور في الوعي الوطني والتربوي، وفي إرهاف الإحساس باللغة والشعر معاً، ومن ذلك قصيدة "غن يا عصفور" لرياض المعلوف، حيث يقول فيها(٦):

يا عصفور غنّ ... لي ألحان التمني
وانتفض في الماء نفضات
ذه روحي طارت ... في فضا لحنك مني
فأرى شدوك شدوي ... وأرى لحنك لحني
ليت قلبي في جناحيك وفي المنقار
يا عصفور غنّ ... ثم طر عنك وعني

ولشاعر آخر من المعالفة هو رشدي المعلوف نقرأ قصيدة "فضل الأمهات"وفيها معانٍ نبيلة تجاه الأم، في إطار موسيقي مميز(٧):

ربي سألتك ... أن تفرش الدنيا
بالورد إن سمحت يداك وبالبنفسج
حب الحياة بمنتين وحبهن بغير
نمشي على أجفانهن ونهتدي
فردوسهن ويؤسهن ببسمة منا..
لّ شمسك في الصباح وكل أمّ

ولإيليا أبي ماضي عدة قصائد جميلة، دخلت الكتب المدرسية، وامتازت بقدر ملموس من الشفافية التي أخذت تتنامى مع تطور اللغة الشعرية كما في قصيدة "طفولة" التي يقول فيها(٨):

ما بالك منكمشاً ... قم نلعب في فيء
ونهز الأغصن ... ونذود الطير عن

---

(6) حديقتي . للرابع . ص ٦٩ .
(7) أزهار الأدب العربي . حسن ١ / ٣٦ .
(8) المنتقى. ص ١٥٢ .

ٰو نصـنع خـيلاً مـن		و طيارات مـن ورقٍ
ُـدى وسـيافاً مـن		ونجـول ونـركض فـي
أو نـــأتي بـــالفحم		صور نوق الأبوابِ
ينـاً في بحر عائمٍ		ٰو ليثـاً يخطـر فــي
ٰو كلبـــاً يعـــدو أو		برعـــى أو نهـــراً أو
ٍ ديكاً ينقر أو رجلاً		بمشــي أو مهــراً أو
أو نجبل مـاء وترابـا		ونشـيد بيوتـاً وقبابـا
أو نجعل منه أنصابا		أو نصـــنع حلـــوى

وفي إطار قصصي نقرأ له "الثعلب والأسد" ذات البناء الإيقاعي المتنوع [٩]:

أشـرف البـدر علـى الغابـة فـي
فـرأى الثعلـب يمشـي خلسـة بـين
كلمـا لاح خيـال خـاف مـن ذاك
قشعراً

رأى ليثاً هصوراً		واقفاً عنـــد
لما استشعر حساً		مـلأ الـوادي
فإذا بالماء يجري		خائفـاً عنـد
مكفهرا

أما قصيدة "من الفتى الأفضل؟" ففيها مجموعة من الحكم المهمة في تربية الطفل تربية علمية معاصرة[١٠]:

مضى زمن كان فيه		يباهي بما قومه أثلوا
ويرفعـه فـي عيـون		ويخفـض مـن قـدره
لا تقعدنْ عن طلاب		وتعذل بلادك إذ تعذل
فـإن الخلائـق حتـى		متـى مـا سـبقتهم
فثابر بجد على نيلها		فلـيس يخيـب الـذي
يكـن رجـلاً ناهضـاً		إلـى نفسـه عنـدما
فلسـت الثيـاب التـي		ولست الأسامي التي
ولسـت الـبلاد التـي		لكنما أنت ما تفعلُ
إذا كنـت مـن وطـن		وفـزت فأنـت الفتـى

واستطاع بعض رواد شعر الأطفال في لبنان أن يركزوا على الجانب الضاحك في نصوصهم، وهو من أصعب النصوص وأكثرها قرباً من الطفل، كما في " جائزة الكسل " لأمين ظاهر خير الله، حيث يروي أن شيخاً له ثلاثة أبناء كسالى لم يورث لهم إلا حماراً أوصى بأن يكون حصة لأكسلهم، فاحتكموا إلى أحمد القضاة فقال الأول إنه يمر بجدول الماء وهو عطشان، فلا يشرب منه لأنه يكسل عن ذلك، أما الثاني فقال إن الذباب يدخل فمه فلا يحرك ساكناً

---

(9) سا .
(10) أزهار الأدب العربي . حسن ١ / ٦٣ .

لطرده[١١]:

وسكت الثالث عن ... ما عنده من راجح
قال له الشارع: فه ... فجمجمت ألفاظه
أكسل أن أفوه بالكلام ... ولو حويت غبطة
فحكم القاضي له ... بلا امترا يا أكسل
ثم علا حماره وسارا ... ينشد في نجاحه

وشبلي الملاط من الذين أسهموا في هذا اللون بعدة قصائد، منها "نشيد الأرز" حيث يقول فيه[١٢]:

تاج والجلالْ ... والمجد
وروعة الخيال ... أرز في لبنانْ

* * *

جاعل اليراعْ ... في موضع
ومنشئ ... ـزة شجعانْ

وله أيضاً "نشيد الشجرة" وقصيدة أخرى تقليدية البناء يوجه فيها بشكل مباشر وعظي مثل قوله[١٣]:

ـي إذا كبرتم ... على نكد الزمان
فلا تتعصبوا أبداً ... فكل تعصب يشقي و
حذار من النميمة ... ومنقصة تحط بكل لالأفال ا رعش –
ولا تنسوا لأمكم ... وما عانته من تعب

وشاع لميخائيل نعيمة نص في الكتب المدرسية العربية وإن كان أساساً لم يكتب للأطفال، إلا أن صياغته جعلته واحداً من أجمل النصوص لهم بعنوان "الطمأنينة" ومنه [١٤]:

سقف بيتي ... ركن بيتي
فاعصفي يا ... وانتحب يا
واسبحي يا ... واهطلي
واقصفي يا ... لست أخشى
سقف بيتي ... ركن بيتي

وله نص آخر كان معروفاً في تلك الكتب، وروحه مقاربة للأول في شكله وموضوعه هو "ترنيمة الرياح"[١٥]:

لي هللي يا رياحْ ... وانسجي حول نومي
ن خرير الغديرْ ... تزاز الأثيرْ
تلال العبيرْ ... ي دموع الصباحْ

---

(11) مدارج القراءة ، همام ٤ / ٣٣٢ .
(12) ديوان شبلي الملاط . ص ٥٥ .
(13) سا . ص ٥٢٢ . ونشيد الشجرة ص ٥٠٩ .
(14) همس الجفون . ص ٦٦ .
(15) سا . ص ٧٨ .

هللـي هللـي يـا ريـاح

وقد اشتهر للشاعر بشارة الخوري نص "البلبل"[١٦] مع أن صياغته على رقتها تظهر أنه ليس للطفل، أما النشيد الذائع الصيت مبكراً له فهو "يا علمي" الذي منه[١٧]:

يـا علمـي يـا علم　　　شـــرق واخفــقِ
فـــي الأفـــق
ـــا علـــــمْ
نسيج الأمهاتِ　　　فـــي الليـــالي
نـــيهن الأبــاة
يــف لا نفــديكْ　　　ـل خــيط فيــكْ
معة من جفنهنَّ　　　نفقة من صدرهنَّ
بلة من ثغرهنَّ
ـــا علـــــمْ

ويهدهد وديع عقل ابنه بقصيدة منها[١٨]:

ي نـم بسلامِ　　　واهنـــأ بطيـــب
نــم يــا ســليل　　　يرعـــاك بـــاري

والشاعر محمد الحوماني من رجال الحركة القومية العربية في مطلع القرن العشرين، لذا غادر لبنان وعاش في سورية والعراق والأردن، وعمل في التعليم، فكتب العديد من قصائد الأطفال، إلا أن لغته جزلة ترتفع فوق مستواهم، كما في قوله من نشيد كتبه لمدرسة في البلقاء [١٩]:

سائلوا التـاريخ　　　كيـــف دوخنـــا
أنجبت قحطان　　　أُســـداً تهـــوى
تخـذوا الصـبر　　　ضـــارباً فـــيهم

ومن أهم من انتبه لشعر الأطفال في مطلع القرن العشرين خليل مطران وحليم دموس ومصطفى الغلاييني وقد خصصناهم بحيز خاص للحديث عن تجاربهم، وقد جمعتهم الدعوة إلى العلم والعروبة.

ورشيد سليم الخوري (القروي) كتب عدداً من أناشيد الأطفال وقصائدهم، كما في "لبنان"[٢٠] وما يصح أن يكون نصاً يقدم للأطفال بسبب رقته وسهولته كما في "معولي"[٢١] و"البلبل الساكت"[٢٢]

ويكتب للأطفال مباشرة "في الملعب" بإيقاع مناسب لأغنية مرافقة للعب[٢٣]:

---

(16) المنتخب . للرابع . ص ١٤ .

(17) حديقة الأطفال. ٤٦ .

(18) ديوان وديع عقل . ص ١٤٠ .

(19) الحديقة . الخطيب ٤ / ٢٢٨ .

(20) الديوان ١ / ١٨٥ .

(21) سا ١ / ١٢٢ .

(22) سا ١ / ١٩٣.

(23) سا ١ / ١٨٥ .

صف، ركض، وثب،   صفق، رقص، أنس

لا درس ولا كتب   لا شغل ولا تعب

ـسرح ولنمرحْ

ـهوا لهوا   عدواً شدوا

اشـيد السرورْ   ـنى ونسيرْ

في بساتين الزهور   ـنى بالهوا والنورْ

ومن نشيد آخر موجه إلى الفتيات يقول [٢٤]:

زيني النفس بعلم   ـفاف وأدبْ

ولتكن هذي   ـد زينات العربْ

وعلى الرغم من أن الوعظ في الشعر أثر سلباً في شعرية النصوص وحولها إلى نثر منظوم، إلا أن الشاعر يوسف زخريا يحاول أن يضيف إلى المواعظ ظلالاً جميلة من الصور والأمثلة والطرافة في قصيدة "إلى ولدي"[٢٥]:

ـدَّ يا بُني للعلى   واحفظ لها طاهر

إ ن تخب آمال ذي   ـلا تثبط خيبة همتكْ

وخذ فنون العلم عن   ـنفع بما تأخذه أمتكْ

والحق ناصره على   واسكب على أعدائه

واحترم الناس   إن هم لم ينتقصوا

كن أسداً يحمي حياض   ولم يدنس ثعلب

ما في غنى المحتال   فاصدق وكل في شرف

هذا هو العيد الذي   فسر وسدد نحوه

ولندرة حداد قصيدة مشابهة على شكل خطاب موجه إلى ولدهوا ن كان أقل شاعرية[٢٦]:

ـن حكيماً فكرام الناس عاشوا

كن دواء في الورى إياك أن تغدو

اجمع المال إذا اسطعت ولا تنس

حسب من يعطي ثناء الناس إن

وللمعلم يقول[٢٧]:

يعطي ولم يك   على عطاياه

فليت كل غني   ـا يرى يتعلمْ

إلياس أبو شبكة شاعر آخر مجدّد له مكانة خاصة في تطوير لغة الشعر شكلاً ومضموناً، وهو صاحب موضوعات جديدة قدمها في إطار رومانسي معروف، وكان من جملة تجديداته وانطلاقته نحو الحياة الحديثة أن كتب

(*) في الأصل : مطرب

(24) سا ١ / ١٨٤ .

(25) ديوان يوسف زخريا . ص ٢١٤ .

(26) أوراق الخريف . ص ٦٤ .

(27) سا . ص ١٣٠ .

العديد من القصائد للأطفال، وكانت على العموم من التجارب المميزة على هذا الصعيد، ومن نماذجه حوارية "ألحان الطيور" التي منها قول الشحرور[٢٨]:

الشحرور

ـص فـي الـوادي حبـور

لأ الغصـن حيـاة وشـعور

البلبل:

شـاعر غنيـت   فـي كـل حسـن

من مبيتي في

أنشـد الـدنيا   مثـل ألحـاني

وله "يا بلادي" و"الفلاح" و"ألحان الشتاء"[٢٩] وحوارية تعد من أشهر ما عرف شاعرنا في الكتب المدرسية العربية،وفيها يقترب أبو شبكة كثيراً من الأطفال لغة وروحاً شعبية، إضافة إلى العناية بالشكل الموسيقي للقصيدة، ولنتأمل هذا المقطع من العمل المسمى "عيد في القرية"[٣٠]:

بائع الحلوى:

ـلـوى المعلـل   ـسكر مشـكل

أحمـر. أخضـر. ـقر

غـزلان. رعيـان. ملـوك

ـيـل العربـان

عبلـه وعنتـر   ءى يـا سكر

بائع اللعب:

أنـا بـائع اللعـب   عنـدي العجيـب

بابور   ـسلح

شختور   ـصفح

عندي   عندي دوارع   ـطيارات

عندي قذائف   ـبابات

أما إلياس فرحات فقد كتب قصائد كثيرة للأطفال أو مستوحاة من عالمهم، وصاغها برقته المعروفة ومن ذلك "نشيد الراعي"[٣١]:

أطلقـت أغنـامي   ـى وتجتـر

والزنبـق النـامي   جـر يفتـر

والنـرجس   مـن سـهرة

قد أطبق الأجفان   خوفـاً مـن

---

(28) الأعمال الكاملة . ص ٣٥٥ .

(29) سا . ص ٣٧٢ . ٢٥٩ . ٢٤٥ .

(30) سا . ص ٣٦٨ .

(31) أشعار وأناشيد. أبو سعد. ص ٨٧ .

من لقن الأطيار	أن تنشد الشعرا؟
ن علم الأز هار	أن تبعث العطرا؟
قـــد جـــاءني	ـّـع المنقـار
ذو ريشـــة مــن	يشـة مـن نـار
يـــا نعجتــــي	ا زينـة النعـاج
تـــرعين فــــي	ظـل للمحتـاج

كنا قد عرفنا أن أول شاعرة وضعت مجموعة كاملة للأطفال كانت جسماني شقرا من سورية عام ١٩٣٢ المرأة الثانية كانت اللبنانية روز غريب حيث نشرت عام ١٩٤٨ مجموعة باسم "أغاني الصغار"[٣٢] ومع أنني لم أستطع العثور على هذه المجموعة إلا أن قصائد غريب منثورة في كتب عديدة، و"حماري الوديع" من نصوصها المشهورة[٣٣]:

حماري الوديع	ي ّ مطيـع
كـد ّ ويشــقى	لخيـر الجمع
كـد ّ ويشــقى	ـوال النهــار
ـر ّ الهجيـر	صف الغبـار
ّـه الحمـْ ـل	أتعبــــــــه
إ ن أخطــــأ	أضـــــربه
لأنـــه لــي	يــق أمــين

وأستطيع أن أطمئن إلى القول إن تجربة روز غريب الشعرية للأطفال نقلت الكتابة بشكل نوعي إلى شروطها الفنية والتربوية بعمق واقتدار، حيث صار انتقاء الموضوع مدروساً ولغة النص شديدة الدقة في صياغتها، ولنتأمل هذه القصيدة وهي بعنوان "الدجاجة وفراخها" [٣٤]:

قق قق قق قق	يـــا أولادي
نمشي.. نمشي	نحـو الـوادي
نأكــل حبــا	حلــواً رطبــا
ثـــم نرجـــع	ـي الميعــاد

والمربي الكبير عمر فروخ واحد من أعلام التربية والتعليم العرب، وله مساهمات عديدة منذ بداية القرن العشرين، واللافت أنه قدم للطفل مجموعة من أجمل القصائد، وتكاد تجربته تقارب في شكلها ومضمونها تجربة روز غريب، فهذه قصيدة " الديك الفصيح"مثلاً [٣٥]:

أســـمع الـــديك ... ه صوت فصيحْ
كلما صاحت ديـوك الحـي جمعاء
كيـــك كيكـــي كيـــك كيكـــي
إننـي أمدح ديكي ... و أهـل للمـديحْ

---

(32) أدب الأطفال في لبنان . حطيط .
(33) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٦١ .
(34) أشعار حلوة . ص ٣٤ .
(35) أشعار وأناشيد . أبو سعد . ص ٤٧ .

كل ما فيه جميل وهـو ذو ريـش

آه مـا أجمـل ديكـي

هل علمتم ما اسم إنه يدعى سميحا

إنـه فـوق جـدار مسـتعد أن

كيـك كيكـي كيـك كيكـي

إن هذه القصيدة تدل على الطرافة الممتعة في اختيار الموضوع وطريقة التعبير عنه، و اللغة حية وسهلة ومتنوعة الأساليب، وهو أمر ينطبق على قصائد أخرى مثل "مكتبتي" و"طيارتي" "الفراشة الحمراء" و"الشتاء"[٣٦] ويمكن أن نذكر مثالاً أخيراً لعمر فروخ هو "العصفور الصغير"[٣٧]:

أنـا عصـفور ثما شئت أطير

وعلـى الغصـن وعلـى الأرض

آكـل الأثمـار والحـب وفـي الحقـل

إذا مـا كنـت عطشـان ففـي قريـي

قـد كسـاني الله اعماً ، و حرير

ناحاي صغيران ومنقاري صغير

إن يكـن رأسـي ـه عقـل كبيـر

إن أمـي علمتنـي مها وهو كثير

وأبـي علمنـي ـواني الطيـور

ومن الشعراء اللبنانيين الذين برزوا في الكتابة للأطفال مصطفى محمود، حيث قدم العديد من القصائد الجميلة، ومنها "مطحنتي"[٣٨]:

دارت مطحنتـي يـا تهـدر قـرب النهـر

تدعو الفلاحين إليها لا أهـلاً بـالزوار

* * *

وها بغلال البيدر ها بالقمح الأسمر

مـن خيـرات المـرج فأغني ويطيب نهاري

دارت مطحنتـي يـا جـاري

مـا دام الموسـم قـد يا جيراني هاتوا قمحا

وخـذوا منهـا أبـيض فأغني ويطيب نهاري

دارت مطحنتـي يـا جـاري

جـرش البرغـل مـا فـي مطحنتـي حـين

أدعـو فيباركهـا الله وأغني ويطيب نهاري

دارت مطحنتـي يـا جـاري

ولشاعرنا وعلى نفس النحو من العذوبة والطرافة قصيدة "في ملعبنا الأخضر" وهي تجمع بين الرياضة والمرح والمتعة

---

(36) سا . ص ٥٦ - ٢١ - ٣٦ - ٧٧ .

(37) سا . ص ٤٣ .

(38) سا . ص ٧٠.

والهدف التربوي، حيث يقول(٣٩):

**فـــي ملعبنـــا		وعلـــى الرمــل**
**نســرح نمــرح		بــين الشــجر**
**فـــي ســـاحته		نضـحك نلهـو**
**وبنــا الملعــب		مرحــاً حلــو**
**لا نـــدري مـــا		حـــين يـــدور**
**نسـرع نـركض		كعصـــــافير**
**شــادي يســأل		عــن أقــراص**
**وتفاجئنا نجوى		بمنـــــاقيش**
**لا ننســـــى لا		بعـــد اللعـــب**
**ـــو يقـــوّي		جـّعنا أكثر**

حتى الأخوان رحباني كان لهما جهود في غاية الجمال والتأثير لأنها لم تكتف بالتلحين، بل قرنت ذلك بكتابة القصائد للأطفال،وإن كانت تجربتهما في شكلها الأساسي استخدمت العامية، كذلك الفصحى كما في "رجوع السنونو"(٤٠):

تلـك أطيـار السـنونو
ـعـت بعـد الغيـابْ
صـوتها عذب حنـون
لـه عنـد الـذهابْ

* * *

مــا تراهــا تتغنـــى
غانيهــا عـــذابْ ؟
علهــا تســأل عنــا
ـد أن طـال الغيـابْ

ونلاحظ الروح الرحبانية كيف تتجلى في التركيز على الطبيعة والطيور، واللمحات الشفيفة بلغة تغلب عليها الرقة، الأمر الذي يبدو واضحاً أيضاً في قصيدة "هيفاء ورفيقتها"(٤١):

ذي غيـوم الشـتاءْ
ـى دروب السـماءْ
مـر وجـه المسـاءْ

* * *

أشـعلي النـار وقـومي
أقبـل الليـل وطــال
خبـر منــك، ومنــي

---

(39) سا . ص ٦٥ .
(40) أروع ما قيل . ناصيف . ص ٨٨.
(41) سا . ص ٥٤ .

ويمكننا أن نشير إلى مساهمات أخرى لأنيس المقدسي ورشيد نخلة وشارل الخوري ومتري بولس ومحمود باشو ورشاد دار غوث ووفاء محمد.

ومن المفرح حقاً أن جيلاً شاباً موهوباً قد دخل ساحة شعر الأطفال في لبنان، من أهم أسمائه حسن عبد الله وجودت فخر الدين ومحمد علي شمس الدين وغيرهم.

والشاعر حسن عبد الله أكثر شعراء السبعينات اهتماماً بشعر الأطفال، إذ إن مساهمته لم تقتصر على المشاركة بين الحين والآخر، بل قدم عدداً من المجموعات الشعرية للأطفال، وما يزال ينشر في عدة مجلات عربية مرموقة مثل "أحمد" و"العربي الصغير" وغيرهما.

ومن قصائده "رثاء وردة"[٤٢]:

ـرعت بالـذهابِ
ـي أول الشـبابِ
ـا وردتـي الأنيقـهْ
ـا زينـة الحديقـهْ
مـا زلت فـي عيوني
يـادة الغصـون
عطـرك الفـواحُ
فـو لـه الأرواحُ
ولـتـزل ذكـراكِ
ـأتي بعطـر زاكِ

وللشاعر أيضاً قصيدة "أغنية الربيع" وهي تقدم صورة أخرى على الشاعرية المتميزة الناجحة في قصيدة الطفل حقاً[٤٣]:

هذا الربيع قد أتى أتـى أتـى بعـد
وحـل فـي ربوعنـا ولم يزل بعد فتى

* * *

أتـى الربيـع بـر عم تفتحـا
أتـى أتـى كأنـه طفـل مـن النـوم
وفـي الهـواء إشـة ملونـهْ
مرّغـت جناحهـا الزاهـي بعطـر

أما الشاعر محمد علي شمس الدين فصاحب تجربة أخرى لها لونها وجمالها، ومن أبرز سماتها الاهتمام الواضح بالصورة الشعرية، والموضوع الشفاف المناسب للطفل، كما نلاحظ في "خيمة في الكروم"[٤٤]:

---

(42) مجلة أحمد . العدد ٣٢٨ / ٢٠٠١ .
(43) سا . العدد ٣٣٣ / ٢٠٠٢.
(44) سا . العدد ٣٣٧ / ٢٠٠٢.

لـي خيمـة فـي كرمـة خضـــراء مــــن ورق
نتها بـالزهر والقصب وجعلتها بيتـي وبستاني

*   *   *

أوي إليها نجمة الليل وتنـــام فـــوق ســـريرها
والبـــدر يـــدنو مـــن كالطفـــل يـــدخل نـــاعم

*   *   *

أمضـــــي إليهـــــا أول أعود منا قبل تشرين
ما أجمل الدنيا وألطفها فـــي خيمـــة كالبيـــت

وبالروح نفسها من التمكن من أدوات قصيدة الطفل يقدم الشاعر جودت فخر الدين تجربته الجميلة، وقد نجح في كتابة القصيدة للأطفال الصغار جداً من خلال ما ينشره في مجلة "توته توته" اللبنانية. ومن قصائده "فصول"(٤٥):

أرض كالحســــناء
يعـــة الأزيـــاء
تـف فـي الخريـف
لأصـفر الشـفيف
بـيض فـي الصـقيع
خضـر فـي الربيـع
ســـيفها الفتـــان
لالـــه الألـــوان

وللأطفال الصغار جداً يكتب "مطار"(٤٦):

تحلـــق ـــائرات
فنـــاس يرحلونـــا
ونـــاس يرجعونـــا
جـــاء المطـــار
ـل فـــي انتظـــار

إن متابعة ما ينشر منذ حوالي عشرين سنة تدل على أن قصيدة الطفل في لبنان تقدمت كثيراً على يد شعراء مرموقين، لأنهم يتعاملون معها كنص إبداعي له شروطه المتعددة، ويحتاج إلى عناية خاصة باللغة والفكرة والهدف التربوي.

(45) سا . العدد ٣٣٩ / ٢٠٠٢.
(46) توته توته العدد ١٦ / ٢٠٠٢.

الباب الخامس

التجربة العراقية

الفصل الأول
شعر الأطفال حتى منتصف القرن العشرين

تأخر العراق قليلاً عن باقي بلاد الشام في النهضة التعليمية، وظل حتى منتصف القرن العشرين يحتاج أحياناً إلى الاستعانة بمعلمين ومدرسين من خارجه، وكان هذا البلد أكثر انشداداً إلى الجمود والتعصب، لذا كانت معركة التحديث أصعب وأخطر، مما دعا الكثيرين من رواد التنوير يكتبون داعين إلى نهوضه من دنيا الجهل والانغلاق، ولعل الشاعر علي الشرقي من أبرز الشعراء الذين دعوا إلى العلم طريقاً للتقدم، ومنذ عام ١٩٠٩ قال(١):

ـيس اللبيب مقلداً   ، اللبيب مقلداً بذكائهِ
ولئن خبا للشرق نور   فالعلم نور ساطع
لا تطلب المجد الأثيل   فالمجد راحته بقدر

وله عام ١٩١٠(٢):

هذب يراعك وانصر دولة   واحمل على الدهر في جند
لم يقسم الله في الذكر   نما شرف الأقلام بالقسمِ

---

(1) ديوان علي الشرقي . ص ٣٨ .

(2) سا . ص ٥١ .

ما علم الله إنساناً بصارمه | نما علم الإنسان بالقلمِ
وفي رؤية منفتحة واعية يؤكد في عام ١٩١١[٣]:

العلــم للمجــد والعليـــاء | ىرشدان له عقل ووجدانْ
ما اختص بالعلم قوم دون | كالشـمس لـيس لهـا أهـل

ويخاطب الشاعر الآباء في قصيدة "أيها الوالدون" حتى يصنعوا من أبنائهم دعائم المستقبل[٤]:

إن مـــن للصـــدور | رتجيهم لرفعة العلمِ
كــل كــف لــرفعهم | نعت أمة من الأممِ

وكانت للرصافي دعوات كثير ة تصب في المعنى نفسه، ومما اشتهر في الكتب المدرسية قصيدة "إلى أبناء المدارس" التي يقول فيها[٥]:

كفى بالعلم في الظلمات | يبـين فـي الحيـاة لنـا
أبنـــاء المــــدارس إن | تؤمل فيكم الأمل الكبيرا

ويمكننا مراجعة قصائد عن العلم والتربية في ديوان الرصافي مبثوثة في أكثر من مكان [٦].

وأسهم آخرون في معركة التنوير التعليمي كالزهاوي والجواهري.

إلا أن التفرد في تأسيس شعر الأطفال في العراق كان لمعروف الرصافي وحده، فقد شكلت تجربته أهم وأغزر ما أنتجه العراق خلال ما يقرب من ستين عاماًلهذا فهو يستحق أن يُتحدّث عنه بشكل منفصل.

مع هذا فالشعراء العراقيون أسهموا كغيرهم في باقي الأقطار العربية في وضع الأناشيد التي شكلت زاداً لتلامذة المدارس، كما فعل الزهاوي في "أيها الوطن"[٧]:

يـا أيهـا الـوطن | ن كارثات الحياةِ
ا لنحميك بالدمْ | ـن ذلـة وهـوانِ

* * *

طاننا هي عزٌ | مصـدر للحيـاةَ
ن المجـرة رمـزٌ | جلـة والفـراتْ

* * *

نعـد للنـار نـارا | وللحديـد حديـدا
أجــل ونحمـــي | ولا نعـيش عبيـدا

* * *

ليلى أطلي علينا | تري مثال السجايا

---

(3) سا . ص ٨٧ .
(4) سا . ٢٦٣.
(5) ديوان الرصافي ١ / ١٤٧ .
(6) سا ١ / ١٠٣ – ١ / ٢١٢ – ١ / ٢١٧ – ١ / ٢٢٩ – ١ / ٢٤٦ – ١ / ٢٥٠ – ١ / ٢٥٥ – ١ / ٢٦٢ – ١/٤٠٤ – ١/٤٣٥ – ١/٤٦٦ – ١ / ٧٢٥ – ١ / ٧٣٧ – ٢ / ١٤٤ – ٢ / ٢١٣ – ٢ / ٣٦٢ – ٢ / ٥٤١ – ٢ / ٦٢١ – ٢ / ٦٦٥ .
(7) الأناشيد القومية الحديثة . العقيلي . ص ١٣ .

جنـــداً يســـير   إلـى لقـاء المنايـا

ولشاعر مجهول رمز إلى اسمه بالأحرف م. ح. ع نشرت جريدة "العراق" هذا النشيد الجميل(٨):

نهضتي

لـــك شـــجوي   بـــل وشـــدوي

ـــك يهتـــز اليـــراع

ت للعاطفة القصوى ملاك

كيـف لا أشـدو بمـن يرعـى

*   *   *

صاحبي

ـــلاً نبغـــي الصـــعود

مـــــــد نحـــــــوي

وأغنـي فـي اعـتلا(i) أفـق

والتعالي

تحت أبوابهـا فـي يـوم عيـد

*   *   *

فسلاما   واحتراما

ــك مـن أقصـى الفـؤاد

بـل مـن العـرب   هـم نـالوا المـراد

ـي ِّ عنصـراً حيـاً أفـاق

ن سبات   مات

فـاعتلى فـي مجـده السـالف

فاء   واء

ـا العرب لهـا أسمى علم

ومما يدل على ارتباط الكتابة للأطفال بحاجة المدارس إلى الأناشيد ما ورد في ديوان عبد الحسين الحويزي من أن وزارة المعارف العراقية الأولى عام ١٩٢١ قد طلبت من بعض الشعراء العراقيين أن يزودوها بالأناشيد الوطنية، مما حدا بالحويزي أن يكتب "دار السلام" (٩):

مـل علـى دار   بانعطـــــاف

إن قلبـــــــي   قد سقى للحب

*   *   *

طـائر الـيمن   منشـئاً فيهـا

بالتهـــــاني   فـي قعـود أو

---

(8) الثورة العربية الكبرى (قصائد وأناشيد) أبو دية . ص ٨٣ .

(i) في الأصل : اعتلاء .

(9) ديوان الحويزي . ص ٢٤٣ .

* * *

قد رسا العلم   عقده غال

نبصر الحق   ساطعاً شق

* * *

معدن العلم   كاللآلي في

أو كدوح   منه أنواع

* * *

حسبنا فخر   والمعاني

فهو عنوان   تداء واختتامْ

ومن الطريف أن تكون الحاجة إلى الأناشيد قد دفعت بعضهم إلى تحوير أناشيد معروفة، كما جرى في كتاب "الأناشيد العصرية لطلاب المدارس العراقية" فتتحول(١٠):

ولنجعل مصر هي الدنيا

إلى:

ولنجعل بغداد الدنيا

و:

مصر العزيزة لي وطنْ

صارت:

دار السلام لنا وطنْ

وراحت المساهمات تتوالى في شعر الأطفال على يد نخبة من الشعراء والمربينكما أخذت التجربة تتلو ّن بعطاءات أكثر قرباً من خصائص الكتابة للأطفال، كما في قول عبد الرحمن البناء(١١):

ببلادي أتباهى   ليتني صرت

بدمي أحمي   من جميع

أنا جندي أبي   طنيٌّ عربي

أنا حصن لبلادي

لم تزلزله الأعادي

فإذا نادى المنادي

قلت لبيك أبي

أنا جندي أبي   وطني عربي

وفي مكان آخر يقول البناء(١٢):

---

(10) راجع ص ٧٩ و ٥٠ .

(11) الأناشيد المدرسية ١ / ٢٦ .

(12) الأناشيد العصرية . ص ٨ .

بلادي حبك الغالي	**علـى مثلـي غـدا**
بـلادي مهبطـي	**عليـك جـوارحي**
خطـوب فيـك قـد	**ُرضَّـت أعظمـي**
وعيشـك لـم تطـب	**وعينـي مـا رأت**
سـأدفع عنـك كـل	**ومـن ذا بـالأذى**

ويقول الشاعر علي جميل الخطيب في قصيدة عن الوطن[13]:

إن عـزي فـي	**وهنائي ومرادي**
ا منها وإليها	**قتراب وابتعاد**
أنـا أسـعى	**بنعيم متمادي**
فحيـاتي	**لبلادي لبلادي**

أما مصطفى جواد فهو عالم لغوي مشهور، وقد عرف واحداً من أساتذة الجامعة البارزين، وهو نحوي متشدد فيما بعد، خاصة في كتابه "قل ولا تقل" إلا أن من الطريف في سيرة هذا العلامة أنه ممن أسسوا لشعر الأطفال في العراق منذ أن كان طالباً في دار المعلمين العالية في بغداد، وقبل أن يصبح الدكتور مصطفى جواد فيما بعد، ومن محاولاته[14]:

هذي البلاد	**جو الرشاد**
من سعيكم	**هو العماد**
كي تبلغوا	**ين المراد**
إذ غيركم	**العلم فاق**

وله أيضاً "العلم العراقي" ومنها[15]:

يها الشامخ فخراً	**قف ورفرف في**
إنما النشء حفيظ	**لك من بأس**

علم الأمن ورمز العرب لا أهوى

فلتثق أن حياتي	**فدية تفدي علاكا**

وأقرب محاولات الشاعر من الطفل قصيدته "البلبل" والتي يقول فيها[16]:

رقص البلبل فوق	**يغسل الريش بماء**
وينادي بلسان طلق	**إن عيشي من لطيف**
أنا حر بين غابات	**وسعيد كيف لم**
إنما الأقفاص سجني	**أنا قاسيت عظيم**

(13) الأناشيد العصرية . ص ٢٦ .
(14) سا . ص ١٢١ .
(15) سا . ص ١١٢ .
(16) سا . ص ١١٩ .

خلـق الحيـوان حـراً	**هل عدلتم عن جميل**
أنــا لا أرضــى ســوى	**حفــه الزهــر وريــح**
تحـت بـدر قـد هـوت	**كـل مـن يسـلك نـهـج**
إن قولي حكمة بالغة	**لا يراعيهـــا كثيـــر**

في هذه القصيدة يعالج جواد موضوعاً شائعاً في بدايات شعر الأطفال، وهو البلبل رمزاً للحرية، وبهذا يكون الشاعر قد خطا خطوة حقيقية نحو قصيدة طفل موضوعاً ولغة إلى حد كبير.

ومن الواضح أن النزعة القومية العربية الصارخة في بدايات شعر الأطفال كانت نتاجاً لنهوض الشعور القومي عربياً ، وفي الساحة العراقية العربية، كما نلمس لدى أحمد حقي الحلي أحد المساهمين البارزين في قصيدة الطفل العراقية إذ وضع "المحفوظات الطفلية" في جزأين وقد طبعت في دار المعارف المصرية عام ١٩٥٢.

يقول الحلي في قصيدة عن خالد بن الوليد(١٧):

ا بطــلاً ليعـربِ	**ن سما للشـهبِ**
روحك فينا لم تزل	**ا خالـد لـم تغبِ**
يــا قائـداً أفعالــه	**باتـــت حـــديث**
فـي الحـرب كنـت	**تصـراً لـم تغلبِ**
قــد كنــت سـيفاً	**لـردى لـم تهبِ**
بك البلاد افتخرت	**وأت فخـر العربِ**

ومثله عبد الستار القره غولي في "الفتى العربي"(١٨):

إن الفتــى العربــي لايرضــى الهــوان ولا
يــاً بالمكرمــات وإ نـهــا نعــم الوســامْ
يم توارثهــا عـن الآبــاء أبنــاء الكـرامْ
كالحمامة للصديق وللأعادي كالحمامْ
يقري الضيوف وينجد المستضعفين لدى
و الحريص على البلاد وحبه فيها هيامْ
ولأجل أمة يعرب   يحلــو لــه المــوت
أما الخؤون فليته   لاقــى الــردى قبـل
لــو كنــت أطلــي   ـــــــالكبّـلي أو
نـت أركبـه حمـاراً دون سـرج أو لجـامْ
ووراءه يجري ويهتـف "خـائف" ا غلامْ
فعسى يكون لغيره   رســـاً بليغـــاً ..

ويخاطب إسماعيل فرج الموصلي تلاميذ المدارس قائلاً (١٩):

---

(17) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢٤ .
(18) سا . ص ٢٢٤.
(19) الأناشيد المدرسية ١ / ١١ .

حطموا يا نشء	**واكسروا هذي**
وزمان النحس	**وأتى عصر**

*   *   *

نحن في عصر	**ليس يجدينا**
فاستفيقوا	**قد طال الهجودْ**

*   *   *

واتركوا تقليد قوم	**حبذوا فينا**
كل من تلقاه	**مه فينا يسودْ**

ولأحمد الصافي النجفي قصيدة يتحدث فيها عن قطه فيقول(٢٠):

يحرك ذيله إما يراني	**ويقفز قفزة الظبي**
يلاقي الناس مضطرباً	**يلقاني بقلب مطمئنٍّ**
يطارده الصغار بدون	**فليجأ هارباً منهم**
يراه الناس حيناً لاصقاً	**حيناً لاحساً كفي**

وعن الهرة أيضاً كتب الشاعر د. أكرم فاضل تجربة مختلفة عن تجربة النجفي ففيها ربط واضح بين عالم الحيوان وعالم الإنسان(٢١):

هرة أمثالها نهب	**تخذت مجلسها فوق**
كل من مر بها جمّشها	**دغدغ الرأس وثنى**
فروها الأبيض ثلج	**لاهب والثلج خلو من**
تقرأ الكتب ولا تفهمها	**مثل بعض الناس قراء**
قال خلي: كل فأرها هنا	**ملكها، قلت له: نعم**
إذا الهرة ماءت بغتة	**وتمطت وغفت دون**
كل ظني أنها قد سئمت	**هذرنا فاصطنعت نوماً**

ومن أهم تجارب البدايات ما قدمه الشاعر داوود الوتري، وعلى الرغم من أننا لم نطلع على العديد من أعماله التي ربما يكون النسيان قد طواها فإن الباقي يدل على تحقق كبير لخصائص قصيدة الطفل عنده كما في "حب الوطن"(٢٢):

عشق البلبل أزهار	**فغدا يرقص فوق**
صاغ ألحاناً من الشعر	**طرباً ينشدها في السحرِ**

*   *   *

وترى القمري قد ناح	**بهوى في قلبه قد كمنا**
كلما هب نسيم في	**هاجت الأشواق منه**

---

(20) المنتخب . ص ١٨٦ .

(21) الحيوان في الأدب . شكر . ص ١٧٦ .

(22) الأناشيد العصرية . ص ٧٤.

ويصيح الديك آناً بعد مظهراً كل ابتهاج
قائلاً هذا مكاني في إنني أحميه من كل
فتعالوا يا رفاقي كلنا ننشد الألحان في حب
وننادي بارتياح وهنا لتعش أوطاننا طول

ومن الجميل أن يكتب الشاعر في محاولة أخرى قصيدة حوارية باسم "الشمس والولد"[٢٣]:

الولد:

يا شمس بالله في الليل أين
ني أنام طويلاً هل يطول كراك ؟

الشمس:

ل لي وقت ما زلت طول
أزداد في كل يوم ي الوقد واللمعان

الولد:

يا شمس شيء إذن غيابك عنا
فهل لغير مكان يسري ضياؤك

الشمس:

إن جاءك الليل سواك النهار
الأرض والناس اك والأشجار

الولد:

يا شمس نفعك ما له من نظير
إن غبت عنا ي أرضنا للظهور

الشمس:

لا تخش في كل ير ثم أغيب
إن جاءك الليل الصباح قريب

وفي البدايات المبكرة هذه لم أعثر على مساهمة نسائية ما عدا قصيدة تقليدية يتيمة لم يذكر اسم الشاعرة فيها كاملاً ، بل اكتفي بالقول إنها للآنسة سلوم، وهي بعنوان "البنات" ومنها[٢٤]:

نرتجي أن ترتقي بالنساء العالمات
نرتجي منهن سعياً واجتهاداً في جميع
ليس يجدي العلم إن لم بالسجايا والفعال
والبلاد اليوم تحتاج إلى همم المجتهدات

---

(23) سا . ص ١٠١ .
(24) الأناشيد العصرية . ص ٨٢ .

الفصل الثاني
معروف الرصافي وشعر الأطفال

كان الرصافي واحداً من قلة صنعت روح النهوض شعرياً في العراق، إذ كان داعية إلى تجديد الحياة، والانفتاح على العصر، والأخذ بأسباب المدنية(١):

أمـا علمـوا أن الحيـاة مـدارس فـي كل الـبلاد
فيـا قومنـا إن العلـوم فـإن كنـتم تهوونهـا

وقوله(٢):

إن رمـت عيشـً ناعمـاً فاسلك إليه من الفنـون
واجعل حياتـك غضـة بالشـعر والتمثيـل والتصـوير

وقوله(٣):

---

(1) ديوان الرصافي ١ / ٢١٤ .
(2) سا . ٢ / ٢٦٦.

أيها النـاس إن ذا العصـر عصـر العلم والجد فـي

صر حكم البخار والكهربائية والماكنـات والمنطاد

ونبه إلى ضرورة المساواة بين الجنسين وا إلى تكريم النساء(٤):

هـي الأخـلاق تنبـت	**إذا سقيت بمـاء**
ولـم أر للخلائـق مـن	**ذبها كحضن الأمهات**
فحضـن الأم مدرسـة	**ربية البنـين أوالبنـات**
أليس العلم في الإسلام	**علـى أبنائـه وعلـى**

والحديث يطول لو أردنا التفصيل في علاقة الشاعر وشعره بالتربية، لأنه عمل طويلاً في التدريس في العراق وفلسطين، وكتب للعلم والمعلمين قصائد كثيرة، وأصدر في حياته "الأناشيد المدرسية" عام ١٩٢٣ ثم أتبعها بكتاب "تمائم التعليم والتربية"(٥).

ما يهمنا هنا ما قدمه الرصافي للأطفال من شعر، حيث انتشرت قصائده في جميع الكتب المدرسية العربية خلال عقود طويلة، فشاعرنا معروف وغزير العطاء، مما جعله يغطي حاجة ماسة لدى المدارس، وأول ما يطالعنا في كتابات الشاعر حرصه على العلم وتمجيده، كما في "العلم والسيف"(٦):

ما العلم والسيف عند	**إلا طريقـان للتعـالي**
لـم يبـتن العـرب بيـت	**إلا على العلم والعوالي**

* * *

. مـر ّ للعـرب عصـر	**يعـد مـن أشـرف**
فمجـدنا خالـد قـديم	**اق إلى آخـر الدهـور**

* * *

أنفسـنا حـرة رفيعـه	**تصـبو إلـى الصـورة**
تزيـدنا فـي العلـى	**محاسـن الكـون**

في موضع آخر يخص العلم بقوله(٧):

يا علم الأمة إنا معك	**حـتم علينـا لـك أن**
مرنـا بمـا شـئت	**يكفـل منـا لـك أن**
وسر إلى ما رمت من	**فالواجـب الأقـدس أن**
فيـك شـيات أربـع لـم	**توضـح للنـاس بهـا**
تعتـرف النـاس لنـا	**ا رأت أعينـهم أربعك**

(3) سا . ص ١ / ٧٠ .

(4) سا ٢ / ٣٥٠ .

(5) للتفصيل راجع " الجوانب التربوية في شعر معروف الرصافي " . الحمادي .

(6) الأناشيد المدرسية ١ / ٧ .

(7) الأناشيد العصرية . ص ١٩ .

هــن رمــوز لعصــور   بــالعز للشــعب الــذي

و"المعمار" قصيدة جملية تكرم أصحاب المهن، وتعلي من قيمة العمل، كل ذلك بلغة رشيقة ووزن خفيف منوع[8]:

لــي قطــع مــن   ألهـو بها فـي
بنــي لكــم داراً   حاويــة كــل
ـفها فتنـتظم   ـــم جميعـــاً
فــاعترفوا لـــي   لسـت معمــاراً

وللشاعر مجموعة من الأناشيد الوطنية للتلاميذ، تعلو فيها النبرة،وتصطخب اللغة كثيراً ، ولكنها مع ذلك كانت في وقتها مما صنع قيماً جميلة في وجدان أجيال من التلاميذ كما في "أوطاننا وهي الغوالي"[9]:

أوطاننــا وهـــي   واحنا لـها ثمنْ
إنما أحيا المعالي   من مات فـي حب

* * *

أوطاننــا نحمــي   بكـــل ســـيف
مـا مـات مـن منا   فـي أرضـها تحـت

* * *

أوطاننــا وهـــي   عـــن حبهـــا لا
طابـت لنـا فيهـا   بغيرهـا لا نعتنـــي

* * *

ننشـــق أنفـــاس   كـل سـهل وجبـلْ
لـم نـرض بالـدنيا   عن أرضـها أو عن

ومثله تقريباً "نشيد الاستنهاض" ومنه[10]:

يا قومنا قوموا   كسـب المعـالي
وابنـــوا لنـــا   أسـاس مجـد

وكذلك "نشيد الفتيان" وفيه يقول[11]:

نحـــن بنـــي   نحمـي حماهـا
مـــن أقـــدم   سـادت سـواها

* * *

نحن بنـو مـن   بــالعلم ســادوا
كل الورى منهم   قـــد اســتفادوا

* * *

في أرضنا نحيا   تحـت ســماها

---

(8) الأناشيد المدرسية . ٢ / ٦ .

(9) علم الموسيقى . الصواف . ص ١٠٥.

(10) الأناشيد العصرية . ص ٣١ .

(11) المحفوظات المختارة . عباس ١ / ٢٤ .

وفي "نشيد النشء الجديد" يتابع الخطو بالوطن ملو ّ ناً في طريقة الأداء[١٢]:

لا ننثني نحن ولا　　　نقعد عن نيل
حتى نكون للملا　　　أنموذج النشء

*　　*　　*

نحن الشباب همنا　　　إدراك غايات
أرض العراقين بنا　　　تصبح في عهد

*　　*　　*

شعارنا حب　　　في السر منا
به مدى الزمن　　　حباً على الدهر

*　　*　　*

ارنا نحن العرب　　　م و فضل وأدب
من كل مجد　　　ـا طريف وتليد

*　　*　　*

لنا على الدهر　　　يخفق في أعلى
قد خضعت له　　　من عهد هارون

وهناك للرصافي نص انتشر انتشاراً كبيراً في الكتب المدرسية العربية،لكنه ليس أنجح من غيره فنياً وإن كان فيه قدر لا بأس به من الجمال في الفكرة والبناء، إنه "العندليب" [٣١]:

سمعت شعراً　　　تلاه فوق الغصن
إذ قال: نفسي نفس　　　لم تهو إلا حسن

*　　*　　*

عشقت فيها حسن　　　سن بذاك الحسن
فالعيش عندي فوق　　　لا في قصور ولا

*　　*　　*

أطير فيها من فرط　　　من غصن ورد
وفي فروع الأشجار　　　فالظل فوقي والزهر

*　　*　　*

فسل نسيم الأسحار　　　كم هز عطف
يا قوم إني خلقت　　　لم أرض إلا الفضا

*　　*　　*

فإن أردتم أن　　　ففي المباني لا لا عشلهط –
إن أردتم أن　　　فأطلقوني..

وله نشيد آخر مشهور عن الفتاة الجديدة التي تريد أن تكون كالفتى في المدرسة والعمل ومنه[١٤]:

---

(12) الأناشيد العصرية . ص ٢٠ .
(13) ديوان الرصافي ٤ / ٢١٢ .
(14) سا. ص ٣/٣٣.

إنني بنت صغيره		ـرة من ياسمين ْ
لـي آمـال كبيـره		هـي فـي الـدرس

*	*	*

إن نفسي لمحاطه		لأمـاني النيـره ْ
ا بتعليم الخياطه ْ		وحدها من مفخره

*	*	*

علموني كل فن		يـه للنفس جمال ْ
واتركـوا سـوء		حو ربات الحجال ْ

*	*	*

هذبوني، أكملوني		ي تـروا فـي ّ
ويحكـــم لا		تحـت أسـتار

*	*	*

ليس للأبناء نجح		ع جهل الأمهات ْ
فمتـى يصـبح		ـزول الظلمـات ْ

وعلى طريقة الحكاية الشعرية يصو غ الرصافي ما الذي حدث في محاورة بين "العنكبوت ودودة القز "(١٥):

أيها العاملون من غير		هـل سـمعتم بقصـة
حـين لاقت دويدة القز		وهي تنساب بين أوراق

*	*	*

جاءت العنكبوت تختال		ثـم قالـت تجـاه تلـك
لست مثلـي إذا نسجت		إن ما فيك همة محدوده
إن نسـجي فـي ليلـة		ضعف ما تنسجينه في
فانسجي إن قدرت مثلي		فـاتبعيني فأنـت مـن

*	*	*

فتناهـت دويـدة القـز		ثـم قالـت للعنكبـوت
ليـت مـا تنسـجين كـان		أي نفـع فـي نسـجك

*	*	*

إن ما تنسجين في كل		ر في سقوفها وتراب ُ
أين نسجي وأين نسجك		إن نسـجي للابسـين

*	*	*

كثرة الحرث في السماد		لم يكن من ورائـه حصد
ىمل نـافع وا ِن قل خير		مـن كثيـر الأعمـال مـن

وأنشد شاعرنا للأم في قصيدة "أمي"(١٦):

---

(15) المحفوظات المختارة . عباس . ٣ / ٢١ .

(16) القراءة العربية ص ٣٦.

أوجب الواجبات إكرام ، أمي أحق بالإكرامِ

حملتني ثقلاً ومن بعد أرضعتني إلى أوان

ورعتني في ظلمة الليل تركت نومها لأجل

فلها الحمد بعد حمد ولها الشكر في مدى

وله قصيدة شاعت في الكتب المدرسية بعنوان "في ملعب كرة القدم" ومنها(١٧):

قصدوا الرياضة لاعبين ة تراض بلعبها الأقدامُ

راضوا بها الأبدان بعد علماً تراض بدرسه

إن الجسوم إذا تكون تقوى بفضل نشاطها

وتتراوح تجربة الرصافي على الدوام بين نظم باهت كما مر معنا في قصيدته السابقة، حيث اللغة تقليدية ذات تراكيب صعبة ومفردات لا تناسب الأطفال، حتى الفكرة تقدم بطريقة ذهنية جافة.. إلا أن الشاعر ينجح أحياناً في تقديم الفكرة على نحو يقربها من الطفل كما في "كل شيء يتكلم"(١٨):

لا شيء مما نعلم له تكلمُ

تكلم مختصر همه من يفهمُ

فهو لقوم واضح و لقوم مبهمُ

قد أخذ العصفور بعد وضوح الفلقِ

قول قولاً واضحاً بصوته المزقزقِ :

ن رمت رزقاً سع وجدّ ترزقِ

وعلى هذا النحو الناجح يطالعنا الرصافي بحديثه عن "الشمس" أو "الجو" حيث يشيع التشبيه الحسي المناسب للطفل، والقدرة على الحديث عن الموضوع العلمي بصورة أدبية(١٩):

إنما الشمس أصل دنيانا الكبيره

إن هذي الأرض للشمس هي البنت

من قديم ولدتها بعد أولاد كثيره

ولذا الأحياء في الأرض إلى الشمس

جسمها قطعة نار في الأعالي

في الفضا قد قدرة الله القديره

إن هذا الجو بحر وبه الشمس

الجو:

ثم للشمس بهذا الجو أمثال كثيره

---

(17) ديوان الرصافي ١ / ٦١٣.

(18) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢٢.

(19) المحفوظات المختارة . عباس ٢ / ٨ .

كل هذي الأنجم الزهر شموس مستديره

صغرت في البعد هي في القرب
فبهذا تتجلى قدرة الله القديره

ويعود الشاعر للحديث عن الشمس في طريقة حوارية، ومما يزيد من أهمية هذه الحوارية أنها تدور بين الطفل والشمس(٢٠):

الولد:

يا شمس أين في الليل بعد
فهل تنامين كما أنام في الليل أنا

الشمس:

كلا فإني لم أنم ني من القدمْ
مثل سراج أشتعل في السماء أنتقلُ

الولد:

وأين أنت عندما يمسي الهواء
هل لك غير أرض تضيئين

الشمس:

إذا غربت عندكم عت عند غيركمْ
إن المساء ههنا هناك صبح

وأختم جولتي مع الرصافي حيث يقدم موضوعاً كبيراً وحساساً ولكن بطريقة مقبولة وفيها جمال وعذوبة أحياناً حيث يكتب الشاعر قصيدة "الله" ومنها(٢١):

انظر لتلك الشجره ذات الغصون
كيف نمت من وكيف صارت
فانظر إلى جذوتها مستعره
فيها الضياء وبها حرارة منتشره
وانظر إلى الليل أوجد فيه قمره
وزانه بأنجم كالدرر المنتشره
والريح من أرسلها والماء من ذا
وانظر إلى و ّع فيه زهره
وانظر إلى المرء من شق فيه

---

(20) الأناشيد المدرسية ٢ / ٢٢ .

(i) وردت هذه الحوارية بشكل آخر في "أحب لغتي" ١ / ٣ للقباني .

(21) ثقافة الأطفال . الهيتي . ص ٢٢١ .

من ذا الذي جهزه	**بقـــوة مفتكـــره ؟**
ذاك هو الله الـذي	**ويل لمن قد كفره**
ذو حكمــة بالغــه	**وقـــدرة مقتـــدره**

الفصل الثالث
شـعر الأطفال بعد ١٩٧٠

مثلما كان شباط عام ١٩٦٩ حاسماً في سورية من خلال صدور مجلة "أسامة" كذلك الأمر بالنسبة إلى العراق بعد ذلك بعد أشهر حيث صدرت مجلة "مجلتي" وبعدها "المزمار" عام ١٩٧٠.

إن تخصيص صفحة دائمة للشعر في مجلة "مجلتي" فتح الطريق أمام شعر الأطفال ليجرب الكثيرون، فانطلقت التجارب غزيرة ومتعددة الاتجاهات.

بعد ذلك عمدت "رئاسة تحرير مجلتي والمزمار" إلى إصدار سلسلة كتب، منها المجموعات الشعرية، وتحولت هذه الرئاسة عام ١٩٧٨ إلى "دائرة ثقافة الأطفال" حيث بدأت خطة مدروسة لإصدار الكتب وفق برنامج منظم، وسلاسل موزعة على العلوم والقصة والشعر إلخ..

ثم بعد ذلك ثبت الاسم الأخير لهذه الهيئة المعنية بثقافة الأطفال وهو "دار ثقافة الأطفال" التي تصدر مجلة "مجلتي" و"المزمار" وتنقسم إلى أقسام منها قسم الدراسات والبحوث، وقسم الترجمةوقسم الإشراف اللغو ي، وقسم الرسم،وقسم الإخراج، وقسم مكتبة الطفل الذي كان يصدر كتاباً كل ثلاثة أيام بنسخ تتراوح بين ٣٠ إلى ٨٠ ألف نسخة من كل عنوان مما دفع الدار إلى طبع الكثير من كتبها في لبنان واليابان بحلة فاخرة(*).

أما اللجنة الخاصة بالشعر فكانت مكونة من د. مالك المطلبي وفاروق سلوم وكاتب هذه السطور، وصفحة الشعر في مجلتي كانت من مسؤوليتي طوال مدة عملي المذكورة.

ومن سلاسل الدار: السلسلة الشعرية والتاريخية وحكايات شعبية وحديقة العلوم وهوايات وبراعم والجغرافية والقصصية والمترجمة.

لقد بدأت في العراق حركة شعرية نشطة للأطفال كان من أبرز نجومها في هذه المرحلة الشاعر المعروف عبد الرزاق عبد الواحد، وقد جاء إلى هذه الساحة بعد نجومية كبيرة في شعر الكبار، وقد أصدر في السبعينيات مجموعتين

(*)كان لي الشر ف أن عملت منذ أواخر ١٩٧٦ حتى أواسط ١٩٨٢في دار ثقافة الأطفال، وكنت مسؤولاً عن الشعر طوال فترة عملي، وأسهمت في عضوية لجنة كتاب الطفل التي ضمت الأساتذة: عبد الرازق عبد الواحد و مالك المطلبي وفاروق سلوم وجعفر صادق محمد وفاروق يوسف وعبد الرزاق المطلبي وشريف الراس وفتحي خليل بإشراف المديرة العامة السيدة أمل الشرقي.

للأطفال هما "النهر والبستان" و"قصائد للأطفال" وتتضح في قصائده متانة الأدوات والخبرة الشعرية، ومن نصوصه الجميلة "آه لو كان لي جناح"[١]:

آه لـو كـان لـي　　　لتبعثــرت فـــي
لتســلقت فـــي　　　مة فوقها أنامْ
ـت بوابـة المطـرْ
لقـــت بالشـــجرْ
ـت نـافورة المطرْ

*　*　*

لو كان لي جناحْ
كنــت أبحــرت فـــي
إكبـاً ورق الهـلالْ
ابحاً أعبـر الغيـومْ
كنـــت حملـــت　　　بســـلال مـــن
أيهـــا البلبـــل　　　لـــــك ريــــش
ـ تبقى هنا أسيرْ
طـر إلـى كونـك　　　ــرْ ، تمهـــل
إنمـا لـيس لـي　　　، وخذ لهفتـي

ومن قصائد الشاعر المبكرة للأطفال يّا مرحباً بالماء" وهي تقوم على تنويع جميل يغلب على أكثر قصائد ه[٢]:

مرحباً بالمـاءْ　　　يجـــري بوادينـــا
سـلمت يـا مـن　　　بالحــب يســقينا

*　*　*

اسـق العطـاش　　　يـا نهرنـا الجاري
يبقـــى لنـــا　　　ســتان أزهـــارِ

*　*　*

يــــا نهرنـــا　　　الحـب والشـعرِ
غــــرد مــــع　　　وارقـــص مـــع

ومن النصوص المميزة لعبد الواحد "طيارة الورق"[٣]:

ارتفعـي ارتفعـي　　　ي موجة الهواءِ
ورفرفي وانـدفعي　　　كـــالطير فـــي

*　*　*

---

(1) قصيدة الطفل . مجلة الأقلام . بغداد العدد ٣ / ١٩٧٩ .

(2) الأناشيد . ص ٣٧٠.

(3) سا . ص ٣١٦ .

خيطك ما زال   ـت تبعدين
عقدته بإصبعي   فأين تهين ؟
إياك أن تميلي   ـذيلك الطويل
ـدق الخطر
يعلق بالنخيل أو   ـق بالقمر
ارتفعي ارتفعي
ـي على القمر

وقد نجح الشاعر عبد الرازق عبد الواحد في كتابة الحكاية الشعرية، وهو صاحب تجربة غنية في القصة والمسرحية الشعريتين للكبار، فاستطاع أن يحول النص الشعري للأطفال إلى مجال رحب الخيال والشفافية، مع خبرة عالية في متانة البناء مع المحافظة على سهولة الأسلوب وبساطة الإيصال كما في "الطفل والفراشة":

أيت ذات مرة   إشة ملونه
كأنها لحسنها   ن ذهب مكونه
كانت تطير   بين الزهور
تحملها أجنحه   مثل الحرير
بينما كنا معاً   في فرح نرقبها
إذا بطفل هائج   بمضرب يضربها
فأفلتت من يده   لكن هوت فوق
وقبل أن يلحقها   أجمل مشهد
ـان أبوه واقفاً   فهب كي يدركها
محتضناً صغيره   قبيل أن يمسكها
صاح الصغير   ـدها يا أبت
لكن أبوه ضمه   ـه في محبة
قال له: يا ولدي   أعلم كم تحبها
لأنها جميلة   جميعنا نحبها
لكنها رقيقه   تتلها لمس اليد
أنقتل الشيء   نحبه يا ولدي
فوقف الطفل   د إليها إصبعه
وحين طارت مرة   أخرى رأينا أدمه
كان يرنو وأبوه فرحاً يرنو

ولم ينقطع اهتمام عبد الواحد بشعر الأطفال حتى الآن، إذ ما زال ينشر القصائد لهم.

هناك شاعر مبدع آخر يكاد لا يعرف إلا شاعراً للأطفال، وهو فاروق سلوم، وقد تسلم رئاسة تحرير مجلتي والمزمار خلال العامين ١٩٧٦ ١٩٧٧ وأصدر مجموعتين للأطفال هما "قوس قزح" و"أغاني الحصان".

وتجربة سلوم التي نجحت في الاقتراب كثيراً من الأطفال، خاصة في بعض القصائد المميزة، إلا أنها عانت من ضعف الأدوات حيناً والوقوع في الشعارات الحزبية حيناً آخر.

ومن قصائده المهمة "دو ري مي"(٤):

دو.. ري.. مـــي فـــا.. صـــول..

حلـو منظر كرّاسي

كراســـي معــرض

وطيــور مــن كــل

زهور حول الناسِ

* * *

دو.. ري.. مـــي فـــا.. صـــول..

دو.. ري.. مــــــي

دو.. ري.. مــــــي

أرســم وجهــك يــا

رسمه قمراً أحلـى

و بستاناً أو حقلا

و أردد: تـــــــــــر

دو ري مي فا صول

حلو منظر كراسي

وقد برز لدى الشاعر على الدوام احتفاؤه بالأصوات واستخدامها في قصائده، وهذا الأمر من جماليات شعر الأطفال كقوله في "القطار"(٥):

فوووت .. فوووت

صاح بنا

صاح بنا ودارْ :

تعالوا يا صغارْ

أو(٦):

تك.. تك

تك.. تك

قطرات الزيت تسيحْ

والريح تصيح.تصيحْ

أو(٧):

(4) قصيدة الطفل . الأقلام . سا .

(5) قوس قزح . سلوم . ص ٦.

(6) سا . ص ٥.

(7) سا . ص ١١.

تووت

توووت

تووووت

والبيوتْ

والنوم والسكوتْ

تووت توووت تووووتْ

أو[٨]:

دن دان

دن دان

قد كان ياما كانْ

وفي الكثير من قصائد الشاعر سلوم امتلاك للموضوع الطفلي بامتياز، فهناك حضور طريف لعالم الطبيعة والحيوان بطريقة ذكية وجذابة كما في "عطس القنفذ"[٩]:

عطـس القنفـذ: والبطـة قالـت:

البـرد أتـى البـرد أتـى

طريق الدرس طويلْ

مشـينا مثـل الجنـدْ

ـدرس فيـا للسـعدْ

لبسـنا ضـد البـردْ

ـسـوافاً وسـراويلْ

والقنفـذ يلهـو.. يلهـو

ـالبرد وبالأمطـارْ

جبـت الأطيـارْ

قالـت: مـن يتعـدى

سيصـاب[i] بضـربة

وسيعطس: هتشوو

الشاعر الآخر هو الدكتور علي جعفر العلاق الذي قدم مجموعة من أجمل القصائد للأطفال في السبعينيات، ومن شعره أغنية الروضة"[١٠]:

ـا زهـرة يـا غضـهْ

ـن صـغار الروضـهْ

---

(8) سا . ص ١٧ .

(9) قصيدة الطفل . سا .

(i) خلل وزني والصحيح "سوف يصاب"مثلاً !

(10) مجلة "مجلتي" العدد ١٠٤ / ١٩٧٩ .

نرسم في قلوبنا   شمســاً بلــون

وموطنــاً نحبــه   ـماءه وأرضــه

وسـوف نحميـه   نحمـــي زهـــوراً

وله قصيدة "طار العصفور" يمزج فيها بين عالم العصفور وبين معان وطنية بأسلوب جميل[١١]:

طــار العصــفور   حـــط صــفور

وســماء الــوطن   تتغنــى كالأطفــال

وتظـــل تـــدور   ـار العصــفور

* * *

حط العصفور على الشجره   أوصى الورده أن

قـال لهـا: سـنقيم   ي وطـن التـأميم

أعشاشاً من عشب   ـماء مـن نـور

* * *

طر يا عصفور على وطني   وتعـــال تعـــال

جنـــوب وشـــمال   ميـــاه وتـــلال

تصـــنع رايـــات   ـماء مـن نـور

وللشاعر قصائد تمتاز بالطول النسبي،ولكنها لا تترهّل في بنيتها بسبب ذلك، بل استطاع العلاق أن يحملها الكثير من التنويع المميز في الوزن والقافية والأساليب اللغوية الجميلة كما في "أغنية المطر"[١٢]:

ل علـى أشـجارنا يـا مطـر

ـق زهـور جارنـا يـا مطـر

غـــــــن للطيــــــــر

العشـــــــب والخيــــــر

ون الـدرب وقـل يـا مطـر

ـذا أنـا صـديق كـل الشـجر

ـا مطراً .. ـا مطراً .. مطر

* * *

تعـال نلعـب فـالطريق آمـن

وأصـدقائي يحملـون الكتـب فـي

ــــــدث الطيــــــور

فــــــيم والزهــــــور

عن حبنا لبعضنا   ــا مطـــر

(11) قصيدة . الطفل . سا .

(12) مجلة " مجلتي " العدد ٦٤ / ١٩٧٥.

ودرسنا وأرضنا شجرْ
ـا مطراً .. ـا مطراً .. مطرْ
يـا مطـر الشـتاء يـا طيـب يـا
يــا حامــل الخضــرة للســياج
يـــا مـــل الخيـــرْ
عشـــب والطيـــر
مـن تغنـى للنـدى والحجـرْ
ـا مطراً .. ـا مطراً .. مطرْ

* * *

تعال فـالجيران والأعشـاب فـي
يـا حامـل الخضـرة للرصـيف
ـــال لـــي تعـــالْ
ـهـــو مـــع الأطفـــالْ
وحين يأتي ليلنا قمـرْ
انـــزل علـــى ـــا مطـــرْ
واســـق زهـــور حجـــرْ
ا مطراً .. ا مطراً يـــا

وهناك شعراء كثيرون كتبوا قصيدة أو أكثر للأطفال، أو نشروا قصائد عديدة بلا نجاح، وتفاوت نجاحهم بين تجربة جيدة وأخرى ضعيفة، ومن هؤلاء: عبد الجبار عاشور، ومحمد جميل شلش، وعلي الحلي وبشري البستاني، ومنذر الجبوري، ورعد عبد القادر وتركي كاظم جودة ومالك الواسطي وهادي ياسين علي وخالد الخزرجي ومحمد راضي جعفر وحميد قاسم وجميل مشاري ونجم عبد الله وصباح كاظم وحارث الراوي وحسن عبد الحميد وجاسم تميم وعبد الستار ثابت وعادل حمدي وعبد الإله رؤوف وحاتم صكر وآخرون.

ومن نماذج القصائد الجميلة "إلى ولدي" للشاعر ناهض الخياط، وهي على شكل وصايا شعرية مؤثرة للطفل[١٣]:

ولدي لا ترسم شيئاً لم تره
شـــيئاً لا تتأملـــه
ـا ولـدي لا ترسم طفـلاً مـن
و شـجراً مـن دون سـم
ـا ولـدي لا ترسـم سـوقاً
مـن غيـر دمـى أو حلـوى
ثيـــاب للأطفـــالْ
ـا ولـدي لا ترسـم طرقـاتْ
تخلـو مـن خطـوات النـاس
ا ولدي لا ترسم عصفوراً في

(13) قصيدة الطفل . سا .

ـــل فـــــوق الأشـــــجارْ
ا ولـدي لا ترسـم قطـرة مـاء
ــــــل أرســـــم مطـــــراً
يــا ولــدي لا ترســم ـسـكيناً
لصورة تبدو فيها كالسكينْ
ـا ولـدي لا ترسـم صـهيونياً
فاشـــــــياً بـــــــالألوانْ
ـا ولـدي لا ترسـم كوخـاً فـي
ــــــــــــــــــــــالأكواخْ
لا يجــــــــدر أن تبقـــــــى

وعلى العكس من هذه البساطة الجميلة نلتقي أحياناً بقصائد حماسية صاخبة لا شاعرية فيها كما في " نشيد الطفل العربي " لحارث طه الراوي(١٤):

أنـا طفـل عربـي　　　ثـائر حـر أبـي
مثـل جـدي وأبـي
أنــا لا أخشــى　　　أنـا حتـف للعـدا
ـتــي مــن لهــبِ
أنا ثأر الشـهداء　　　حيثمــا حــق
ـوق أرض العـربِ
فـي غـد أصـبح　　　أمــلأ الأعــداء
فـو هـام الشـهبِ
أنــا لا أهمــل　　　فهـو مـن قلبـي
أنــا أهــوى كتبــي

– شعر ا لأطفال

وعبد الجبار عاشور غزير الإنتاج ينجح أحياناً في تقديم قصيدة حقيقية للأطفال كما في "أنا الشجرة"(١٥):

دوروا حــــولي　　　فأنــا الشــجره
أعطـــي خشـــبا
أعطـــي حطبـــا
عطـــي ظـــلاً　　　أعطـــي ثمـــره
أعلـــو كـــبلادي
والروضـــة حـــولي
أعشـاش الطير علـى
وثيـــابي خضـــراء

(14) مجلة "مجلتي" العدد ٦٠ / ١٩٧٥ .
(15) سا . العدد ٣٥ السنة ١١ العام ١٩٨٠ .

ويغنـــــي الراعــــي
أنســام الفجــر مــع
لربيــــــع الفرحــــة
دوروا حــولي فأنــا
أعلـــــو كـــــبلادي

نبيل ياسين من الشعراء لذين قدموا الكثير من قصائد الأطفال مع جيل برز في السبعينيات أساساً ، واستطاع أن يكون من أبرز الأسماء الشابة التي قدمت شعراً مميزاً للأطفال، وقد أصدر مجموعة "الوردة قالت للقمر" والكثير من القصائد المنشورة في "مجلتي" العراقية و"أسامة" السورية وصفحة الأطفال التي كانت في صحيفة "طريق الشعب" العراقية أيام السبعينيات، ومن قصائد الشاعر "المطرقة"(١٦):

تـرن تـران تـرن   مطرقتــي فــوق
ألــوي حديــداً   وأشــــيد بيــــد
هيا يـا مطرقتـي   دقـي تـرن تـرن

* * *

رايــات العمــل   شــر ها فــوق
أبنــي بالعمــل   بيتــاً مدرســة
هيا يـا مطرقتـي   دقـي تـرن تـرن

* * *

باقــات زهــور   تنمـو فـي أرض
أول أيـار كالرايـه   تخفـق فـي كـل
هيا يـا مطرقتـي   دقـي تـرن تـرن

وإذا كانت الإشارات السياسية صارخة ومفتعلة في هذه القصيدة،فالشاعر يقدم موضوعاً طفلياً بامتياز في "أغنية الآلات الموسيقية" حيث ينساب المعنى الوطني بتلقائية مع الموضوع الموسيقي الجذاب(١٧):

نحــن الآلات علــى   نعـزف للنـاس لكـي
نعــزف فــي كــل   ونشـارك فـي فـرح

* * *

أنــا إســمي الطبــل   وصـــديقي النــــاي
نبحـث عـن نـاس   تني صبحاً ومساءْ

* * *

أنــا إســمي العــود   دني أطياف وورودْ
أوتــاري الخمســة   تســكن فــي بيــت

* * *

أنــا إســمي قيثــارة   عشـت الأزمـان ولـم
غنيـت لشـعبي مـن   لحان البهجة والحبِّ

(16) مجلة " أسامة " العدد ٣٧٩ / ١٩٨٤.
(17) سا . العدد ٣٧٠ / ١٩٨٣.

* * *

أنـــا إســـمي بيـــانو		نـي بهدوء الأنسامْ
فـــإذا مـــا داعبنـــي		غنيـــت الأجمـــل

ومن خصائص تجربة نبيل ياسين أنه كتب أكثر قصائده على شكل شعر التفعيلة، وهذه طريقة لها جماليتها، وقد أخذت تتسلل إلى قصيدة الطفل شيئاً فشيئاً ، حتى صارت الآن من أشكال شعر الأطفال الرئيسية كما في قوله في "النهار لنا"(١٨):

قف الليل على الباب وقالْ :
تهـــى الآن النهـــارْ
ـــــا الآن أجـــــيءْ
قلت: لـن تبقى طويلاً سوف
ثـم يـأتي الفجـر.. والصـبح
وكمـا فـي " الحديقـة "(١٩):
فـي بيتنـا حديقـة صـغيره
زهورهـــــا كثيـــــره
هـــــرة زرقـــــاءْ
هـــــرة صـــــفراءْ
هـــرة ثالثـــة بيضـــاءْ
نـــى بهـــا الجميـــعْ

ومن الشعراء الذين قدموا قصائد جميلة متينة البناء الأداء الشاعر خالد يوسف،وقد نشر عدداً من القصائد إضافة إلى مجمو عة شعرية مميزة للأطفال بعنوان "تك تك تاك" ومن قصائده "يا طيار":

فـي السـما بـين		ـل ٍّ ... عـلٍّ
وابـن مـا بـين		بيـــت أهلـــي
عـل يـا طيـار عـلِّ

* * *

طـف علـى كـل		والبـــــــراري
احـم مـن غـدر		ســــور داري
عـل يـا طيـار عـلِّ

وقصيدة "تك تك تاك"(٢٠):

تــك تــك بابــا		ـــع الفجـــرُ
تــك تــك مامــا		ـحا الطيـــرُ
تـت كـل الأزهـارْ

(18) الوردة قالت للعصفور . ياسين . بلا ترقيم .

(19) قصائد ملونة . ص ١٧ .

(20) تك تك تاك . ص ١٠ .

ا عمري زاد نهار ْ

ثم ظهر جيل أكثر شباباً في العراق، وقدم محاولات مميزة في شعر الأطفال، إذ أخذت لغتهم تقترب أكثر من الشفافية الجميلة والعوالم الطفولية ومراعاة جوانب عديدة تتعلق باستخدام الأصوات والتلوين في التفاعيل والتقفية، ومن الأسماء البارزة لهذا الجيل كريم العراقي الذي عرف واشتهر واحداً من أهم من كتب كلمات الأغاني في العراق، وقد أصدر العراقي مجموعة "سالم يا عراق" ونشر الكثير من القصائد. ومثله جمال جمعة الذي نشر مجموعة للأطفال وعدداً من القصائد الناجحة، ومنها "النجار"(٢١):

تراقص المبرد فوق
ودقــت الأخشـــاب
وقربهـــا تمايـــل
يقطـــع الألـــواح
فـــامتلأ الـــدكان
طـــق.. ـــاق ْ
طـــــــــر.. رار
فيـــرت أشـــكال ْ
بـــدلت أحـــوال ْ
وصـــارت الألـــواح
ـــة النجـــار ْ
ـــة الأفكـــار ْ
منضـــدة.. مقعـــداً
ـــلماً للـــدار ْ

ومن أسماء هذا الجيل الشاعر غازي الفهد الذي يكاد يتخصص في كتابة شعر الأطفال فقط، حيث نشر لهم وهو ما يزال في مطلع الشباب وحقق نجاحاً كبيراً وكانت أغنية برنامج الأطفال في الإذاعة العراقية من كلماته، وهي مشهورة وذات لحن رائع للمبدع حسين قدوري بعنوان "الأجنحة"(٢٢):

على شفاهنا
حطت ْ
فراشتان ْ
ومن أكفنا
طارت ْ
حمامتان ْ
أماه يا بلادنا

---

(21) مجلة " مجلتي " العدد ٣٣ السنة ١٠ / ١٩٧٩ .

(22) قصائد مغناة . ص ١٤ .

نـهراك في صدورنا
قلادتان ْ .

ومن قصائده "أتى أبي"[٢٣]:

أتى أبي من السفر ْ
أتى وفي جبينه ْ
عذوبة المطر ْ
عيناه ضحكتان ْ
بالحب تزهران ْ
يا مرحبا يا مرحبا
أتى أبي من السفر ْ

وخيون الفهد أخو الشاعر غازي، وكتب الكثير من القصائد، وفيها قدر مقبول من النجاح، لكنها على الدوام تعاني من الضعف في بنائها إيقاعاً ولغة.

أما عبد الإله رؤوف فقد كان من أهم كتاب السيناريو الساخر، إلا أنه حاول الشعر في قصائد معدودة ليس فيها ما يلفت النظر كما في "يا ساعي البريد"[٢٤]:

يا ساعي البريد ْ
يا ساعي البريد ْ
إرحل إلى الجبهه ْ
واخبر أبي هناك ْ
إني أرى الوطن ْ
حين أرى وجهه ْ

فاضل عباس الكعبي ممن أسهموا بنشاط في شعر الأطفال لكن دون تميز، ومن قصائده "طير النصر"[٢٥]:

طيــــــر مر ببابي
حلـــــواً يشــــــدو
مـــــا أحـــــلاه !
مـــــا أســــــعدني
حـــــــين أراه !
حملنـي صبحاً بشـراه
طيــــــر مر ببابي
ر أى قريـــــــــي

---

(23) الأناشيد . ص ٣٥٢.
(24) مجلة " مجلتي " العدد ٦ السنة ١٢ / ١٩٨١ .
(25) سا . العدد ١٨ السنة ١٢ / ١٩٨١.

كـــــل صـــــحابي

حيينـــاه   هنأنـــا

هنأنـــــــــــاه

طيـــــر   صـــار

يحيـــا   يحيـــا

وحسن عبد الحميد من مساهماته "أغنية للعمال"[٢٦]:

لؤلؤ والمـاسْ   ـين الأجـراسْ

ـــاء الصـــبحُ   فرحـــاً يعـــدو

ي وطـن الأعـراسْ

* * *

أفـــواج ـــواجْ   ـرع كـالأمواجْ

للمصـــــــنع..   تفـــتح أبـــواب

يـا يـا كـل الأطفـالْ

نطـف ورداً للعمـالْ

فـبهم نبنـــي وطنـــاً

أما خالد الخزرجي على الرغم من كل ما نشره، خاصة مجموعته "الأمل" فقد ظلت أدواته ضعيفة، وكتاباته أقرب إلى النظم والشعارات كما في قوله[٢٧]:

قـــال لنـــا رئيســـنا

بلادنـــا تصـــادق

ـــاوم الغريـــبْ

ل من أساء للعربْ

مـن أجـل أن ينتصـر

وتشـرق الحيـاة فـي

وفاروق يوسف من الذين كتبوا الكثير للأطفال نثراً وشعراً، وقد استطاع خلال مسيرته الممتدة منذ أوائل الثمانينيات أن يحقق الكثير من النجاحات، ومنها كتابته لعدد من القصائد الجيدة، وهناك محاولات شعرية لم تكن بالمستوى الذي نعرفه عنه، أو عن شاعريته الشفيفة، كما في "يا عراق" حيث يميل إلى الحماسة الجافة[٢٨]:

فعـوا يـا رفـاقْ   ــة للغضــبْ

ذا فجر العراقْ   ع ّ بـين العربْ

جرنــــــا الأولُ

النـــدى يقبـــلُ

---

(26) سا . العدد ١٧ السنة ١٢ / ١٩٨١ .

(27) سا . العدد ٢٢ السنة ١٢ / ١٩٨١ .

(28) سا . العدد ٤٧ السنة ١١ / ١٩٨٠ .

صـــــار فجـــــر   ـــاحة للعنـــاقْ
ِتحي يا حقولْ   بابـــك المغلقـــا
اك سعد يصولْ   يحمـــل البيرقـــا
ـال ضــوء الصــباحْ
ِحبـــــاً بالريــــاحْ
صـــــاح كـــــل   ِحبـاً يـا عـراقْ

بينما يتألق في قصيدة اللقلق التي يبدؤها(٢٩):

يـــر اللقلـــق عــادْ
ديـنـــــة بغــــدادْ

وهادي ياسين من الذين كتبوا نصوصاً قليلة لا بأس بها، كما في "العصفورة"(٣٠):

دوري يـــا عصـــفورة
فـــي أرض النعمـــة
ـــي لغد صـاف آتِ
غنـــي للعامـــل فـــي
ولفـــلاح ـــر يعمـــلْ
غنـــي يـــا عصـــفورة
للـــــوطن الأخضـــــر

لقد أشاعت دار ثقافة الأطفال باهتمامها بشعر الأطفال جواً حيوياً ، جعل المشاركة واسعة، مما ساعد على التجريب، ومن ثم بروز بعض الأسماء الجيدة، كما كان للاهتمام بأغنية الطفل دور آخر أسهمت به إذاعة بغداد، فنشط الشعراء في كتابة أغاني الأطفال، وما تعطيه هذه التجربة للشاعر من خبرة في الكلمة والجملة في إطارها الموسيقي الغنائي، والعلاقة المثمرة والمفيدة مع الملحنين.

ومن الأسماء المهمة جداً في مجال أغنية الطفل في العراق الملحن حسين قدوري صاحب عشرات الأغاني المميزة، إضافة لتخصصه الأكاديمي بأغنية الطفل من خلال أطروحته عن أغاني الألعاب عند الأطفال العراقيين وقد نشرت ضمن مطبوعات وزارة الإعلام هناك.

وسأختم حديثي عن التجربة العراقية بالإشارة إلى أهمية قصيدة الأطفال الصغار جداً ، وهو أمر مهم ساعدت على تنشيطه مجلة " توته توته " باتجاهها التربوي الرصين في تشجيع الكتابات ذات المستوى الرفيع.

وقد أسهم الشاعر العراقي جليل خزعل في هذا النمط من الكتابة الشعرية كما في "طويل.. قصير"(٣١):

ليلى أختي
أطول مني

(29) سا . العدد ٢٥ السنة ١١ / ١٩٨٠ .
(30) أحب لغتي . القباني ٢ / ٥٩ .
(31) مجلة " توته توته " العدد ٢٥ / ٢٠٠٢ .

وأنا أطول من عدنانْ

لكن علياً أطولنا

طول علي هو[i] مترانْ

وله أيضاً قصيدة " أختي "[٣٢]:

أختي.. أختي

نور البيتِ

من بسمتها تشرق شمسُ

أختي فرحُ

أختي أنسُ

في صحبتها يحلو لعبي

وبرؤيتها أنسى تعبي

إن التجربة العراقية كما لاحظنا من التجارب العربية الغنية في شعر الأطفال، ولولا الظروف القاسية التي خربت انطلاقة دار ثقافة الأطفال، وشتتت شمل الشعراء لكان استمرارها أكثر بكثير في هذا المجال من واقع عطائها الحالي.

(i) كلمة هو زيادة مني فلعلها سقطت من الأصل ! .

(32) توته توته . العدد ٢٣ / ٢٠٠٢ .

الباب السادس

التجربة الفلسطينية - الأردنية

الفصل الأول
المثل المنظوم لإسكندر الخوري

الشاعر اسكندر الخوري واحد من أهم من كتبوا شعر الأطفال في الوطن العربي، فقد قدم تجربة متميزة، فيها الكثير مما هو ناجح وسهل، وشعره ابتعد إلى حد مقبول عن الصعوبة والنظم الباهت، وعمل هذا الشاعر في التدريس لسنوات طويلة أثرفي طريقة استخدامه للموضوع واللغة.

في المقدمة التي كتبها الشاعر لمجموعته "المثل المنظوم" نطلع على أفكاره العامة الواعية لما فعل:[١]

"لا يخفى افتقار المدارس في هذه الأيام إلى كتاب شعري، لطيف الموضوع مناسب لأذواق التلامذة ذكوراً وا إناثاً ، على اختلاف درجاتهم في السن والمعرفة،منطوٍ على المفيد لعقولهم، المهذب لنفوسهم ولغتهم، والمقوي فيهم ملكة الحفظ والاستظهار.

وقد وجدت أن الأمثال المنظومة أعظم ما تحتاج إليه مدارسنا إذ ليس لدينا حتى الآن كتاب شعري على نحو ما هو عند الغربيين يحوي القصة المنظومة ولا سيما ما جرى منها على أفواه البهائم وألسنة الطير، تنطوي على الأدب والحكمة والنصيحة إلا نزر يسير مبعثر هنا وهناك، يكاد لا يفي بحاجات المدارس وتطلع أنظار تلامذتها.

اسكندر الخوري (١٨٩٠– ١٩٧٣)
مربٍ من بيت جالا في فلسطين، عمل في التدريس طويلاً من مؤلفاته "حقائق وعبر" و"الحياة بعد الموت" و"أدب وطرب" و"في الصميم" و" الطفل المنشد" و" المثل المنظوم" و"العنقود".

(1) المقدمة .

فحدثتني النفس لطرق هذا الباب علي أوفق إلى ما فيه الفائدة المتوخاة بإذن الله. فنظمت هذه القصائد، بعضها على أفواه البهائم وألسنة الطير، والبعض الآخر قصة أو عبرة أتبعتها بضع قصائد تجمع بين الأدب والفكاهة والتاريخ ووصف الطبيعة والأنشودة مما لا غنى للتلميذ عنهذا وقد ذيلتها بالشرح اللازم وزو ّدتها بصورة لكل قصة تجعل من المثل حقيقة ملموسة لا يخفى تأثيرها الحسن في نفس الطالب وعقله".

وعندما نطالع "المثل المنظوم" نجد أنه مجموعة حكايات شعرية مأخوذة من لافونتين أو كليلة ودمنة أو بعض الأخبار التراثية أو القصص الشعبية.. ومع أن الشاعر لم يشر إلى ذلك صراحة لكننا لا نشك في أن كتاب "العيون اليواقظ" لمحمد جلال عثمان كان من مصادره الأساسية، حيث جرت عادة أغلبية من كتبوا للأطفال أن يعودوا إلى حكايات شعرية مشهورة فيعيدوا نظمها من جديد، وصنيع اسكندر الخوري مثال بارز على ذلك.

إذاً كما رأينا في مقدمة الشاعر التي أوردت أكثرها، هو واعٍ لما يصنع، فهناك مراعاة لخصوصية مراحل الطفولة، وما تستلزمها من طريقة التعبير.

وا ٕذا كنا نتحدث عن كتاب صادر عام ١٩٣٨، فإن تحديد مراحل الطفولة وما يناسبها من لغة لا تتشابه مع ما نعرف اليوم..فلم تكن النظرة إلى الطفل قد تعمقت تربوياً وعلمياً ، وهذا ما سنجده عند الشاعر المربي اسكندر الخوري نفسه عندما يختار موضوعاً ما، أو يستخدم طريقة تعبير لغوي، لكن مجرد التنبيه إلى هذه الخصائص يشكل مؤشراً ناضجاً على وعي معاصر للمسألة.

يبدأ "المثل المنظوم للمدارس" بحكاية معروفة ذات مغزى خالد بعنوان "غزال وثعلب"[٢]:

غـــزال جـــاء مـــن ... ن عين لكي يشربْ
وكـان المـاء فـي واد ... عميـــق ضـــيق
ولمـا أن غـدا ريـان مـن مـاء قـد
مشـــى كـــي يصـــعد ... ّ القصد والمطلبْ
مــن الأعلـــى علـــى ... ل ّ مقهقهـاً ثعلـبْ
وقال له: لقد أخطأت في المرمى ولم
وما فكرت قبل الشرب يا مسكين في
ولـم تحسب حساباً للتراجع بعد ما

أما حكاية "الكلب والغزال" فهي نموذج ناجح على صياغة الحكمة التربوية[٣]:

بع الكلب غزالاً ... بـــين أشـــجار
ـد ّ لكن لم ينل ... عـــدوه غيـــر
الغـــزال اشـــتد ّ ... قال للكلب: فاكْ
أنـت لـن تلحـق ... كلـب خفف عن
عنـدها قـال لـه الكلـب: م ْ روحـي
قـال: لا أعـدو ... ت تعدو لسواكْ

(2) سا . ص ٥ .
(3) سا . ص ١٤ .

أنـــت للصـــياد دعـك مـن هـذا
وأنــــا أعــــدو لـهـذا أو لـذاك

ويروي لنا الخوري قصة "فرن جحا" التي تلخص فكرة أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وقد قرأنا الحكاية الشعرية منظومة من قبل كثيرين ابتداء بمحمد عثمان جلال، إلا أن الشاعر هنا يقدم لنا القصة في إطار جديد، وقد تغيرت أحداثها انطلاقاً من حكاية شعبية متداولة ليس فيها رجل وابنه وحمار بل يقول(٤):

جحـا بنـى يومـاً فرنـــاً دقيـــق
وقـال هـذا بابـه للشـــرق خيـــر
فزاره يومـاً فتـى وقـال يـا للخيبـة
يا حبذا لو بابه فــــي الجهـــة
هدّه جحـا ولـم ينبس ببنت شفة
وراح يبنيـه كمـا قيـل لـه بسـرعة
فجـاءه أصحابه واعترضـوا بشـدة
قـالوا لـو البـاب فـــي الجهـــة

ولما كثرت الاعتراضات جعل باب الفرن على دولاب، فصار يديره حسب الاعتراض الجديد، وينهي الشاعر الحكاية بقوله:

يتعب من يبغي رضا الناس بلا منفعةٍ
هيهات يرضي الناس شيء فوق هذي الكرة

وينجح اسكندر الخوري في التقاط الحكايات الساخرة وتوظيفها شعرياً وتربوياً ، كما فعل في واحدة من أجمل قصص المجموعة، لأنها حوت عنصر السخرية بما يملكه من تشويق مع عذوبة وسرعة في الإيقاع، إضافة إلى الاعتمادعلى حكاية شعرية شديدة الشعبية و الانتشار(٥):

كان لحانا ومانا زوج يحـــــــب
كهل ولكن صبي فـي قلبـه مثـل
ســبية ذات دلّ جميلــة كــديانا
وكهلة تلك كانت من اسمها كـان

وراحت الزوجة تلتقط الشعرات البيض لتغيظ ضرتها حانا، بينما كانت حانا تلتقط الشعرات السود من ذقن زوجها.. ثم:

وما وعى الزوج وقد غدا عريانـا
من ذقنـه فتمنـى لـو أنـه مـا كانـا
وراح والــــدمع مـن عينـه هتانـا

---

(4) سا . ص ٧٨.
(5) سا . ص ٧٦ .

يقـول: ضـاعت مــا بــين حانــا

ويلفت نظرنا أن الشاعر ينظم قصائده بأوزان خفيفة راقصة، يغلب عليها مجزوء الرجز أو الكامل أو الخبب، وقلما ينوع في القوافي، إذ يعتمد على قافية موحدة لحكاياته حتى لو كانت من الرجز وهو قليل في مثل هذا النوع من الحكايات الشعرية، ويعطي خصوصية للشاعر اسكندر الخوري.

وقلما نقع على حكاية مكتوبة على بحر كامل التفاعيل كما في حكاية "البرميلان"(٦):

تركـوا البرميـل يهـوي — مـن علـو فهـوى يـدوي

ـلأ الجو ضجيجاً عالياً — ـزعـــج الآذان إزعاجــاً

وهوى الآخر ملآن فلم — ـعلُ منـه ضـجة تـزعج

ثم يوجه خطاباً مباشراً إلى الطفل:

أنــت كالبرميــل إمــا — تمــلأ الـدنيا صـراخاً

وكمـلآن بـلا جعجعة — تخـدم الأوطــان مــا

وكقصة " الثعلب والغراب "التي يبصر فيها الثعلب غراباً في منقاره قطعة جبن، فيأخذ في مديحه، ويطلب منه أن يغني، لأنه جميل، ويتوقع أن يكون صوته أجمل (٧):

ـغـراب اهتـزّ بشـراً — سـمع المـدح يثيـر

فــتح المنقــار كــي — صوته فانحدر الجبن

أقبـل الثعلـب إذ ذاك — قطعة الجبن بشـوق

قــائلاً يــا سـيدي لا — مــرة أخــرى بقــول

ومن هذه النصوص القليلة ذات الإيقاع الطويل نسبياً حكاية "الكذب والحقيقة" ومنها(٨):

يقـــــال إن الكـــــذب — سـارا إلـى الينبـوع فـي

تعريـا فـي الحـال كـي — ـقتحما مياهـه العميقـهْ

وغـادر الكـذب الميـاه — يسـبق نحـو الشـاطئ

حيــث ارتــدى ثيابهــا — ـخترقـاً لبيتـه طريقـهْ

وجـاءت الحقيقـة الشـط — تعثــر علــى ثيابهــا

فانطلقت عارية ولم ترد — لــبس ثيــاب الكــذب

نمّـهاالناس جميعاً وأبوا — قبولهــا فــي البيــت

ومـن نمـاذج اعتمـاد الشـاعر علـى حكايـات مـن التـاريخ العربـي اختيـاره الشـاعر حادثـة مـن سيرة الخليفـة عمـر بـن الخطاب تدلّ على حسّه الإنساني وتفقده للرعية وتواضعه الجولعلّ هذه الحكاية مـَثل على اتجاه اسكندر الخوري القومي

---

(6) سا . ص ٥٨ .

(7) سا . ص ٤٢ .

(8) سا . ص ٥٤ .

الواضح حيث يظهر اعتزازه بالماضي الذي يستحق الفخر، وهو شديد التأكيد على انتمائه القومي والحضاري للماضي العربي والإسلامي، إضافة إلى انفتاحه على العالم المحض على الأخذ بما في الحياة الغربية الحديثة، من علم وتنظيم وحضارة. تبدأ حكاية "عمر بن الخطاب"[٩]:

عمر وهل يخفى ما كان ملكاً
كان الملاك إلى الخلائق أرسلته
تزهداً متقشفاً بالحزم والعدل

ويشير الشاعر إلى معاملة عمر للنصارى العرب قائلاً:

عز النصارى في خلافته فكان
وتريك عهدته السماحة فهي عن
إخاء أحمد والمسيح ثمار هاتيك

بعد هذا التقديم يبدأ الشاعر القصة:

انظر إليه عندما زار العيال مع
ورآهم يبكون جوع له الدمع
والقدر تغلي مرأى له القلب
حمل الدقيق وفوق لحيته القيق قد
ثم انبرى للنار ينفخ دون أن يبدي

بعدها تنتهي الحكاية بقوله:

ماذا أقول وما ذكرت سوى قليل
ذكرى أبي حفص ذكرى المفاخر

إن مجموعة "المثل المنظوم للمدارس" حوت عظات ثمينة ومناسبة للتلاميذ، لكن حكاياتها لا تخلو مما لا يليق بأن نقدمه للطفل أحياناً، فبعضها فيه أفكار تذهب بعيداً في التأمل المناسب للكبار وليس للصغار كما في "الموت والحطاب"[١٠] و"الذئب والرعيان"[١١] و"المجرم"[١٢].

فهل يجوز مثلاً أن نقدم نصاً تربوياً للطفل معناه أن الإنسان هو الوحش الحقيقي وليس الذئب، كما في "الذئب والرعيان"؟

أما في "المجرم" فالمسألة أكثر حساسية، إذ يتحدث الشاعر عن مجرم سيق إلى منصة الإعدام لأنه سرق وقتل، ثم:

سيق للموت ساهياً لا سادر الطرف بالحديد
وقف الناس شاخصين ودم في عروقهم قد

---

(9) سا . ص ٩٣ .
(10) سا . ص ٥٦.
(11) سا . ص ٨ .
(12) سا . ص ١٠١ .

وهنـا صـاح: يـا جنـود ارحمـوني بحـق عيسـى

فطلب أن يودع أمه بقبلة،وطلب منها أن تمدّ لسانها نحو فمه، فعض لسانها حتى قطعه، وقال:

إن هـذا اللسـان أصـل إن أمـي أصـل الشـقاء
أهملتنـــي أيـــام كنـــت يافعـــاً أهـبط السـهول
بعد هذا قد صرت لصاً لـع الطـرْق للمـلا
أقتل النفس في سبيل لا أخـاف القـانون لا
أيها الأمهات أنتن نور ظـلام يكـنّ نشـقى

إذا كان الشاعر قد صاغ غالبية قصائد مجموعته على شكل حكايات شعرية، فإن ما يقرب من ثلثها ليس سوى قصائد للأطفال تتحدث عن الأم أو المدرسة أو الوطن أو الربيع، وهذا تنويع جميل في الكتابة ويحتاجه الطفل والمدرسة في علاقتها بشعر الأطفال.

في "أنشودة البنت" نكون مع شكل مدروس للنشيد، التنويع في القوافي، وتوزيعها بطريقة مقصودة،وا إيقاع سريع، وبساطة معنى(١٣):

يـا بنـات اليـوم يقظـة البنـت
إن تراخـت أو ركبـت مـتن

* * *

لابـأثواب وزينـه تصـبح البنـت
إنما للبنت زينه علمهـا وهـو

* * *

وبأخلاق فضيله تصـبح البنـت
وبهـا تحيـا لها يحسن حالْ

* * *

لـنكن نحـن فـي بسـاتين
زهـرات عطـرات بشـذا حسـن

والشاعر يطرق موضوع المرأة في قصيدة أخرى ذات عنوان تقريري سافر "نجاح الأمة في رقي المرأة" فيقول فيها (١٤):

الشـرق لا يـنهض وبنتـه فـي حالـة
فـي القريـة المـرأة تجـرع كاسـات الشـقا
وفـي سـواها همهـا ثرثـارة تنـق
وأختهـا فـي الغـرب فـي البيـت والمعمـل

ثم يضيف:

لولا نساء الغرب ما بذنا غرب وأضحى شرقنا في
فأنهضـوا الأوطـان مـن طويلـة مخزيـ مفجعهْ
وعلمـوا المـرأة إن كنـتم ترجـون مـن شـرقكم

---

(13) سا . ص ١١٥ .
(14) سا . ص ٩٩ .

ولعل هذه القصيدة من القصائد التي تسللت خطأ إلى المجموعة، لأن صياغتها خارجة عن روح الكتاب، فهي للكبار في لغتها وطريقة حديثها عن المرأة، وهي تشبه فكرة أساسية كررها الشاعر في ما كتبه للكبار من شعر(١٥).

ونظل مع المرأة، ولكنها الآن الأم التي يكتب لها الشاعر هذه القصيدة الجميلة التي منها(١٦):

مـا أحيلـى لفـظ   لفظة تفرج همي

أنا مديون إلى أمـي بروحـي وبجسمي

ـي ربتنـي طفـلاً   دمها كـون دمـي

وصغيراً علمتنـي   علمهــا أســس

ا هـم ّ عرانــي   أقبلــت تحمــل

ورضــاها ملكــي الحــارس فــي حــرب

نجمـة تلمـع لـي   ليـــل همــــي

لأبــي فضـــل   ـضلها أكبر قسمِ

أنا لو أعبد أمـي   لا أفـــي دينـــي

أما في "أغرودة السرير"فالشاعر يغني للوليد على لسان الأم قائلاً(١٧):

ا حبيـاً أفتديـهِ   بسـويداء فـؤادي

نــي ّ أقيـــهِ   نـم وعـش حـر

قبـل أن أصـبح   ـنـت لـي حلمـاً

فغـــــدوت الآن   ـم هنيئـاً وطويلا

ولا ينسى الشاعر أن يعرج على معنى قومي تربوي:

نـم وعـش حتـى   خــادم العـــرب

نم وعش روحي   ـحـذ ُ حـــذو

إلى أن ينهي الشاعر هذه الأغرودة نهاية في منتهى الرقة والبناء الخاص بالطفل رشاقة وتكراراً وسهولة:

نـم ملاكـي نـم   نـــم بحفـــظ الله

نـم إلـى الصـبح   نـم قريـر العـين

في "أنشودة الولد" طفل يتغنى بمدرسته التي تبدو حديثة كل ما فيها جميل، حتى إن السيارة هي التي تنقل التلاميذ إليها(١٨):

ع الرفاق أذهبُ   ـملنـا سـيارهْ

تمشـــي بنـــا   كأنهــا طيــاره

---

(15) راجع ما كتبه الشاعر في مجموعته " العنقود ".

(16) المثل المنظوم . ص ٨٤ .

(17) سا . ص ١١١.

(18) سا . ص ١١٣ .

و"أنشودة اللعب"مأخوذة من جو المدرسة أيضاً مع كثير من اللفتات التربوية[١٩]:

هيــا نلعــب يــا　　　هيـا نلعب طـاب
وعلـــــــيكم ألا　　　لــيكن عنــوانكم
ولنـــدرس بعــد　　　طابت بعد اللعب

ولا ينسى الشاعر أن يخص الطبيعة بأنشودة عذبة يقول فيها[٢٠]:

كـل مـا تبصـر　　　مـــن أمـــارات
وأزاهيـــــر ورود　　　كلهـــا ملــــك

* * *

قـف علـى هـذي　　　تحتهـــا حـــي
وتأمـــل فـــي　　　بهاتيك الحقولْ

* * *

ولعل الشاعر قد وضع مجموعته لترافق التلميذ في العام الدراسي، ففي القصيدة ما قبل الأخيرة نقرأ "أنشودة الوداع" وكأنها وداعية العام الدراسي مع شيء كأنه العهد والقسم[٢١]:

ُطفـال هـذا اليـوم هـم غـداً　　　وعلى الرجال تقوم أعبء ثقالْ
إن الرجولة في الحياد[i] عن　　　هي في النزاهة في الكلام وفي
إنـــا علـــى عهـــد الصـــبا　　　مهمـــا بنـــا دهـــر نبـــا
ـحـن البنــات غـداً نكـون　　　على سواعدنا تقوم العائلاتْ
منا الأساس ونحن من نبني　　　فعلى الأساس[i i] هيا نحافظ
إنـــا علـــى عهـــد الصـــبا　　　مهمـــا بنـــا دهـــر نبـــا

مما يحسب للشاعر اسكندر الخوري أنه استطاع في مجموعته أن يقدم حالة تربوية متوازنة لا تقع تحت التمييز بين الفتى والفتاة، بل تشيع في المجموعة عموماً إنسانية منفتحة.

أنهى الشاعر كتابه بـ "أنشودة الوطن"[٢٢]:

أيهـــا الشـــعب　　　حســـبنا هـــذا
قـم لكـي نحـرز　　　ِّ ماضينا يعودْ

* * *

رددي يـــا قـدس　　　ِقـــار وثبـــاتْ
أفهمـــي الأقــوام　　　مة تبغي الحياةْ

---

(19) سا . ص ١١٧ .

(20) سا . ص ١١٩ .

(21) سا . ص ١٢١.

(i) في الأصل : وعن

(i i) في الشطر خلل فيالوزن إلا إذا سكّنا " الأساس أو خففنا التشديد في هيّا وكلاهما قبيح

(22) سا . ص ١٢٣ .

بقي لي أن أقول في ختام الحديث عن هذا الكتاب أن أشير إلى أنه لم يخلُ من الصعوبة في بعض مفرداته وتراكيبه، وسأكتفي بهذه الأمثلة عليها(٢٣):

تواضــعاً لا يزدهــي لا يشــمخرُّ إذا

أو (٢٤):

إذا الآلام يومــاً عرقــت لحمــي

أو (٢٥):

أنــا الأشـــرار تخــذت العقــل

أو (٢٦):

ثالـث مـن بعـده اءهم من كثبِ
تبعـــتهم كلهــم بـــاح صـــيبِ

أو (٢٧):

صـــاح فيـــه تمـزح مـا أنـت

أو (٢٨):

مـذ رأى الفـلاح هذا لـم يبصر النـور فنـادى: من

وقد تصادفنا في المجموعة ضرورات لا تليق بشعر مكتوب للطفل..

مثل:

وضحية النمام أعظم لسعه يودي بميهْ

فليس من المناسب لغوياً أن تكون بمئة للطفل مية ضرورة.

كما أن الشاعر في بيت واحد يورد كلمة اللعب بصورتين مختلفتين، واحدة بتسكين العين والثانية بكسرها:

نـدرس بعد اللعْـب ابـت بعـد اللعِـب

فقد فرّ في الشطر الأول إلى الضرورة حتى لا تتوالى خمسة متحركات.

بهذا نكون قد أخذنا فكرة عامة عن واحد من الذين قدموا الكثير لقصيدة الطفل العربي وفي وقت مبكر.

قدم تجربته كشاعر ومربّ ، وحرص أن تكون مجموعته مشكولة ومدققة، ومزودة برسوم لكل قصيدة، وأحياناً كان يعمد إلى وضع صورة فوتوغرافية، مما يذكرنا بالتجربة الرائدة لمحمد الهراوي في هذا المجال، أما الرسوم فقد رافقت أول كتاب صدر للأطفال، وأعني "العيون اليواقظ".

بعد اسكندر الخوري لم تعرف قصيدة الطفل من أ ولاها عناية خاصة، حتى جاء شاعر كبير منح الطفولة

---

(23) سا . ص ٩٣ .

(24) سا . ص ٨٥ .

(25) سا . ص ١٣ .

(26) سا . ص ١٦

(27) سا . ص ٢١ .

(28) سا ، ص ٤٨ .

العربية اهتماماً خاصاً .. وهو الشاعر عبد الكريم الكرمي.

الفصل الثاني
أبو سلمى وشعر الأطفال

عبد الكريم الكرمي اسم كبير في الشعر والحياة والنضال، لأنه ارتبط بكل ما هو نهضوي في حياتنا، ودافع بقوة عن خياره،وعكسه شعراً واضحاً رفيع المستوى. إلا أن أبرز ما يهمنا في تجربته هنا كتابته لشعر الأطفال،بخيار واعٍ عميق، وبتطبيق عملي نشط. وكل من كتب في شعر الأطفال نوّه بمجموعته التي صدرت في دمشق عام ١٩٦٤ بعنوان "أغاني الأطفال".

لكن الطريف أنني وجدت شاعرنا قد بدأ بالكتابة للأطفال منذ عام ١٩٢٧، و إن كان ذلك على ندرة وضياع ما كتبه، إذ من غير المعقول أن يكون الشاعر قد كتب النص الوحيد الذي عثرت عليه في كتاب " علم الموسيقى" لمصطفى الصواف ثم يصمت حتى عام ١٩٦٤.

ولا ننس أن شاعرنا الكبير قد درس في سورية، وأكمل تعليمه فيها،وتخرج مجازاً في الحقوق،واختارها مقاماً دائماً له بعد نكبة فلسطين حتى رحيله عام ١٩٨٠.

نصه القديم هو "فتى سورية"(١):

هاج لي ذكــــــر
حلــــت نـــــار

* * *

عشــــت يا بـلادي
دمت في تحـــادِ

* * *

(1) علم الموسيقى . ص ٩٣ .

(*) تشديد الياء ضرورة إيقاعية .

ســــوف	**بـــالعوالي**
ــد ّيك ِ	**بـــالغوالي**

*　*　*

يــا بــن	**وفتاهـــا**
ل ثانيهْ	**كن فداها**

إلا أن الشاعر عندما سيصدر "أغاني الأطفال" فإنهيكون قد وعى ما يفعله فنياً وتربوياً ، لهذا فهو يقول في مقدمة ذلك الديوان الصغير:

"إن المكتبة العربية لفي حاجة قصوى إلى أغاني الأطفال، وهذا السبب هو الذي حدا بنا إلى إصدار هذه المجموعة من الأغاني لهم، وقد توخينا أن تكون ألفاظها سهلة وأوزانها خفيفة وموضوعاتها مشوقة، وأن تحمل أفكاراً بسيطة ونبيلة، وأن تحبب أطفالنا بالطبيعة والوطن وعمل الخير."(٢)

إنه تحديد دقيق ومهم لخصائص قصيدة الطفل، وهو أمر قلما ذكره أو طبقه الشعراء والكتاب الذين كتبوا للطفل.

ونلحظ فيما كتبه أبو سلمى ملامح شعره المعروفة بميلها الطبيعي إلى الشفافية كما في "داري"(٣):

هـل تعـرف داري يـا	**ما أحلاها؟**
يـا ليـت تـرى غـرف	**ما أبهاها!**

*　*　*

الشـمس تـزور مـن	**وتحيِّينـــي**
وتشعشـــع بعــــد	**وتســـليني**

*　*　*

ونســـيم الصـــبح	**شذا الزهرِ**
وكــــذاك الطيـــر	**بعــــض**

*　*　*

ـا أجمل رائحـة الفلِّ	**الريحــانِ**
وسـكون الطيـر إلــى	**فـــــي**

إضافة إلى هذه الخصيصة فإن في كتابة شاعرنا بناء موسيقياً واعياً ، لاختيار الإيقاع السريع، والمتنوع، والتركيز على الطابع الغنائيألم يسم ّ شاعرنا معظم ما كتبه للأطفال بـ "أغاني الأطفال"؟

لنستمع إلى "نسيم الربى"(٤):

هـذا نسـيم الربـا	**يحمـــل عطـــر**
يرمـــي هنـــا أو	**يعطـر المنحنـى**
إليـه قلبـي صبا	**وقـال يـا مرحبـا**

---

(2) ديوان أبي سلمى . ص ١٢٨ .
(3) سا . ص ١٣٠ .
(4) سا . ص ١٣٦ .

هــذا نســيم الربـــا

*　*　*

هذا نسيم الربـا　　ينقـــل شـــدو
يـــا مـــا أحيلـــى　　وفي ليالي الهنا
أما ترى الكوكبا　　يقول: يـا مرحبا

هــذا نســيم الربـــا

*　*　*

هذا نسيم الربـا　　مــــر بـــأرض
فكيـــف أشـــكو　　ولا يـزول العنـا
وجـاء لـي بالنبا　　ينشـــره طيبـــا

هــذا نســيم الربـــا

*　*　*

فيـا نسـيم الربـا　　تخـش َ غـدر
تـال عـرِّج بنـا　　واعتنـق الموطنـا
أنت رفيق الصبا　　فقـل لـه: مرحبا

أنـــا نســيم الربـــا

ويبلغ التنويع حداً غاية في الجمال والرقة ندر أن قرأناه في شعر الأطفال العربي كما في "راعي الغنم"(٥):

هـــــل　　راعـــي
سمعونْ　　حلـــو
يـــدعو　　إلـــى
ى الربيعْ　　إلـــى
إن رحــت　　راعـــي

ى الســهول والأكـمْ
مْ علـى كل الزهورْ
مْ ولا تنس الطيورْ

ويلاحظ على تجربة الشاعر أنه لم يغرق قصائده بالحماس أو الأفكار الفوقية على الطفل كونه فلسطينياً وابن تجربة فاجعة، بل أعطى للطفولة حقها في أن تتفتح على عالمها، وتأخذ منه المكونات الأساسية لكل طفل، فكثرت موضوعات الطبيعة والحيوان والأسرة، والتغني العذب بالوطن.

لنأخذ مثلاً قصيدة "الببغاء" حيث ينجح الشاعر في تقديم فكرة أساسية عن هذا الطائر، لكنه بعد ذلك يضيء

---

(5) سا . ١٢٩ .

الموضوع بهدف تربوي واضح(٦):

البغبغــا.. البغبغــا تــرطن فــي كــل
لكنهــا لا تعلــم هــا لا تفهــمُ
فــلا تكــن كالبغبغــا
البغبغــا مقلــده ولا تــرى مجـدِّده
تعجم في بيانها والعقــل فــي
تقول ما قيل لها فلا تكن كالبغبغا
* * *
ارها محـد ّبُ يشها محببُ
أحبســها فــي وذاك من محبتي
تؤنســني فــي البغبغــا.. البغبغــا
* * *
سانها ما أطوله وشــكلها مــا
فمــرة تحبنــي وتــارة تســبني
تقول ما قيل لها فلا تكن كالبغبغا

ولدى الشاعر قصيدة ثانية هي لو كنت عصفوراً" يكتب فيها في الموضوع الأثير عند شعراء الأطفال جميعاً ،إلا إنه يعبر عن الفكرة بطريقة فيها جد ّة(٧):

و كنت عصفوراً لطرت في الوادي — عشر الأطفال
والبلبـل الشـادي بـاً إلـى جنـبِ
وعشـت مسـرورا لو كنت عصفورا
* * *
لو كنت عصفورا نجـوت مـن رقـي
وطرت في الأفق حـراً ولا شـكوى
إذ لست مأسورا لو كنت عصفورا

ثم في قصيدة ثالثة يتحول طائر آخر إلى رمز جديد يدل على القوة والبطولة، حيث يقول في "نسر البلاد" بطريقة الخطاب المباشر لهذا الطائر(٨):

ـد ّ فـي الأفـق واجعـل الحـق
إذا طـال الـدجى فـاطلع علـى الـدنيا
* * *
أنــت أعطيــت مكرمـات وأمانـا
البطـولات تغنـت ومشــت فــوق

(6) سا . ص ١٣١ .
(7) سا. ص ١٢٤.
(8) الديوان الآخر لأبي سلمى . بيلتو . ص ١٤٣ .

فحمـــــى المجـــــد حمانــــا

وهــــوى العـــــرب هوانــــا

ـــــه يــــا نســــر الـــــبلاد

تـــــــاريخ الجهـــــــاد

حم يـا نسر ديـار العرب مـن كيد

كيف تنسى الثأر وفلســــــطين

وتختلط الطبيعة كمشاهد ساحرة غنية بفكرة الوطنية، وهو أمر لاحظناه لدى الشاعر، حيث يتقن الانتقال بنعومة من الوصف إلى الفكرة، أو من الربط الجميل بين معنى صغير ومعنى كبير كما في "جنة الدنيا"[٩]:

جنـة الدنيا بـلادي حبهـا مـلء فـؤادي

يحها في كل واد سـنها للعـين بـاد

جنــــــة الــــــدنيا بــــــلادي

* * *

فـــي الضـــواحي فـــي الســـواقي

ي أنيقات الرياض سـنها للعـين بـاد

جنــــــة الــــــدنيا بــــــلادي

* * *

فـي انسياب المـاء ين أعشاب وزهر

فـي الشـذا العطـري سنها للعين بـاد

جنــــــة الــــــدنيا بــــــلادي

فـــي تســـابيح فـــي عطيـــات

فـــي رســـالات سنها للعين بـاد

جنــــــة الــــــدنيا بــــــلادي

والشاعر وهو يصور عاطفته نحو ابنه يرحل بنا نحو أعماق المشاعر والتضحيات تجاه الوليد الذي يحتل عند أبيه كل هذا القدر من الحب في "ولدي" ومنها[١٠]:

أنــت الهــوى يــا يــا نفحــة الزهــر

يـا حلـم الماضـي عرس الأماني فـي

فيك شذا من أمل رج مــن موعــد

ـبت من قلبـي لـك المهـد الـوثير فارقـد

(9) القراءة . للثالث ج ٢ .

(10) الديوان الآخر . ص ٣١ .

تخـــش َ مـــن هذا الغرام الأبدي

ويقدم أبو سلمى الأم، وهي موضوع محوري في شعر الأطفال، لكنه يقدمه بطريقة في غاية الجدة، ويبني قصيدته على القفلة الذكية التي تضيء كل ما قبلها في "الولد الأعمى"[١١]:

يقولـون بـأن الشـمس زانـت قبـة

تضيء بنورها الكون وتمحو آيـة

يقولون َ

يقولـون عبيـر الزهـر أطيـب منـه

تـروق العين والقلـب فتنـأى عنـه

يقولون َ

ولون بأن البحر مرآة السماوات ِ

وأن الـنجم كـاللؤلؤ يبـدو فـي

يقولون َ

وأن الغـاب يسـتيقظ والـوادي مـع

علـى أغـرودة الطيـر علـى النـور

يقولون َ

دعوا الكـون ومـا يحويـه مـن زهـر

فمـا فـي الكـون مـن نعم تسـاوي

وتظهر رهافة الشاعر وبراعته الأسلوبية في قصيدة "لا أحد" وهي حكاية إنكليزية في الأصل، و الشاعر صاغها بطريقته[٢١]:

شـخص يسـمى لا كـان يطـوف فـي

ويختفــــي وراءه ـل فتــاة وولــد ْ

من كسر الزجاجا وأطفـأ السـراجا ؟

هل أنـت يـا زيـا ْ ؟ ۽ أنت يـا سعاد ْ ؟

كــل يقـــول: أحـــد ْ

إ ن أتـــى يـــوم فأنـــت ضـــيعت

إذ تختفـي فاكهـة ا مثلها عند أحد ْ

مـن أخذ المفتاحا وأكــل التفاحـــا

---

(11) سا . ص ١٤٢ .

(12) سا . ص ١٤٥.

مـــــن خطـــــف		وأنكـــرا العهـــودا

كـــل يقـــول: أحـــدْ

يـا مـن يسـمى: لا		إرحـل وغـب عـن

حتـــى يـــرى كـــل		مـــا ضـــاع منـــه

أحـد مســكينُ		ـــا لـــه معـين ُ

للمـــه الإنســـانُ		ـــا لـــه لســـانُ

ولا أحـــــد.. لا أحـــــدْ

وقريب من هذه العذوبة ما قاله في "سعيد في العيد"[١٣]:

العيــد أقبــل يـــا		قـم والـبس الثـوب

فشمســـه أحلـــى		وهـــي تهـــادى

تـــرى الســـماء		، تسمع الملائكهْ

وهـي تنـادي مـن		يـا ليـت كـل يـوم

هذه أهم محطات تجربة شاعرنا الكبير مع شعر الأطفال التي كانت من أبرز التجارب في مرحلة الستينيات عربياً .

الفصل الثالث

تجارب أردنية - فلسطينية

(13) سا الديوان الآخر لأبي سلمى . ص ١٣٥.

علّ أول عمل مدو ّن للأطفال في الأردن وفلسطين كان "مجموعة الأناشيد المدرسية" لإبراهيم البوراشي عام ١٩٢٨، ثم ظهرت بعد ذلك كتب عديدة،سواء ما كان فيها الشعر مؤلفاً أو مجموعاً من مصادر قديمة أو حديثة ومن أهمها "الطفل المنشد" لاسكندر الخوري و"أغاريد الطفولة" لعبد الحفيظ أبي نبعة، و"أغاني الصغار"لجاك سليم و"الزنابق "لروكس العزيزي و"البستان" لإسعاف النشاشيبي، و"أغاني الأطفال" لعبد الكريم الكرمي. وفي مرحلة قريبة منا ظهرت أعمال عديدة لمحمد القيسي وهارون هاشم رشيد وا ٍبراهيم نصر الله ومحمود الشلبي ويوسف حمدان ووداد قعوار ومحمد الظاهر وعلي البتيري وغيرهم.[١]

وشهدت فلسطين والأردن بدايات الانفتاح على العصر منذ أواسط القرن التاسع عشر من خلال حركة الطباعة التي بدأت عام ١٨٤٦، وانتشار بعض المدارس التي وصلت عام ١٩٢٠ إلى ٢٤٤ مدرسة، وقد يكون أول كتاب شعري وضع للتلاميذ هو "مجموعة أشعار" لنخلة زريق في القدس عام ١٩٠٣[٢]، وأرسل الأردن أول بعثة إلى الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٧ وهي مكونة من ثلاثة طلاب[٣].

وعرف البلدان عدداً من رجال التربية العرب المعدودين في ذلك الوقت كخليل بيدس وا ٍسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وشريف النشاشيبي وخليل طوطح، إضافة إلى دور عدد من المربين والأدباء العرب الذين أدوا واجبهم فيهما مثل الرصافي والحوماني وعز الدين التنوخي وفؤاد الخطيب وخير الدين الزركلي وعمر يحيى وغيرهم.

وصارت فلسطين منذ أواخر ثلاثينيات القرن العشرين تزود عدداً من الأقطار العربية بالمعلمين كالعراق والكويت واليمن والجزيرة العربية.

ولأسباب عديدة حصل امتزاج كبير بين فلسطين والأردن بحيث يصعب الفصل بين أدبائهما ولو من جهة التقسيم البحثي.

إن الاطلاع على الكتب المدرسية المؤلفة تظهر الريادة البارزة للأسماء الفلسطينية التي ذكرتها،وسأذكر مثالاً بارزاً على ذلك للمربي الأديب إسعاف النشاشيبي وهو كتاب "البستان" ولعله واحد من أهم الكتب التعليمية العربية في وقته، ومن المزايا الكبرى لهذا الكتاب احتواؤه على نماذج بارزة من قصائد الحكمة والقصص العربية، بذوق أدبي مرهف لجامعها، ولأقدم عدداً من الأمثلة على هذه الاختيارات [٤]:

(الجراد)

الجراد على زرعي   **تأكلن ولا تشغل بإفساد**
فقال منهم خطيب فوق   **ا على سفر لا بد من زاد**

(الهدهد)

جاءت سليمان يوم العرض   **أهدت له من جراد كان في**
وأنشدت بلسان الحال   **إن الهدايا على مقدار**
لو كان يهدى إلى الإنسان   **لكان يهدى لك الدنيا وما**

(الكلاب) [٥]

إن الكلاب إذا رأت ذا   **هشت إليه وبصبصت**

---

(1) كتب الأطفال. الهدهد (بحث مقدم إلى ندوة "نحو مستقبل ثقافي أفضل للطفل العربي" – القاهرة ١٩٨٨)
(2) محاضرات في الاتجاهات ... الأسد ص ٥٥ و ٥٦ ، وفصل "التأليف المدرسي".
(3) الحركة الأدبية في شرقي الأردن . القطامي . ص ٢١ .
(5) سا . ص ١٦ .

ذا رأت يومـاً فقيـراً عـابراً		هرت عليه وكشرت أنيابها

الضفدع[٦]

ٔالـــت الضـــفدع قـــولاً		ــــــرته الحكمــــــاءُ
فـــي فمـــي مـــاء وهـــل		ـطق مـن فـي فيـه مـاءُ

الصقر والعصفور

لخالد جيلويه الكاتب

زعموا بأن الصقر صادف		فور برٍّ ساقه المقدورُ
فـتكلم العصـفور تحـت		ـصقر منقض عليه يطيرُ
ما كنت يا هذا لمثلك لقمة		ا شـويت فـإنني لحقيـرُ
تهـاون الصـقر المـدلّ		كرماً فأت ذلك العصفورُ

الثعلب والعنقود[٧]

أيهـــا العائـــب		ت عندي كثعالهْ
إم عنقـودا فلمـا		أبصـــر العنقـــود
قال: هذا حامض		ـا رأى ألا ينالـهْ

الطاووس

ســبحان مــن خلقــه		ـ على أشكاله رئيسْ
ه في نقشه عروسْ		تشــرق فـــي داراتـــه
فـي الـرأس منـه شـجر		ـه بنفســج يمــيسْ

العقعق

ا بـارك الله فـي طـائرِ		لا بارك الله في العقعقْ
قصـير الـذنابى طويـل		متـى مـا يجـد غفلـة
يقلـب عينيـه فـي رأسـه		أنهمـا قطرتـا زئبـقْ

العقرب والصخرة[٨]

رأيت على صخرة عقربا		وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها: إنها صخرة		وطبعك من طبعها ألينا
فقالت: صدقت ولكنني		ـد أعرّ فهـا مـن أنـا

الناقة [٩]

قـال للناقـة: فـي عنقـك يـا نـاق

قالـت الناقـة: هـات وهـل فـيّ

---

(6) سا ص . ١٦ .
(7) سا . ص ٢٦ .
(8) سا . ص ٢٧ .
(9)سا . ٢٨ .

الضفادع

وقـالوا يعـود المـاء فـي	**ذوى بـين جنبيـه وجفـت**
فقلت: إلى أن يرجع الماء	**ويعشـب شـطاه تمـوت**

الببغاء(١٠)

أبو إسحق الصابي

أنعتهـا صـبيحة	**ناطقـة باللغـة**
دت من الأطيار، واللسانُ	**وهمني بأنهـا إنسـانُ**
تنهي إلى صاحبها الأخبارا	**وتكشـف الأسـرار**
بكمـاء إلا أنهـا	**تعيـد مـا تسـمعه**
خريـدة خـدورها	**ليس لها من حبسها**
تحسبها وما لها من	**إنما ذاك لفرط الحبِّ**

لا بد لي هنا أن أذكر أن كل كتب المختارات التي وضعت للتلاميذ لم يكن لها هذا الحس المرهف في انتقاء النماذج القديمة للأطفال، إذ لم يتورع الغية المؤلفين عن زجّ نصوص شديدة التعقيد لغة وموضوعاً ليقرأها أطفالنا في المرحلة الابتدائية، ومما يزيد في أهمية "البستان" أنه صادر عام ١٩٢٧.. في ذلك الوقت المبكر من الوعي بثقافة الأطفال، بل علينا أن نتأمل ما قاله المؤلف في المقدمة(١١):

"ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير، وليس الشادي بأحوج إلى كتب في العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادي، بل الثاني في هذا الأمر هو الأول والأهم مقدم."

وبرهان الدين العبوشي الذي يعد من رواد شعر الأطفال سنقرأ له هذه القصيدة الجميلة عن الوطن بعنوان "بلادي" وهي ممزوجة بالحالة العامة التي تدفع الشاعر إلى هذه الحماسة المباشرة(١٢):

بـلادي إليـك العـذاب	**بصـفحة عمـري وهـذا**
فأنـت الحيـاة وأنـت	**وأنـت الطعـام وأنـت**
وقفنـا لأجلـك لا	**لغيـر جلالـك فـوق**
ستعلو بنـودك فـوق	**وتشـرق شمسـك بعـد**
يـُجمـع شـملك بعـد	**ويبسـم ثغـرك بعـد**
ـداً نسـتردّ حمـاك	**نـدفع عنـك بحـدّ**
سـلام عليـك، فـإن	**فـإن الوجـود جميـل**

وألقت الشاعرة الأردنية فاطمة رضا قصيدة عن تعليم المرأة في احتفال مدرسي، ومنها(١٣):

مـا المـرأة مـرآة المـلا	**يبهـا الأخـلاق طـوراً**

---

(10) سا . ص ٢٩ .

(11) سا . ص ٣ .

(12) محاضرات في الشعر الحديث . الأسد ص ٢٠٦ .

(13) الحركة الأدبية في شرق الأردن .. الرواشدة . ص ١٨٧ .

أنقــذوها مــن ديــاجي   **لتعيدوا في الورى مجداً**
هـي نصف النـاس إمـا   **كان نصف الناس حتما**
هذبوها إنهـا تبنـي لكم   **فــوق هامــات العــلا**
أصــــلحوها تصــــلحوا   **هـل بغيــر الأم نـهـدي**
إنهـا الأم التـي تجعلكـم   **أمـة ناهضـة نحـو العلا**
إذا مـا فسـدت أخلاقهـا   **ساءت العقبى ولا حول**
كـم جنـى جهـل المربـي   **يا لقومي من ولاة جهلا**
يـا بنـة العرب انهضـي   **وتحـري للمعـالي سـبلا**
واجعلي التهذيب نبراساً   **نبتغيه كـي تنـالي الأمـلا**
راجعي التـاريخ فيما قد   **ففتـاة العرب كانـت مثـلا**

كلنا سمع بالشاعر إبراهيم طوقان، وربما سمع أكثرية المربين والتلاميذ قصيدته ذائعة الصيت التي عارض فيها قصيدة أحمد شوقي عن المعلم، حيث عرض لمعاناة المعلم بطريقة طريفة كقوله(١٤):

شــوقي يقــول ومــا درى   **قـم للمعلـم وفـه التبجـيلا**
ويكـــاد يفلقنـــي الأميـــر   **كاد المعلم أن يكون رسولا**
لا تعجبوا إن صحت يومـاً   **ووقعـت مـا بـين البنـوك**
يـــا مــن يريــد الإنتحــار   **إن المعلـم لا يعيش طويلا**

هذه الشكوى الطريفة والمريرة لم تمنع شاعرنا من أداء رسالة التعليم في فلسطين و العراق، كما لم تمنعه من أن يخص التلاميذ بعدة أناشيد من أجمل ما كتب في عصرنا الحديث، كما في "موطني" التي لحنها الأخوان فليفل ورددتها ملايين من التلاميذ والطلاب(١٥):

مــوطني.. مــوطني
الجـــلال والجمـــال   **والســــــناء**   **ـــي ربـــاكْ**
والحيـــاة والنجـــاة   **والهنــــــاء**   **ـــي هـــواكْ**
هـل أراك.هـل أراكْ
ســـالماً منعمـــا   **وغانمـا مكرمـا**
هـــــــل أراك   **ـي عــلاكْ**   **لـغ السـماكْ**
مــوطني.. مــوطني

وله نشيد آخر مشهور بعنوان "وطني" رددته الملايين ومنه(١٦):

---

(14) ديوان إبراهيم طوقان . ص ١٦٩ .

(15) سا . ص ٢٤٥.

(16) سا . ص ٢٥٦.

وطني أنت لي والخصم		وطنـي أنـت كـل المنـى

وطنــي إننــي إن تسـلم		ربـك العـز لــي والهنــا

وللعمل نشيد آخر من طوقان(١٧):

إن العمـــل		يي الأملْ

سر الوجـود		بــه نسـودْ

ـــي العــــالمينْ

مـا للكسـول		قيمــة بــين

ولا الخمــول		سـلم إلــى

إن الهمــــم		ـر الشـيمْ

أن نعمـــــــــلا

ومن قصائده العذبة ما تجمع بين الحديث عن الطبيعة والراعي، ثم تربط ذلك بقيمة وطنية(١٨):

يــت مملكـــة الربيـــع يعيــد رونقهـــا الربيـــعُ

ويتوج الراعي بها		كاً رعيته القطيعُ

ـذئب يرهبـــه ويلـــثم كفـــه الحمـــل الوديـــعُ

ار فـــي رحـــب الفضـــاء ســفير دولتـــه الرفيـــعُ

هاتيـــك ألـــوان تشــــع وتلـــك ألحـــان تـــيعُ

لمــــن الربيـــــع		وهـــواه والزهـــر

فـرح الربيـع لمـن		أرض ولـيس لمـن

ومحمد العدناني من شعراء فلسطين الذين كتبوا شعر الأطفال منذ عشرينيات القرن العشرين، والأمر نتاج طبيعي لشاعر كتب القصة الشعرية والأناشيد، ومن أعماله "نشيد القدس" حيث يقول(١٩):

مدينــــــة		ريحانـــــة

فِية النفس		وشـــــعلة

* * *

مدينــــــة		ة العرْ بِ

فــــــداؤها		ومهجــــة

وللمربي الشاعر راضي عبد الهادي " نشيد الشجرة " يقول فيه(٢٠):

أكثـــر مـــن		هـر والأثمـارْ

يـا غـاب الأشـجارْ

* * *

(17) سا . ص ٢٥٣.
(18) سا . ص ٧٥.
(19) روضة الشعر . معروف . ص ١٧ .
(20) الحركة الأدبية .. الرواشدة . ص ٣٥٩ .

إلـــى المنـــى   بالنبتـة الخضـرا
والروضـــــــــة   ذْ تبعث العطرا
غـارس الأشـجارْ

*   *   *

الحسـن منهـا   لطير فيه باحْ
بنورهـــــــــا   يجهـا الفـواحْ
ـا غـــارس الأشـــجارْ

وللشاعر عيسى الناعوري شعر معروف للأطفال وعنهم، ومن نماذجه ما جاء في مجموعته "أناشيدي" وغيرها.

إضافة إلى شاعر آخر أظنه أردنياً ،وا ٍن لم أقع له على ترجمة، وهو عبد العزيز التميمي الذي تحفل الكتب المدرسية العربية بقصائده للأطفال وخاصة في الستينيات والسبعينيات.

أما الشاعر المعروف يوسف الخطيب فقد انتشر له نص في الكتب المدرسية بعنوان " ليتني كنت قبرة " لما فيه من سهولة وطفولة وجمال[٢١]:

تلك يا صاح قبره
في الحدودْ
خرقت ألف حرمةٍ
للعهودْ
فهي تغدو طليقةً
وتروحْ
وأنا مثخن هنا
بالجروحْ

*   *   *

ليتني كنت قبره
فأطيرْ
وجناحي مصفقُ
فيالأثيرْ
فوق بيارة لنا
وغديرْ
ليتني كنت قبره

واضح أن للخطيب لغة متينة،وبناء موسيقياً بارعاً في هذا النموذج، وأسهم في محاولات أخرى للأطفال لعل آخرها كلمات لأغنية طفلية عن الانتفاضة.

للشاعر الأردني يحيى الحاج مساهمات كثيرة في شعر الأطفال غلب عليها الطابع الديني إلا في القليل النادر، مع ملاحظة أن هذه التجربة تشكو من ضعف الشاعرية، وتميل إلى نظم جامد ووعظ مباشر جاف، لعل أنجح ما كتب

---

(21) العيون الظماء للنور . الخطيب . ص ٣٥ .

قوله "في أسبوع النظافة"(٢٢):

بسواعدنا وبهمتنا	**نسعى لجمال مدينتنا**
ننظفها من أقذارِ	**نزينها بالأزهارِ**
لا نرمي شيئاً في	**حتى لو كان من**
فمدينتنا بأناقتها	**نظافتها أحلى المدنِ**
ومدارسنا بطلاقتها	**رمز لجمالك يا وطني**
في الفسحة كنت أو	**ستكون نظافتها**
ساحات أمست لي	**وفصول تشرق أنوارا**
فاحت بالعلم	**بدت بستاناً من زهرِ**

أما الجيل الفلسطيني الأردني الأكثر حداثة فإن من أسمائه صالح هواري، الذي يكتب للأطفال بغزارةوا إبراهيم نصر الله وحنا أبو حنا وسمير ستيتية الذي ينجح في بعض النصوص بشكل لافت كما في "بستاني"(٢٣):

بستاني حلو مزروعُ
يتمشى فيه الينبوعُ
ويطير العصفور الشادي
ألحاناً خضراً في الوادي
ألحاناً تهوى الحريهْ
وتقول بلادي عربيهْ
بستاني شجر ومروجُ
يا دنيا بالعطر تموجُ
بستاني مزروعُ
بستاني ينبوعُ

أما أحمد دحبور فقد أسهم منذ ما يزيد على ربع قرن في كتابة قصائد قليلة للأطفال، وتنعكس فيها روح المقاومة للمحتل الصهيوني، مثل قصيدة "جيل الفداء والثورة"(٢٤):

من خيامي في	**ئت فليعلُ ندائي**
لست باللاجئ بعد اليوم بل إنني	
إنني أطلب أرضي	**وهي في عقلي**
إليها الآن	**بسلاحي ودمائي**
ج هت حطين	**فأجبناها بقوه**
وسلكنا في الفتوه	**ب مجد ووفاء**

---

(22) تغريد البلابل . ص ٣٦ .

(23) أحلى الأشعار . قرة بيتيان . ص ٤٧.

(24) مجلة أسامة . العدد ١٥٦ / ١٩٧٥ .

كل شبل كل زهره   في صفوف الشعب
وستبقى مستمره   ..رتي رمز العطاء
يا فلسطين الأبيه   لست وحدي في
فالجموع العربيه   قوتي وهي رجائي
كل ثوار الحياة   من جياع وحفاة
كل أعداء الطغاة   في التصدي

ومن الذين دأبوا على قصيدة الطفل الشاعر د.محمود الشلبي الذي ما زال يواصل تجربته منذ السبعينيات، وقد أصدر عدة مجموعات شعرية بدأت بديوان "هكذا يسمو الوطن"وعلى غزارة ما قدمه الشلبي فإن تجربته كثيرة العثرات، مع ذلك فقد قدم قصائد جميلة مثل "ماذا يقول الديك؟":

أنا في   صوت
صحو دوماً   قبل طير
أرفع رأسي   ثل القوس
أعرف   نى الوقت
إنا دوماً   و الصوت

وممن كتب شعراً جميلاً محمد أبو منصور، ومن خلال "نشيد الشجرة" نلمس قدرته على الكتابة بلغة طفلية:

ل كف ويد   غرس غرساً
لشيخنا والولد   طيرنا المغرد
نزيد غرس الشجره
غنوا معي للشجره
في عيدها   ترابنا مجلسها
طيورنا تؤنسها   وكلنا نحرسها
ونعتني بالشجره
غنوا معي للشجره

أما علي البتيري فهو من الأسماء المهمة في شعر الأطفال،لأن في تجربته إدراكاً واعياً لخصوصية التعامل مع الأدوات الشعرية، إضافة إلى الموهبة الإبداعية في كتابة تنتقل بسلاسة من الخيال المجنح إلى المباشرة التعليمية العفوية، ذات التركيب اللغوي الجميل ففي "يا أرضنا" يقول(٢٥):

نهديك عزمنا   غرس والبذارْ
نراك أمنا   تحنو على

* * *

تعطين كم   من كنزك
ائماً تأتينْ   بالخصب

ومن نمط آخر نقرأ للبتيري "على الطريق العام"(٢٦):

---

(25) مجلة أحمد . العدد ٣٤١ / ٢٠٠٢.
(26) أدب الأطفال . المصلح . ص ١٥٣.

علــى الطريــق   يـر فـي نظامْ

فـــي الشـــارع   ـرم المــرور ْ

فـــي لحظــة العبــور

اِقـب السـياره ْ   تبــع الإشــاره ْ

ــارة حمــراء ْ   تقــول: تمــر ْ

ــارة خضــراء ْ   تقول: ـ حر ْ

ــير للأمــام ْ   ر فــي ســلام ْ

علــى الطريــق العــام

وأهم تجربة شعرية للأطفال كانت للشاعر محمد الظاهر، من ناحيتي الغزارة والنوعية الفنية، فهذا الشاعر يكاد لا يكتب إلا شعراً للأطفال، وقدم خلال ما يزيد على ربع قرن عشرات القصائد للأطفال، بعضها نشر في مجموعات، وأسهم في كل المجلات المهمة التي صدرت للأطفال في الوطن العربي، إضافة إلى تقديمه العديد من الأغاني والبرامج الطفلية في الإذاعة والتلفزيون.

وتنوعت تجربة الظاهر، حيث كتب النشيد والأغنية والحكاية الشعرية والقصيدة التعليمية، ونظم شعره على طريقة الشطرين، وبرع في كتابة شعر التفعيلة للأطفال،ونصوصه عموماً تحوي قدراً عالياً من فهم الخصائص الفنية لشعر الأطفال ومن نماذج شعر ه "العجوز والمطر"[٢٧]:

جـدة العجـوزْ   ـول للمطـر ْ :

القمـــح فـــي   والنـــار عنـــد

اهطـــل كمـــا   يـا أيـ المطر ْ

وفي قصيدة "أمنية" يقول[٢٨]:

وقلتيا أزهار ْ

كوني لبطتي الصغيرة الجميله

سريرها الحرير ْ

وقلتيا أمطار ْ

رشي على بطتي الصغيرة الجميله

العطر والعبير ْ

كوني لبطتي الصغيرة الجميله ْ

الظل والثمر ْ

وقلتيا أطيار ْ

غني لها.. هزي لها

---

(27) سا . ١٥٩ .

(28) سا . ص ١٦١ .

سريرها الذي ينام في أرجوحة القمرْ

و"وطن السمكة" من قصائده المهمة في بنائها وفكرتها واحتوائها لعدة تقنيات بارعة في صياغتها[٢٩]:

قالت سمكهْ

رأت الشبكهْ

بيد الولد:

دعني حره

حتى الأبد

أمرح مع أسماك النهرِ

أسبح بين صخور البحرِ

قال الولدُ

ما أجملكِ

لو أمسككِ

سأربيكِ

وسأطعمكِ

أجعلُ منكِ

أحلى سمكهْ

وسط الحوضِ

مثل الملكهْ

بكت السمكهْ

قالت بحروف مرتبكهْ

بحري وطني

نهري وطني

أبعد عني

لا تلمسني

إن تخرجني

فستقتلني

وطني.. وطني.. وطني.. وطني

وبكى الولدُ

مثل السمكهْ

(29) أغنيات للوطن . الظاهر . ص ٢٩ .

ورمى الشبكهْ

ومضى يصرخُ

من يرشدني

من يخبرني

أين وطني ؟

أين وطني ؟

أين وطني ؟

الباب السابع

تجارب عربية

الفصل الأول

علال الفاسي

رائد شعر الاطفال في المغرب العربي

إن الدور الريادي الذي لعبه الزعيم الوطني علال الفاسي[1] أخذ طابعاً نهضوياً، حيث شكل نشاطه الفكري العام مجموعة من القيم التي تدفع بالمجتمع المغربي نحو التجديد والانفتاح والعلم.

وكلنا يعلم أن الثقافة العربية في المغرب تعرضت لحملات مدروسة من القوى الاستعمارية (الفرنسية والإيطالية والإسبانية) بدرجات متفاوتة من القوة والتأثير فالفرنسة التي فرضت على الجزائر والمغرب تركت آثاراً ما زالت عقابيلها إلى الآن، فاللغة العربية انزوت ضمن أطر تقليدية محصورة بالتعليم الديني الأهلي، وغلبت عليها نزعة تقليدية منعتها من التجديد الذي حصل في مصر وبلاد الشام.

أما في ليبيا والصحراء المغربية فقد ظل المجتمع فيهما قليل الحراك في بنيته واتجاهه نحو العصر، لذا كانت الحالة الثقافية لا تدفع نحو نهوض ثقافة أطفال حتى في حدودها الدنيا، لهذا جاء ظهور شعر علال الفاسي إضاءة كبرى في التقاليد الشعرية التي عاشها المغرب العربي.

ولست أشك في أن اهتمام الفاسي بالطفل جاء نتاجاً طبيعياً لرؤيته المتحضرة والمستنيرة في كل شؤون الحياة، وليس

---

(١) علال الفاسي (١٩٠٨ - ١٩٧٣)

من رواد النهضة الحديثة في المغرب.أدى دوراً سياسياً بارزاً، رجل وطني تسلم العديد من المناصب وكان إسهامه الثقافي كبيراً.

غريباً أن يتردد في شعره صوت الحرية والعلم، بل إن هذا الصوت هو المهاد الطبيعي لتخصيصه الطفل بجزء هام من عطائه.

يقول علال الفاسي في قصيدة نشرت عام ١٩٧٢[٢]:

ولـي أمـة منكـودة العيش	**سـبيلاً إلـى العـيش الـذي**
بـذلت لهم نصحي وقلت:	**كـلّ ذوي الـرأي السـقيم**
وما ساء ني في القوم إلا	**لـنهم أن المعـالي توهـبُ**
وكنـت أرى تحـت العمـائم	**فمـــا هـــي إلا أن يـــدوم**
بلـوت بنـي أمـي سـنين	**فألفيـت أن الـنشء للخيـر**
تحجبـه الآبـاء عـن كـل	**وتمنعـه عـن كـل مـا قـد**

وتجربته كلها صدى دائم لهذا الصوت، لا يهدأ ولا يتوقف لإيمانه القاطع أن في التعليم العصري طريقاً وحيداً لتأسيس مجتمع جديد، نجد هذا واضحاً في قصائده "أنشودتي أنا التلميذ"[٣] و"في الأذن الصغيرة"[٤] و"نموت ويحيا الوطن"[٥] و"ليحي أبناء الوطن"[٦] و"نشيد المؤتمر"[٧] و"الحرية"[٨] و"المرأة"[٩]تمثيلاً لا حصراً.

ومما يحسب للفاسي نظرته إلى الفتاة، وحضه على تعليمها ومشاركتها في بناء النهضة المغربية، لذا فقد ألقى قصيدة في مؤتمر طلاب شمال افريقيا المسلمين نشرها عام ١٩٣٤ ومنها[١٠]:

نهضت تمـد إلـى المعالي	**وتـود كالفتيـان أن تتعلمـا**
سـئمت حيـاة الجـاهلات	**أن لا تنـال مـن المعـارف**
نظرت إلى الفتيات في كل	**مــزقن ذلكــم الســجاف**
رامـت طـلاب العلـم كـي	**نحـو العـلا وتشـيد صـرحاً**
ودعـــت إلـــى إرشـــادها	**فأبى عليها القوم أن تتكلما**
يـا قـوم مـا هـذي الجهالـة	**إنـــي أرى سـيل التعصـب**
البنـت مثـل الطفـل إن	**ســلحت وإ لا كنــت أنــت**
البيـت عمدتـه الفتـاة فـإن	**فـــي الجهـــل أضـــحى ذا**
لا ينبغي أن نمنع الأوطان	**مجهـودهن مـدى الحيــاة**

---

(2) ديوان علال الفاسي – ٢٦/١.

(3) سا ٢٧/١ .

(4) سا ٧٨/١.

(5) سا ١/ ٧٨.

(6) سا ٨٠/١.

(7) سا ٨٦/١.

(8) ٤٧٦/٢.

(9) ٤٤٧/٢.

(10) سا ٩٤/١.

ذبـــوا عـــن الفتيـــات   **حتـى يـنلن مـن المعـارف**
عار علينا أن تظل فتاتنا   **في الجهل غرقى لا تطيق**
فـابنوا لهــا أس الفــلاح   **حتى تمدَّ إلى المعالي سلما**

وصرخته في مكان آخر شديدة الوضوح(١١):

علموهـــــــــا   **ـرة مثل الرجالْ**
لـيس فـي ذلـك   **ل خير وكمـالْ**

ومن الناحية الفنية الصرف فعلال الفاسي واحد من الذين آمنوا بالتجدد ضمن ظروفهم، ولم يكتف بتكرار ما قبله من تقاليد فنية، ولا أبالغ إذا قلت إن بعض قصائده تسهم بشكل مبكر في صورة التحديث للشعر العربي كله، من خلال الثورة على النظام العروضي فيه، فمما له دلالة كبيرة أن يكتب عام ١٩٤٢ قصيدة ذات شكل تفعيلي متطور(١٢):

النجومْ
فيها فؤادي يهيمْ
والكواكبْ
تبدو بشكل مواكبْ
تسير سير المراكبْ
في بحرهلمتذاهبْ
في القبة العلياءْ
في لازورد السماءْ

ومنها أيضاً :

لآلئْ
تناثر بين المرافئْ
أقاحي
تشع بين البطاحْ
عرائس الأشباحْ
حمائم الأرواحْ
....
النجومْ
روحي إليها تعومْ
....
إني وجدت الدرايهْ

---

(11) سا ٢/٤٤٧.

(12) سا قصيدة "النجوم" ٢/١٤٧.

في عالم اللانهايه

وانطلاقاً من هذا التفتح الفني والفكري عمل الفاسي على كتابة شعر قصصي للكبار، وأسهم بذلك في هذا اللون الذي لا نجده إلا نادراً في شعرنا العربي المعاصر، وحكاياته الشعرية شاهدة على ذلك مثل "هارون الرشيد وزبيدة"(١٣) و"الجني وولده"(١٤) و"النمرود والشيطان"(١٥) و"فيل الملك"(١٦) و"الاسد الحكيم"(١٧) كما أسهم الشاعر في النشيد، فوضع عدداً منها، وهو بلا شك فن مستحدث مثل "وليحي أبناء الوطن"(١٨) و"نشيد المؤتمر"(١٩) و"جلالة الملك"(٢٠)

التقى هذا الأفق الواسع بشاعرية رقيقة، تطلق جناحيها في الحياة، وتغمس منقارها في مكابداتها ولذائذها.

لهذا نستغرب أن نقع عند الفاسي على شعر له هذا الانطلاق والجرأة والحميمية كما في قصيدة " قبلة " التي يقول فيها(٢١):

صـــدى الغـــرام   صـــدى الخيـــال
صـــدى لنـــاقوس   يـــرن فـــي عمـــق

. . .

بل هزة من براق   إلـــــى ريـــــاض
بل مسـَّة.... من   فـــــي العــــــالم

. . .

يــا قبلـــة جمعتنـــا   كتـــوأمين قلـــيلا
قـــد كنـــت رؤيـــا   شفيت مني الغليلا

بعد هذه الإطلالة نكون قد أشرفنا على شعر الأطفال عند الفاسي، حيث عرفنا المقدمات التي تجعله يختار إحدى قنوات الإيصال لرسالته النهضوية في المغرب العربي، بل أهم القنوات على الإطلاق، وأعني الأطفال.

إن المحرك المباشر لكتابة علال الفاسي شعراً للأطفال هو إطلاعه على المحاولات العربية التي سبقته، خاصة في الشوقيات التي طبعت عام ١٨٩٧، وفيها قصائد وحكايات أحمد شوقي، إضافة إلى المقدمة التي كتبها الشاعر نفسه وأشار فيها إلى تأثره بصنيع لافونتين الفرنسي في حكاياته، وطموحه إلى كتابة شعر للأطفال مثله.

أما المؤثر الآخر فهو الشاعر المصري محمد الهراوي الذي كتب "سمير الأطفال للبنين" عام ١٩٢٢ و "سمير الأطفال للبنات" في ستة أجزاء،فشاعت كتب الهراوي وقصائده في الأوساط التربوية العربية في ذلك الوقت، ومن المؤكد أن هذا الصدى قد تردد لدى النخبة المثقفة في مغربنا العربي.

يكتب محقق ديوان علال الفاسي في الهامش الذي يرافق القصائد المعنونة بـ "رياض الاطفال – شعر سهل بالصور – الجزء الأول" ما يلي:

"هذا هو العنوان الذي كان الشاعر قد أعطاه لمجموعته الخاصة بالأطفال، والتي كان في نيته أن يخرجها

---

(13) سا ٢/٥٠١.
(14) سا ٢/٥٠٥ .
(15) سا ٢/٥٠٩.
(16) سا ٢/٥٢٢.
(17) سا ٣/٣٩٧.
(18) سا ١/٨٠.
(19) سا ١/٨٦.
(20) سا ١/٢١٠.
(21) سا ٢/٢٢٦.

موضحة بالصور في أكثر من جزء. لكن المشروع لم يتحقق منه سوى الجزء الأول الذي يضم ١٦ نشيداً تحت عنوان الجزء الثاني فقد كتبت بعض عناوينه فقط.[٢٢] "

واللافت هنا أن الهراوي كان قد وضع عنواناً فرعياً في مجموعاته للأطفال ينص دائماً على عبارة "شعر سهل بالصور" وبالفعل حرص على وضع صور فوتوغرافية مع كل قصيدة من قصائد مجموعاته، لذا أعتقد أن الامر جعل الفاسي يحاول أن ينحو مثله، مع العلم أن قصائد مجموعته تعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين.

إذاً بحسب علمنا فإن الفاسي هو الرائد الأول لشعر الاطفال في المغرب العربي[٢٣]،وا إضافة إلى مجموعة "رياض الاطفال" التي كتبها في الثلاثينات، فقد واصل التجربة في حكايات شعرية مأخوذة من التراث الشعبي المغربي، أو مترجمة عن الفرنسية التي كان يجيدها.

بدأ الفاسي مجموعته "رياض الاطفال" بثلاث قصائد دينية الأولى هي "الله" ومنها[٢٤]:

الله جل جلالـه　　　رب العبـــــــاد
آثـاره لوجـوده　　　فـي كـل شـيء
فخـف الإلـــه　　　فهـو القـدير

ولكن لغتها جافة ومتكلفةوتحوي أفكاراً فوق مستوى الطفل أحياناً :

الأوحـد البـاقي　　　يفى ولا يتعدَّدُ
صـر ّف فـي　　　ولـــه العـــوالم

أما الثانية فهي "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم" حيث يقول[٢٦]:

سـيدنا محمـد　　　ينـــا الممجـدُ
أرســلـه إلهنــا　　　للخلـــق كـــي
فجاءنـا مبشـراً　　　ل خير يسعدُ
أنقـــذنا مـــن　　　إصـــــــلاحه
صلى عليه الله　　　ناء فينا فرقدُ

أما ثالثة القصائد الدينية، فكانت "القرآن الكريم" ومنها[٢٧]:

إن كتـــاب الله　　　بـه أنـا أبـاهي
أحفظـــه فـــي　　　لفهمـــه فـــي
يقـروؤه لسـاني　　　غايـــة البيـــانِ
تســـــــمعني　　　تقـول لـي: يـا

---

(22) سا ٢٠٨/١ الهامش أ.

(23) يؤكد ذلك ابراهيم الخطيب، ويذكر رائدين آخرين هما علي الصقلي ومحمد عنفوف. راجع (تقرير حول أدب الاطفال في المغرب – ابراهيم الخطيب . اتحاد الكتاب العرب: دمشق. مطبعة الكاتب العربي١٩٧٩)

(24) سا ٢٠٨/١.

(26) سا / ٢٠٩/١ .

(27) سا ٢٠٩/١ .

والـــــــدي   ملي مشكورُ

لعل الشاعر في هذا الاستهلال قد أراد أن يبارك شعره ببداية تحمل ثالوثاً له في النفس ظلال من التقديس قبل أن ينتقل إلى عوالم أخرى.

في "وطننا المغربي" ينجح الشاعر في تقديم قصيدة تتغنى بالوطن، وبألفاظ سهلة،وا إيقاع عذب، وتنويع في التقفية(٢٨):

مغربي، مغربي   حبـه مـذهبي
ـا من فضلـهِ   شت في ظلـهِ
أرضـه مسكني   وبهـا عـدني
هـــي أرض   كـم بهـا مـن
سـأكون لـهـا   خادمـاً أهلهـا
عارفـاً قـدرها   معليـاً ذكرهـا
ولهـا أقـرأ   سوف بـي تهنأ
وطنـي، وطنـي   إفـر المـنـنِ
مغربي، مغربي   حبـه مـذهبي

وتزداد لغة الفاسي رقة واقتراباً من عالم الطفل في "أنشودة الصباح" ولها الخصائص نفسها التي تنطبق على القصيدة السابقة، حيث نرى عالم الصباح ومكوناته من طير وأطفال ومدرسة ومعلم(٢٩):

رق الطير وكرهُ   رتقى فوق منبرهْ
ثم نـادى بصوته   أيها النائم: تبهْ !

. . .

يا رفاقي انهضوا   بسرور وباغتباطْ
إنما الطفل طائر   يسبق الطير فـي

وينوع الشاعر العوالم التي يقدمها، فيخص"المحفظة" وهي الحقيبة المدرسية بقصيدة لطيفة(٣٠):

محفظتـــــي،   تحفـــظ مــا
محفظتي أمينه   بمتها ثمينـهْ
مصنوعـــــة   مطبوعـــــة
محفظتـــــي   فـــي كتفـــي
فـــإن دخلـــت   أخرجـت منهـا
وضـعتها فـــي   عـــن الأذى
حتـــــى إذا   دروسنا وقمنـا

(28) سا ١/٢١٠ .

(29) سا ١/٢١١.

(30) سا ١/ ٢١٢ .

سرت بها في   حمولة للبيتِ

وفي قصيدة "الكتاب" يقول(٣١):

يا كتابي يا   أنت لي خير
فيك لي خير   بالأحاديث

ويلتفت الشاعر إلى التربية البدنية فيكتب عن "الكرة"(٣٢):

يا كرتي، يا   ت أجلُّ لعبةٍ
رفيقتي في   ساعة
تنشطين   وتفتحين فهمي

ثم يعرج الشاعر على الأسرة،محاولاً أن يوطّد في نفس الطفل المعنى السامي للأمومة في قصيدته الجميلة "حنان الأم"(٣٣):

يا ولدي يا   يا قطعة من
لازلت لي   متى ترى كبيراً
عسى تكون   عسى تفيد
فع للبلادِ   بخدمة المبادي

ويكتب الشاعر "فضل الوالدين"مشيداً بالأبوين معاً(٣٤):

كم نعم علي   من فضل
وتعبا من أ   في مشربي
إن مرضت   لا يطعمان
ويرغبان دائما   في أن أصير
فمنهما   مني الشكران
ها أنا مطيعُ   هما سميعُ

ولم ينس الفاسي مربي الأجيال، فكانت قصيدة "المعلم"لفتة وفاء من هذا الشاعر الرائد(٣٥):

أمعلمي لك منة   عندي سأعرف
إذا حييت فإنني   لا بد أ كثر ذكرها

. . .

لي من دروسك   بها زهور يانعهْ
ما دمت في   أجني الثمار

. . .

أرعى وصاتك   بالجد في وقت

---

(31) سا ١/٢١٢.
(32) سا ١ /٣١٣.
(33) سا ١/ ٣١٣ .
(34) سا ١/٢١٤ .
(35) سا ١/٢١٤ .

فــإذا نجحــت أقضـي لشعبي مـا

وبعد هذا التنقل المدروس بين قيم دينية وعلمية وتربوية ورياضية جاءت على شكل قصائد أو أناشيد ينوع الشاعر، فيقدم للطفل ثلاث حكايات مشوقة مستمدة من عالم الحيوان، وتتناقلها ألسنة الناس في كل مكان،لأنها جزء من حكايات الشعوب في الشرق والغرب، وقد ترددت معانيها عند شعراء كثيرين منذ محمد عثمان جلال وأحمد شوقي وغيرهما.

الحكاية الأولى "الناموسة والثور" التي تروي أن ناموسة قد حطت على قرن ثور، وسألته إن كان يطيق حملها أم لا،بينما الثور لم يشعر بها اساساً [٣٦]:

ناموسة قد وقفت قـرن ثـور أكبـرِ
فحسـبت بأنهـا جســم عظــيم
قالت لـه:إن كنت طـق بنـا فـأخبرِ
قال لها: يا هذه ـي بكم لم أشعرِ

. . .

من ظن في نفسه ـيس لـها يحتقـرِ

أما الحكاية الثانية "الأرنب والسلحفاة" فتتحدث كيف سبقت السلحفاة الدؤوبة الأرنب الكسول، ولعلها واحدة من أشهر أقاصيص الأطفال في العالم[٣٧]:

تسـابقت أرنبـة وسـلحفاة فـي
وجعـلا بينهمـا حــد الســباق
فالأرنــــــب ولــم يبــال أولا
والســــلحفاة حالتهـا والعمـلا

إلى أن يقول:

وانتبـه الأرنـب نومتـه مهر ولا
وجـــدها قـــد فخاب فيما أملا
كـــل امــرئ فـي طوقـه أن
جزاؤه إن يتكل فــي أمــره أن

والحكاية الثالثة والأخيرة في هذه المجموعة هي "الطبل والثعلب"وتحكي قصة ثعلب حسب الطبل حيواناً سميناً نظراً لحجمه وصوته،ولما شقه وجده فارغاً [٣٨]:

كان لنا شجيرة والطبـل فيهـا
إن هبت الريح غصـانه تقلقلُ
تحـــدث فـــي ـوتاً عظيمـاً
فجــاء يومــاً تربهـا يرتحـلُ
فأبصر الطبـل حدثـه ويفعـلُ

---

(36) سا ١/٢١٥.

(37) سا ١/٢١٦.

(38) سا ١/ ٢١٦.

فقــال: لاشــك **لحــم ســمين**
فجــره وشــقه **فخـــاب فيـــه**

أما نهاية "رياض الأطفال" ففيها قصيدة مقحمة على القصائد الطفلية في هذه المجموعة، فإذا كانت محاولات الفاسي – على ما فيها من نواقص – قد شكلت تجربة رائدة مهمة في شعر الأطفال المغربي على الأخص فإن قصيدة "سلطان الطلبة"جاءت ناشزة في لغتها وا ٍيقاعها وموضوعها.

لاحظنا في القصائد السابقة كيف اختار الشاعر لغة سهلة وأوزاناً قصيرة راقصة وموضوعات مأخوذة من محيط الطفل، لكنه في "سلطان الطلبة" أراد أن يحيي سلطان المغرب آنذاك عند زيارته لجامعة القرويين، إلا أن العالم المرسوم واللغة المكتوبة والبحر الطويل الذي اختاره، كل ذلك جعل القصيدة ثقيلة على الطفل غريبة عنه(٣٩):

إذا جـــاء إبـــان الربيـــع **غصـــون وهبـــت رائحـــات**
فللقرويين العظيمة محفل **لـــه موكـــب بـــين الريـــاض**
تقوم له بين المحافل دولة **لهـا ملـك مـن بينـهم غيـر**

إلى أن يقول:

ويخـرج سـلطان التلاميـذ **علـــى فـــرس فـــي جيشـــه**
وتصـدح أنغـام العســاكر **يتبعها أصوات طبل وزامرِ**

وبهذه القصيدة أنهى علال الفاسي الجزء الأول مما كتب في مخطوطة المجموعة التي أرادها جزءاً من سلسلة شعرية لم يتابعها كما فعل محمد الهراوي في "سمير الأطفال".

بعد هذه التجربة المهمة تنقطع كتابة الشاعر للأطفال وربما لعدم توفر ما يشجع من محيط ثقافي وتعليمي عاشته المغرب أيام الاستعمار الفرنسي، إلا أن الشاعر يعود من جديد، وبالتحديد عام ١٩٤٢ فيخص الأطفال بمجموعة من الحكايات الشعرية أكثرها مترجم عن لافونتين، ولعل الترجمة عن هذا الشاعر الفرنسي شكلت خصيصة من خصائص البدايات عند أكثر من شاعر كمحمد عثمان جلال وأحمد شوقي ونقولا أبو هنا(*) وغيرهم.

من الواضح أن الشاعر علال الفاسي قد امتلك روحاً شعبية تستلهم روح الفن الشعبي، لذا فقد كتب العديد من الحكايات الشعرية مأخوذة من المأثورات الشعبية كالحكايا والأمثال والاساطير والتراث الديني، فديوانه كما أشرت يحوي العديد منها للكبار.

ومما يؤسف له أن صلاتنا الثقافية مع المغرب فيها الكثير مما يحتاج إلى ترميم وتجديد وتنشيطوا ٍغفال شعر الفاسي القصصي مثال بارز على هذا التقصير، ففي جميع البحوث وبعضها أكاديمي، وفي موضوع القصة الشعرية تحديداً لم يجر ذكر لتجربة الشاعر سواء للكبار أم للاطفال(٤٠)مع العلم أن هناك تجارب أخرى لشعراء مغاربة أيضاً .

من المثل المغربي "أترك الحب تنحب" يقدم لنا الشاعر حكاية بعنوان "اللقلاق والعصفور" تروي أن اللقالق كانت تسرح في حقل بأمان، ولا تتعرض للطرد أو الصيد من قبل أصحاب الحقل، فيستغرب العصفور، ويسأل فيأتيه

(39) سا ٢١٧/١ .

(*) أفضل بقاء الاسم على صورته الثابتة.

(40) على سبيل المثال الدراسة الأكاديمية "القصة الشعرية في العصرالحديث" للدكتورة عزيزة مريدن. دار الفكر . دمشق ط١. ١٩٨٤ .

الجواب بأن العصافير تتعرض للطرد والصيد لأنها تتعدى على الزرع[٤١]:

مر بالفدان عصفور نبيهْ
فرأى فيه اللقاليق جموعا
هادئات لا ترى ما تختشيهْ
بينما يكثر لحظاً وقبوعا

فيقول:

أنتم في وسط الزرع هنا
في جموع دون خوف وحذرْ
وأرى الحارث لا يقبلنا
بل يرى فينا عدواً ذا خطرْ

فتقول اللقالق:

قوتنا من حشرات مهلكهْ
لحبوب الروض لا من قمحهْ
نحن لا نرجو لديه شركهْ
بل نرى عوناً له في كبحهْ

وينهي الحكاية بحكمة تقول:

إن تريدوا الفوز في الناس دعوا
طمعاً فيما لديهم من فضولْ
اتركوا الحب تحبوا، وانفعوا
غيركم تحظوا لديهم بالقبولْ

في حكاية "الذئب وأم الخنانيص" ذئب كاد أن يودي به الجوع، فرأى خنزيرة مع أولادها، فاحتال عليها بأن تظاهر بالتقى والعلم،وأمسك كتاباً وراح يقرأ منه،فتقدمت منه الخنزيرة دلفت نحوه فحيته إكراماً لما قد رأته من عظم شانه ورجته تعليم أطفالها مما لديه من علمه وبيانه فما الذي حصل؟[٤٢]:

ذهب الذئب بالخنانيص مسروراً إلى كهفه بأعلى
وغدا كل ساعة يتغذى مـن تلاميـذه السـمان

وبعد مدة جاءت الأم تسأل عن صغارها:

لـم تجـد عنـده سـوى سـألته فـي حكمـة
قال: هم في التخصص إذ حازوا نجاحاً بكل يوم
وأولاء الصـغار لمـا في اغتراف من الدروس

---

(41) ديوان علال الفاسي ٢/٣٦٢.

(42) سا ٢/ ٣٦٥.

ثم تستمر الأحداث على هذا النحو:

مشــــــت الأم دون أن ... الحيلة من شيخها الذي
مــا الــذي يدعيــه إن ... كيـف يخفـى عنهـا وقـد

فرأى أن يعم إخوانه في الجنس بالنكبة التي لحقته:

ومشــى يقطـع الـذناب ... هي الحيلة التي سترته ُ

وأخيراً تنتهي الحكاية بهذه الحكمة:

ٕن مــن كــان ناقصــاً ... يشمل النقص من عداه
واحــذر الغــادر الــذي ... لـيس مـن ثوبـه لكيمـا

في "ملك الأرانب" تجتمع الأرانب، وتشكو وتدعو الله أن يغير الملك الذي يحكمهم، لأنه أرنب منهم، فطلبوا ملكاً من غير جنسهم، وعندها تنتهي الأحداث على هذا النحو(٤٣):

سـأعطيكم مليكــاً مــن ... كمـا شـئتم هـو الكلـب
فجــاء الكلــب يــأكلهم ... ولا يرعــى لهــم أدنـــى
وكل رعية تطغى وتأبى ... تمســــكها بســـــادتها
وتمعــن فـــي الخـــلاف ... ســــــتبلى كالأرانــــــب

بالطبع.. لن يغيب عن ذهننا أن الشاعر كان يرمز إلى ما يعانيه الشعب إذا ما حكم بأجنبي، وفي حدود إطلاعنا فإنه لم يتبق له من شعر الأطفال سوى ست حكايات ترجمها عن الفرنسية للافونتين، الحكايات هي "الثعلب والتيس" و"الحطاب والموت" و"الفلاح وولده" و"العربة والذبابة" و"الرجل وولده وحمارهما" و"اللبانة وزير الحليب".

ينقل الفاسي حكايتين شعراً، ولم يكن حسن الاختيار للبحر الطويل لهما، حيث أضفى على الأسلوب طابعاً تقليدياً مضاعفاً، يتوكأ على الحشو والكلمات القلقة في أماكنها، ولنأخذ مثلاً على ذلك بهذا المقطع(٤٤):

هنالك زاد الشيخ في الغيظ ... يعـود لمــا قــد كــان قبــل
وقال: ـيّ اسمع وصاتي ... غدوت بحـال النـاس شيخاً
إذا رمت إدراك الهنـاء فـلا ... لأقوال أبناء الورى متسمعا
تأخـذ طريقـاً فـي الحيـاة ... ولا تعبـــأن بالناقـــدين
فـإن الـذي يبغـي السـلامة ... من اللذع يبغي المستحيل

وعلى المنوال نفسه تسير حكاية "اللبانة وزير الحليب" وفي الحكاية الباقية،يختار الشاعر إيقاعات أقرب للقص وأخف على القارئ، ولكن الصنعة بادية، وقلق التراكيب واضح،وتخلو الحكايات من السلاسة المطلوبة عموماً.

إن الحكاية المعروفة عن "الثعلب والتيس" تحولت إلى لغة ثقيلة تتحرك بصعوبة لتؤدي المعنى(٤٥):

---

(43) سا – ٢/٣٧٠.
(44) سا ٢/ ٣٦٧ .
(45) سا ٢/٣٨١.

فغـادر ثعلبنـا خلـه   **وواخذه أنت بما فعلا**
وقـال لـه كـي يلقنـه   **سـبيلا إلـى النصـر**
فلـو كـان عقل بقدر   **لفكـرت مـن قبـل أن**

وعندما يبحث الحطاب عن الموت كي يرتاح من الشقاء يكون له أخيراً ما أراد في حكاية "الحطاب والموت" وتنتهي بهذه الصياغة المرتبكة[٤٦]:

بريء المسكين مما   **كـان يبكـي ويعـاني**
غير أنا سوف نبقى   **ئمـاً رهـن المكـانِ**
ولـئن تـألم خيـر   **ك من لقيا المنونِ**
ذاك للإنسـان شـعر   **هو مقياس الشؤونِ**

إن تجربة الشاعر والمجاهد علال الفاسي[٤٧] التي استعرضنا أهم مفاصلها ركيزة كبرى، مهدت الطريق أمام آخرين على قلتهم نحو كتابة الشعر للأطفال، سواء أكان قصيدة أم نشيداً أم قصة شعرية من تراثنا أم مترجمة عن عمل في أدب آخر.

الفصل الثاني

(46) سا ٢/٣٨٤ .

(47) سا ٣/ ٤٠٣ حيث كتب الشاعر عام ١٩٧٢ حكاية شعبية للأطفال شعراً بعنوان "الحمار والضبع" .

تجارب في شـعر الأطفال المغربي

كما بات معروفاً فإن حركة التعليم العصرية لم تعرف حركة ناشطة في بلدان المغرب العربي إلا في عهد الاستقلال بسبب السياسات بالغة القسوة للمستعمرين، ومحاولة فرض اللغة الغازية، فحصل تراجع مؤقت للعربية، أو انزواء لها في حلقات التعليم الديني المحدود.

لهذه الأسباب لم تشهد بلدان المغرب العربي حتى الآن نهوضاً ملموساً في هذا الشعر، وما زالت الكتب المدرسية عندهم تعتمد على القصائد المأخوذة من المناهج المصرية والمشرقية عامة.

وقد تحدثت فيما سبق عن الدور الريادي الكبير الذي قام به علال الفاسي، ومن الطبيعي أن تكون الدعوة إلى العلم والتحرر من الجهل والانغلاق من أهم الممهدات لنشوء شعر يكتب للأطفال كحاجة تربوية ووطنية وجمالية معاً .

والفاسي نفسه كان أكثر شعراء المغرب العربي إلحاحاً على العلم والنهوض به، فلم تهدأ هذه الدعوة عنده طوال حياته المديدة، ومنذ وقت مبكر حفر هذا الشاعر دعوته في قصيدة أراد لعنوانها أن يكون تأكيداً على امتلاك المستقبل ففي "في الأذن الصغيرة" يقول[١]:

أيها المغربي الصغير وتخير في العيش كيف
أنت إن شئت أن تعيش زيزاً به المقام المكين
سيداً أمره مطاع فلا ' عما يروم الشؤون
عارفاً قدر نفسه ذا عتبار له القلوب تدين
تعلم، وجدّ فالعلم الزم الدرس فهو كنز
إنما العلم حلية وبهاء و بالعز والفخار قمين
منه يحظى الفتى بكل نال الخلود وهو دفين
إذا شئت أن تعيش قيراً له المقام المهين
فالزم الجهل، فالجهالة وأخو الجهل ميت
هكذا الأمر، فاجتهد أو وتخير في العيش كيف

ولعل من أقدم النصوص التي تحض على العلم في العصر الحديث ما قاله الشاعر الليبي مصطفى بن زكري (١٨٥٣-١٩١٨)[٢]:

واعلم بأن العلم نور والجهل لا يأتي بخير
من مارس العلوم يجني ثمار المجد حيث
والزهد في العلم من إلمرء بالقلب وباللسان

ويقول الشاعر الجزائري محمد القاني[٣]:

هيا نؤم زلال العلم نشربه فالجهل يقتلنا والعلم يحيينا

---

(1) ديوان علال الفاسي ٧٨/١ وهناك أسماء ريادية أخرى مثل عبد الكريم بن ثابت ومحمد ابرهيم ومحمد المقري وعبد المالك البلغيثي ومحمد بوجندار. راجع ثقافة الطفل العربي. مجموعة كتاب. ص ١٢٨.

(2) ديوان مصطفى بن زكريا :ص ١٩٧.

(3) شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ص ٧٣.

الناس في الجو طاروا حلقوا ونحن نحسبهم – جهلاً –

ويقول محمد السعيد النواهري(٤):

يا قوم تفتيح هدى سبب وحيدْ
هذي لعمري إن نلتها فأنا

وعلى المنوال نفسه تردد صدى هذه الدعوة النهضوية لدى الطاهر الحداد عام ١٩٢٨ في قصيدة بعنوان "العلم أس النجاح"(٥):

هيا إلى العلم نسعى يا بني لعلم أسٌ نجاح المرء في
وهكذا الجهل يردي أمة فضل العلوم فباتت أحقر
لو كان علم لما داسوا لنا وساد فينا طغام الغرب
فأرسلوا لبلاد العلم نشأتكم من بعد تزويدها واسعوا بلا
وابنوا المدارس تبنوا أس فالله قد خط فوز العلم في

وبعدها بعام كتب قصيدة "العلوم" (٦):

إذا ما أردنا أن ننال فليس لنا إلا العلوم مطالبا
هنيئاً لمن نالوا العلوم بها وتعساً لمن أهوى به الجهل
هنيئاً لهم قد أيد العلم وخيبنا جهل حبانا المثالبا
فهم عمروا بالعلم كل ونحن بجهل قد أضعنا
فما العلم إلا لا بتناء وأن يستحيل الفكر كالسيف

لابد هنا من التذكير أنه قد تعالت القصائد التي دعت إلى العلم، وليشمل الفتى والفتاة، وصبغت هذه الدعوة تياراً عمَّ الوطن العربي من العراق والخليج وصولاً إلى المغرب، لذا من الطبيعي أن نقرأ دعوة إشراك الفتاة في حق التعليم، كما يقول مصطفى المؤدب في "علموا البنات"(٧):

علموا البنت ولا تخشوا إن عصر الجهل ولى
أرأيتم أمة في كونكم نصفها محتبس والنصف
وعزيز أن تسير ابنتنا ثم تلقى في دجى الجهل
بينما يطفو ويرسو رجل فوق موج العلم ليلاً ونهارا
علموا البنت تكونوا أبداً مة تلقى انتصاراً فانتصارا
علموها كل علم نافع ثقفوها تقطفوا منها الثمارا

---

(4) سا. ص ٨٤.
(5) ديوان الطاهر الحداد . ص ٥٠.
(6) سا ص ٦٣.
(7) أنات وابتسامات . ص ١٩٣.

أتحبــون النســا جاهلــة   فاعـدلوا عـن غـيكم تحمـوا

وفي قصيدة أخرى بعنوان "بالعلم" نقرأ[٨]:

بـالعلم نكتسـب الفضـائل   بــالعلم نســمو للكواكــب

بـالعلم ننشـر مـا طـواه   عز الجـدود ومـن مجـادات

فالعلم باب للمعالي يرتقى   سمائها من جدَّ دوماً في

أمـا الـذي جعـل العلـوم   إن الفخـــار بغيرهـــا لـــن

ويـلاً لمـن تخـذ الجهالـة   الجهالـة ذلـة فلتجتنـب

وبعد هذه الدعوة لهذا الشاعر الريادي في تونس نلتقي بالشاعر الليبي محمد إبراهيم الهنقاري الذي يعنون قصيدة له بـ "دعوة للنهوض"[٩]:

إلـى العـلا بنـي   قـد انقضـى ذاك

ـام كنـا نوّمـا   نـوم الخـروف فـي

قـد انقضـى عهـد الخمـول والشـقاء

فاغتنموا فرصتكم   وأبـــدلوا القـــبح

وعـدلوا تـاريخكم   بنـهضـة فـي كـل

تجعلوا أساسها الإخلاص في كل المهن

لمـن حبـاكم بـره   وعطفـــه مـــولى

أما الشاعر ابراهيم اوسطى عمر، فإنه يجعل من الكتاب مدخلاً إلى الدعوة إلى العلم[١٠]:

أي شـيء فـي حيـاة المـرء أغلـى

يصـقل الـذهن ويهـديك إلـى نهـج

ويسـليك إذا مـا كنـت يومـاً فـي

يســرِّي عنــك غمـاً بفكاهـات

إنــه أنفــع فــي الوحـدة مـن لغـو

والشاعر الكلاسيكي الليبي الأشهر رفيق المهدوي يسجل في ديوانه أحر الدعوات إلى العلم بأسلوب أكثر شاعرية، فيخص المعلم بقوله[١١]:

يكفي المعلم فضلاً أنـه رجل   لــه علــى الــروح والأخــلاق

---

(8) سا ٢٧٩.

(9) تاريخ الشعر العربي الحديث. قبش ص ٥٩٩.

(10) الحياة الأدبية في ليبيا ص ١٤٧.

(11) ديوان رفيق .ص ١٢٤.

فما سوى الروح والأخلاق من　　　سوى العلم للنهضات اركانُ
وهــاهي النهضــة العظمــى　　　ودهـا بلـواء العلـم شـجعانُ

وفي مكان آخر يوجه الخطاب إلى المعلمين(١٢):

أســاتذة الــبلاد علــى　　　نســلمكم مــن المهــج
وثوقــاً فــي جــدارتكم　　　ومــن يــك مســتحقاً لا
تأكــد أن بــين يــديك　　　تصورها ملاكاً أو عذابا
وتطبــع فــي نفــوس　　　يصيرها أسوداً أو ذئابـا

ثم يخاطب الطلبة:

ألستم خير مـن يرجـى　　　وأكرم من إلى كرم أجابا
ألسـتم خيـر فـرع مـن　　　إليهـا يشـمخ المجـد
سلوا التاريخ عنهم كيف　　　هـم العمـران إذ كانـت
خـذوا برويـة وصـفاء　　　مـن الأخـلاق والعلـم
رأيـت مكـارم الأخـلاق　　　بـلا العلـم الحـديث تعدُّ

ويعود إلى المعلم في قصيدة أخرى فيقول(١٣):

فما قدروا حق المعلم قدره　　　ن حقـه كالوالـدين يعظـمُ
كفى شرفاً لاسم المعلم أنـه　　　بـه كـان عيسـى قبـل يـدعى
وهـل جـاد غـرس العلـم فـي　　　ثمـر إلا مـا سـقاه المعلـمُ ؟

وجاءت التجارب الأولى لشعر الاطفال ممتزجة بالنشيد، سواء أكان هذا النشيد للكبار أم للأطفال، بمعنى أن الحاجة إليه دفعت إلى تخصيص الطفل بنشيد يتغنى بالوطن أو العلم أو الأمة... وأكثر الأناشيد المشهورة في كل مكان كانت تردد من قبل الكبار والصغار معاً ، وفي المغرب العربي برز من رواد هذا الفن الشعري الرائد النهضوي المشهور عبد الحميد بن باديس، والذي تكاد سيرته تشبه سيرة علال الفاسي من وجوه عديدة، ولكن على الأرض الجزائرية، يقول هذا الشيخ الجليل(١٤):

اشـهدي يـا　　　واكتـبن يـا
إننـا للحمـى　　　سـنكون
فنزيح البلا　　　نفك القيودْ
وننيــــل　　　مـن وفـى

---

(12) سا . ص ١٣٦.

(13) سا . ص ١٣٩.

(14) من أناشيد الوطنية . ص ٣٥ .

(*) في الاصل : يا سماء .

فيرى جيلنا ذكريـــــات

ويرى قومنا خافقـــــات

وله أيضاً ما يوجهه مباشرة إلى الأطفال من خلال نشيد ذائع الصيد اسمه "يانشء"(١٥):

شعب الجزائر مسلم ى العروبـة ينتسب

يا نشء أنت رجاؤنا وبـك الصـباح قـد

خذ للحياة سلاحها وخـض الخطـوب ولا

نحـن الألـى عـرف ديمنا الجمّ الحب

ومعـين ذاك المجـد نسـل العروبــة مــا

وللشاعر الجزائري أحمد كاتب الغزالي حكاية جميلة عن "القنفذ والناس" قال فيها(١٦):

سئل القنفذ عما ـه في الاكتئاب

حـــاط جثمانـــاً دمناً للإنتقـاب

فأمـــاط الحـــذر سرعاً ر الجواب

كل هذا لم يجرني مــــن أذيـــات

ـلّ أمـن الأرض أنا لم آمن إهابي

وشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا يتصدر الذين قدموا الأناشيد الشائعة، والتي رافقت حركة الثورة الوطنية هناك، وله نقرأ نشيد "نحن طلاب الجزائر"(١٧): شعر ا لأفال –

نحـــن طـــلاب حن للمجد بناة

نحن آمال الجزائر فـــي الليـــالي

فخـــذوا الأرواح جعلوهـا لبنــات

ـنعوا منهـا الجزائـر

وخـــذوا الأفكـــار واعصـــروا منهـــا

ـشـوا منهـا الجزائـر

وبوضوح يخاطب الشاعر محمد بن العابد الجيلالي أطفال بلاده في "نشيد الأمل"(١٨):

ـــاطنا مجـــدَّدُ ـــيرنا مســـدَّدُ

بنـا الـبلاد تسـعد تجتني نور الأملُ

. . . .

للوالـــدين برنـــا وللكمـــال ســـيرنا

---

(15) شعراء من الجزائر. ص ٩٤ .

(16) شعراء الجزائر في العصر الحاضر . ص ١٦٧.

(17) من أناشيدنا الوطنية . ص ٢٨.

(18) سا / ص ٧٦ .

بالاجتهاد نصرنا بالعلوم والعمل

ولمحمد الأخضرالسائحي مشاركة ملموسة في الأناشيد التي تعد فناً جديداً على شعرنا العربي، لأنها موضوعة أساساً انطلاقاً من شعور واعٍ بكيان الأمة،وضرورة شدّها في إطار موحّد، فالتربية العامة هي هدف أساس في هذا الفن الشعري، يقول السائحي في أحد أناشيده(١٩):

بدمائي، بفؤادي بلساني، بيدي
سألبي يا بلادي سأبني للغدِ
. . . .
أنت يا أرضي فراديس عجيبه
أنت خصب أنت آمال حبيبه
أنت مجد ومفاخر ومشاريع عتيده
عشت يا أرض أبد الدهر سعيده

الشاعر محمد غريط يكتب نشيداً خاصاً بالأطفال، يركز فيه على معاني العلم والوطنية والاعتزاز بالماضي، وذلك في "نشيد مدرسي"(٢٠):

يا بني العصر داعي النصح
واستجدوا ذكر كان ذا صيت
. . . .
جددوا للغرب واركبوا كداً وجدا
واقدحوا للعلم زندا والبسوا للحزم بردا
وابتغوا هدياً تسمعوا شكراً
تروا رعياً جميلاً من ذوي القدر

وعندما يعوز الكتب المدرسية نص محلي، فقد يعمد المؤلفون إلى اختيار ما يناسب الأطفال، كما حصل في اختيار قصة شعرية ساخرة مكتوبة بأسلوب عذب سهل، تحكي عن فأر جاء إلى بيت شاعر فقير فلم يجد ما يأكله، فغادر ساخراً من آراء الشاعر ومحاولات استبقائه، وفيها يقول محمد بن ابراهيم(٢١):

ليس لي زيت طعام في جفانِ
ليس من شيء عادى الأخوانْ
بسم الفأر بخبث بسمة فيها
قال لي والقول مثل سهم قد
ما الذي أفعل في أركان بيت
أتغذى بقريض فلان وفلانِ

---

(19) من أناشيدنا الوطنية . ص ٥٤.

(20) القراءة العربية . الرباط . ص ١٠.

(21) سا . ص ٩٦.

والطفولة نفسها كانت مثار حنين الشعراء، وحلمهم في أن يعودوا إليها هاربين من جهامة عالم الكبار، ففي عهد الطفولة تكون الدنيا كلها مسرح أحلام ومباهج، ولهذا فإن المدني الحمراوي يكتب في "ذكرى الطفولة"[٢٢]:

ذكـــرت عهـــداً قد كنت فيه صبيا
أقضـــي نهـــاري جوب حياً .. فحيا
والعيد عندي يوم ـه أكـون د َفيـا
وارتـــدي ثـــوب مخططـــاً بلـــديا
اختـال فيـه كـأني قد ارتديت الثريا
ليـــت الطفولـــة زمانهـــا أبـــديا

والشاعر التونسي المشهور محمد الشاذلي، يتناول الطفولة في ديوانه مرة بالحض على الكتاب والتغني به، ومرة بالتغني بالطفولة ذاتها، مازجاً بين العصفور والطفل،ومر ة ثالثة ببوح أبوي نحو ولده، فعن "الكتاب" يقول[٢٣]:

هـذا الكتـاب أخـذت عنـه وتخذتـــه دون الصـــحاب
أنـا لا أعظـم غيـره مهمـا قـــدراً مـــن الرؤســـاء
فهـو الكتـاب ومـن سـواه بـــــالتعظيم والتقـــــدير

ويقول في "عصفور الصباح"[٢٤]:

أطـل عليـك عصـفور شـــر بـــالمنى الغـــرِّ
يزقزق بالتحية كل فجر يهتف بالغدو وبالرواحِ
وتوقظـــك اســـتفاقته ليك يمد قادمة الجناحِ
ومـا أطفالنـا إلا زهـور مفتحة على كل النواحي
ولازالـت رحـاب البيـت أقمـار الهنـا والانشـراحِ

وفي قصيدة "ابني" يكتب[٢٥]:

أنت الفؤاد أمامي شـــاهد مرئـــيٌ
فـــي أفـــق بيتـــي منـــك المحيـــا
واخـــدم بـــلادك نـــك التونســـيٌ

كلما كانت تجربة الكتابة للطفل في بدايتها ركزت على الوعظ المباشر، وتساعد على هذا الروح التقليدية للشعراء المغاربة من جيل ما قبل السبعينات تحديداً ، ولهذا تصادفنا هذه الوعظية كما لدى عبد العزيز الحاج طيب[٢٦]:

---

(22) سا . ص ٢١.
(23) ديوان الشاذلي . ١ / ١٢١ .
(24) سا . ص ٥٩.
(25) سا . ص ٢١٩.

إن كنت ترغب في	**فاصبر على الأمر**
واعمل بإقدام وكن	**في نيل ما تبغي**
وانشـــط وكـــن	**تجنب الكسل المبيد**
ن عازماً كن حازماً	**صبر تحقق ما تريد**

إن الجيل الشاب في المغرب العربي بدأ يتلمس السبل القويمة لكتابة شعر أطفال، تختفي فيه الوعظية المباشرة، لترتدي لبوساً فنياً يخفي جفاف الحكمة النثرية، إضافة إلى تركيزه على الشروط الفنية الأخرى مثل السلاسة والسهولة والإيقاعات القصيرة وغير ذلك.

فإذا ما طالعنا تجربة مصطفى عزوز مثلاً فإننا سنلمس تقدماً واضحاً في لغة الشعر الطفلية، وهو شاعر تونسي قدم عدداً من المجموعات الشعرية للأطفال أهمها "العصافير" و"الحديقة" و"القطائف" و"براعم الادب".

ولدى عزوز ميل جميل إلى القصة الشعرية، ومن ذلك قصة "خلق الطير للفضاء" التي منها(٢٧):

هكذا حل طائر	**وعلى الفخ قد**
لقط الحب آمناً	**دون خوف ولا**
إذا الفخ ينثني	**وعلى الطائر**
وتناولت طائري	**ـا أسعد البشر**

وبعدها يقرر أن يتحرك الطائر حراً في الفضاء، وينهي الحكاية نهاية متميزة:

هكذا الطير شأنه	**يكـره الحـبس**
بينما اليوم لم	**ـر يملك البشر**

ويبدو أن الطفل المغربي يكاد يكون محروماً من كتب خاصة به بالعربية، ولعل الأمر شديد الوضوح عندما نقرأ في مقدمة كتاب "القراءة العربية" للمشرفي وزملائه ما نصه:

"لم يحملنا على وضع هذا الكتاب الذي سميناه (القراءة العربية) إلا عدم وجود كتب للمطالعة تناسب البيئة التي يعيش فيها الطفل المغربي"(٢٨)

ويلفت النظر في هذا الكتاب المدرسي الممتاز أنه حوى مختارات شعرية ونثرية جميلة، بطباعة جميلة، ونصوص معزوة إلى أصحابها، مع شرح للكلمات الصعبة ونبذة عن حياة المؤلفين.

ومن هذه الروح الجديدة في شعر الاطفال ما نلمسه في تجربة الشاعر الجزائري ناصر لوحيشي، كقوله في قصيدة "جدتي"(٢٩):

جـدتي جـدتي	**كنت لي عدتي**
إيـه يا فرحتي	**بـك يا جدتي**

---

(٢٦)

(27) براعم الأدب . ص ١٩.

(28) القراءة العربية . ص ٢ .

(29) رجاء . ص ١٢.

جـــــدتي....جـــــدتي

ن يأتي الظلامْ	**صـــحاب نيـــامْ**
تســـتوي جـــدتي	**م يحلـــو الكـــلامْ**

بـــــك يـــــا جـــــدتي

أنـــت علمتنـــي	**حكمـــة خالـــده**
أنـــت أســـعدتني	**والســـما شـــاهده**

جـــــدتي...جـــــدتي

ـت أنســى وا ِن	**ال ذاك الســمرْ**
خوفها.. حرصها	**، أكون القمرْ**

وللشاعر نفسه قصيدة "نشيد الوداع" ينجح في تجسيد المحبة بين التلاميذ، وربطهم الجميل بالمدرسة فعند انتهاء العام الدراسي ينشد[٣٠]:

أنــا بيـنكم.. أنـتم	**لا تحزنوا لا تفزعوا**
أســـــــماؤكم...	**مـــن مهجتـــي لا**
ســـأظل أرقـــب	**ســـأظل حتـــى**
أنا لن أقول: إلـى	**أنـــا لـــن أقـــول:**

والمطلع على هذه التجارب لن يستسيغ الهفوات اللغوية والوزنية تتكرر لدى الأجيال الجديدة أكثر من الأجيال السابقة، ولعل الامر يشير إلى حالة عامة لها علاقة بواقع الثقافة العربية وحركة التعليم في المغرب العربي.

---

(30) سا .ص ٤٨.

الفصل الثالث

شعر الأطفال في الجزيرة العربية و الكويت والسودان

لأسباب عديدة كانت منطقة الخليج والجزيرة العربية من أكثر البلدان العربية تأخراً من الناحية التعليمية، فقد سيطرت حتى بدايات القرن العشرين حالة البداوة التي طبعت هذه المنطقة، ويبدو أن الاحتكاك بالعالم ظل محدوداً، واقتصر على التجارة، أو مواسم الحجوا إذا وجد التعليم الأهلي فإنه محدود ومحصور بالأمور الدينية، والمدرسة الحكومية كانت نادرة جداً ، وقد اقتصرت على بعض المدارس العثمانية، أو مدارس شبه حكومية كتلك التي حاولت بعض البعثات إقامتها في منطقة الخليج العربي وعدن، وحاول الشريف حسين أن يسهم في نهضة التعليم من خلال إقامة مدارس قليلة في منطقة نفوذه قبل سقوطها(١).

ومن اللافت أن السعودية مثلاً لم تعرف تعليماً رسمياً للبنات إلا في عام ١٩٦٠ حيث أنشئت للمرة الأولى رئاسة عامة لتعليم البنات، وحالة التعليم في المرحلة الابتدائية ما زالت إلى الآن تعاني من القصور في أن تدخل ساحة التعليم الحديث بمناهجه وطرقه وأدواته، ولا شك إن الشهادة العلمية عن تردي وضع التعليم الابتدائي، وقيام أسسه على فهم جامد، وعن الوضع في السعودية يصح على منطقة اليمن والخليج أيضاً ، وتحس تعليمنا الابتدائي متأخراً في جميع الاقطار العربية، يقول الدكتور نور الدين عبد الجواد(٢):

"إن التعليم في مدارسنا الابتدائية تعليم لفظي في مجمله ظناً منا أن الكلمة مساوية لمحتواها ومعناها، وأصبح الاتجاه الغالب في التعليم يعتمد على ترديد الالفاظ،وأصبح تقييم التحصيل التعليمي تقسيماً للألفاظ المسترجعة"

هذا الحال له آثاره السلبية في إضعاف التذوق السليم للشعر، إن لم نقل تنفير الطفل من الشعر الذي يفرض عليه، ويعالج بتقريرية قيماً عامة مجردة.

وقد كانت معركة المدر سة الرسمية وتعليم الفتيات وتدريس الرياضة والرسم وممارسة الأنشطة الفنية حامية الوطيس في هده المنطقة، فشهدت حوارات وصراعات وفتاوى شتى.

ومن أنبل البدايات وأهمها دعوة عدد من الشعراء إلى العلم وتشجيع رواده، فبعد تأسيس المدرسة المباركية في الكويت ١٩١١/١٢/٢٢ أشاد عدد من الشعراء بالعلم ومعاهده كما فعل الشاعر أحمد بن خالد المشاري(٣):

فتى العلم هذا موطن الكسب   فشمرولا تكسل عن النصح

---

(1) راجع:

قصة التعليم في الكويت . عبد الله آل نوري.

نظام التعليم في المملكة العربية السعودية. د. عبد العزيز السنبل وزملاؤه.

الشعر الحديث في الكويت. عواطف الصباح.

الادب الحجازي . أحمد أبو بكر ابراهيم .

(2) نظام التعليم ... السنبل. ص ١٥٤.للتفصيل راجع الفصل الرابع "التعليم الابتدائي".

(3) الشعر الكويتي الحديث. عواطف الصباح. ص ١١٧(تذكر الصباح أن تأسيس المباركية كان عام ١٩١٢والصحيح ما ذكرناه نقلاً عن آل نوري)

فتـى العلـم: ىـل للعلـم ثـمَّ   إذا مـا ثـوى بـين الضـمائر

فتـى العلـم دعهـم فالغبـاوة   ولـيس غبـي فـي العـلا مثـل

عـرِّج بنـا نحـو الشـبيبة   لخيـر وعـاء أودعـت غـالي

ويقول المشاري نفسه في قصيدة أخرى وفي بعضها خطاب مباشرا إلى الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت وقتها[٤]:

والعقــل يظهــر إن علــم   كالنـــار كامنـــة والقـــدح

فـلا نجـاة إذاً للـنفس مـن   إلا بعلم من الآفات يحميها

منكم يئست ولما ضـاع لي   إلــى الأميــر أبــي الــنفس

هذي رعاياك من جهل بها   أنــت الطبيــب لهــا والعلــم

هــذب مــداركها، عضــد   وارحـم طفولتهـا إن كنـت

أكثـــر معارفهـــا، أبعـــد   افـــتح معاهدها،واســـمع

وعندما أراد بعض الشعراء أن يدعواإلى حق الفتاة في التعليم أدركوا أن في ذلك إشعالاً لنار خامدة، فالبداوة والتعصب الديني المغلق يتعاونان لوأد هذه الدعوة فهذا مساعد الرفاعي يقول على لسان امرأة[٥]:

فخـذ هـذا اليتـيم لـدار   ليشـرب حـب مصـلحة

وقلت العلم مفقود لدينا   وما في الدار من بالعلم

كـأن القـوم مـا خلقـوا   لِكـن للجهالـة والبـوارِ

إذا فالمرأة هنا طامحة إلى العلم مقدرة له، لكن هناك ما هو أقوى وأكثر جرأة وهو ما نقرؤه لدى الشاعر عبد الله سنان وفيه[٦]:

حبسـوك فـي زنزانـة   كـالطير فـي القفـص

اذا أرادوا من إسارك بين جدران وسورِ ؟

اذا عساهم ينتجون من المكبلة الأسيرِ ؟

وهل ارتكبت جريمـة   تـى تنـوئي بـالكثيرِ

قلنا لهم علم الفتاة   الفتـة مـن العثـورِ

ويعينهـا فـي النائبـات وعنـد ضـائقة

ويكـون ناصـرها إذا   عزت مناصرة النصيرِ

فـالعلم نـور تشـرق   دنيا بـه للمستنيرِ

ثـم تـزداد لهجـة دعوتـه ضـراوة:

بالله أيتها الفتاة على الغبا والجهل ثوري

وتحرري من كل رجعي يعوقك المسيرِ

---

(4) سا . ص ١١٩.
(5) سا . ص ١٢٣.
(6) سا . ص ١٢٤.

وتقلـدي الآداب فهـي تقيـك مـن سـوء

تِسلحي بالعلم والاخلاق وارمي بالقشورِ

لاشك إن هذا الكلام في تلك المرحلة يعد مغامرة حقيقية في محيط يضيق بالانفتاح ولا يعطي الفتاة حقها الذي لم تنكره الشريعة نفسها(٧)، ولكن في وقت مبكر كانت الكويت والبحرين وعدن أسبق من غيرها في تعليم الفتاة، والشاعر خالد الفرج يتهم صراحة بعض رجال الدين بالوقوف في وجه العلم(٨):

والعلم كل العلم فينا عمة ... وقفت لنـا سـداً مـن

إذا ابن هذا العصر جاء ... ـلاه فاخرنـاه بالأجـدادِ

نمنـا فقـام الآخـرون ... بـالعلم مجـداً شـامخ

ثم يؤكد حقيقة تكشف عن بعد نظره:

بـالعلم نقـدر أن نعيـد ... حتـى نـرى الأحفـاد

وعلى المنوال نفسه قال أحمد آل رومي(٩):

والعلـى لـيس لـه مـن ... موصـل غيـر علـوم

فانفضوا عنكم جموداً ... واطلبوا العلم وجدوا في

وكان من حظ المعلم تكريم خاص من الشعراء كما فعل محمد شوقي الايوبي في "رائد النهضة" وعبد الله النوري في "المعلم"أما الشاعر فهد العسكر فإنه يخاطب التلاميذ قائلاً :

يا نشء أمة يعرب عقدت عليك رجاءها قم

يا نشء يا أمل البلاد وسؤلها أقسم على أن لا

وأعـد سـعادتها إليهـا أيهـا الـنشء الجديـد

إن هذه الدعوات ستجد صدى لها في أرجاء الخليج والجزيرة العربية، ولعلها نتاج طبيعي لنفوس شعراء النهضة الثائرة على حالة الخمول الذي يسيطر على تلك المجتمعات، فمن السعودية يأتينا صوت الشاعر أحمد عبد الغفور عطار(١٣):

أيـن الثقافـة والآداب ... أين التقدم قد أمسين في

كنا عباقرة الدنيا بأجمعها ... واليوم وا أسفا صرنا لقى

مضت قوافل تعدو وهي ... ونحن كالنائم الممرور لم

ولو ذهبنا إلى أقصى جنوب الجزيرة فإننا لن نعدم أصواتاً عاضدة أخرى من أجل دفع المجتمع نحو العلم والتعليم، كما لدى الشاعر العماني راشد بن حميس القائل(١٤):

---

(7) سا . ص ١٢١ تذكر عواطف الصباح أن عبد العزيزالرشيد ألف كتاباً صدر عام ١٩١١ هو "تحريز المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين" دعا فيه إلى بقاء الفتاة في البيت.

(8) سا ص ١٣٨.

(9) سا .ص ١٣١ .

(13) الأدب الحجازي . ابراهيم . ص ٤٦.

(14) ديوان الحبسي . تحقيق عبد العليم عيسى . ص ٤٣٦ .

مـن فاتـه العلـم لـم يشرف	**مـا فـي الأنـام كأهـل العلـم**
تعلــم العلـــم تبلـــغ بغيـــة	**عن نيلها من أهيل الجهل**
والعلم يغنـي الفتـى عن كل	**يـداه فـي الأرض مـن مـال**

ويقول في مكان آخر(١٥):

تعلـم العلـم مـن أهلـي وأهـل

وادرسـه فـي كـل	**واعمـل بمـا أنـت**
إن أنـــــت لـــــم	**ر ســـم علمـــك**

إن الوقفة ستطول بنا لو مضينا إلى المزيد من هذه الشواهد، فهي تتردد في الجزيرة واليمن وقطر والبحرين وهكذا، لكنني أردت من هذا التقديم أن اضع القارئ أمام مشهد العلم والتعليم في هذه المنطقة، لكن مما يؤسف له أن كتابة الشعر للأطفال ليس لها حظ تقويباً هنا، ربما لأن الحاجة الحقيقية لها لم تولد كما يجب.

وأنا من المؤمنين أن شعر الاطفال يتبع حالة التعليم العصري الراقي، لأنها تؤدي إلى الاهتمام بثقافة الطفل وفنونه، مما يدفع بالكثير من الشعراء إلى الكتابة.

لقد اطلعت على الكثير من كتب القراءة والنشيد والمحفوظات التابعة لهذه البلدان، فوجدت أن أكثرها يكرر أردأ ما في التجربة العربية، فلا نصوص مختارة بعناية، والاعتماد شبه كامل على مناهج مصرية أو سورية أو لبنانية، وبطريقة عشوائية... وتزداد في طبيعة الاختيار القصائد الوعظية بطريقة فجة ولنصوص ميتة.

إن إسهاماتنادرة لحمزة شحاتة وطاهر الزمخشري السعوديين ولطفي جعفر أمان وا ٍدريس حنبلة اليمنيين وا ٍبراهيم العريض من البحرين وعبد الله سنان من الكويت لم تتحول إلى تجربة لها اتساعها وانتشارها، وتزداد المسألة صعوبة عندما نطلب شعراً حقيقياً للأطفال، أي بشروطه اللغوية والتربوية والإيقاعية والفنية.

بداية...لم تزد النصوص المكتوبة شعراً للأطفال عن عشرات النصوص، ونعثر عليها بصعوبة بالغة، خاصة أننا لن نجد أكثرها في الكتب المدرسية لهذه البلدان، وهذا ما جعل التربوي والشاعر السعودي يشكو صراحة من هذا الإغفال، إذ يلاحظ محمود رداوي في الكتب المدرسية(١٦) *"غياب الأعلام السعوديين من المقرراتوا ٍن ذكروا في الكتب المدرسية فيستشف عجز الشعراء السعوديين عن الخلق الفني"* إن هذا الامر ينطبق على المراحل الدراسية كلها،ويعجب المرء مثلاً كيف تغيب النصوص الوطنية على قلتها، ومن أبرزها طاهر الزمخشري الذي يحاول أن يبث قيمة العلم في المجتمع من خلال التغني به وبمدارسهفيعبر تعبيراً وجدانياً عن ذلك في قصيدة بعنوان "معاهد المعلمين"(١٧):

رعـــاك الله موصـــول	**تباركهـــا الحواضـــر**
وتشـــهد أنـــك الســاقي	**فـيض بـلّ غلـة كـل**
فتضــحك فـــي مرابعنــا	**وتهــزج فـــي مرابعنـــا**
ونجنـــي مـــن ريـــاض	**براعمـــه تنضــركل وادي**

---

(15) سا . ص ٤٣٧.

(16) الادب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية . ص ٢٧ .

(17) أغاريد الصحراء. ص ١١٥.

ويقول في قصيدة أخرى "على لسان ابني"(١٨):

سـأبني بالـدم الغـالي | من الأمجاد فـي وضـح
تضـيء سـطوره آفـاق | كللـة الجوانـب بالفخار
وتمخـر فـي جوانبهـا | حملـة بآمـالي الكبـار

ويغني الزمخشري لوطنه بقصيدة "بلادي"محققاً فيها نجاحاً ملحوظاً كنص للاطفال(١٩):

بــلادي فــداؤك روحــي
ور يشع من المسجدين

هنا كان طه ينادي | لـدين ينيـر سـبيل
فشـاد البنـاء ودك | ورد الأبـاة مــن

من المهم أن نجد في السعودية شاعراً كلاسيكياً رياديا هو أحمد بن مشرف يكتب شعراً تعليمياً سلساً، ولديه قدرة واضحة في كتابة الحكاية الشعرية التعليمية أيضاً، فنقرأ له(٢٠):

ـر بالأصـحاب | ن أحكم الأسباب
والنصـح لإخـوان | مــن أعظــم
والصـــــدق | مــن أحســن
عـاملهم بالصـدق | واصـحب بحسـن
لاقهـم بالبشــر | جـيهم بالشـكر
ن رأيـت هفـوه | فانصـحهم فـي

ويقول في قصيدة أخرى(٢١):

ـزاور الإخــوان | مــن خــالص
، التآخي شجره | ـا التلاقـي ثمـره

وعن المحادثة يكتب(٢٢):

إن رمـــــت أن | بمـا مضــى أو
لتؤنس الأصحابا | فأحسـن الخطابـا
واختصـر العبـاره | ولا تكـن مهـذاره
ولا تكـن ملتفتـا | عنـــه إلـــى أن

ويكتب الشاعر قصائد في الممازحة والضيافة وعيادة المريض والمكاتبة وصحبة البخيل وصحبة الكذاب وصحبة الأشرار وغير هذا من موضوعات، وكلها من مجزوء الرجز، وهو إيقاع ملائم ورشيق وله امتداد في تراثنا الشعري العربي، وعلى الأخص في القصص والشعر التعليمي و الحكاية الشعرية.

---

(18) سا . ص ٥٩.
(19) سا ٧٣.
(20) ديوان ابن مشرف. ص ٢١٤.
(21) سا . ص ٢٢٧ .
(22) سا . ص ٢٢٩.

هناك حكاية لا تصلح للصغار هي "حكاية مزيد وربرب المدينة" بينما يقدم لنا الشاعر ثلاث حكايات جميلة وظريفة، واحدة مأخوذة من كليلة ودمنة، وثانية من التراث العربي، وثالثة من التراث الشعبي.

في "حكاية الفأر والحمامة" نقرأ[٢٣]:

ـكى أريب عاقلُ   ـل فضـل ناقـلُ
عن سـرب طيـر   عــن الحمـــام
ـكـر يومـاً سـحراً   وسار حتى أصحرا
فأبصــروا علـــى   حبـاً منقـى نثـرا

وتستمر القصة المعروفة، إذ ينصحهم أحدهم ألا يسرعوا في التقاط الحب، فلم يستمعوا للنصح فوقعوا في الشبكة[٢٤]:

دموا وما النـدمْ   مجد وقد القدمْ
ـخذوا في الخبط   ـل ذاك الـربط
ـالتوت الشـباكُ   لتفـت الأشـراكُ

وعاد الناصح هذه المرة للمساعدة فأمرهم بأن يطيروا معاً بالشبكة، ثم طاروا حتى وصلوا فوق أرض خالية، فهبطوا فيها، فنادى الناصح صديقه الفأر للمساعدة:

وقال أهلاً بالفتى   ومرحبـاً بمـن أتـى
ـدمت خير مقدمِ   علـــى الصـــديق
فادخل بيمن داري   ـر ِّفَنْ مقـداري

فيطلب منه الناصح قرض حبل الشبكة:

فقـرض الشـباكا   وقطـــع الأشـــراكا
وخلـص الحمامـا   وقـد رأى الحمامـا
ـأعلنوا بحمـدهِ   اعترفـوا بمجـدهِ
وقـــدم الحبوبـــا   للأكـل والمشـروبا

وأخيراً :   ل الفأ ا رهش –

فودعوا وانصرفوا   والـــدمع مـــنهم

والحكاية في مئة وأحد عشر بيتاً على الوزن نفسه، تخللتها سوى ألفاظ صعبة قليلة.

أما "حكاية الفتى البغدادي مع الأمير المهلبي" فتحكي عن فتى طلب منه أن يصاحب الأمير المهلبي بشرط أن يصبر على كذبه، فقال الأمير للفتى[٢٥]:

لـــي عـــادة   علها كـل سنهْ
أطــبخ للحجــاج   ـن لحـم الـدجاجِ

---

(23) سا . ص ٢٤١.
(24) سا . ص ٢١٩.
(25) سا .ص ٢٤٧.

في فرد قدر نـزلا يكفي الجميع أكلا
فحار ذلك الفتى مـن قولـه وبهتـا
فقال: ليت شعري ا قدر هذا القدرِ

ولم يستطع الفتى أن يحتمل الكذبة، فسخر منها، فطرده الأمير، فتوسطوا له، فعاد إلى المنادمة على شرط ألا يعترض على الكذب،فصبر مدة إلا أنه أخيراً حدث عن كلاب صغيرة كانت عنده، إلى حد أنها تنام في عيني أحدهم وتنبح وهي في عينيه، عندها يقول ابن مشرف:

فقـام ذلـك الفتـى يقـول لاعشـت
صدقت هذا الكذبا شـاء الأميـر أم
ورِدَّ مـا أكسـاه ـه ومـا حبـاهُ
راح يغدو عادياً نحو البلاد ناجيا

"حكاية الدب" هي آخر ما في ديوان ابن مشرف من حكايات شعرية يبدؤها هكذا[٢٦]:

روى أولو الأخبار ـن رجل سيَّارِ
صر في صحراء ـسيحة الأرجاء
باً عظيماً موثقا سَ ر ْحة معلقا
وي عواء الكلب ـن شـدة وكـرب
أدركتـه الشـفقهْ ليه حتى أطلقهْ

وبعد ذلك يرى الدب ذبابة تزعج صديقه النائم، فيقرر أن يرد له الجميل، إذ يقول:

أنقذني من أسري وفك قيد عسري
حقـه أن أرصده ْ مـن كـل سـوء
فأقبلـت ذبابـه ـرن كالربابـه ْ

وحمل الدب صخرة وضرب بها الذبابة التي وقعت على وجه الشاب فقضى عليه،وينهي الشاعر الحكاية قائلاً :

هـذه الروايـه ْ تنهى عن غوايه ْ
ي طلب الصداقه ْ ند أولي الحماقه ْ
ذ كان فعل الدبِّ ـذا لفـرط الحـبِّ
وجـاء فـي قلاً عن المسيح
عالجت كل أكمه ْ ـرص مشـو َّه
كنني لم أطقِ ـط ُ عـلاج

وكما يحصل في أي بلد عربي، فإن الكثير من القصائد التي تضمها الكتب المدرسية تحوي معاني قريبة إلى الطفل أو الأهداف التي يراد غرسها فيه، أو إن بعضها قد وضع للتلاميذ أساساً، فهذا الشاعر سعد البواردي يقول في قصيدة "أنا من هنا"[٢٧]:

ممن أنا ؟ أنا من اسمع حديثي يا

---

(26) سا .ص ٢٣٨.

(٢٧) أغنية العودة . ص ٢١ .

أنا من بلاد الشمس غروبها وقت
أنا من هنا من الأحرار والعهد
أنا من هنا من كل شبر في بلادي يا
. . . .
ممن أنا ؟ أنا من من بذرة التاريخ
من مهبط الإسلام أرضي... فيه إخصاب
وطني له في مسمع الأكوان إيقاع
منذ استفاق لهم نوم وصمتُ

وله في قصيدة "الفتى العربي اليوم"[٢٨]:

إذا ما وجدت صديقاً
إن خانني سحقته يداي
ن رغب العون مني وهبتُ
وأجزلت في منحتي وعطاي
ولكنني ما وهنت حياتي
لا هنت في عزتي وإباي

والشاعر ابراهيم الرافع[٢٩] له قصيدة "الأم" والحديث عن الأم كما هو معروف كان دائماً موضوعاً أساسياً في الشعر المكتوب للأطفال فيقول[٣٠]:

يا أم أنت فم الزمان وقلبه والمجد فيك معلم الأطواقِ
كافحت في شرق الحياة حتى طويت معالم الآفاقِ
تتعهدين بكل فضل سيرنا موفورة الإيثار والإشفاقِ
لك في حنايا الصدر قلب لولا الضلوع لذاب في
تروين جسمي بالدموع غلب البكاء غلوت في

وفي موضوع مشابه آخر لكن بلغة ما زالت تميل إلى الجزالة والتراكيب التقليدية يقول محمد حسن عواد في قصيدة "المدارس"[٣١]:

والخير كل الخير في هذي المعاهد
هي للبلاد نواتها، هي للحضارة خير
لا المدارس كان للظلم العلوُّ ، للجهالهْ
تكاثرت فرص الرذيلة والتأخر والبطالهْ
تهدمت يا قوم للأخلاق أركان مشيدهْ

---

(٢٨) الادب السعودي . ص ١٠٤
(٢٩)
(30) سا . ص ١٣٤.
(31) سا . ص ١٣٣.

تشوهت قيم الأمور على محاسنها
ولسادت الفوضى، وصار الفرد مهضوماً
لا حق، لا قانون، لا تشريع ينتزع
إن الشعوب إذا نهضن إلى الحياة فإنما
تختار من هذي المدارس للتقدم سلما

أما الشاعر عبد الله بن خميس فيخص "التلاميذ" بقصيدة، لكنها تظل حبيسة اللغة الجزلة ذاتها[٣٢]:

بالبشر نستقبل النشء مبطرٌ به ع ُجباً أمانينا
يا نسمة الورد هبي من ويا نسيم الصبا حيِّي(*)
وصافحي فتية كانوا لنا باتت ترجيه أوطان لهم
إن النبوغ ليستهوي في العالمين فماذا حاله
لازال فينا حليف النجح ولم يزل ينبت الأمجاد

يظهر أن لغة الشاعر هي التي تحدد له طريقة التعامل مع موضوعه، فمن سيطرت عليه الأجواء التقليدية فستحضره في إطار تعبيري ضيق، لهذا لايبقى الأمر على هذه الحال مع أصوات شعرية مجددة في الشعر السعودي، أو أكثر إدراكاً لحقائق الحياة المعاصرة، كما نجد لدى الشاعر المعروف حسن عبد الله القرشي في قصيدة "فارسي الصغير" حيث يهديها إلى ابنه[٣٣]:

ـا فارسي الصغيرْ
ـي ثوبك الفدائي البشيرْ
ـمس غد تفجر الصخورْ
وأنت واثب هنا.. ىاك تزرع الهديرْ
ـيح لن يظل في بلادنا الصهاينهْ
لن يعيشوا في الظلال الآمنهْ
تطلق الرصاص صارخاً
وتنفخ البوق.. ىلب النفيرْ
ـا فارسي الصغيرْ
ا جيل تحرير الضمير والشعورْ
ـا صدحة الآمال في البكورْ
ـن واعياً للحدث الخطيرْ
ـي غدك الكبيرْ
ي كوننا المأهول بالعقبان والنسورْ

---

(32) سا . ص ١٣٢ .

(*) كذا في الاصل .

(33) الديوان ٢/ ٦٦٥.

ويبدو هذا مع الشاعر المعروف د. غازي القصيبي الذي كتب حكاية للأطفال على طريقة شعر التفعيلة حيث يقول فيها[(٣٤)]:

(١)

ن اسمه مهر الرياحْ
كان وسيماً أبيضاً
ر َباً بزرقةٍ
لِ الصباحْ
وكان ِ عثرْ فهْ
باً من الرياحْ
ن َ في صهيلهِ
ـّرد.. نشوة شهيّة
ُ في الصدور شهوة الكفاحْ
، يجري لا تكادُ العينُ أن تراهْ
ـه ما أحلاهْ !
الله !! أحلاهْ !

(٢)

أينَ جاءْ ؟
ل ولدته ذات فجرٍ
يمة بيضاءْ ؟
م أنجبتهُ في الربيع خلةٌ خضراءْ ؟
إن أقصى القمم الشماءْ
ليلة رائعةٍ قمراءْ
خضت عنهُ ...فجاء.. بَ
لضياء في الضياءْ
دَر العيون والظنون والأهواءْ

(٣)

ن اسمه مهر الرياحْ
َ عنيفاً جامح الجناحْ
قُ الحرّيهْ
ُ براءة الوحشيّهْ
م حاولَ فرسانْ
يجعلوه تحتهم مطيّهْ

---

(34) معجم البابطين ٦/٧١٩.

دّهُ

موجة ٍ عارمة ٍ من الصهيلْ

ن يفرُّ مثل إعصار جميلْ

ويترك الأحجار.. والتراب... بُار ْ

ي أوجه الفرسانْ

ضحك الصغار ْ

فعني بقبضة الغبار ْ ...

أفزعني... أسقطني

ا رأيتم هذه الجراح ْ؟

ّ تخطى رس الفرسانْ

وقال: (بني فلانْ

بد من تد جينهِ

بد من حماية النساء من جنونهِ

بدّ أن يذبح.. ي نرتاح ْ)

ن اسمه مهر الرياحْ

ان الشيوخ يعشقون وجهة النبيلْ

ن الصغار يطربونْ

ين يزأر الصهيلْ

وكانت النساء واقعات – كلهن – ي هواه ْ

الله !! أحلاه ْ!

الله!! أحلاه ْ!

(٥)

ـ ّا الفرسان في القبيله ْ

عوا في ليلة ٍ سوداء ْ

لديه قصـ ّة ذليله ْ

(ما اهتم بي!

كني وراح ْ)

والشاعر عبد الرزاق حسين من أبرز الذين كتبوا شعراً للأطفال بوعي تام لما يفعلون، وبمثابرة لم نلحظها لدى شاعر سعودي آخر فيما استطعنا الاطلاع عليه، فعنده تبرز سمات لقصيدة مكتوبة للطفل بوضوح، ولا تبقى مكتوبة عنه، إذ تبدو عناية الشاعر باللغة والإيقاع والتكرار والبساطة،ويحقق الشاعر نجاحاً بارزاً كما في قصيدة "فوق الرمل"[٣٥]:

وق الرمـلِ ألعـب أجـري

(35) رؤية في أدب الاطفال . ص ١٤٥ .

فــي الســحراء وعنــد البحـرِ

وعلـــــى   أبنـي بيتـي
مـاء البحـر   إليـه يجـري
أكتب إسمي   أرسـم بلـدي
بـــالتخطيط   ۯ بـــالحفرِ
أصفر أحمر   أبيض رملـي
مــا أنعمــه   عنـد السـيرِ
يبـدو رطبـاً   عنــد المــدِّ
فيـه جفـاف   عنـد الجـزرِ
يبــرد لــيلاً   أو فـــــي
يسخن جداً   قت الظهرِ
مــا أجملــه   رمـل بـلادي

وبنفس الرشاقة والسلاسة نقرأ لشاعر عن القطة(٣٦):

قطتنا أليفه   ســـــريعة
أعضــــاؤها   ميلة أنيقهْ
فــي يقظــة   إن أقبــــل
كل ما يدبُّ   فــي لحظــة
وتشـــــرع   فتحـــــرز
بـــه تنـــال   وتحـــرس

وينجح الشاعر في كتابة الحروف،ففي كل قصيدة عن أحد الحروف نلاحظ اختياراً ملائماً للكلمات التي تحوي الحرف المقصود، كما في "حرف اللام"مثلاً (٣٧):

حـرف الـلام   حـرف الـلام
أمـل بـــالله   ـل بـــالله
نســـــعى   نســـــعى
نحــــــن   نحــــــن
فـــي نيــل   نمضـي فـي
فالجهـــــل   إلعلـم كمالْ
فـــي كـــل   عدو أبطالْ
نشـــــــدو   الذل محالْ

يبدو أن الشاعر قد لمس أهمية القصائد التعليمية السهلة، ونجاحه في إيصالها إلى الطفل،فكتب عدداً منها، يقوم على تعريف الطفل بكائنات أو نباتات أو معلومات ضرورية كما في "الجهات"(٣٨):

---

(36) سا . ص ٥٠.
(37) سا . ص ١٤١.

الوجه قدامي

لظهر للخلفِ

هذي يدي اليمنى

خط والأكلِ

وأختها اليسرى

تعي في الحملِ

رأسي إلى الأعلى

ـلعلم والفكرِ

وأرجلي السفلى

للمشي والجريِ

ومثلها قصيدة "السمكة"[٣٩]:

مسكني الخفيّ

ـطادني الصيادُ

حمي الطريّ

نى به الأجسادُ

ـمي الشهيّ

ـبني الأولادُ

ويبلغ الشاعر حدّاً ممتازاً في البساطة والعناية بخصائص شعر ناجح لطفل صغير عندما يقول[٤٠]:

ـدي علبُ　　　هـا لعـبُ

تلعب تعدو　　　جب عجبُ

وأعبئهـــــا　　　فتســـــليني

لعبـي لعبـي　　　ـها العجبُ

والشاعر حسين من خلال وعيه بخصائص التوجه إلى الطفل يوجه نقداً إلى ما ينشر من شعر للتلاميذ في الكتب المدرسية، ويقول[٤١]:

والشاعر حسين من خلال وعيه بخصائص التوجه إلى الطفل يوجه نقداً إلى ما ينشر من شعر للتلاميذ في الكتب المدرسية، ويقول[٤١]:

"فالاختيار قطعة من العقل كما يقولون،ونضيف بأنه قطعة من القلب والروح أيضاً ، ولابد أن يراعي المسؤولون عن وضع المناهج في اختيارهم لنماذج المناسبة شكلاً وموضوعاً من ناحية، ومن ناحية أخرى أن نتوافق مع العمر

---

(38) سا . ص ١٤٨.

(39) سا . ص ١٤٨ .

(40) سا . ص ٥٠ .

(41) سا . ص ٥٠.

(41) سا . ص ٥٠.

الزمني والعقلي للأطفال، ولننظر في هذه القطعة المسماة أنشودة، والمقررة على طالبات الصف الرابع الابتدائي حيث يقول الشاعر:

أصغي إلى الدرس إن الوقت ... وحاذري صرفه في اللهو

ن أردت سؤالاً فارفعي يدك اليمنى بلا لغط في الدرس أو صخب

لاتنثري الحبر في أرض ... وثي ورق الكراس والكتب

لاتدفعي جارة بالرجل أو بيد ... ن ذلك مدعاة إلى الشغب

ولست بحاجة إلى التعليق على هذا الجفاف الناتج من يبوسة الألفاظ وصرامة الأوامر والنواهي"

لكن انطلاقاًمن هذا الكلام الجميل للشاعر والمربي الدكتور عبد الرزاق حسين ألا يصح أن نسأله لم كل هذا الحشد والتذكير بالأفكار الدينية فيما يكتبوا إذا كنا لا نختلف في أهمية التربية الدينية للطفل، لكن هذا في رأيي له شكلان في الظهور الصحيح، الأول ألا يطغى على عوالم الطفل الأخرى،فالطفل تحديداً ليس معنياً بالتفاصيل الدينية والأفكار التي تطرح بشكل مبكر، أما الأمر الآخر وهو الأهم فعلينا أن نكون حذرين في طريقة تقديم الفكرة الدينية إذ لايجب أن ننسى أننا نكتب لطفل عربي قد لا يكون مسلماً، وقد يكون من طائفة معينة، ففي هذا الإطار أرى من السلبي أن نقدم لمحات قد تفسر بالتعصب أو تغرسهوا إذا أردت أن أضرب مثلاًعلى ذلك فآخذ أكثر الأمور أهمية لنا، وأعني القضية الفلسطينية، وهنا هل يجوز ألا أشرك المواطن العربي المسيحي في شرف المقاومة والمشاركة في النضال وا إذا قرأ الأطفال العرب في لبنان ومصر وسورية والأردن والعراق.. وقبل هذه البلدان في فلسطين... إذا قرؤوا قصيدة "الشيخ عز الدين القسام" لحسين نفسه فهل تخدم بعض توجهاتها ما نريده من التربية؟.. يقول الشاعر في القصيدة:

حاربت فرنسا في ... فيت لبلد الآلام

أرض المعراج لها ... في عنق الوطن

جندت الجند أحار ... طهر أرض الإسلام

إن إيماننا بالإسلام أولاً والوطن ثانياً يفرض علينا أن نحسن التعبير عن المواطنة في هذا العصر، ولا نقبل أن يقدم الدين كما فسر الدكتور حسين بقوله(٤٢):

"فالخلاف بين الإسلام وغيره منالأديان ليس خلافاً ذوقياً أو مزاجياً ، إنما هو خلاف أكيد بين الحق والباطل، وبين الصحيح والزائف، فالناس لا يختلفون في الأديان كما يختلفون في اختيار ملابسهم وأذواق طعومهم ومشاربهم، وقد بين رب الناس لكل الناس أن الدين عند الله الإسلام،وأن الأديان الأخرى قد ز يفت، وحرفت فئة من أتباعها كلام الله، واشترت به ثمناً قليلاً " ثم يضيف بعد قليل(٤٣):

"فإن التوضيح في هذه المسألة مطلب حيوي، وعنصر ضروري في توجه الطفل"

إن المطلب الحيوي في كل مجتمع سليم ناهض معافى ومتحد هو أن الدين لله والوطن للجميع.

(42) سا . ص ٢٦ .

(43) سا . ص ٢٧ .

وفي ديوان الشاعر المعروف حسن عبد الله القرشي قصيدتان مشغولتان في إطار طفولي شفيف، الأولى فيها حديث عن الفراشة(٤٤):

طلعي للأفق المسحورِ

ي نظرة مبهورة الشعورِ

ابحة في كونك الصغيرِ

ا وردة ملأى من العبيرِ

يسمة نشوى من الحبورِ

نغمة تنساب في الضميرِ

ورفرفي في الروض الطيورِ

راشة فرحى من الزهورِ

المة بعالم طهورِ

شع من أر َج ٍ ونورِ

أما القصيدة الثانية فيخاطب فيها طفله، من خلال روح جهادية معروفة لدى هذا الشاعر القومي، لهذا فقصيدة "فارسي الصغي" أشبه بوصية(٤٥):

فارسي الصغيرْ

، ثوبك الفدائي البشيرْ

ش غد تفجر الصخورْ

وأنت واثب هنا... اك تزرع الهديرْ

تصيح لن يظل في بلادنا الصهاينهْ

لا لن يعيشوا في الظلال الآمنهْ

وتطلق الرصاص صارخاً

فخ البوق وتطلب النفيرْ

فارسي الصغيرْ

جيل تحرير الضمير والشعورْ

صدحة الآمال في البكورْ

كن ياً للحدث الخطيرْ

، غدك الكبيرْ

، كوننا المأهول بالعقبان والنسورْ

---

(44) ديوان حسن عبد الله القرشي ٣٧٤/٢ .

(45) سا . ٢ /٦٦٥ .

بعد هذه الجولة في شعر المملكة العربية السعودية، نرجو أن تكون السنوات القادمة حافلة بنهوض في ثقافة الطفل،ولا سيما في شعر الاطفال،ففي هذا البلد بشائر عديدة بشعر حديث حقاً ، وحركة نقدية متطورة، وجهود تربوية معاصرة... ستؤدي في النهاية إلى دفع حقيقي في هذا الجانب المهم.

. . . . .

وفي الوقت الذي لم أستطع الوصول إلى نصوص مكتوبة للطفل في الشعر العماني، فقد وصلت إلى قصيدتين عن الطفل للشاعرة العمانية سعيدة بنت خاطر الفارسي إحداهما تقول(٤٦):

إذا مـا تكـورت فـي ... أثقلت جسماً خفيفاً
وصـرت تلملـم روح ... فلـم يبق شـيء سوى

عرفـت بـأني نـديم ... وليلـي طويـل ولـن
وبــت أقلــب فكــر ... سـأحظى بليلـى تـرى
ولمـا توالـت شـهوري ... وقاربــت هــولاً بــه
ذبلـت ذبـول غصـون ... ومـن تلـك مثلـي ولـم
وقـد راودتنــي شـتى ... بعــاق ســأرزق أم

وعلى ما يبدو فإن هذه الشاعرة العمانية لم تستطع أن تسبر غور الطفولة أكثر، فعبرت بكلام عام عن إحساس "الأمومة" تجاه مولود قادم، والصنعة والتكلف واضحان، خاصة في القصيدة الثانية التي منها(٤٧):

وحــين تزمجــر ريــح ... تلاطـم أمواجهـا مركبـي
شــعرت بنوبــات شــبه ... وموجــات صــخب إلــى
تقطــع مــا بــين هــذا ... وبينـــي فلـــم أدر مـــا

وعسى أن يفاجئنا الشعر في عمان بتجارب لم تصل إلينا بعد، سواء فيما يخص الكتابة عن الاطفال أو في شعر الاطفال نفسه.

ولليمن مع العصر حكاية تضحك حدّ البكاء، قد لا ينتبه كثيرون إلى أن أكثر الأرض اليمنية لم يقع تحت سيطرة الاستعمار الغربي، لكن اليمن ابتلي بحاكم يرى في " العصرية "تهمة تقود إلى الموت أحياناً.. ألم يهتف الإمام أحمد ذات يوم أنه سيروي سيفه من دماء العصريين!!

ولنا هنا أن نتصور كيف كان حال العلم والتعليم في بلد ما زالت تقاليده الشعرية تعود إلى زمن القرون الوسطى، وقد كانت "دار العلوم"في صنعاء شكلاً راقياً من أشكال الكتاتيب، أما المدارس فلم تكن أحسن حالاً ، شعراء يزحفون بين الجوع والمرض؟، أقصى ما يحلمون به أن يقفوا ذات يوم بين يدي الإمام لينشدوا شعراً في مدحه فعندها سيطوِّبهم شعراء، وسيخلع عليهم، ويضمهم إلى حاشيته...

---

(46) الطفل في القرآن والسنه والأدب . ص ٤٣٩ .
(47) سا . ص ٤٣٨ .

والشعب اليمني كان يرزح في أغلاله، بل أحياناً يقاوم لكي يبقي هذه الأغلال، بعد أن وصل الوهم إلى أعماق النفوس فشلّها وحوّل أصحابها إلى بيادق بيد الحاكم.

بلاد كان حفنة المتنورين فيها يتبادلون الحوار على ورق يتداولونه، فيما سمي عندهم "البريد الأدبي" وحفنة الذين أرادوا أن يطلوا على العصر كانت تهرّب" من عدن دواوين العقاد وشوقي وحافظ والرصافي، وكتب محمد عبده والأفغاني والكواكبي وعلي عبد الرزاق وطه حسين والعقاد كأنها منشورات سرية..

اليمن ليس بحاجة إلى الثقافة، حتى الصحافة، يكفي الإمام أن يطلع على بعض الصحف التي ترسل إليه ليشترك فيها، ولكنه يعيدها إلى مصدرها بعد أن يقرأها!!

رجل تخلفه يصل حد الطرافة، إنها سلالة ورثت التخلف والجهل والتعصب أباً عن جد، لهذا لا تستغربوا عندما يقول شاعر تقليدي هو أحمد الشامي عن بلاده هذا الكلام القاسي منذ الأربعينات(٤٨):

عشر ا الأفال

مــن عــذيري للأمــة   وهـم فـي الوجـود شـر

خلقـوا للأغـلال والسـوط والجـلاد لا للدسـتور والحريـه

يتبـارون فـي مجاملـة الظلـم وتقـديس الجهـل والهمجيـه

ويوالون من يسومهم الخسف ويقضي على النفوس الأبيـه

قد عرضنا صحواً عليهم   . ألفنا الغيبوبة الأبديـه

كلمـا جئنـاهم بعلم وفن   بلـوا بالزوامـل القبليـه

إذا رتلنـا علـيهم بيانـاً   أعرضــوا ينشـــدون "

وإذا قـدمنا علاجـاً لمسـلول أبـوه واسـتبدلوه بكيـه "

إذا لوحنـا لهـم بكتـاب   حوا بالعسيب والبندقيه

هت في عقولهم صور الإسلام فهي الخضوع والطائفيه

وهــي تفريــق النــاس   " شــافعي" وذا مــن "

هم على حالهم ضلالاً   ختلافـاً كأمــة وثنيــه

ربما لم يقل أحد كلاماً أكثر صراحة في حال اليمن كما فعل الشامي "الرجعي" كما هو تصنيفه، فما بالك بالذين على يساره؟!

إن الشامي وعديدين معه كانوا من أنصار ملكية دستورية في اليمن، وقد اشترك كثيرون في انقلاب ١٩٤٨ الذي أطاح بالإمام يحيى لكن الثورة لم تعمر شهرين، حتى عاد ابنه أحمد ليهزم خصومه، ويستبيح صنعاء أياماً، ويزج بالشامي وإبراهيم الحضراني وعبد الرحمن الأرياني ومحمد النعمان وغيرهم في السجون... بينما سقط الشاعر زيد الموشكي شهيداً..

معظم هؤلاء خدموا الإمام،وأرادوا أن ينفتح اليمن قليلاً على العلم والتعليم والعصر، اليمن وقتها كان بلا وزارات ولا سفارات ولا بنك ولا شركة طيران ولا طرق.. ولا... ولا فلنمسح من ذهننا شيئاً له علاقة بالطفل والطفولة.. في بيئة كهذه لا يمكن أن نتخيل شعراً للطفل.. وأي طفل ؟ وفي أي كتاب وأي مجلة؟.

(48) الشعر اليمني المعاصر . المقالح . ص ١٤٦ .

من المؤلم أن تتنفس اليمن قليلاً وقتها من خلال مناطق في جنوبه تحت الاستعمار البريطاني، وهنا أدت عدن دوراً بالغ الأثر..

لقد شهدت هذه المدينة بعض المدارس الحديثة، والصحف والمجلات والنوادي،لهذا ليس غريباً أن تمدّ شمال اليمن ببعض الرمق الثقافي، وتستقبل الفارين من وجه الإمامة الكالح كالزبيري والنعمان.

لكن شعر الأطفال لم يكن ناضجاً ليظهر، والمحاولات التي كتبها لطفي جعفر أمان وإدريس حنبلة لم تكن قادرة على البقاء لما فيها من مباشرة وركاكة، والكتب المدرسية تعتمد على نصوص عربية من مختلف البلدان، بل كانت الكتب لفترة من الزمن بعد الاستقلال تأتي هدية من مصر ! وعندما تقلب كتب اللغة العربية للمرحلة الابتدائية الصادرة منذ عقدين، فلن تجد سوى قصائد لشعراء يمنيين مكتوبة للكبار،عندها ستقرأ أسماء محمد محمود الزبيري وعبد الله البردوني وإبراهيم الحضراني ومحمد سعيد جرادة ولطفي جعفر أمان وصالح الحامد وعبد العزيز المقالح ومحمد الشرفي وغيرهم في اليمن حتى الآن ليس هناك شاعر كتب للأطفال شعراً حقيقياً باستمرار..

هناك استثناء يمني واحد في هذا المجال ولكنه شاعر قسا عليه اليمن، فغادره إلى غير رجعة، ومات خارج وطنه، إنه علي أحمد باكثير، لكن باكثير الآن اسم شديد الحضور في اليمن،ربما بتأثير هذا الجفاء الذي عاشه الشاعر من بلده وهو حي، إضافة إلى ما حققه باكثير فيما بعد عندما عاش في مصر، وكانت له جهود واضحة في الأدب العربي المعاصر.

كان باكثير يتقن الانكليزية، وثقافته العربية واسعة، وشاهد بلداناً عديدة، وخاض تجارب حياتيه غنية، وكان من رواد الشعر العربي الحديث، هذا الأفق الواسع في رأيي مهد لتجربة تستحق التقدير خاضها الشاعر مع شعر الاطفال على عكس حال الشعراء اليمنيين الآخرين، فإنهم دون أن يشعروا حبسهم ضيق الأفق الممنوح لهم عن إدراك ما تطلبه الحياة المتمدنة، لهذا بنوا لأنفسهم سجوناً من الأوهام، منعتهم من الإنطلاق نحو الحياة، حتى ما يسمى بـ " أدب أطفال " في اليمن أمره يثير الاستغراب،إن عدداً محدوداً من القصص العادية أو الرديئة لا تصنع أدباً طفلياً .

واحد من هؤلاء – وهو أشهرهم – أصدر كتاباً له عنوان يغري بالكثير "أدب الاطفال في اليمن من أين؟ وإلى أين؟" ثم نقرأ العنوان الفرعي:

"دراسة شاملة في النظرية والتطبيق" لعبد المجيد القاضي..وهو كاتب أعرفه جيداً وربطتنا مودة شخصية، لكنه لم يقدم في كتابه معلومة دقيقة، لأنه أساساً بحث في لون أدبي لا وجود له.حتى الموجود النادر لا يأتي الكاتب على ذكره، لأنني متأكد أنه لم يطلع عليه،وإلا فما معنى أن يصدر كتاب حديث بعنوان شامل لا يتحدث عن محاولات لطفي جعفر أمان وإدريس حنبله وأخيراً علي أحمد باكثير؟!

ولأقتطف للقارئ مشهداً من كتاب القاضي ليطلع على بعض تأريخه لأدب الطفل اليمني(٤٩):

"هل عرف الطفل اليمني نصاً قصصياً يمني التأليف؟ قطعاً حتى منتصف السبعينيات لم تكتب قصة يمنية موجهة للطفل على مستوى الساحة اليمنية..

قارع الجرس:

ترى من كان أول من قرع الجرس ونبه إلى ضرورة كتابة القصة للطفل ؟ هل أتجرأ وأنسب ذلك إلى نفسي ؟ إن الأمر مخجل ولكنها الحقيقة.. ففي ديسمبر عام ١٩٧٣ طرأت لي الفكرة إذ وجدت الساحة فارغة، وكتبت رواية للطفل تحت عنوان

---

(49) أدب الاطفال في اليمن . ص ٨٨ – ٩٠.

"غراب في حديقة الحمام" وفيما أنا أكتب هذه القصة دعيت إلى مقابلة تلفزيونية ضمن عدد من الأدباء والكتاب، وكانت المقابلة تذاع وتشاهد على الهواء مباشرة.

وسألني المذيع السؤال الروتيني:

– ما هو آخر أعمالك؟

فرددت عليه:

- إنني بصدد الانتهاء من تأليف رواية للأطفال تحت عنوان "غراب في حديقة الحمام" وهو اتجاه جديد كما ترى.

وما هي سوى دقيقة أو دقيقين حتى رن جرس الهاتف في مكتب إدارة التلفزيون وا ِذ بشخص يدخل الاستوديو ويهمس في أذني.

تعال معي إلى المكتب.. هناك مكالمة هاتفية من أجلك.

وخرجت وما إن رفعت السماعة حتى جاء صوت الاستاذ الدكتور عبد الله الخامري، وكان آنذاك يشغل منصب رئيس الدائرة الايديولوجية للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني، وبالحرف قال:

نشد على يدك.. اكتب للطفل، وبمجرد أن تنتهي هذه الرواية التي ذكرت ارفعها إلي مباشرة، وسأعمل على طبعها في كتاب بعد عرضها على لجنة مختصة طبعاً .

وقد كان الدكتور سالم بكير أحد اعضاء هذه اللجنة وأجيزت الرواية.

إذن فقد رن الجرس "

لندع هذا الكلام جانباً ، وقد شهدت بنفسي في مجلس ضم الأديبين حسين سالم باصديق وعبد الله باوزير قولاً للاستاذ القاضي يشبه ما ذكره في الكتاب، لكنهما أنكرا ذلك، ودار حوار أدى إلى شيء من الجفاف بسب عدم اعترافهما بهذه الريادة المزعومة.

إلا أن أغرب ما في كتاب القاضي هو ما ذكره تحت عنوان رأي خاص، وهو يفتقد لأبسط حقائق الكتابة للأطفال و أبجدياتها، فلنقرأ(٥٠):

جد كتاب الطفل من الخرافات والخوارق التي يحويها كتاب "ألف ليلة وليلة" و"خاتم سليمان" و"البساط السحري" وغيرها من قصص الجن والجنيات والسحرة والساحرات، يجدون في كل هذه الخزعبلات مناهل غزيرة وسهلة التناول، يغترفون منها أفكارهم الضحلة، ويرحلونها للأطفال، متجنبين الاجتهاد والإبداع المستمد، من واقع الحياة المعاشة التي يجب أن يستوعبها الطفل بكل ما فيها من خير وشر، وكل ما من شأنه تنمية مداركه الاخلاقيةوالعلمية وا ِذكاء مشاعره الوطنية والقومية بعيداً عن السرحان والهيام في عوالم خيالية لا مكان لها في دنيا الواقع.

وحجة هؤلاء الكتاب أن مثل هذه الأعمال تجتذب الطفلتدهشه وتستثير خياله وا ِعجابه بما تحوي من غرائب وعجائب، ولاخروج في مثل هذه الأهداف عن أدب الطفل.

أقول نعم: إذا حصرت أهداف أدب الطفل فيما يدهشه، يعجبه ويستثير خيالهولكن بالمقابل ألا تزر ع مثل هذه الأعمال في نفس الطفل السلبية وروح الاتكال عند تعرضه لمواقف صعبة، حيث ينحصر نضاله على أمنية العثور على

---

(50) سا . ص ٢٦ .

المصباح السحري أو خاتم سليمان ليتولى عفريت المصباح أو شيطان الخاتم عملية إخراجه من محنته بعد أن يقف أمامه صارخاً بصوتة الأجش: شبيك لبيك خادمك بين يديك.. أعتقد أن الوقت قد حان للانصراف عن مثل هذه الأعمال في كل ما يكتب للطفل في العالم العربي"

بعد هذا الرأي الذي لايحتاج إلى تعليق أود أن أختم مع الأستاذ القاضي برأي شديد الثقة والجرأة فيما يخص أدب الاطفال اليمني(٥١):

"ولكنني أملك ما أقول وبشجاعة أقولإننا في اليمن استطعنا أن نكتب أدباً للطفل لا يقل بحال جودة وا إتقاناً عما كتب منه في العالم العربي على الأقل.. سواء في المحتوى أو المقومات الفلسفية التي يتطلبها أدب الطفل وذلك أننا بدأنا من حيث وصل إليه كتاب الطفل العرب في سلم التطور الابداعي لا من حيث بداياتهم الإرهاصية "

وطبعاً أدباء الأطفال الذين يجد فيهم الاستاذ القاضي كل هذا النبوغ هم:

حسين باصديق وعبد الله باوزير وعبده بعيصي وا دريس حنبلة وشفيقة زوقري ورمزية الأرياني وزهرة رحمة الله وأديب قاسم وعلي عوض باذيب وكمال الدين محمد وشفاء منصر ونجيبة حداد.. بالطبع دون أن يقدم لنا الكاتب نموذجاً واحداً لهؤلاء بل تحدث عن بعضهم حديثاً عاماً، مختاراً أن يصمت عن الشعر صمتاً كاملاً لا يرى فيه سوى إدريس حنبلة وعبده بعيصي وأحمد شريف الرفاعي.. أما ماذا قدم هؤلاء؟ ولو إلى حد تقديم نموذج واحد.. فلا!!

في رأيي إذا ليس من محاولة تستحق التعليق عليها في شعر الأطفال اليمني سوى ما قام به الشاعر المعروف علي أحمد باكثير مع أنها لا تحوي إلا أربع قصائد،ثلاثاً في ديوانه ورابعة عثرت عليها في كتاب مدرسي سوري.

سبق أن ذكرت أن الدعوة إلى العلم وا شراك الفتاة فيه سببت الكثير من الاحتجاجات الاجتماعية ومن قبل رجال دين فسروا الإسلام تفسيراً ضيقاً لا يتفق مع حقيقته.

باكثير ينتمي إلى محافظة حضرموت،وهي التي تعتز كثيراً وعلى نحو مبالغ فيه بما قدمته من علماء ومتعلمين ومثقفين.

وقياساً على الوضع اليمني حق لحضرموت أن تشعر بتميز واضح، فالهجرة منها نشطة إلى مختلف أصقاع الارض،ومنذ وقت مبكر، ومعلوم أن للهجرة بحد ذاتها فضلاً كبيراً في إخراج الناس من أوهام الانغلاق الكثيرة.

باكثير ابن لهذه البيئة، مع أنه ولد وعاش عدة سنوات في اندونيسيا (البلدالأكثر احتضاناً لأهل حضرموت) إلا أن باكثير في يفاعته كان متميزاً عن أقرانهديد الثورة على ما حوله من أوضاع عندما مس ّ باكثير هذه المقدسات في اعراف المجتمع اليمني في حضرموت حورب إلى حد إجباره على مغادرة الوطن كله.

في محاولة مبكرة نجد لباكثير قصيدتين يخاطب فيهما تلاميذ المدرسة متغنياً با فتتاح مدرسة " النهضة " في مدينته، فيقول(٥٢):

جـدوا تلامـذة المعـالي	**' تجتنى بتكاسل وتوانِ**
والعلــم لا يزكــو لغيــر	**لد على أعبائه سـهرانِ**
وأبر من صحب الكريم	**ي كل آونـة وكل مكانِ**

---

(51) سا . ص ٩٤ .

(52) ديوان علي أحمد باكثير . ص ٦٧ .

مـن لـم يكـن حلـف هـو جلمـد فـي صـورة

وتواضـعوا، لا تكسـلوا حـرب للفتـى المتكبـر

وتعـاونوا فـي البـر تتعـاونوا فـي الإثـم

تحيا البلاد بكم ويرغد فـي ظـل عـدل وارف

ولن يصعب على أحد أن يلاحظ أن هذا الشعر وإن كان موجهاً إلى الأطفال لم يستطع بعد أن يأخذ بالشروط المعتادة في لغتهم، فجاءت القصيدة بشكل واضح قصيدة للكبار في لغتها وبنائها الايقاعي، وخاطبت الاطفال خطاباً من الخارج وهو أمر نجده متكرراً في كل بلد عربي خاصة في البلدان الأقل نهوضاً وانفتاحاً على الفكر الحديث.

كما نجد لدى باكثير تقليداً لخطاب شائع في الشعر الذي دعا الأطفال إلى العلم، متوسلين إلى ذلك بالمواعظ المباشرة، والإشارات الدينية البارزة، والحكم والتوجيه وإطلاق الأوامر والنواهي بتقريرية باردة، الامر الذي نلاحظه في قوله(٥٣):

لا ينـال العلـم إلا قاسـاة عنـاء وتعـب

وامتطـاء الجـد فـي وسـهاد الليل مع صدق

يـابني" النهضـة" جـدوا لا يكـون الشـيء مـن

كـل شـيء كسـبه جـد واجتهـاد يكتسـب

وافتخـار المـرء علم أحرى لا بمال ونسب

والفتـى مـن قولـه هـا الـذي يسـمو بجـد أو بـأب

وهو فخر وجمال وكمال ضـل ورشـاد وحسـب

والزمـوا الآداب إخـواني ـر فـي علـم بـلا حسـن أدب

وإذا كانت مقدمة المقدمات في التوجه إلى الطفل تتمثل في الحديث عن العلم والمدرسة في البدايات كلها، فإن الأم تأتي في صدارة ما على الشاعر أن يلفت نظر النشء إليه، وسيراً على هذا التقليد تطالعنا قصيدة ثالثة لباكثير بعنوان "الأم" ومن خلال هذا المدخل الإنساني الأثير لدى الجميع يواصل الشاعر دخوله في موضوعات أخرى، فيجدها فرصة ثمينة ليعرج على الدفاع عن تعليم الفتاة، وكشف زيف أعداء المرأة، لافتاً شعبه إلى ما هو فيه من تخلف مقيم، وبالطبع يعمد إلى استثارة ما في الشعب من حمية مذكراً إياه بماض زاهر يكاد يلفظ أنفاسه(٥٤):

م أسـتاذ الأسـاتذة الألـى شـغلوا العصـور

أصـل السـعادة والشـقا ـل البلابـل والسـرور

هـي مصـدر لجميـع مـا ت السماء من الأمور

ضل الألى ظنوا نون وكلها كذب وزور

أيكون تعليم البنات ـم يورثهـا الفجـور

يـا أيهـا الشـعب الكريم ا لموتـك مـن نشـور

هبـت شـعوب وارتقـت ۽ وأنت على الحصير

(53) سا . ص ٥١.

(54) سا . ص ١٧٦ .

قوموا لمجدكم الوقيذ ـــه يوماً يثور
ـوا لـه لا تتركوه يلفظ النفس الأخير

هذه الإرهاصات الشعرية شكلت البذور الأولى التي جعلت باكثير يصل إلى حد ناضج حيث نشعر أنه كتب قصيدة للأطفال حقاً كما في "نشيد الأم"الذي كان من الأناشيد الجميلة التي حفظناها صغاراً [٥٥]:

عيدك يا أبهج
لولاك يا ما كان

* * *

أما في الكويت فتبدو الصورة مقبولة قياساً إلى الجزيرة والخليج، فمنذ وقت مبكر انفتحت الكويت على العالم العربي والخارج أكثر من غيرها،واستقبلت معلمين عرباً من أقطار أكثر تطوراً، وأرسلت طلبة وطالبات للدراسة في الخارج،إن هذا الحراك خلق حالة من نهوض انعكست إيجاباً على الشعر..

وكان هذاالبلد كمالُمحت سابقاً قد شهد صراعاً فكرياً محموماً بين أنصار التعليم وأعدائه، فهذا صقر الشبيب يشن غارة شعرية على الخصوم قائلاً [٥٦]:

تسموا بالديانة وهي على بعد النجوم من
وقد خافوا شموس العلم ظهرهم كما هم للأنام
فراحوا يزعمون بلا بن العلم مجلبة الأثام

وفي مكان آخر له [٥٧]:

ما ضر قومي غير عنه إلى العلم قبل اليوم
هداهم لنعيم العيش فكل ما طلبوا من نيله

وربما تعود أولى هذه الصيحات إلى زمن الشاعر حجي قاسم الحجي عام ١٩٠٣ عندما قال[٥٨]:

بغير العلم لا يرجى وهل بالجهل فاز

وقد كان قدوم البعثات العلمية مناسبة يحييها الشعراء بالقصائد[٥٩]، وتبلغ مكانة المعلم عند الشاعر عبد الله آل نوري حداً يقارن بأسمى البشر، فيقول هذا المربي الكبير [٦٠]:

من ذلك البر الجواد بنفسه ليفيد غيره
ويعش طول حياته عيش الكفاف يذوق مره ؟
ذاك المعلم هل رأيت سواه شهماً فاق برّه؟
يا وارث الرسل الكرام ومرشداً من ضل سيره
يا ماحياً بالعلم ليل الجهل إن أطلعت فجره
الفضل أنت غرسته ووضعت للناشين بذره

---

(55) النشيد والموسيقا . الفرا ص. ١٣٩واجع النشيد كاملاً في المختارات الشعرية .
(56) الشعر الحديث في الكويت . ص ١٦٧ .
(57) سا . ص ٢٠١ .
(58) سا . ص ٢٠٧.
(59) سا .ص ١٢٢.
(60) سا . ص ١٠٨ وله كتاب يروي فيه قصة التعليم في الكويت هو "قصة التعليم في الكويت في نصف قرن".

وجناه من طلب العلا ومن اليراع سقاه حبره ْ

وفي ديوان الشاعر خالد الفرج نلتقي بقصيدة عنوانها "أنا هكذا" كتب تحت عنوانها "ألقاها طفل في احتفال مدرسي"حيث يخاطب الكبار مهيباً بهم أن يعرفوا كيف يوجهون الابناء نحو العلم وأن يحموهم من الضياع(٦١):

**يا سادتي هذي نواة		نبوذة وسط الفلاةْ**
**تصـــلى بنيـــران		وتعتفـــي بالذاريات ْ**
**تى تجفّ قشورها		للب يصبح كالفتات ْ**
**لكن إذا ما الوسم		يـــل الغاديــــات ْ**
**وأتى الربيع بلطفه		عـــادت بهــا روح**
**تغري الثرى بعروقها		تعود مثمرة النبات ْ**

أنـــا هكـــذا.. أنـــا هكـــذا

سادتي والدر مثل السر في قعر البحار ْ
ملقى كائر ما هنالك من رمال أو محار ْ
ى إذا ما افتكه الغواص من ذاك الإسار ْ
و على أبهى النحور ويعتلي تاج الفخار ْ

أنـــا هكـــذا.. أنـــا هكـــذا

**أنا في المرونة طينة		ي طبعها تتأثر ُ**
**لكن متى ما أهملت		ا سادتي تتحجر ُ**

يا سادتي

بناء القصيدة الموسيقي يلفت النظر، إذ قامت على وزن خفيف من مجزوء الرجز، ثم على تنويع واضح في التقفية، مع نهاية مقطعين نهاية تكرارية حرة القافية،ثم تأتي القفلة بحركة واحدة تفعيلياً مع قافية حرة أيضاً لا تجانس ما قبلها.

ثم نلتقي بعد ذلك بنمط من القصائد تتحدث عن الابن من خلال شكل من أشكال العاطفة حيناً ، والوصف الأبوي له، أو مايشبه الوصية له.

الشاعر عبد المحسن محمد الرشيد يكتب في قصيدة "بني"أفكاراً تنتزع الطفل من عالمه، وتلقيه في قلب الهموم الكبرى وتعقيدات الحياة والعيش ولا ينسى الشاعر بالطبع أن يوجه نصائحه لابنه، ويرى فيه صورة عنه في المستقبل(٦٢):

**ـــي ّ أتيـــت لهـــذي		ا جاء آباؤك الأولون ْ**
**بنـــي أتيـت إلـى عـالم		بنـــو الحـــق فيـــه هـــم**
**فللظالمين تقام القصور		وللمصـــــلحين تشـــاد**
**وفـرد يـنعم فـي عيشـه		وتشـــقى الألـــوف لـــه**
**فكـــافح فـــدنياك دنيـــا		يعيـــث كمـــا يشـــتهي**

---

(61) ديوان خالد الفرج . ص ٢٣٢ .

(62) ديوان الشعر الكويتي . ص ٢٦٢.

يكن ماهراً في اختيار ... ـا تاه في لجّها
بني وما أنت إلا أنا ... أراك فيرقص قلبي
وألثم فيك مناي التي ... تباعدها عن مداي
ستغدو فتى كالحسام ... ملء القلوب وملء

أما الشاعر خالد سعود الزيد فإن قصيدته "ولدي" وصف أدبي جميل، وعاطفة أبوية زخاره نحو فلذة الكبد(٦٣):

على وجهه صورتي لويعي
وفي مقلتيه صدى منبعي
وفي صوته بحة ... هي النغم الفرد في
ويجلس مثلي إذا ما جلست ويعجبه حين يلهو
ويؤلمه أنني لا أحس إذا ما دعاني ولم أسمعِ
يضربني لاهياً زاهياً ... ويطرحني كي يرى
إن ردد القول لي: يا أبي ... أجبت: نعم يا
وأشقى لتسعده ... وأبكي لتضحكه

في القصائد السابقة نحس بكبير يقف وراء الكلمات بظله القاسي، وأحياناً الثقيل، فما نطمح إليه في قصيدة موجهة للطفل أن تعذب وتسلس، تخفِّف من جهامة المفردات والجمل،ونحلم بشيء محلَّق وبسيط يقترب من الطفل، ويؤجل ولو إلى حين حزمة الوصايا التي يتأبطها الشعراء ويلقون بها في وجه هذا الكائن الشفاف.

على هذا النحو نستطيع أن نستقبل قصيدة جميلة للشاعر أحمد السقاف هي"يا طير يا عصفور يا أصفر" إذ يقول(٦٤):

يا طير يا عصفور يا ... مالي إلى غيرك لا
يهنيك ما يسبي وما ... نظر يزري به منظرْ
طير يا عصفور يا أصفرْ
يا طير أعشاشك فيها ... ترَ عيني مثلها في
كم غرضاً راعيت كم من ... وكم عذاب ذقت كم من
طير يا عصفور يا أصفرْ
في آخر الأغصان ... كالمهر للأفراح أعددتها
تهزها الريح كما رمتها ... أتقنت مبناها وأحكمتها
طير يا عصفور يا أصفرْ
السهل بالخضرة ما ... والأفق الممطر ما
كل واد أرضه ممرعه ... والرزق ميسور فعش

(63) سا . ص ١٢٧.
(64) سا . ص ٦٥ .

طير يا عصفور يا أصفرْ

الله للزقزقـــة الناعمـــه	**ن أفرخ عارية جاثمـهْ**
تحس بالأطعمة القادمه	**جلبها في نشوة حالمـهْ**

طير يا عصفور يا أصفرْ

في البناء العام لهذه القصيدة ما يرشحها لتكون خطوة متقدمة باتجاه الطفل، فهناك تركيز على التنغيم فالتقفيه شطرية، والقافية مقطعية إذ تتردد في كل مقطع، ثم تتبدل فيما يليه، ثم هناك تكرار جميل لشطر شعري يشكل لازمة لكل مقطع.

وأجواء القصيدة شفيفة، تأخذ من عالم الطبيعة أجمل ما فيه، وطريقة الأداء متموجة لا تتوالى بشكل عادي، بل يميل الشاعر إلى وضعنا أمام مفاجآت تسري في مفاصل القصيدة من خلال تلك المشاهد الجذابة كما في المقطع الأخير.

محمد أحمد مشاري هو الشاعر الكويتي الوحيد الذي عرفناه يكتب القصة الشعرية للأطفال،وهو بذلك يتابع نهجاً عاماً لكل من كتبوا شعراً للناشئة كما كانوا يقولون،فهو بالطبع يعمد إلى حكاية معروفة فينظمها شعراً ، سواء أكانت من تراث عربي أم غربي، الحكاية الأولى هي "السيل والجرذان" التي تبدأ[٦٥]:

تــدفق مــن قمـــة	**يزمجـر سـيل عظـيم**
كثيــر الميــاه كثيــر	**قـوي الهـدير إذا مـا**

وكانت تعيش مجموعة من الجرذان على ربوة في وسط الوادي، فساءها أن يحاول السيل أن يعلو عليها، ويتابع الشاعر:

فلمـا رأتـه الجماعـة	**تولـول فـي غضـب**
سنسحقه قطرة قطرة	**وندفنــه فــي بطــون**

ولكن:

ومـا هـي إلا دقـائق	**طغـى السـيل فـوقهم**
عمَّ الهدوء ولم يبقَ	**ضــــجيج الميــــاه**
كذا الحق سوف يزيل	**إذ اعترضـــوا زحفـــه**

أما حكاية "الليث وصاحباه" فمن مشاهير الحكايات،ولم يملَّ الشعراء من إعادة نظمها، إذ خرج الأسد والذئب والثعلب إلى الصيد، وعندما عادوا بما اصطادوه طلب الأسد من الذئب أن يقسم بينهم[٦٦]:

فاعتـدل الـذئب وقـال	**سوف أراعـي مـا أراه**
ا الحمار المترف العجيبُ	**فإنــه**
ولـي أنـا الغـزال أمـا	**يبقـى لـه من بعد ذاك**
فلم يكد ينطق حتـى	**بكفـه الليـث فـأدمى**

(65) سا . ص ٣٧٢ .

(66) سا . ص ٣٧٤ .

بعدها يطلب من الثعلب أن يعيد القسمة وهنا أظهر الثعلب دهاءه المعروف:

تنحنح الثعلب وهو ... ي بما يقوله يحاذرُ
دمت.. لك الحمار ... بعده الغزال للعشاءِ
وبعد ذاك الأرنب ... لسيدي ومالكي

وينهي الشاعر الحكاية بقوله:

فابتسم الهزبر في ... وقال: حكم عادل يا
لكن أفدْ بالله من ذا ... عدالة الحكم ومن ذا
فقهقه الثعلب حتى ... وقال: إني سوف أحكي
الدرس قربي ها هنا ... إنه هذا الدم

والحكاية الثالثة "الذئاب والغزلان" وفيها أن ذئاباً وغزلاناً باللون نفسه عاشت في غابة، فكانت الذئاب تختلط بالغزلان فلا تعرف(٦٧):

وهكذا ينخدع ... بالذئب إذ يدنو فلا
ينعم الذئاب كل يومٍ ... باللحم منه دون أي

ثم جاءت غزلان أخرى ذات لون مختلف، فراحت الذئاب تسطو على غزلان الأمس:

ر الجميع يوماً بالخطرْ ... وأن نقصاً في الصفوف قد
فخافت الذئاب كشف ... صممت خطتها في السرّ

فنادت الغزلان، واتهمت الذئاب الغزلان ذات اللون المختلف بذلك، فاجتمعت مجموعة ذكية من الغزلان وقالوا:

يا قوم لا تصدقوا ... فقد أرادوا بيننا
يا قوم يا إخوان يا ... العقل والمنطق
أليس هذا منتهى ... أن يعطف الذئب على

ولعبد الله سنان حكاية مشوّقة بعنوان "العقرب" عادة العدوان إلى أن تحن إلى ما ضيها الذي يدفعها طبعها إليه، فراحت تلسع من تصادفه فعلتها النعال بالضرب(٦٨):

إن طبع السوء من ... لم تحد عنه شمالاً
امن كالنار في صمّ الصفا ... هكذا طبع اللئام

. . . .

في حدود سعينا الحثيث لم نستطع الوصول إلى شعر مكتوب للأطفال في قطر والإمارات العربية المتحدة وإن كنا نشهد اهتماماً مشهوداً بأدب وثقافة الطفل في بعض الإمارات كالشارقة وأبو ظبي على وجه الخصوص من خلال المسابقات المخصصة لأدب الطفل، ولكن الملاحظ أن الفائزين والذين تطبع لهم الكتب في هذين البلدين هم من أقطار عربية على رأسها سورية ومصر والعراق.

---

(67) سا . ص ٣٤٨ .
(68) سا . ص ٢٤٢ .

ولدى إطلاعي على دواوين الشاعر البحريني ابراهيم العريض لفت نظري بقدرته على القص ّ الشعري، واللغة العذبة،والتركيب السليم وهذا مما نفتقده في بعض ما قرأناه لشعراء من الإمارات، وفي ديوان العريض قصيدتان طفوليتان الأولى " ليلاي " وقد أهداها لابنته، ويقول فيها(٦٩):

وكيـف أنسـاك بنتـي   إذ كنــت فــي المهــد

وكـــل دنيـــاك زنـــد   كـــل زادك قبلـــــهْ

وتنطقـــين فـــأهفو   أنمـا الكـون حفلـهْ

. . . .

ولست أنساك بنتـي   كنـت بعـد غريـرهْ

تلهـين فـي العـش   نــك العصـــفورهْ

عليـك ثـوب طويـل   فـي يمينـك صـورهْ

وفي حكاية شعرية باسم " حديث دمية "نقرأ للشاعر نفسه مدفوعاً بحنان جياش نحو ابنته(٧٠):

مـــدت إليهـــا الأم   أنهـا صـورة الحنـانِ

خفيفـــة الظـــل ذات   تـــنعس فـــي جفنهـــا

عالمهـــا لـــو تـــرى   لكـن لهـا فيـه ألـف

بـــين يـــديها الحيـــاة   فهـي مـن الليـل فـي

إن هذه الومضات التي تصادفنا بين الحين والآخر لا تشكل نصوصاً مكتوبة بوعي كقصائد للأطفال، مراعية مالهذا التوجه من شروط، بل هي إرهاصات بهذا اللون من الكتابة، أو تمهيد له، أو باعث على البدء به، ولعل ما قدمه علي الشرقاوي يعد أشهر ما قدمته البحرين حتى الآن.

وقد يخطر سؤال في ذهن أحدكم.. وأين بلدان عربية أخرى.. موريتانيا والصومال وجيبوتي والسودان، وأقول في حدود الاطلاع أن هذه البلدان لم تعرف بعد شعراً مكتوباً للاطفال، وبعضها ضعيف الصلة بالعصر من خلال العربية كما في الصومال وجيبوتي، أما موريتانا فتقاليدها الشعرية ما زالت شديدة التقليدية، وهذا الإطار لا يسمح بولادة شعر للأطفال، فاللغة التي يطلبها هذا الشعر لابد أن تمر بمرحلة تتخلى فيها عن تقليديتها وميلها للزخرفة والمحسنات اللفظية، إلى جانب المحدودية في النهضة التعليمية والحضارية عموماً .

والسودان مختلف قليلاً ،و استطعت أن أحصل على قبسات عابرة تدعو للتعليم وتعليم المرأة كما فعل الشاعر عبد الله محمد البنا(٧١):

فعليك بالأم الرقيقة إنها   هـــي مرشـــد ومعلـــم

واهجر سبيل الجاهلات   بالجهـل تمـتهن الـبلاد

وعليـــك بالمتعلمـــات   ترجـو ملائكـة السـماء

---

(69) شموع . ص ٨٣ .

(70) سا . ص ٧٤ .

(71) شعراء السودان . ص ١٦٤ .

ويرى بهن الطفل في **يرتقي بخلاله ويهذبُ**

تلك التي بوجودها نال **وحوى المكارم كلهن**

وهناك قصيدة للشاعر بابكر بدري قالها من أجل محفوظات البنات في مدرسة قرية رفاعة، وهي كما سنرى لا تراعي خصوصية الطفولة مع أنه كان ناظراً للمدرسة نفسها عام ١٩٠٣ وصار مفتشاً للمعارف السودانية عام ١٩١٩[٧٢]:

أصون لزوجي ماله كل **أحفظه في عرضه**

وأرعى له حق الإله **وأجعل سمعي مصغياً**

سامه مرٌّ وإن **أكون له عوناً لصالح**

إن يؤذني في غير ما **حملته لله أو لخلاله**

ذا والدي أوصى وإني **إفقه في قوله وفعاله**

ومع أن السودان لديه شعراء مهمون، إلا أنني لم أفلح في العثور على شعر جميل مكتوب للأطفال من قبل محمد المجذوب أو تاج السرحسن أو محمد الفيتوري أو محمد عبد الحي على سبيل المثال،ووجدت نصاً يتيماً ينتسب إلى شعر الأطفال الحقيقي للشاعر محمد الأمين يوسف بعنوان "أغرودة السلام"[٧٣]:

نحن الأطفال لنا **نا في العالم إخوانُ**

في الأرض ربيع **نا تخضر الأوطانُ**

وغداً نبنيها دنيانا **بالوحدة تصبح**

بالخير مليئاً ندياناً **والكل يغرد فرحانا**

ا في العالم أحلامُ **ن موفور وسلامُ**

يم سهل وطعامُ **إخاء.. حق.. نظامُ**

وطني العربي **وأخي في الكون**

بالعدل تفيض **والله كفيل يحميني**

---

(72) سا . ص ٩٨ .

(73) أغنيات للاطفال . عمان ١٩٩٩ . ص ٥٧ .

الباب الثامن

قضايا نقدية

الفصل الأول
لافونتين وشـعر الأطفال العربـي

يظن أحياناً أن حكايات لافونتين من التراث الشعبي الغربي، حتى إن شعراءنا الأوائل كانوا يشيرون بفخر إلى أنهم تأثروا بحكاياته فنقلوها شعراً إلى العربية كما فعل الشاعر أحمد شوقي.

والمسألة في نظري تحتاج إلى وضعها في إطارها الصحيح، حتى نعرف على وجه الحقيقة أمر تلك الحكايات التي ذاعت في العالم باسم حكايات لافونتين (١٦٢١ – ١٦٩٥) فمن المعروف أن مصدر هذه الحكايات شرقي في الغالب الأعم، مع حكايات إيسوب اليوناني الذي يرجع الكثير من حكاياته إلى أصول شرقية أيضاً .

من مصادر لافونتين الكبرى كتاب كليلة ودمنة، فقد عرف العالم كتاب الهندي بيدبا من خلال ترجمته العربية التي نقلها ابن المقفع.. ولسبب ما فقد الأصل الهندي والفارسي للكتاب، فعاد الفرس إلى نقل الترجمة العربية إلى الفارسية مرة ثانية على يد حسين واعظ كاشني في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، ثم نقلت هذه الترجمة إلى الفرنسية على يد داود ساهد الأصبهاني عام ١٦٦٤[١]، تقول الدكتورة نفوسة زكريا سعيد[٢]:

"ولعل لافونتين اطلع عليها، وعرف عن طريقها بيدبا الذي يعترف لافونتين نفسه بأنه كان من مصادره حيث يقول في مقدمة المجموعة الثانية من خرافاته "ليس من الضروري فيما أرى أن أقول من أين استقيت هذه الموضوعات الأخيرة غير أني أقول فقط اعترافاً بالفضل أني مدين في أكثرها لبلباي (بيدبا) الحكيم الهندي الذي ترجم كتابه إلى كل

---

(1) خرافات لافونتين في الأدب العرب . سعيد .

(2) سا . ص ١٥ .

*اللغات." *

وتؤكد نفوسة أن حكايات كليلة ودمنة نظمت شعراً على يد علي بن داود وبشر بن المعتمر وأبو المكارم أسعد بن خاطر وأبان عبد الحميد وابن الهبارية وابن مماتي والصاغاني وجلال الدين النقاش.[٣]

شرع لافونتين في كتابة حكاياته شعراً وهو في السابعة والأربعين من عمره، ونشرها في اثني عشر جزءاً بين عامي ١٦٦٨ – ١٦٩٤ مهداة إلى لويس الرابع عشر.

إلا أن لافونتين تصرف بالتراث الخرافي والأسطوري الذي تعامل معه بإبداع وإلى هذا أشار قائلاً حسب ترجمة حسيب الحلوي في كتاب له عن الأدب الفرنسي صدر في حلب عام ١٩٥٢[٤]:

بعض المقلدين أعترف بأنهم كالحمقى من الأنعام
إذ يتبعون راعى "مانتوّاماً" كالأغنام
إنني أتصرف على وجه آخر فحينما يؤخذ بيدي فأنقاد
كثيراً ما أسيروحدي سعياً وراء السداد
سترون أنني أفعل مثل هذا على الدوام
فما كان اقتدائي أبداً بعبودية واستسلام
لا آخذ غير الفكرة والطريقة والقانون
التي كان أساتذتنا أنفسهم يتبعون
على أنه أعجبني عندهم بعض المواضع الرائعات
وأمكن أن تسلك بين أشعاري من غير إعنات
فأنا أنقلهاوأريد أن أتقي التكلف العقيم
حين أن أجهد أن أسم بطابعي ذلك اللحن القديم

لقد نجح لافونتين على ما يبدو في جعل الخرافات والقصص التي تناولها عملاً فنياً، إذ وضع نصب عينيه تخليصها من التعليمية المباشرة، وأضاف إليها الكثير من التفاصيل التي تمنحها الحيوية والمتعة[٥].

وأول من ترجم لافونتين إلى لغتنا هو رفاييل زخور الأديب السوري الذي كان صاحب الكتاب الأول الذي طبعته مطبعة بولاق عام ١٨٢٢[٦]، لكن هذه الترجمة لم تصلنا، ثم جاء بعده محمد عثمان جلال في كتابه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" الصادر في منتصف القرن التاسع عشر، ثم عاد ونقل بعض هذه الحكايات شعراً كل من عبد الله فريج وإبراهيم العرب وأحمد شوقي.

في سورية ظهرت ترجمات متفرقة عن لافونتين لعل أولها كتاب "نوادر وفكاهات من أحاديث الحيوان " الذي ضم العديد منها لواضعه إلياس عبده القدسي (١٨٥٠ – ١٩٢٦) والطريف أن القدسي قد صاغ كتابه باللهجة الدمشقية على

---

(3) سا . ص ١٦ .
(4) سا . ص ٣٦.
(5) راجع للتفصيل كتاب خرافات لافونتين . سعيد .
(6) تاريخ الترجمة .... الشيال . ص ٧٦ .

طريقة(ّ ادي)، وكذلك فعل مصطفى خلقي في "وظائف الأطفال" في مطلع القرن العشرين (٧).

في المغرب العربي يبدو أن الشاعر مصطفى آغه قد نقل عن لافونتين في كتابه "الأمثال على ألسنة الحيوانات" إذ سرت في مطلع القرن العشرين موجة من إعادة كتابة لافونتين شعراً .. وهذا ما فعله الشاعر المغربي الشهير علال الفاسي الذي ترجم مجموعة من تلك الحكايات هي "العربة والذبابة" و"الحطاب والموت" و"اللبانة وزير الحليب" و"الثعلب والتيس" و"الرجل وولده وحمارهما" و"الفلاح وولده" مما هو موجود في الجزء الثاني من ديوانه، ومن هذه الحكاية سأقدم هذا النموذج الذي عنونه الشاعر "العربة والذبابة"(٨):

بعقبات صعبة رمليهْ
مملوءة بالشمس والأذيهْ
جرت خيول ستة لعربهْ
من بعدما أنزل من بالمركبهْ
من سلعة وعاجز ونسوانْ
وزاهد والكل عان تعبانْ
واقتربت ذبابة من خيلها
زاعمة إسعافهم بفعلها
سيّارة القوم لأعلى وصلتْ
فرجت الذبابة استراحه
إذ بلغت أصحابها للساحه
قالت على الخيل أداء الثمنْ
تلسع هذا وتتكّ صاحبه
وهي لبعثهم بذاك حاسبه
على الشواهد وفي الأمامْ
ومشت الآلة للأمامْ
وإذ رأت أصحابها يمشونا
غنّت بمجدها الوحيد حينا
مشتوعادت وأتت بحركهْ
مثل مقدّم يخوض المعركهْ
يسير في كل طريق وعرِ
يدفع جيشه لنيل النصرِ
وفي قضاء حاجة العمومِ

---

(7) الحركة الأدبية ... لوقا . ص ١٧٤ – ١٧٥ .
(8) ديوان علال الفاسي ٢ / ٣٧٢.

تشكو الذبابة من الهمومِ
لأنها وحيدة في الفعلِ
ولا فتى يبذل عون الخيلِ
قد ترك الزاهد كتب الذكرِ
وغنت المرأة حلو الشعرِ
أما الذبابة فغنت لعبا
بأذنهم وجشمتهم أضربا
وبعد أشغال كبار بذلتْ
لأنني شاركتهم في المحنِ
كذاك بعض الناس يدخلونْ
في فعل غيرهم ويقلقونْ
ويعملون عمل الذبابِ
فواجب طردهم للبابِ

وممن نظم من حكايات لافونتين مصطفى الرافعي في قصيدة "صياد الجراد"[٩]:

إن فتـــى صــيادا	**بـ ّـــع الجـــرادا**
ـسلة كانـت معـهْ	**يلقـــى بهـــا مـــا**
ـم يـزل يصطادُ	**عزمـــه يـــزدادُ**
حتى أصاب عقربا	**ظـن ّ فيهـا مأربـا**
ــدغت إصــبعهْ	**يــد أن تردعــهُ**
أقبلـــت تقـــولُ :	**ـا أيهـا الجهـولُ**
' تبســط اليــدينِ	**ـتـى تـرى بـالعينِ**

وفي "المثل المنظوم للمدارس" للشاعر اسكندر الخوري عدد من حكايك مشابهة أعاد نظمها شعراً كما في "الغراب والحجلة":

ى غـراب حجلـهْ	**درج لا مستعجلهْ**
راقت لـه مشيتها	**ـا رآهـا مقبلـهْ**
وقال مشي ساحر	**ـدلل مـا أجملـهْ**
ود ّ أن يمشـــــي	**ـي معد ّاً أرجلهْ**
حاول لكن لم ينل	**مشيه ما أم ّـلهْ**
وراض نفسه على	**تقليـــــدها فــــي**
لكنــه خــاب ولــم	**ـز بغير الحوقلهْ**

وراح كي يمشي كما اعتاد فكانت

---

(9) المحفوظات المختارة . عباس ١ / ٣ .

إذ صـادف الأمـر ـــره وجفلـــهْ

قـد نسـي المشـي الـذي اعتـاد

كذلك فعل الشاعر جبران النحاس في "المعلم والغريق" على سبيل المثال لا الحصر[١٠]:

مهما أتـى التـوبيخ من ـهو بغيـر وقتـه بـلادهْ

الباً يقرع صم ّ السمعِ وكـم أتـى بالضـر لا

من ذاك ما جرى علـى ـقط من نزقه في النهرِ

وكـان وقـت البـرد والنهـر مـا عـج كسيل

ـن لبخته ولطف ربـهِ نشب غصن شائك فـي

فبـات يسـتغيث وهـو والمـاء كـالموج عليـه

وبينما الفتى على وشك شـام مربيـه ومـا فيـه

فقـال يـا مـولاي نـج فوقـف الأسـتاذ فيـه

ال بسم الله رب اللات إزق البنـين والبنـاتِ

والحمـد لله الـذي بيـده موت عداه وحياة عبده

وأطيب الصلاو السلامِ لـى محيا رسله الكرامِ

كـم نبهتـك قبـل منـي وأنـت عـن نصـحي لاه

لله مـا أصـعب تهـذيب ما أبعده عن الرَّشدْ

ه ما أشـقى حيـاة الأمِّ كم ينالها بـه من غمٍّ

والطفل بـين ذا ينـادي: بجـاه خـالق السـما خـذ

إنمـا الأسـتاذ كـان نبهـاً طـوراً وطـوراً

يـنظم مـن درره القلائـدا ويورد الأمثال والشواهدا

وغرق الطفل ومات مأكل الأسماك والخطاب بعد ما

ويترجم إسماعيل سري الدهشان ما عنوانه "فوائد القصص" للافونتين ونصه[١١]:

خذ عن البهم حكمة أو ضـمنتها حكايـة أو

كم تعاف النفوس قول فـإذا صـيغ قصـة لـن

وانظر الاقتصاد في النمل همـة النحـل واظـراف

لا تظـن الـذكاء وقفـاً فاحتكـار الـذكاء للنـاس

كذلك نجد الشاعر محمود غنيم في قصيدة "الضفدعة المغرورة" يعيد صياغتها حكاية أخرى[١٢]:

ثـور مـن الثيـران كـان ـول غـدير نـق ّ فيـه

فـأكبر الضـفدع منـه وقـال: ليتنـي أكـون

انطلقت ضفدعة تقولُ : هــل دون ذاك حائــل

---

(10) مدارج القراءة . همام ٤ / ٣١٥ .

(11) مجلة أبولو . يونيه ١٩٣٣.

(12) ديوان محمود غنيم ١ / ٢٨٥ .

قالــت لهــا ثانيــة: يــا	أين مضى عقلك أين؟هل
إنـك يــا أختــي جهلـت	لن تستطيعي أن تكوني
فقالــت الأولــى: غــدا	عينــاك مــن فصــيلة
بصرينني أجر النورجا	تســمعين لــي خــواراً
وانطلقـت تجـري إلـى	تفرغـه فـي جوفهـا
لهـا تبلـغ مـا تريـدُ	حجمـاً كحجم الثـور أو
فما احتسـت كوبـاً ولا	بـل مزقـت أحشـاءها
فأنشـــدت ضـــفادع	هـذا جـزاء الجاهـل
كـم طالـب بجهلـه مـا	ضاع وقته وأدنى أجلهُ

وا إسماعيل صبري شاعر آخر كتب قصة "الثعلب والغراب" المشهورة بطريقته(١٣):

أبصر الثعلب الغراب علـى غصن نضير فـي

رأى قطعة بفيـه مـن الجبنـة تـزري بالفضـة

خيـر مـا تنتقـي وأطيـب مـا تخطـف مـن مأكل

فاشـتهاها وقـال إن لـم	كرتنـي ثعالـب الغبـراء
ارفعيني يا قوة المكر إن	تنزلي الجبنـة التـي فـي
ثـم أنشـا يثنـي وينصب	كـاً وشر الأشراك بعض
قائلاً يـا أميـر عـم كـل	سـائحاً صـادحاً وكـل

هات زدنا علماً بقدرك يا مولاي من أنت من

غراب ؟ تبـارك الله آمنّـا بفضـل الغربـان أهل

ألق درساً على البلابل غلمانك في الفن يا أبا

وترنم بمن أفاض على حلقك ما لم يفض على

* * *

كلمـات أصـغى الغبـي	فـاعتراه مـس مـن

وتغنـى فلـم يحـس بمـا ألقـاه فـي فـخ أشـعر

بـل رأى الجبنـة الشـهية	بكاها ولات حين بكـاء

يتلقى اللص الغنيمـة واستأذن في الحال زاهداً

قـائلاً : طبـت يـا مغنـي	غن غيري قد حان وقت

الغراب:

أيهـا الثعلـب ارتحـل لا	مريئـاً يـا ألأم اللؤمـاء

الثعلب:

أيها الطائر الغبـي تعلم	ذا جـــزاء الأغـــرار

الغراب:

---

(13) الشعر القصصي . محسن . ص ٣٨.

لم تزد يا أبا الحصين	لاد حواء في ضروب
إن منا من ينصب	لاقتناص القصر الرفيع
ـإذا مد للسماء يميناً	سل منها كواكب
بعضنا لا يزال في إثر	هباً سالباً بلا استحياء
فتعوذ من هؤلاء وحاذر	لا تكن إن عددت من

سيعود الشاعر السوري نصر ة سعيد إلى نظم هذه الحكاية في "الغراب والثعلب" وبطريقة حوارية مشابهة، ولأنها طويلة قليلاً فسآخذ ما يقارب نصفها(١٤):

ـالوا بأن صوتكْ	من أجمل
يا خير طير ليتك	ـسمعني نغمات
عنـاك فذّي	جـوك غنّ
مـولاي ذا الصوت	وصـاحب الذوق

* * *

ـّ الغراب المغتر	إذ فتح المنقارا
صـاح بصوت	يقلد الهزارا
اسمع غنائي:	قاقو ققائي...
وفجأة جبن الغبي	وى أمام الثعلبِ
والثعلب المحتال	انقض يغزو
د صدّت الآمال	ـنال ما تمنّى
فصار يفرح	هـو ويمرحُ
ـفتخراً بفعله	وهانئ بأكلهُ

* * *

ـقال للمخدوعِ :	ـا أبشع الطيورِ
أشبعت منك	المدح والتكبيرِ
نلت مرامي	فاسمع كلامي:
من يكثر المدائحا	يقصد به مصالحا

وللشاعر أحمد الكاشف ثلاث حكايات في ديوانه هي "الظبي الذي رباه الخنزير" و"الجمل والحشائش" و"النعجتان" التي يقول فيها(١٥):

في وسط قنطرة تلاقت ذات يوم
بالكبرياء شهيرتان غليظتان
إحداهما نظرت إلى الأخرى بعين
ودنت تصيح الآن أخل الطريق بلا
فأجابت الأخرى بكبر لست أبرح

---

(14) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٩٤ .
(15) ديوان الكاشف . ص ٨٥.

واشـــتد بينهمـــا اللجـــاج فهاجتـــا
ـتـى هـوت فـي لجـة الـيمِّ الخضـم
عظـــم المصـــاب ما جرى تتأسفانِ

وتتبع تأثير لافونتين في شعر الأطفال العربي قد يستغرق صفحات طوالاً من هذا البحث إذ درج الشعراء على صوغ واحدة من حكايات لافونتين مجدداً ..

لكنني أود الإشارة إلى أن تأثير هذه الحكايات قد وصل إلى الشاعر السعودي أحمد بن مشرف في عدة حكايات منها "حكاية الدب وانعكاس قصده الجميل لحمقه"(١٦):

روى أولـــــــو ن رجـل سـيّارِ
أبصـــــر فـــي يحـة الأرجـاءِ
باً عظيماً موثقا في سرحة معلقا
يعـــوي عـــواء ن شـدة وكرب
أدركتـه الشـفقهْ ليه حتى أطلقهْ
حلـه مـن قيـده أمنـه مـن كيـده
ونـــام تحـــت منـام مـن قـد
طـول الطريـق فنـام مـن فـرط
جـاء ذاك الـدبُّ عن وجهـه يـدبُّ
قـال هـذا الخـلُّ بفـاه لا يحـلُّ
أنقـــذني مـــن وفك قيـد عسري
حقه أن أرصده من كـل سـوء
أقبلـت ذبابـــهْ ـرن كالربابـــهْ
وقعـت لحينـــهْ لى شفار عينـهْ
فجـــاش غـــيظ يسـيمه عـذابا
فأسـرع الـدبيبا لصـخرة قريبـــا
فقلهـــا وأقـــبلا يسـعى إليهـــا
ـتـى إذا حـاذاه ـك بها محياه
قتـل الذبابـــهْ تلاً بـلا إرابـهْ
ـرضّ منـــه فرّق الأضراسا
وأهلـك الخلـيلا بفعلـه الجمـيلا
هـذه الروايـــهْ تنهـــى عـــن
فـــي طلـــب عنـــد أولـــي
إذ كـــان فعـل ـذا لفرط الحبِّ
وجـــاء فـــي قلاً عن المسيحِ

– شعر ا الأفال

---

(16) ديوان ابن مشرف . ص ٢٣٨ .

الجت كل أكمة ... رص مشو ّه

كنني لم أطقِ ... قـط عـلاج

ومن أواخر تأثيرات هذه الحكايا كما أظن ما كتبه جميل سلطان في مرحلة متأخرة مستلهماً واحدة من قصص لافونتين المشهورة بعنوان "الحطاب والموت"(١٧):

شكا الحطاب من ... ثيل ليس يحتملُ
فألقـــاه لجانبـــه ... أنشأ عنه ينفتلُ
وقـــال: الحمـــل ... لا أسطيع أنتقلُ
وعيشي كله بؤس ... ثقلي فوقه ثقلُ
لـــو ان المـــوت ... ن مـــا هـــد ّني
وكنـــت أمـــوت ... لا هم ولا شغلُ
ولكـن طـال بـي ... وبؤســـي فيـــه
فـــأين المـــوت ... إلـي ّ ا أجلُ

* * *

ولاح المـوت فـي ... هيب كله شعلُ
وقال: دعوت من ... ما بك أيها الرجلُ
أأنـزع منـك مـا ... بـه أم مـا الـذي

* * *

، هلم ّ حم ّ لني ... فـــإن الحمـــل
وسر عني فما لي ... تائك ها هنا أملُ
ســـأحمل كـــل ... لا شكوى ولا مللُ
ولـيس يسـوؤني ... ليس يهدني جللُ
علـى ألا أراك هنـا ... فهـــل عنـــي
ألا عجل وأفسح ... ريقي إنني عجلُ
ورح في ما شغلت ... إني عنك منشغلُ

ونكاد أن نقول الآن أن شعر الأطفال قد خلا من ظاهرة إعادة كتابة حكايات لافونتين، وآخر ما استطعت تسجيله من هذه التأثيرات قصيدة "المنجم" للشاعر حامد حسن(١٨):

خـرج المـنجم فـي ظـلام الليـل يرعـى
غضبت عليه الأرض لما راح يبحث في
فتعثرت قدماه في بعض الحجارة فارتمى
سالت يداه دماً وسال جبين صاحبنا دما
ابكـى وأوه واسـتغاث مولـولاً متألمـا

---

(17) الجديد . سلطان للسادس . ص ٢١٩.

(18) مجلة " أسامة " . العدد ٨٣ / ١٩٨٢.

* * *

ورآه جدي في الطريق ممدداً فتبسما

كب يمسح وجهه وجبينه المتورّما

ومضى يعاتبه وكان عتاب جدي مؤلما:

يا من ترى ما في النجوم وأنت تمشي

يا من جهلت الأرض، كيف تريد أسرار

إن هذا الإلحاح على إعادة نظم هذه الحكايات المشهورة جعلت الدكتور حسن محسن يقول إن لافونتين(١٩) *"المصدر الحديث للخرافة في الأدب المصري، ومن المعروف أن هذا الجنس (الخرافة) قد انتهى في صورته الغربية، فإذا كنا قد اقتبسنا بعض موضوعات من أدبنا العربي القديم، أو من كليلة ودمنة، فإن الأسس الفنية لهذا اللون، ظلت محاكاة لحكايات لافونتين."*

إن هذا القول الذي يعود في أصله إلى الدكتور محمود غنيمي هلال يحمل قدراً كبيراً من المبالغة والتعميم، لأن الشعراء العرب عندما ترجموا لافونتين لم يتقيدوا بحرفية الترجمة، فقاموا بعملية تعريب أو "تمصير" واضحة منذ محمد عثمان جلال، كما أن الحديث عن الأسس الفنية الخاصة ومرجعيتها "اللافونتينية" أمر غير دقيق، فقد ابتعد الشعراء بتجاربهم عن الأصل الفرنسي، ثم تعددت أساليبهم أنفسها،إضافة إلى أن أكثرية الشعراء لم يعرفوا الفرنسية أصلاً وإنما كانوا يأخذون فكرة الحكاية أو أحداثها ثم يعيدون صياغتها نظماً .

إن هذه المبالغة في تأثير لافونتين دفعت الدكتور شفيق البقاعي إلى القول(٢٠):

"إن الشاعر محمد عثمان جلال (١٨٢٩ – ١٨٩٨) لم يبدع باختراع شيء جديد، بل كان ناقلاً عن شعر لافونتين إلى اللغة العربية الحكايات التي أطلق عليها" العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ "التي وجدت استحساناً بين المثقفين والقراء،وهذا شأن طيب أعطى هذا النوع قبولاً محبباً ."

إن هذا الكلام يدفعنا إلى القول إن كاتبه لم يقرأ كتاب جلال أصلاً ، أو هو مأخوذ بالأصل الفرنسي، لأن محمد عثمان جلال أبدع جديداً كثيراً في كتابه، فهو لم يتقيد تماماً بالأصل،فقد كان يزيد أحداثاً ، ويقوم بالتمصير والتعريب وهو واضح في أغلب القصائد، أما الأمر الآخر فهو أن المؤلف لم يقتصر في كتابه على حكايات لافونتين، بل ضمن كتابه الكثير من الحكايات العربية والشعبية المصرية مما لا يتفق مع هذا الإطلاق الظالم لعبارة أنه *لم يبدع باختراع شيء جديد،بل كان ناقلاً ."!!*

خاصة أن الكثير من حكايات ذلك الشاعر الفرنسي كانت شرقية الأصل، بل عربية قديمة، ودليلي على ذلك أن بعضها ورد في شعرنا أو نثرنا القديمين كما في شعر أمية بن أبي الصلت والنابغة الذبياني وغيرهما فيما بعد.

ولنتأمل على سبيل المثال في قول ربيعة الرقي(٢١):

ظلمت كذئب السوء إذ قال	**لسخل رأى والذئب غرثان**
لأنت الذي في غير جرم	**فقال متى ذا ؟ قال ذا عام**
فقال: ولدت العام بل رمت	**فدونك كلني لا هنا لك**

---

(19) الشعر القصصي . محسن . ص ٢٧ .

(20) الأنواع الأدبية . البقاعي . ص ٤٢٢ .

(21) شعر ربيعة الرقي . العاني . ص ٥٠ .

ثم يقول في القصيدة نفسها:

فأنـــت كــذباح العصـــافير   وعينـاه مـن وجـد علـيهن
فلـو كـان مـن رأف بهـن   ف ّ يداً ليست من الذبح
فـلا تنظري مـا تهمـل العين   إلـى الكف مـاذا بالعصافير

إن عدداً من الشعراء كانوا يتصنعون ويباهون بأن تجربتهم هي أخذ من لافونتين مع إهمال لمصادر أخرى تعالياً يعكس ما يسمى بعقدة الخواجة تجاه الغرب.

إنني لا أقلل من أهمية لافونتين وانعكاس تجربته عربياً ، بل أود أن أؤكد أن هذه الحكايات نفسها قد عرفها شاعرنا العربي في تراثه وفي القصص الشعبية وفي الكتب التي ترجمت لإيسوب اليوناني[٢٢] أو لقمان الحكيم وبعض قصص الأنبياء وكليلة ودمنة.

حكايات لافونتين أساساً لم تترجم شبه كاملة إلا عام ١٩٣٤ على يد نقولا أبو هنا، وقد صدرت عن مطبعة دير المخلص في صيدا بلبنان في ستة أجزاء مزودة برسوم مع كل قصة نقلاً عن الطبعة الفرنسية الأصلية.

نقولا أبو هنا أبرز ما عمله بكونه هو ترجمته الأمينة للنص الفرنسي، ولم يعمد إلى التصرف والزيادات على الأصل، وهذا ما ينطبق عليه كلام الدكتور البقاعي آنف الذكر.

ويظهر من تقريظ رافائيل نخلة اليسوعي للكتاب أنه قد قرر في مدارس كثيرة في لبنان *"لاقتضاء حاجة مدارسنا إلى الكتب التي يقصد بها تهذيب أخلاق الناشئة الحديثة بلغتنا العربية الفصيحة"* ويبلغ حماس هذا الكاتب للفرنسية إذ يتحدث عن كونها لغة للعالم *"لا يكون لهم عنها بديل إلى ما شاء الله"*[٢٣] وفي تهنئة الشاعر خليل مطران للمترجم وتقريظه للكتاب يقول[٢٤]:

"إذا كان نقل الشعر بالشعر من لغة إلى أخرى ممتنعاً ، لتعذر الأداء الفصيح السليم، من غير الأخذ بالحيلة، أو اللياذ بالزيادة أو النقصان، ولتعذر التوافق في المذاهب والأساليب التي تؤثرها كل أمة في قريضها، ولأسباب جمة غير ما ذكرت ليست هذه الكلمة محل التوسع في الإبانة، فمن أشق ما يتكلفه المترجم نقل أساطير لافونتين بمثل ما نظمها فأحكمها وبمثل ما أوجز فأعجز في إنشائها وتقديرها واختيار ما كأنه لم يخلق إلا لها من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات. وفوق هذا العناء عناء أبلغ منه وهو نقل هذه الأقاصيص إلى لغة الضاد في حين أن فحول الشعراء الغربيين، وآداب لغتهم مقاربة أو مشاكلة أحياناً للأدب الفرنسوي، قد أعيوا دون تصويرها مستكملة روعتها وبلاغتها والخصائص العجيبة التي انفردت بها.

ومع علمي ويقيني أن هذه الحقيقة لم تفتكم وأنها لو فاتتكم في بدء تصديكم لترجمة تلك الأساطير نظماً ، لاجتزأتم منها بعضها وصدفتم عن سائرها، لقد استشففت في مطالعة المجلدين اللذين تفضلتما بإهدائهما إلي أنكم لشغفكم باللغة العربية ولرغبتكم في إبراز ما تجود به على عارفي أسرارها من مكنونات كنوزها التي تلائم كل مقال في كل مقام، قد استهدفتم لمداعبة الخطر، في سبيل إكسابها ذلك الخطر.

وا نه ليسرني أن أقول لكم صادقاً قد وفقتم إلى ما أردتم ما تيسر التوفيق، ودانيتم الأصل ما تمكن المداناة. وهذه منزلة من الأدب تهنأون عليها ويحق لكم، لو كان للفخر مجاز إلى طبعكم، أن تفاخروا بها أكابر الشعراء وأئمة أولي البيان.

---

(22) راجع خرافات إيسوب . السقا .

(23) خرافات لافونتين ٦ / ٩١ .

(24) سا . ٦ / ٨٨ .

أما حواشي الكتاب من تعليق وشروح و تفاسير لغوية وتاريخية وميثولوجية فقد وصلتموها بالمتون تجلو معانيها وتقرب مراميها إلى الأفهام، كما تصل بيد الصناع المصوغات المتقنة بالحجارة الكريمة في التحف الفنية."

وعندما نطلع على ترجمة الكتاب نلاحظ أن الناظم لها قد وضعها بلغة عربية جزالتها واضحة، وحافلة بالمفردات والأساليب العسيرة على التلاميذ، والشروح والحواشي على أهميتها مثقلة بالشواهد والملاحظات الصعبة على القارئ الصغير، وكمثل على طريقة الكتاب سأورد واحدة من أشهر حكايات لافونتين مع هوامشها، ليرى القارئ والناقد صنيع المترجم[٢٥]:

ـمو ّ الغـراب أوى مـرة ... **إلـى دوحـة فوقهـا قـد جـث** ١
وكانـت بمنقـاره جبنـة ... **ـ ّ إلـى أكلهـا ذو الـنهم ْ** ٢
فوافـاه مسـتروحاً ثعلـب ... **ـيج حشـاه بمثـل الضـرم ْ** ٣
فـراغ وحـاول مـن فـوره ... **ـي ّدها قبـل أن تلـتهم ْ** ٤

(١) نسبة السمو إلى الغراب هي من باب التهكم. أوى لجأ. الدوحة هي الشجرة العظيمة. جثم الطائر على المكان وقع عليه.
(٢) المنقار للطائر بمثابة الفم للإنسان. يهش إلى أكلها أي يرتاح وينشط إليه. النهم: الشراهة
(٣)مستروحاً :متشمماً . الضرم لهب النار وهو هنا كناية عن شدة الجوع والشراهة.
(٤) راغ الثعلب مكر واحتال. ومنه في وصف الرجال المنافق:

يعطيـك مـن طـرف اللسـان ... **ويـروغ منـك كمـا يـروغ**

من فوره أي من ساعته. تلتهم توكل بشراهة.

حي ّـا الغـراب وقـال لـه: ... **" ـلام أيـا صـاحبي المحتـرم ْ** ١
لعمـري إنـك بـاهر شـكل ... **يع الملامـح مـن غيـر ذم ْ** ٢
وريشـك زاهـي الجمـال ... **يل مـن الـرأس حتـى القدم ْ** ٣

فلو أن صوتك ناسب ريشكسخاً لكان لك الحسن تم ْ

وكنـت لعمـري أجمـل طيـر ... **نقاء مغرب هـذي الأجـم ْ "** ٤
ـر ّ الغراب بهذا المديح ... **ـ خال أن صار رب العظم ْ** ٥
ولكنمـا سـآءه ذم صـوت ... **ـ ظـن فيـه شـفاء الأصـم ْ** ٦
ورام يفنـد ذاك المقـال ... **طـرب صـاحبه بـالنغم ْ** ٧

(١) هذه تحية ماكر خداع.
(٢) الملامح ما ظهر من الوجه أو الشكل جملة وكأن اللفظة في الأصل مجمع ملمح ثم مات مفردها وبقي جمعها حتى قالوا إنها جمع لا مفرد له أو إنها جمع لمحة على غير القياس.
(٣) زاهي الجمال: بديعه مشرقه.
(٤) العنقآء وعنقآء مغرب هي عندهم طائر معروف الاسم مجهول الجسم حتى يضربون (كذا في الأصل) به المثل في استحالة الوجود. قال الشاعر:

قـد قيـل إن المسـتحيل ... **الغـول والعنقـاء والخـل**

والمراد في المتن طائر يجمع شتى محاسن الطيور وهو غير موجود. لذلك ترجمنا به لفظة Fenix . الأجم جمع أجمة وهي الغابة.

(٥) خال: ظن.
(٦) الأصم هو المسدود الأذنين من عاهة فلا يسمع.
(٧) فند المقال بي ّن ما فيه من وهم وغلط.

---

(25) سا ١ / ٨ .

فــأفرج منقـــاره فـــإذا   بجبنتـه فـي فـم أي فـمٍ ؟ ١

تلقفها ذو الدهاء سريعاً   انـت لـه مـن ألـذ اللقـم ٢

(١) أفرج منقاره: فتحه. في فم أي فم: استفهام يقصد به التعظيم.
(٢) تلقفها: تناولها. ذو الدهاء: ذو الاحتيال أي الثعلب. اللقم: جمع لقمة وهي مقدار الطعام في الفم.

وخاطب ذاك الغراب خطاباً   تناقله عنه أهل القلمِ : ٣

" تعلم أبا صاحبي حكمة   ـدك حنكـة أهـل الفهـمْ ٤

معاش المملق من جيب من   ر ّ بتمليقـــه لا جـــرمْ ٥

إنـك لـم تخسر الآن قط   ير من الجبن درس الحكمْ " ٦

فكاد الغراب يـذوب حياء   شـأ يقـرع سـن النـدمْ ٧

قسم أن لـن يملق بعدُ   ـنْ تـأخر ذاك القســمْ

(٣) تناقله: نقله الواحد عن الآخر.
(٤) الحنكة: حسن الرأي في السياسة والتدبير.
(٥) المملق: المداهن الغشاش يمسح للناس وتحبب إليهم ليفوز بحاجته. لا جرم: لا شك.
(٦) خير من الجبن درس الحكم: كلمة يقصد بها الهزء.
(٧) لما كان الغراب منزلاً هنا بمنزلة الإنسان نسب إليه الحياء وقرع السن ندماً وإلا فهو لا يستحي ولا له سن يقرعها.

ولنأخذ نموذجاً آخر مشهوراً هو "الثعلب والعنب" حيث نستطيع أن نقارنه بالترجمة الجميلة لجلال وغيره، ونتبصر في أن الترجمة الدقيقة هنا أفقدت النص حيويته، وخاصة بطريقة الصياغة الجافة[٢٦]:

ثعلـب أفلــت مــن غســقونيا   ربـى نرمنـديا فــي مـذهب

كـاد يلقـى حتفــه مـن جوعـه   ـــو جــــوال لنيـــل الأرب

فـــرأى يومـــاً عريشـــاً فوقـــه   نـب يحكـي عيـون الشــهب

ظـاهر النضـج لـه قشر حكى   يمـال اللـون لـون الـذهب

د ّ أن يـأدب منـه عن رضـى   بــة لـــو نالـــه ذو الأدب

في مجلة السائح الفرنسي الفرنسوية LePelerin بتاريخ ١١ كانون الأول سنة ١٩٣٢ تعقيب على مثل الغراب والثعلب ومؤداه أن الغراب أضمر كيداً بعد أن احتال عليه هذا وانتزع منه الجبنة. وأنه ما زال يحاول سرقة جبنة ثانية حتى ظفر بها فحملها في منقاره وطار حتى وقع على تلك الشجرة وهو يناجي نفسه أن لن أغني للثعلب ليموت قهراً . وجاء الثعلب من بعيد ورأسه على الأرض غير مكترث لشيء حتى مر تحت الشجرة التي عليها الغراب دون أن يرفع إليه بصره ولا يسلم عليه فاغتاظ الغراب لذلك غيظاً شديداً وناداه يا هو! فسقطت الجبنة من فمه فعاد الثعلب فالتقطها غنيمة باردة.

في مجلة السائح الفرنسي الفرنسوية LePelerin بتاريخ ١١ كانون الأول سنة ١٩٣٢ تعقيب على مثل الغراب والثعلب ومؤداه أن الغراب أضمر كيداً بعد أن احتال عليه هذا وانتزع منه الجبنة. وأنه ما زال يحاول سرقة جبنة ثانية حتى ظفر بها فحملها في منقاره وطار حتى وقع على تلك الشجرة وهو يناجي نفسه أن لن أغني للثعلب ليموت قهراً . وجاء الثعلب من بعيد ورأسه على الأرض غير مكترث لشيء حتى مر تحت الشجرة التي عليها الغراب دون أن يرفع إليه بصره ولا يسلم عليه فاغتاظ الغراب لذلك غيظاً شديداً وناداه يا هو ! فسقطت الجبنة من فمه فعاد الثعلب فالتقطها غنيمة باردة.

(26) سا ٣ / ٥٤ .

فـانثنى عـن أكلــه لا عفــة ... مـا مـن قصـر بـاع الثعلـب

قـال: " يـا نفسـي تعزي إنــه ... حـامض محـان وقت العنـب

هـو بالأوشــاب حقــاً لائـق ... يــراه لائقـــاً ذو الرتـــب

*   *   *

عدم استصلاح ما يعجز عن ... لـه يفضـل شـكوى الأخيـب

وأعود إلى القول إن مقارنة دقيقة مع ترجمة محمد عثمان جلال لهذه الحكاية تظهر مقدار الإبداع والتصرف الذي فعله جلال، فجاءت حكايته ببساطة أكثر إمتاعاً وجمالاً من هذه الترجمة، كما إن انتقاء جلال للمفردة السهلة ولعذوبة الجمل وجمال الصياغات العربية زاد من رجحان كفته لدينا.

ولا يكتفي نقولا أبو هنا بهذا بل مما يزيد من جفاف ترجمته أنه نظمها في الغالب الأعم على البحور الشعرية الطويلة، وعلى البحر الطويل خاصة، ولنتأمل حكاية "الشيخ وبنوه"(٢٧):

رهينـــة ضـــعف كاســـح كـل قــوة ... إذا لـم يعززهـا اتحـاد القـوى معـا

*   *   *

سـأروي هنـا مـا قـال عبـد فريجيـا ... وا ِن زدت مـا أرويــه عنـــه توسـعا

فمـا كـان همـي أن أنافســه لكـي ... أجمـع مجـداً مثلمـا "فـد ْر " م ّ عـا

خـو اطر لـم أوسـع بـذهني مجالهـا ... وا ِنـي أقـل النـاس فـي ذاك مطمعـا

وبعـد لنـورد ههنـا خبـر الـذي ... أراد اتحـــاداً فـــي بنيـــه ممنعـــا

*   *   *

دعـا المـوت شـيخاً أن يشـد رحالـه ... فأوصـى بنيـه قـال سـاعة ود ّعـا:

" ي ّ اكسـروا محزومـة النبـل هـذه ... إذا كـان فـيكم للصـلابة مـد ّعى

وا ِنـي لكـم عمـا قليـل لشـارح ... ـريرة شـد ّ وح ّـ د النبـل أجمعـا "

فضـيع فيهـا البكـر مجهـود بأسـها ... ـر ّب ثـان عـد ّ أقـوى وأضـلعا

فخـاب فأداهـا لمـن هـو بعـده ... فلـم يسـتطع والكـل للجهـد ضـيعا

فلـم تنكسـر مـن حزمـة النبـل نبلـة ... ِدت قـوى الإخـوان وهنـاً مصـر ّعا

فقـال أبـوهم: " يـا ركـاك سـواعد ... رويـداً تـروا بأسـي وا ِن كـان زعزعـا

لقـد حسـبوه مازحـاً فتبسـموا ... ولكنـه فـي الحـال للـربط قطعـا

ـن غيـر جهـد كس ّـر النبـل كلهـا ... فرادى وأهدى النصح من خير ما وعى:

" ـي ّ اتحـاداً إنـه قـد بـدت لكـم ... ـه قـوة تعيـي الكمـي ّ المقنعـا

لـيجعلكم الحـب الموثـق واحـداً ... فـذلك أجـدى فـي الحيـاة تمتعـا

ومـا زال فـي آلامـه واعظـاً لهـم ... فلمـا دنـا يـوم الرحيـل وأزمعـا

دعـاهم إليـه: " ا بنـي ّ أعزتـي ... وداعـاً وأرعـوا آخـر النصـح مسـمعا

إلـى حيـث آبـائي أسـير فشـيعوا ... بنعمـة وعـد قلبـي المتلوعـا

عـدوني يقينـاً أن تعيشـوا كـإخوة ... ولا توسـعوا فـيكم مجـالاً لمـن سـعى"

فكـان لـه وعـد الثلاثـة سـلوة ... وكـان وداع ينثـر اللفـظ أدمعـا

---

(27) سا ٤ / ٦٥ .

*　　*　　*

ـــاول أيـــديهم وشـــدّ مودعـــاً　　وســـار بحبـــات القلـــوب مشـــيعا

بقـــى لهـــم خيـــراً كثيـــراً وا إنمـــا　　مشـــاكله فاتـــت ثـــلاث وأربعـــا

فهـــذا غـــريم قـــد ســـطا متشـــدداً　　مذاك جـار هـبّ يشـكو بمـا ادعـى

وكـــان حليـــف الإخـــوة الـــنجح أولاً　　وكـــل رآهـــم فـــي الترفـــع أرفعـــا

إخـــاء علـــى مقـــدار مـــا كـــان نـــدرة　　عليـــه قضـــى داء التشـــاحن مســـرعا

لـــئن جمعـــتهم وحـــدة الـــدم مـــدة　　فقـــد خضـــعوا للانتفـــاع فضعضـــعا

أرادوا اقتســـام الإرث فاختصـــموا وقـــد　　تلاحـــوا وكـــل أرســـل القـــذف موجعـــا

فســـيقوا مـــراراً للقضـــاء وغرمـــوا　　مـــراراً وصـــاروا للمهانـــة موضـــعا

ـــل غـــريم قـــد أجـــدّ دعاويـــاً　　كـــذا كـــل جـــار فـــي الـــدعاوى تشـــجعا

فهـــذا يـــرى فـــي أول الحكـــم ضـــلة　　وهـــذا يـــرى فـــي نقـــص دعـــاوه مقنعـــا

لقد صدع الإخوان في الرأي والهوى　　ولـــم يســـتطيعوا جبـــر مـــا قـــد تصـــدعا

فـــذاك يريـــد الصـــلح مـــع غرمائـــه　　وينكـــر هـــذا مـــا يـــر ى ذاك أنفعـــا

فضـــيع كـــل مـــنهم مالـــه ســـدى　　وبعـــد فـــوات الوقـــت كـــل تطلعـــا

فـــأدرك ضـــعف النبـــل عنـــد انفرادهـــا　　وقوتهـــا الغلبـــاء إن حزمـــت معـــا

مع كل ذلك فإن لما فعله أبو هنا مكانة محفوظة في مسيرة شعر الأطفال العربية، كما للافونتين نفسه الذي كان محرضاً للشعراء في أن يقتحموا هذا اللون التربوي الجديد.

الفصل الثاني
الكتابة النقدية في شعر الأطفال

إذا كان شعر الأطفال قد انطلق مبكراً ، وأسهم فيه كتاب كبار ومعروفون إلا أن الكتابة النقدية فيه شبه نادرة، ولم تزد على مقالات مبعثرة ونادرة في الوطن العربي كله، بل إن أكثر هذه المقالات لا يزيد على تعليقات عابرة.

لقد دشن أحمد نجيب من مصر فيما كتبه عن شعر الأطفال البداية الحقيقية الأولى في هذا السبيل، إلا إن هذه البداية جعلته يكتب كلاماً عاماً عن الشعر فيعطي لمحة تعليمية عن "كيف يوزن الشعر؟"[١] والكتابة العروضية والبحور، ولا يزيد ما كتبه بشكل دقيق في هذا الباب على سبع صفحات من كتابه الريادي "فن الكتابة للأطفال" يخلص فيها إلى نتيجة مهمة حول شعر الأطفال الذي يسميه "الشعر التعليمي" فيقول:

"إننا في الشعر التعليمي – كما سبق أن قلنا– يجب ألا نلجأ إلى تقرير الحقائق أو الأفكار الجديدة، إنما إلى تصوير هذه الحقائق وتلك الأفكار.. وتحويلها إلى لوحات فنية جميلة، لأن الشعر دائماً تصوير بالقلم.. والصورة هي وسيلته المفضلة في التعبير"

وسجل الدكتور علي الحديدي علامة بارزة أخرى في كتاب "في أدب الأطفال" عندما خص شعر الأطفال بصفحات عديدة تحدث فيها عن بدايات هذا الشعر، مع لمحات مهمة عن رواده كمحمد عثمان جلال وأحمد شوقي ومحمد الهراوي. وكذلك فعل د. هادي الهيتي في "أدب الأطفال" ود. عبد الرزاق جعفر في كتابه "أدب الأطفال".

ثم عاد الهيتي وجعفر فأعطيا شعر الأطفال اهتماماً أكبر، فكتب الهيتي فصلاً عن "أدب الأطفال العربي"[٣] خصص معظمه للشعر، ذكر فيه معلومات أكثر تفصيلاً ودقة حول شعر الأطفال العرب، وقد وقع الباحث في أخطاء طفيفة عندما ذكر أن كتاب "آداب العرب" لإبراهيم العرب قد صدر عام ١٩١٣ والصحيح عام ١٩١١، كما إنه لم يوثق عدداً من المعلومات التي أوردها، وأغفل إغفلاً تاماً تجربة شعر الأطفال في مرحلة الخمسينيات حتى عام ١٩٨٨ سنة صدور كتابه "ثقافة الأطفال"مع أن للعراق بلد الكاتب نفسه دوراً رئيساً في هذا اللون خاصة بعد عام ١٩٧٠.

أما الدكتور عبد الرزاق جعفر من سورية فقد عرف عنه دأبه في مجال أدب الأطفال كتابة ونقداً، إلا إن السمة الغالبة على ما كتبه هو الترجمة والإعداد عن الفرنسية، مع أن كتاباته لم تخل أحياناً من آراء ذكية ولماحة في شعر الأطفال.

وعندما كان ينظر جعفر في شعر الأطفال فهو دائم الالتزام بما جرى ويجري في فرنسا اعتماداً على مصادر خاصة بهذا البلد، إلا إن ما يمز كتابة جعفر أنها دخلت في تفاصيل فنية تتعلق بشعر الأطفال وعلاقة الطفل بالشعر كقوله مثلاً :

"إننا نرفض إدخال الشعر في المدرسة الابتدائية تحت ذلك المظهر الوحيد الذي هو " الاستظهار" كذلك نرفض ما يعرف بشرح القصيدة أو شرح النص."[٤] أو :

"فجماعة الشعر يجب أن تتعايش مع جماعة مسرح العرائس والرسم والغناء واللصق."[٥]

ويتحدث جعفر عن أساليب اللعب الفني في الشعر وعلاقته بالتربية والمعرفة، واستناداً بالطبع إلى أمثلة وآراء فرنسية[٦] ويعود الشاعر فيؤكد ويضيف إلى هذه الأمثلة والآراء في مكان آخر في كتاب ثان.[٧]

وللدكتور أحمد زلط جهد مميز، يعد من أهم الدراسات في شعر الأطفال دقة وتوثيقاً وأمانة، فلأول مرة تصادفنا دراسات تبذل هذا الجهد المضني في بحث التاريخ العلمي لبدايات شعر الأطفال.. إلا إن الدكتور زلط دار في محيط التجربة المصرية المبكرة فقط، ولم يقدم لنا متابعته للتجربة المصرية الآن.. إضافة إلى التجربة العربية، فكانت دراساته ذات طابع محدود، لكنها كشفت بؤس المحاولات السريعة التي تتناول شعر الأطفال.

---

(1) في الكتابة للاطفال . نجيب . ص ٩٦.
(٢) سا . ص ١١٤.
(3) ثقافة الطفل . الهيتي . ص ٢٠٥– ٢٢٩.
(4) الشعر والطفولة . جعفر . ص ٥٢ .
(5) سا . ص ٥٧.
(6) سا .ص ١٠٨ وما بعدها .
(7) الطفل والكتاب . جعفر ص ٩٦ – ١٠٥.

وأتت محاولة الدكتور إبراهيم محمد صبيح في رسالة الدكتوراه الأولى عربياً عن شعر الأطفال، وهي بعنوان "الطفولة في الشعر العربي الحديث" لتؤسس للبحث العلمي من منطلق وحدة التجربة الثقافية العربية، حيث حاول صبيح مشكوراً أن يبحث في التجربة العربية كروافد تصب في نهر واحد هو شعر الأطفال العربي، وبذل من أجل ذلك الكثير من الجهد، وحقق النجاح الكبير في دفع دراسة شعر الأطفال وتقصي جذوره وانتشاره وخصائصه ومشاكله.

إلا إنه في مسعاه وقع في العديد من الهفوات العلمية والتسرع ومحدودية الاطلاع أحياناً .

من ذلك أن الدكتور صبيح تحت وطأة رغبته في تغطية التجربة العربية كلها، كان يتحدث عن قطر ما من خلال نماذج محدودة، وقد تكون قليلة الأهمية، ولكنها مما تيسر الحصول عليه.

وكان المؤلف يطلق أحكاماً فنية من غير دقة مطلوبة في تعديلها، كما إنه لم يتقص كما يجب تجارب شعراء كتبوا للأطفال من مظانها الأصلية، والمتوافرة في المكتبات الكبرى الرسمية، إذ اعتمد في الغالب على مصادر جانبية وقد أثقل دراسته باستطرادات كثيرة بعيداً عن صلب الموضوع المدروس.

ومن نماذج مؤخذاتي على هذا الكتاب الممتاز أنه يأخذ على نزار قباني استخدامه لفعل "اشيلك" فيقول:

"ولقد عبر نزار قباني عن حنانه غير المحدود عندما ناغى طفله الصغير بكلمات حنونة أبوية معبرة عن مدى صدق عاطفة الشاعر نحو ولده فقال(٨)*:*

أشيلك يا ولدي فوق ظهري

كمئذنة كسرت قطعتين "

ثم يضيف:

"ونسجل على نزار هنا استعماله لبعض الألفاظ العامية مثل أشيلك"

إن هذه الملاحظة تكشف عن تقصير كبير من باحث أدبي ليفتح معجماً عربياً ، وليكن القاموس المحيط ليعرف أن الكلمة فصيحة تماماً ، إ ذ سيقرأ في هذا المعجم *"شالت الناقه بذنبها شولاً وشوالاً ، وأشالته: رفعته... وأشال الحجر وشال به وشاوله: رفعه فانشال "*

كما إنه لم يقرأ بيت الأخطل:

إذا جعلــت أبــاك فـــي ميــزانهم رجحـوا عليـك وشـلت فـي الميـزان

وأضرب مثلاً آخر على تسرع الكاتب أنه تحدث مشكوراً في صفحات مطولة عن كاتب هذه السطور، وأشار كثيراً إلى مقالي المطول عن "قصيدة الطفل" المنشور في مجلة الأقلام العراقية عام ١٩٧٩.. إلا إنه كان يذكر أموراً ليس لها سند، فيعرف بي قائلاً *"شاعر وأديب معاصر معروف عاش في دمشق وتنقل بينها وبين بيروت، له عدة مؤلفات مرموقة"*(٩) وكنت أثناء كتابة هذا الكلام لا أقيم في دمشق، ولم أزر بيروت أو لبنان حتى هذه اللحظة، و ليس لي أي مؤلف نقدي ما عدا مقالات وأبحاثاً منشورة في صحف ومجلات عربية.

ومع أن المؤلف قد ذكر مقالي في الهوامش إلا أنه نقل عنه حرفياً في أماكن عديدة، ودون إشارة إلى المصدر، ولعل في الأمر خطأً طباعياً .

---

(8) الطفولة . صبيح . ص ١٦٧- ١٦٨.
(9) سا .ص ١٤٧.

وقد أخذ المؤلف نصوصاً شعرية لي من مجلات ولم يرجع إلى أي منها في مجموعة شعرية، مع أنها مطبوعة في دور نشر كبرى، معروفة كدار الآداب في بيروت ودار ثقافة الأطفال في بغداد ووزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب في دمشق، مما يدل على تقصير من الباحث في متابعة منشورات هذه الجهات سواء أكان الأمر يتعلق بي أم بغيري.

وعندما يعدد صبيح جيل الرواد يقول *"من أمثال محمد الهراوي وكامل الكيلاني وأحمد شوقي ومعروف الرصافي وجميل الزهاوي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وبعض شعراء المهجر"*[١٠]

وفي دراسة أكاديمية على الأخص من السليم أن يكون الترتيب حسب الأقدمية، فلا يذكر محمد الهراوي قبل أحمد شوقي وخليل مطران ولا كامل الكيلاني قبل الرصافي.... وهكذا.

ومن هفوات د. صبيح أنه يتحدث عن تأثير لافونتين في أحمد شوقي، ولا يذكر محمد عثمان جلال الذي كان سباقاً ، ويذكر أن أول من ترجم للأطفال عن الإنكليزية هو الطهطاوي، والطهطاوي كان يترجم عن الفرنسية فقط، وذكر أن أحمد شوقي ألف أول كتاب في أدب الأطفال والصحيح أنه مسبوق بكثيرين منهم محمد عثمان جلال ورزق الله حسون وعبد الله فريج على سبيل المثال، كما ذكر أن حركة مطبوعات الأطفال السورية ازدهرت من خلال دار الفتى العربي والصحيح أنها دار مصرية لبنانية فلسطينية مركزها في بيروت والقاهرة.

وفي باب "الشعر القصصي" في أدب الأطفال يبدأ بشوقي ثم يتحدث عن الكيلاني ثم يتحدث عن محمد عثمان جلال، بعدها يقفز إلى الكويتي عبد الله سنان.

وفي كثير من الأحيان لا يوثق نصوصه، وذكر أن مجلة أسامة تأسست عام ١٩٦٩ بإشراف زكريا تامر، والصحيح أن أول رئيس تحرير للمجلة كان سعد الله ونوس ثم رأس تحريرها زكريا تامر عامي ١٩٧٥ – ١٩٧٧، وأشار إلى أن نشيد "يا علمي ياعلم العرب" في ص ٣٤٠ من "شعر الاخطل الصغير"والحقيقة أن النشيد غير موجود في هذا الكتاب على الإطلاق[١١].

ومن الدراسات الأكاديمية المهمة "أدب الطفل العربي" للدكتور حسن شحاتة، ففي هذا الكتاب حديث دقيق عن شعر الأطفال، وزع في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله:

"ويشارك الشعر الذي يقرؤه الأطفال في تنشئتهم وتربيتهم تربية متكاملة، فهو يزودهم بالحقائق والمفاهيم والمعلومات في مختلف المجالات، وهو يمدهم بالألفاظ والتراكيب التي تنمي ثروتهم اللغوية، وتساعدهم على استخدام اللغة استخداماً سليماً ، كما أن الشعر الذي يقدم للأطفال ينمي الجوانب الوجدانية والمشاعر والأحاسيس لديهم، فهو يغرس القيم التربوية في نفوسهم، وينمى الميول الأدبية والقرائية لديهم، ويشبع حاجاتهم النفسية المتعددة،وينمى مهارات التذوق الأدبي، والأداء اللغوي السليموتمثيل المعاني وا خراج الحروف من مخارجها، والطلاقة اللفظية، والاستماع الجيد إلى كل ما هو جميل في مضمونه لغرس التذوق الأدبي لدى الطفل في هذه المرحلة وسبيل إلى تحبيب الأدب إليه في مراحل التعليم التالية.

وتزود دراسة الشعر الأطفال بالمفردات والتراكيب والعبارات الجديدة التي تنمى رصيدهم اللغوي، وتمكنهم من استخدام اللغة استخداماً صحيحاً حديثاً وكتابة، وتساعد دراسة الشعر بعد ذلك كله في تنمية قدرة الأطفال على دقة الفهم، وحسن استخلاص المعاني، ونقد ما يقال أو يكتب، وربط بعضه بالبعض الآخر، وتميز الجيد من الرديءوا براز مواطن الجمال في اللفظ والأسلوب والصور والتراكيب، والدقة والتفكير، حيث يقوم التلميذ بجمع المعلومات والأفكار من النص

---

(10) سا . ص ٣٣٤.

(11) سا . راجع الصفحات التالية ٨٦ – ١٠٨ – ١١٧ – ١١٨ – ١٣٩.

الشعري وتحليله وتفسيره واستنتاج النتائج، وكلها أمور تدرب الطفل على الدقة في التفكير، أضف على كل ما سبق إن دراسة الشعر تنمى خيال الأطفال، وتوقظ من عواطفهم ومشاعرهم، وتغرس فيهم القيم الدينية والمبادئ الخلقية، كما تنمي ميولهم الأدبية نحو القراءة وتذوق الجمال اللغوي، والقراءة المعبرة عن الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، والإلقاء الجيد وحسن تمثيل المعاني"(١٢)

ويتحدث عن معايير اختيار الشعر للأطفال، فيحصرها في:(١٣)

١- دوران الشعر حول هدف تربوي.

٢- بساطة الفكرة ووضوحها وتناولها المعاني الحسية.

٣- ارتباط الشعر بالمعجم اللغوي للطفل.

٤- ارتباط الشعر بالفكاهة والبهجة والسرور المملوءة بالحيوية.

٥تنمية خيال الأطفال وا ٍيقاظ مشاعرهم وا ٍحساسهم بالجمال.

٦- الإيقاع الشعري المتكرر.

٧- تنويع شعر الأطفال.

ثم يعود شحاته إلى الأناشيد لطفل ما قبل المدرسة، وا ٍلى موضوعات متنوعة أخرى، منها نقد النصوص المدرسية المصرية، مع خلاصة في غاية الوضوح إذ يقول(١٤):

"إن الشعر الذي يقدم لأطفالنا في مرحلة التعليم الأساسي لا يساعد في تحقيق الأهداف المرجوة من دراسته، فهو لا يحقق أهداف أدب الأطفال كما أن القليل من أطفالنا هذه الأيام هم الذين يقرؤون الشعر أو يسمعون به في منازلهم، إن نصوصاً من الشعر تدرس ضمن مناهج اللغة العربية، غير أن مدارسنا فشلت في تقديم الشعر للأطفال، لسوء الطريقة التي يعالج بها في المدرسة من ناحية، ولعدم تقديم الشعر المناسب للأطفال، بل إن جهود المدرسين ترمى دون قصد إلى قتل محبة الشعر في قلوب الأطفال أكثر من جهودهم كي يقبل الأطفال عليه ويعشقوه. فأطفالنا ضحية للشعر الرديء المجموع من كتب اللغة العربية وهو شعر حول الطفولة وليس شعراً للأطفال"

وآخر الجهود الأكاديمية التي تستحق الإشارة هي جهود الدكتور أحمد كنعان من سورية، حيث كثف هذا الباحث عمله في تناول شعر الأطفال السوري والعربي.

أما رسالته للدكتوراه فكانت بعنوان "القيم التربوية السائدة في شعر الأطفال" ركز فيها على دراسة مجموعة من القيم من حيث تمثلها ونسبتها لدى شعراء سوريين إلا إنه أدخل خطأ ضمن الأسماء المدروسة شاعراً عراقياً هو خالد الخزرجي، ويبدو أن سبب هذا الخطأ كون الخزرجي قد أصدر مجموعته الوحيدة عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق:

وأصدر الباحث كتابين هما: "أدب الأطفال والقيم التربوية" و"الطفولة في الشعر العربي العالمي" أما الكتاب الأول فيحوي قسماً عن "شعر الأطفال" فيه جولة سريعة عن معنى شعر الأطفال والسمات العامة لشعر الأطفال وأشكال الشعر عند الأطفال وشعر الأطفال في الوطن العربي وهكذا.

---

(12) أدب الطفل العربي . شحاته . ص ٢٢.

(13) سا .ص ٢٣- ٢٥.

(14) سا . ص ٢٠٣.

ومما آخذه على الصديق الباحث أنه أخذ مقطعاً كاملاً من شعر الأطفال في الصفحة ١١٤ من كتابه دون إشارة إلى المصدر،ثم أعاد الأخذ حرفياً عن الدراسة نفسها في الصفحة ١١٦ دون إشارة إلى المصدر[١٥].

أما الكتاب الآخر فذو عنوان فضفاض هو "الطفولة في الشعر العربي والعالمي مع نماذج شعرية لأطفال شعراء" وقد حوى قدراً كبيراً من الشواهد الشعرية، لكن الباحث أغفل ذكر مصدر القصائد والنماذج التي ذكرها في كتابه، والأمر في غاية الأهمية لأي باحث يود التوسع أو الرجوع إلى الأصل للتأكد أو الاستزادة،وعندما ذكر الشعراء السوريين عدّ منهم: خالد الخزرجي (العراق) وصالح هواري وعبد الكريم الكرمي (فلسطين) وفي الكتاب تناول علمي دقيق للشعر المنشور في المرحلة الابتدائية في سورية، ومن المآخذ المهمة أن الباحث يدرج في كتابه نصوصاً رديئة في الحد الأدنى كما فعل مع اسحق قومي[١٧] بنظمه المليء بالأخطاء اللغوية والإيقاعية والإملائية، وعده من شعراء سورية المعدودين في حين أغفل أسماء جيدة منها: جمال علوش وموفق نادر وركان الصفدي ولينا تقلا وغيرهم.

ولأحمد سويلم من مصر كتاب "الأطفال في عيون الشعراء" وفيه معلومات قيمة فيما يخص التجربة المصرية، أما الضعف الفادح فيه فهو عندما ينتقل للحديث عن التجربة العربية معه أنه لم يمنحها سوى صفحات قليلة من كتابه مما يكشف عن زاد شديد الفقر، إذ يكتب مثلاً في كتابه:[١٨]

"والملاحظة في التجربة السورية أنهم يتخذون مساحة الشام وأحداث فلسطين مادة يقدمونها إلى الطفل ويجعلونه يعايش تلك الأحداث.. ويتفاعل مزيداً من المضامين الأخرى فسوف تفقد روعتها وتأثيرها الفعال، وتصيب الطفل في المستقبل القريب بالسأم والإحباط "

ويدلل الكاتب على عدم معرفة بالتجربة السورية أيضاً عندما يسمي من سورية بالترتيب: سليمان العيسى. خليل خوري. محمود السيد. أحمد الجندي. محمد الحريري.

والمصادفة جعلته يذكر من العراق فالح حسين وتركي كاظم جودة وهما ممن كتب محاولتين أو ثلاثاً من النوع العادي. بينما لا يذكر شعراء معروفين مثل علي العلاق وخيون الفهد وخالد يوسف..ثم يضعني شخصياً مع الشعراء العراقيين!![١٩]

وأصدر محمد قرانيا كتاباً عن "شعر الأطفال في سورية.. ملامح ونظرات" غلب عليه التسرع، والجمع العشوائي للنصوص،وعدم القدرة على التمييز بين نص سليم بناء وآخر مهلهل وزناً وصياغة.

لهذا جاء التاريخ للبدايات عاريا ليس فيه جهد خاص يذكر، حيث اعتمد عدة مقالات منشورة لآخرين في الموضوع، ولم يحاول أن يقوم باستكشاف خاص في هذا المجال. وعدم الدقة صفة تصادفنا أينما تحركنا في الكتاب، ومن أمثلة ذلك قوله عن محمد عثمان جلال[٢٠]:

(اشتهر بكتابه العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" ويحتوي على مائة قصة شعرية مقتبسة من حكايات أيوب اليوناني ولافونتين الفرنسي)

والصحيح أن في الكتاب مئتي قصة تقريباً ، لأن الكتاب فيه عدة قصائد ليست بقصص وهي ليست مقتبسة عن أيسوب بل عن لافونتين مباشرة، فالذي اقتبس عن أيسوب هو لافونتين وليس جلال ويقول في مكان آخر:

---

(15) راجع دراستي" شعر الأطفال ونماذج من سورية . مجلة الموقف الأدبي. دمشق العدد ٢٠٨ و٢٠٩ لعام ١٩٨٨ص٩٣ حتى ١٢٢.

(17) والأمر ينطبق على خيري عبد ربه وخالد الخزرجي أيضاً .

(18) الأطفال في عيون الشعراء . سويلم . ص ٢٠٠.

(19) سا . راجع ص ١٥٠ و ١٩٥ و ٢٠١ .

(20) شعر الأطفال في سورية . ص ١٥.

"لم يكتب الشعر من الكبار سوى سليمان العيسى، وقد تركزت أغلب الدراسات حول تجربته الرائدة والناجحة، وليس في سورية فحسب وا إنما على ساحة الوطن العربي الكبير"(٢١)

ولاشك أن في هذا الكلام قدراً كبيراً من عدم الدقة، وينقل عن السيدة دلال حاتم قولها عن مجلة أسامة والشعر:

"نعترف من البداية أن حيز الشعر قليل وضئيل في المجلة" وكان عليه أن يوضح قياساً على كل مجلات الأطفال العربية بأن مجلة "أسامة" على العكس من هذا القول،إذ كانت تنشر وسطياً قصيدتين في كل عدد وأحياناً أربع قصائد، وهو أمر كانت له إيجابياته وسلبياته بلا شك، فالطبيعي في مجلة الأطفال أن تنشر قصيدة في كل عدد. ويقول المؤلف في هامش الصفحة ٢٤ عن كتاب "حديقة الأشعار المدرسية" أن طبعته لعام ١٩٥٨ لم تذكر *"أن الكتاب قد طبع قبل هذه الطبعة"*(٢٢)

وعندما دققت في الأمر ظهر لي أن الكتاب المذكور قد نص على الغلاف أنه " طبعة ثانية مزيدة ومنقحة" من دون ذكر لتاريخ الصدور في ١٩٥٨. وتعاني لغة الكتاب من الاضطراب وافتقادها للدقة في الدلالات، فمثلاً يتحدث المؤلف عن القصيدة والنشيد والأغنية فيعرف كلاً منها تعريفاً مضطرباً .

فالقصيدة عنده تجيء *"في أبيات معدودات وتدور حول فكرة معينه"*!! *"والنشيد أقرب ما يكون للشعر الحماسي، ويغلب عليه طابع الإنشاد"* *"والأغنية كلمات شعرية قابلة للتلحين والغناء"*!! وأنا أتساءل فقط: هل كلمات القصيدة أو النشيد غير قابلة للتلحين والغناء؟! إذاً ما معنى الأغنية الدقيق بناء على ذلك؟!(٢٣) وفي الكتاب مواد محشوة لا علاقة لها بشعر الأطفال من الصفحة ١٩٥ إلى ص٢٠٨ وكذلك من الصفحة ٢١٠ إلى ص٢١٦.

وفي مختارات الكتاب الشعرية في نهايته خلط عجيب، فليس هناك أي منطق يربط توالي القصائد والأسماء، فلا البلد ولا الموضوع ولا القدم، فيبدأ بسليمان العيسى وبعده مصطفى عكرمة ثم محمد قرانيا ومعشوق حمزة وبيان الصفدي.. وهكذا وكان عليه أن يرتب النماذج تبعاً لمعيار ما، وأن تحوي النماذج قصائد لشعراء سوريين عديدين لهم فضل الريادة كجرجس عبد الملك وسليم الحنفي وجميل سلطان وآخرين.

كما كان اختيار النصوص عشوائياً ،حيث من غير الصحيح أن يثبت نصوصاً ضعيفة الصياغة دون أن ينص على ما فيها من أخطاء كنص فيصل الحجلي(٢٤) مثلاً أو نص رديء في معناه التربوي مثل "أغنية إلى منى الصغيرة" لعدنان قيطاز.

ومع أن كتاب قرانيا عن شعر الأطفال في سورية لكنه أثبت نصاً ضعيفاً في الصياغة والقيمة التربوية لصالح هواري وهو من فلسطين وا ٍلا لماذا لم يضم نصاً لعبد الكريم الكرمي على الأقل.

وبينما اختفى من الشعراء الذين كتبوا بعد ظهور مجلة أسامة حامد حسن مثلاً حضر جاك صبري شماس وعدنان قيطاز.

أما آخر ملاحظة على كتاب قرانيا فهي محدودية مراجعه، وهامشية أغلبها في موضوع مهم كالذي عالجه(i).

وأود أن أشير إلى أن الكثير من الكتب تحوي فقرات تتعلق بشعر الأطفال، لكنها فقرات عامة، لا تحمل معلومة جديدة أو خصوصية ما.

والأمر نفسه ينطبق على المقالات والدراسات السريعة التي تقدم لبعض الندوات في مجال أدب الأطفال، حيث يغلب عليها طابع السرعة والكلام العام، أوالمعلومة السطحية.

---

(21) سا . ص ٥.

(22) سا . ص ٢٤.

(23) سا . ص ٥٤ و ٥٥.

(24) سا . ص ٢٤١. ٢٥ – سا . ص ٢٤٣.

(i)صدرت للباحث قرانيا دراسة هامة بعنوان "قصائد الأطفال في سورية" عام ٢٠٠٣ تجاوز فيها ما أشرنا إليه .

وقد تواجهنا في بعض الكتب آراء سريعة تحتاج إلى تدقيق، فهذا مفتاح دياب مثلاً يقول ببساطة إن أحمد شوقي أول من كتب للأطفال العرب أدباً خاصاً بهم في اللغة العربية ثم يقول *"على الرغم من أن الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي يعتبر أول من قدم أدباً للأطفال العرب، ولكنه كان مترجماً عن اللغة الانكليزية"*[٢٦] وفي الحديث عن أدب الطفل الفلسطيني لا نجد ذكراً لأهم شاعر فلسطيني كتب شعراً للأطفال هو اسكندر الخوري فيما كتبه مهند الشعبي مع أنه كتب دراسة جيدة [٢٧].

وهناك كتب مختارات من شعر الأطفال، أهمها كتاب د. أحمد أبو سعد، هناك كتب أخرى لا تدقق في اسم الشاعر أو المصدر كما فعل نايف معروف وغلادس قره بيتيان.

وكتاب "الأناشيد" الجزء الأول الذي اختاره سليمان العيسى وكامل القدسي يحوي ٢٠٠ نص، للعيسى ٨٢ نصاً، والباقي لشعراء آخرين من الوطن العربي، ويحوي نصوصاً ضعيفة لأسماء مرت مروراً عابراً في مجال الكتابة كسامي الزبيدي مثلاً [٢٨]، وقد تصل الركاكة حداً لا يعود فيه الكاتب يميز بين الشعر وكلام المبتدئين كما نلاحظ في مقال يتحدث عن شعر أطفال من نماذجه:!!

انـــا الماضـــي　　　انـــا الماضـــي
كتبنـــي الطفـــل　　　ـــذ زمـــانْ
رأنـي يومـاً حسـانْ
رسـني كثيـراً عدنانْ

وأمثال هذا النموذج في كل الشواهد[٢٩].

وهناك من كتب مقالات جيدة في شعر الأطفال، فيها معلومة جديدة أو تحليلاً رصيناً كعيسى فتوح وفالح فلوح ود. سمر روحي الفيصل وعبد الجبار البصري ود. عبد الفتاح المتعال.

وقد نصادف كتابات في الصحف أو المجلات ليس فيها سوى التعليق السطحي أو ما تفترضه العلاقات الشخصية.. بل قد ينسحب ذلك على الكتب وأبرز نموذج على هذا النوع من الكتابة ما فعله إبراهيم شعراوي في كتاب بعنوان " عبد التواب يوسف وشعر الأطفال"

ما لا جدال فيه أن عبد التواب يوسف من كتاب الأطفال المعروفين، وله العديد من القصص الجيدة، والجهود الملموسة في ثقافة الأطفال، لكن ليس لديه شعر للأطفال، لكنه قام بجمع نصوص لشعراء وأعاد نشر بعض الأعمال الشعرية مع وضع مقدمة لها.. لكن كتاب شعراوي دعائي بحت، وفيه قدر كبير من السطحية فلنسمع إلى قوله:

"يمتاز عبد التواب يوسف على أدباء عصره وعصور سابقة له بأنه يتحرك حركات تحدث موجات حوله، فتظهر مدرسة أو اتجاه فكري أو فني أو إبداعي"[٣٠] ثم يقول في مكان آخر:

"وعبد التواب يوسف جعل ثقافة الأطفال رسالته وقضيته ودم شريانه، وكنا نحن من حوارييه وزملاء السلاح معه وخلفه نبدع"[٣١]

"لهذا أرى أن الأستاذ عبد التواب يوسف قد انصف إبراهيم العرب، ووثق له شعره حتى لا ينسب إلى هذا أو ذاك ممن لا يعرفون له وجوداً ولم يسمعوا عن اسمه قط."[٣٢]

---

(26) مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال . دياب . ص ١٢٧.
(27) في قضايا الطفل العربي. الشعبي . ص ١٣-٥٦.
(28) الأناشيد . العيسى . ص ٣٦٠.
(29) مجلة "الرافد" الشارقة . العدد ٦٢.
(30) عبد التواب يوسف وشعر الأطفال . شعراوي . ص ٩.
(31) سا . ص ٤٢.

هل من المعقول أن تبلغ السذاجة بالسيد شعراوي إلى هذا الحد، فيخشى على إبراهيم العرب، وكتابه الأصلي موجود، ولعله قد أخذ بالرواية الدراماتيكية التي رواها الأستاذ عبد التواب عن قصته مع النسخة الوحيدة التي وقعت في يده بالمصادفة من كتاب إبراهيم العرب، لكنني أطمئنهما بأن نسخة أصلية موجودة لدينا في مكتبة عامة في دمشق.

ولا أريد الاستفاضة مع هذا الكتاب الطريف بسطحيته، إذ يصل به الأمر إلى القول *"وربما كان الشعر في بلاد الغرب سهل التداول والتأليف لأنه يعتمد على بحر المتدارك (فعلن فعلن) بتسكين العين أو تحريكه."*[٣٣]

إنه فتح آخر على العروضيين ليستفيدوا منه.!!

إن الاستفاضة غير مفيدة مع ذا الكتاب ولكنني أحيل القارئ إلى الكتاب أو قراءة بعض ما فيه.[٣٤]

الفصل الثالث

المرأة و شعر الأطفال

خلال رحلة التقصي في شعر الأطفال العربي لفت نظري غياب شبه كامل للمرأة عن المساهمة في شعر الأطفال، حتى مع توقع أنه قد فاتني شيء من مساهماتها النادرة، فإن الحصيلة التي بين يدينا تؤكد النتيجة التي بدأت بها كلامي.

فلولا نص لأمينة نجيب وعدة نصوص لجليلة رضا ونص يتيم لروحية القليني من مصر، ولولا الشاعرتان روز غريب ووفاء محمد في لبنان، وبعض المساهمات الأنشط في سورية والعراق لقلنا إن المرأة لم يكن لها دور في هذه التجربة الوليدة، في سورية كان الحال أفضل من باقي الأقطار العربية لسببين:

الأول كونها عرفت أول شاعرة تصدر مجموعة شعرية كاملة للأطفال، أقصد المرحومة جسماني شقرا، والسبب الآخر يتعلق بأن سورية فيما بعد عرفت مساهمات متفرقة لشاعرات معروفات ومغمورات أكثر من غيرها، للعناية الخاصة بشعر الأطفال نسبياً في الساحة السورية، الأمر الذي نفتقده في معظم أقطارنا العربية.

إذاً دشنت جسماني شقرا بقوة مساهمة المرأة في هذا الفن عندما أصدرت مجموعتها الشعرية "روضة الأطفال" عام ١٩٣٢،بعد ذلك لا نلمس أثراً للمرأة إلا في نص لشاعرة مغمورة هي "نعمة فوق العادة" بعنوان "أخي الصغير" وهي قصيدة سهلة و عذبة، ولا يمكن لكاتبتها إلا أن تكون قد كتبت غيرها، ولكن من يعلم، فلسبب أو أكثر ضاعت علينا فرصة معرفة نتاجها.

تقول الشاعرة[١]:

ي الصغيرْ ضــــــمن

---

(32) سا . ص ٧٢.

(33) سا .ص ٦١.

(34) أصل القارئ إلى الصفحات ١٠ – ١٩ – ٢٢ – ٣٣ – ٣٧ –٤٣ – ٤٩ – ٥٣ – ٥٥ –٥٧ – ٥٨ – ٦٧ – ٧٠ – ٧٧ – ٩٨ – ١٠١ – ١٠٨ – ١١٥ – ١١٦.

(1) النشيد والموسيقا . الفرا. ص ٥٥.

عصــــــفورة   ـت تطيرْ

*   *   *

ي الصغيرْ   ضــــــمن

مالــــــــهُ   لا نظيــرْ

*   *   *

ي الصغيرْ   ضــــــمن

زنبقـــــــةٌ   ـ عبيــرْ

*   *   *

ي الصغيرْ   ضــــــمن

ـنـــــــهُ   ـا أميــرْ

شهدت سورية دخولاً شاملاً للفتاة إلى التعليم والعمل، وأنشأت عدة نساء مجلات وجرائد للكبار والصغار، إلا أن المساهمة الأدبية الفعالة في أدب الطفل بعيداً عن التعليمية ندر أن دخلتها المرأة حتى وقت متأخر. لا شك أن الظروف الاجتماعية لها دورها الكبير في هذا الإقصاء، وقد كان من الطريف أن تقف المرأة نفسها ضد انطلاقها...وا ٕذا كان هذا مألوفاً في بيئة أمية، فما بالنا ونحن أمام مواقف نسائية متعلمة أشد تخلفاً من بعض الأميات، فقد شاعت قصيدة رديئة لباحثة البادية في مصر في عدد من الكتب التعليمية كقطعة استظهار، وفي هذه القطعة نرى أن باحثة البادية تتكر على المرأة ما أباحه لها الإسلام، وهو حق العلم والعمل ومساواة الرجل في أكثر الأشياء، تقول قصيدة "مجد الفتاة"[٢]:

مجـد الفتـاة مقامهـا   فــي البيــت لا فــي

والمــرء يعمــل فــي   ل وعرســـه فـــي

كـم حاجـة يهـوي نظا   البيت إن لم تعملِ

مــن للوليــد يعينــه   ـي لبسـه والمأكـلِ

ويمــيط عنـــه أذى   طـــف وتحيّ ـــلِ

من للرضاعة والحضا   نة والفطام وما يلـي

من للمـريض يحوطـه   ـدون تمَ لمُ ـلِ

يجري على وصف الطبيب على الطريق

مـن للأثـاث يصـونه   من للذخائر والحلـي

مــن يقســم المــذخور بــين الحــال

مـن ذا يعلـم خادمـا   ت البيـــت فعـــلِ

لكن إذا دعت الضرو   ة للخـروج فحيهـلِ

سيري كسير السحب   تــأني ولا تتعجلـــي

وتنكبي نهج الزحام وفضلي النهج الخلي

لقد خاض المجتمع معركة نهوض وتنوير حتى استطاع أن يوصل الناس إلى قناعة بأن النظرة التي كانت سائدة عن المرأة ودورها نتاج عصر الحريم المملوكي، وليست من حقيقية الدين والمجتمع عبر التاريخ.

إن أول نص شعري نشر في مجلة "أسامة" كان لجمانة موصلي عام ١٩٧١، و" الفراشة " قصيدة متميزة للأطفال

---

(2) المحفوظات المختارة . عباس ٤ / ٣٨ .

:(٣)

ارقصـــي فـــوق	ا فراشـة الربيـعْ
ـه الحلـو انتثـرْ	فـــي جناحـــك

*   *   *

ارقصـــي عنـــد	بـــــين أرض
حقلنـــا الزاهـــي	نيـه بالضـياءْ

*   *   *

بين زهر الأقحوان	تعاشات الغدير ْ
مـــن صـــفاء	فـــي جناحيـــك

*   *   *

صــــفقي، دوري	مثـــل نســـمات
واحتمـــي فـــي	عنـــدما تبـــدو

بعد ذلك نشرت شاعرة معروفة هي عزيزة هارون قصيدة "كتبي"(٤):

كتبـــي حـــولي ولـــولا	يا ضياعي في حياة
علمتنـــي كيـف أسـمو	حـدثتني عن نسـاء
كيـف كانـت ناهضـات	مشـرقات كشــروق
كتبي تجلو الأسى عن	وتمنيني بنيل ارب
أجتنـــي منهـا أزاهيـر	فزهـــت وانتعشـــت
شـغلتني عن رفيقات	وهـــي عنـــدي بعـد

وكتبت هالة معتوق قصائد كثيرة، وفيها محاولات جادة لا بأس بهاإلا أنها مليئة بضعف موزع لغوياً وا ٍيقاعياً بحيث يفسد جمال الأفكار في تجربتها، ومن شعرها(٥):

ـاد العيـد إلينـا عـادْ
هيا.. هيـا يـا أخـواني
نغـزل كـل خيــوط
نصـنع منهـا سـرج
هيا فالأرجوحة تدعو
تحليـق و للطيـران
فـوق الغـيم وبـين
مثـل الطيــر علـى
ثـوب العيـد جميـل
الأزهـار ويـاالألوان

---

(3) أسامة . العدد ٦٥ / ١٩٧١ .
(4) سا . ٦٩ / ١٩٧١ .
(5) قطار ليلى . ص ٥٥ .

أزرق أحمـــــر أو

ـــداع بيــد الفنــانِ

أما التميز الملموس فقد كان عند الشاعرة لينا تقلا، إذ استطاعت أن تقدم قصائد طفلية بقوة، فاختارت على الدوام موضوعات لصيقة بالطفل، من خلال لغة ملائمة سلسة، وعبر خيال جميل، وبلا شك فإن الكثير يعدنا منها، فهي ما زالت في بداية رحلتها مع شعر الأطفال.

لنستمع إليها في قصيدة "النجار "(٦):

مــن يصـــنع   للــــــــدرس
مــن يصـــنع   تــــريح كـــل
جميعهـــا مـــن   ـيقنا النجارُ
أخشـابه متينـة   ـشـاره بتـارُ
ـوحتي تطيرْ   كالطـــــــائر
ومقعـــــــدي   فـــي ركنـــي
واه بالمنشـارْ   ـيقنا النجارْ

وكلــه مــن نعمــة الــرب مــن

ومن قصائدها الجميلة "أصوات الحيوانات" ومنها(٧):

منـذ الصـبح   كوكوريكـــو
كوكوريكـــو   ـاح الديكُ
خـارت بقـره   خلـــــف
تحت الشجره   ردت أخــرى
نونـو نـو نـو   ـــاء القـطُّ
ـك وك وك   ـاح الـبطُّ
نـق نـق نـق   قـــــــال
عيشـي حلـو   فـــــــي
عصفور فـي   العـــــش

صـــوت كالمـــاء

صهل المهر   ـح الكلـبُ
نعـق البـوم   وعـــــوى
يـــا أطفــالي   ـ يتـذكرْ
صـوتاً آخـر   تفكـــرْ

---

(6) أسامة . العدد ٥٤٢ / ١٩٩٦ .

(7) سا . العدد ٥١١ / ١٩٩٤ .

الفصل الرابع
موضوعات شـعر الأطفال العربي

تقدم تجربة شعر الأطفال العربية مجموعة من الموضوعات الأساسية،وهي في مجملها قد لا تختلف كثيراً عن أية تجربة مشابهة في العالم، إلا في طريقة تقديم الفكرة،تبعاً لنضوج الفهم تربوياً وفنياً في إطار من الزمان والمكان.

العلم

يأتي العلم في مقدمة الموضوعات التي عالجها شعر الأطفال، فقد كانت الدعوة إلية مساوية للنهوض نفسه، في واقع أمي متخلف، ومن ذلك قول الرافعي(١):

نحن في هذه المدارس　　　بر ّ الوالـدات والوالـدينا
وترانـا أوطاننـا خيـر قـوم　　　ففـلاح الأوطــان فـــي

وفي قصيدة ذاعت كثيراً في الكتب المدرسية المبكرة(٢):

دفتـري صـاحبي ولـوحي　　　وكتـابي فـــي كـل فـن

أو(٣):

آفـة العـالم أن لا يعمـلا　　　وشـــقا الجاهــل أن لا

وللكتاب تكتب جسماني شقرا من سوريا(٤):

مــــن الصــــديق　　　أقوالـــه الشـــهد
يرشــــدني إلـــى　　　هـو الكتـاب هـو

وفي الموضوع نفسه كتب الشاعر المصري محمد السنهوتي(٥):　　　ل‌افلأا ‌رعش –

(1) شرح ديوان الرافعي ٢١/١ .
(2) سا ٢٠/١.
(3) سا ١٩/١.
(4) روضة الأطفال . ص ٢٦.

ا فتى ذو أدبٍ	**أقــرأ خيــر**
إن غابـــــت	**فصـــاحبي**
فيــه حــديث	**زين بالصورِ**
فــالعلم فـــي	**يســري إلـــى**

وفي "نشيد مدرستي" يكتب المغربي محمد غويط(٦):

جــددوا للعــرب	**واركبــوا كــدا**
واقــدحوا للعلــم	**والبسوا للحـزم**

ومثلة الجزائري محمد بن العابد الجيلالي(٧):

إلــى المــدارس	**بفــرح مــلء**
هــي لنــا روض	**بفضـلها العقـل**

ومن تونس يأتينا صوت محمد الشاذلي في (الكتاب)(٨):

هذا الكتـاب أخذت عنـة	**وتخذتـه دون الصـحاب**
ورضـــيته خــلا يزيــل	**ويظـل إن غـم الظـلام**

ويقول سليمان دغيش من لبنان(٩):

بالعلوم نعلي	**ـة الـوطنْ**
بالوئام نحني	**ـمة الزمنْ**

وللمدرسة يكتب شاعرنا أنور العطار(١٠):

مدرســـتي مدرســـتي	**يــا مطلبــي وبهجتــي**
لآنـــت موئــل الصـــبا	**ومســرحي وروضــتي**
أيا سرحة الفكر الـوافرة	**غصــونك منــا ومنــا**
نفـديك راعيــة عاطفــة	**ونصفيك أصدق ما في**

حميك من قارعات الدهورْ

كما يخص بعض الشعراء نهاية العام الدراسي بقصائد خاصة، كما لدى ناصر الوحيشي من الجزائر في (نشيد الوداع)(١١):

أنـا لـن أقول: إلـى	**ا لن أقول أودعُ**
أسـماؤكم.... ألقـا	**مــن مهجتــي لا**

---

(5) أدب الطفولة . زلط ص ٥١.

(6) القراءة العربية . المشرفي . ص ١٠ .

(7) سا . ص ٧٦.

(8) ديوان الشاذلي . ص ١٢١.

(9) أحلى الاشعار. ص ٦٠.

(10) أغاني الديار. الصواف. ص ٩٠.

(11) رجاء. الوحيشي . ص ٢٠.

وعلى عادة الكتب العربية إلى وقت قريب في إهمال أسماء الشعراء، نقرأ قصائد مجهولة القائل كما في انتهاء السنة الدراسية لأحد الشعراء التونسيين[١٢]:

انتهـــى العـــام	فـــي
أيـن رفشـي ؟ أيـن	مرح

. . . .

نحـو شـاطئ البحـر	سـر
إلـى الألعـاب دبـوا	أجمـع

ومن النصوص المجهولة التي تحدثت عن الكتاب والعلم والمدرسة (أخلاق عدنان)[١٣]:

أكـرم بـه مـن طالـب	يهـوى غيـر الكتـب
بـين الرفـاق إنـه	ـوان فخـر الكتـب

والآخر[١٤]:

عليـك بـالعلم فاطلبـه بـلا	واعمـل فـإن حيـاة العلـم
كم من غنـي جميع النـاس	وعـالم صيته فـي السـهل
وكـم ملـوك تقفـى ذكرهـا	وذكر ذي العلم بين النـاس

وفي نص عن (الكتاب) أظنه لجميل سلطان[١٥]:

والله مـا فـي البرايا	أعز مـن أحبـابي
ولـيس ذو الفضـل	يفـوق فضـل

وعن (واجب التلميذ في المدرسة) نقرأ[١٦]:

علـى التلميـذ فـي	قضـاء الوقت فـي
إتمـام الفـروض	أتـم الوجـه
إذا الأستاذ خاطبه	يجيـب بكامـل
ولا يمتاز عن أحد	بغيـر العلـم

ومـن الجميـل أن نقـع علـى نصـوص تـدخل إلـى موضـوع المدرسـة والعلـم بطريقـة طريفـة كمـا فـي (صـوت الجرس)[١٧]:

ا يقول الجرس	مـاذا يقـول
رن.. رن.. رن	رن.. رن..
يقـول: يـا أولادي	ـا أمـل الـبلاد
يـا إلـى الـدروس	صلحة النفوس
رن.. رن.. رن	رن.. رن..

---

(12) كتاب القراءة. السبعي .ص ٢٠٧.

(١٣)

(14) القلادة. ص ٧٠.

(15) الجديد. للسادس . سلطان . ص ٣٠.

(16) المحفوظات المختارة ٢٢/١.

(17) الجديد في اللغة. قطب. ص ٥٤.

واشتغلوا بجدٍّ في كل شيء

وفي قصيدة أخرى اسمها (الساعة)[١٨]:

تك تك تك تك تك تك نظرها في زندي تلمعْ
مدورة مثل القرشِ وعقاربها دوما تمشي
إن اربطها سارت سارت وبآلتها مهلا دارت
تهدأ من بعد الربطِ تنبي عن وقتي
انظر انظر ما أحلاها أمي أهدتني إياها
وابتاعتها لي بالغالي لمكافئتي عن أعمالي

الأسرة

من الطبيعي أن تكون الأسرة موضوعاً رئيسياً آخرفي شعر الأطفال، لأنها المحيط الأول الذي يعيش فيه الطفل، وتكون الأم في الصدارة من الاهتمام فلها يكتب شبلي الملاط في (تحية الأم)[١٩]:

أشهى الأماني في سبيل ولو أنني يا أمي كنت

وللأخوين رحباني قصيدة (أمي)[٢٠]:

نداء الحنانِ وصفو
وأسعد حلمِ أمي
الغاب والطير
جميعها أمي

و(الأم) قصيدة لمحمود كلزي يقول فيها[٢١]:

يرف الحنان عليا ربيعاً نديا نديا
. . . .
رداؤك دفق الحنانِ وصدرك مهد
إذا ضاق صدر قلبك أوفى مكانِ

ونشيد (ماما) من القصائد المميزة لسليمان العيسى[٢٢]:

أنت نشيدي عيدك
بسمة أمي سر وجودي

أما في النصوص المجهولة القائل فمن أهمها وأشهرها[٢٣]:

من لكم هز من لكم غنى

---

(18) القراءة والاستظهار . عيسى . ص ٣٤.
(19) ديوان شبلي ملاط . ص ٤٥٦.
(20) حديقتي للثالث . المالح. ص ١٤ .
(21) مجلة أسامة العدد ١٢٩/١٩٧٤.
(22) عنوا يا أطفال ٢٥/١.
(23) قراءتي للثاني . ص ٨٩.

عندما نمتم حبورا هـا الأم الحنـون ْ

مـن لكـم يحكـي قصـص الليـل

مـن لكـم يهـدي هـا الأم الحنـون ْ

وقد تكون القصائد للأبوين معا[٢٤]:

للوالــدين كرامــة محبة مني وفيه ْ

مــا عشــت لا عظـم الجميـل

وفي(جزاء الوالدين) نقرأ[٢٥]:

هذا حنان الأم من أجل وكـذاك حـب أبـي فمـا

فجـزاء هـذا الحـب منـي ومحبة ما شـاء ربـي ذو

ونقرأ في (محبة الوالدين)[٢٦]:

إننــي طفــل لأبــي حبــي

يــا إلهــي مــع أحبــائي

وا ٍذا انتقلنا إلى الجد فلم يهمل الشعراء هذا الإنسان المحمل بالكثير من عطاءات الحب والرعاية كما لدى ناصر الوحيشي من الجزائر[٢٧]:

حــين يــأتي صحاب نيام ُ

تسـتوي جـدتي يحلو الكلام ُ

بـك يـا جـدتي

أما الشاعر العراقي فاروق سلوم فإنه في (جدي) يتحدث عن جد فلاح[٢٨]:

دي فلاح في الحقل ِ

لديـة بيـوت للنحـل ِ

وسـواق يجـري المـاء

كـي تشـرب أشـجار

دي فلاح في الحقل ِ

علـى يـده ربـي أهل ِ

ويخاطب محمد الشاذلي ابنه في قصيدة (ابني)[٢٩]:

واخــدم بــلادك بأنـك التونسي

---

(24) المنتخب . ص ٣٣.

(25) القراءة الرشيدة . ٢/١٠٨.

(26) المحفوظات الطريفة . الحيدري . ص ٣.

(27) رجاء . ص ١٢.

(28) الأناشيد . ص ٣٧٢.

(29) ديوان خزنه دار ١/٢١٩.

وارفــع لــذكرك فأنــت مثلــي

وفي (ولدي) تقول الشاعرة المصرية جليلة رضا[٣٠]:

بنـــي فـــديت بـــالعمر فخذ ما شئت من عهد
وكـان الشـوك فـي الـدنيا وكـان لـك الزهـور مـع

وفي موضوع (أختي الصغيرة) يقول أحد الشعراء[٣١]:

نظـرت عينــي بمهـدي ذات
لفلة في عينها أعذب نومٍ
قيـل لــي أختــك هـذي يــا
يــا لهــا مــن لعبــة فــوق

وخص الشاعر سليمان العيسى بـ (نشيد) بابا[٣٢]:

بابـا بابـا يومـــك
دمـــــت دمـــــت

وفي (صديقي)نقرأ لأحد الشعراء في موضوع الصداقة[٣٣]:

رفيــق الـــروح لـــه ودي لـــه
تصــادقنا علــى تصــافينا بــلا

الوطن

الوطن في مقدمة الموضوعات التي تناولها الشعراء منذ المحاولة الأولى للطهطاوي حتى الآن، وقد كانت الكتب المدرسية تستعين أحياناً بنصوص سهلة عن الوطنوا ٍن لم تكن قد كتبت للأطفال أصلاً .

والوطن كان يعني القطر العربي أو الوطن العربي كله، وأحياناً يحصل مزج طبيعي بين القطر والوطن الكبير، وبعض القصائد تتحدث عن الوطن بشكل عام، كنص مشهور لعقود عديدة لأحمد الكاشف من مصر[٣٤]:

ني أنت الحبيب الدائمُ لـك فـي قلبـي المقـام
رامــي بــك طبــع لازمُ رني أنـي بـه متصفُ

أما الشاعر السوري سليم الحنفي فيقول[٣٥]:

أهوى أمة العرب وكمْ ت قبلي مغرم بالعربِ
ي مجد لقومي ولكمْ مـات غيـري دون نيـل

---

(30) اللحن الباركي . رضا ص ٤٦.

(31) الجديد . للثالث . سلطان . ص ٢٥.

(32) غنوا يا أطفال ٢٧/١.

(33) القراءة والمحفوظات . للرابع . ص ١٥ .

(34) المحفوظات الطريفة .ع .ح . ص ٢٧ .

(35) مجموعة الاغاريد . البيات . ص ٢٨.

ويقول الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في (هذا وطني)[٣٦]:

قا نجوم كالدرر ط ليلاً والقمر
تسبح في موج فقلت: هذا
الوا وتربة ذهب لع ألواناً عجب
م كل من وهب فقلت: هذا
قالوا إذاً ما أكملك! ل هذا الخيرلك؟
فأنت أغنى من فقلت: أفدي

ومحمد الأخضر السائحي يجعل العلم رمزا للوطن فيكتب له[٣٧]:

علمي يا رمز تصاري يا علم
ابق كالنجم رفيعا فقا فوق القمم
شامخا بين
يا علمي

ولأحد الشعراء قصيدة جميلة بعنوان (وطني) منها[٣٨]:

وطن نشأت ودرجت تحت
سأظل جنديا له وأعيش تحت
في السلم أعمل خائه وبنائه
وأكون في يوم داً على أعدائه

وهناك نص قديم لأديب سوري كما ورد في المحفوظات العربية يتحدث عن سوريا[٣٩]:

ه سوريا الفتيه يا ملاذ الهائ
باشري السبل تحاد دائم
فمتى عيني تراك ا حياة الأنفس
تتلاقى في سماك لب في المقدس

وقد يكون الحديث عن الوطن مختلطا بالحديث عن الحرية، كما لدى خليل مطران في (الحرية)[٤٠]:

قدمت إلى وطني بكل وبأرضه ألقت عصا
فسمعتها تشدو بلحن مني السلام عليك يا

وللرصافي[٤١]:

نحن بني نحمي
من أقدم سادت

---

(36) مجلتي . العدد مارس ١٩٧٧.
(37) سا . ص ٥٩.
(38) أدب الأطفال . عيسى . ص ١٨.
(39) سلسلة المحفوظات العربية .السفرجلاني ٢٠/٢.
(40) سا . ص ٢٨.
(41) سا . ١ / ٢٤.

وقد يكون الحديث عن الوطن أقل مباشرة كما لدى الياس أبي شبكة(٤٢):

لبناننا جنى قلب
نو العباد
هيا احصدوا وأنشدوا
فالحب قلب

وعلى نحو جميل آخر يكتب علي العلاق من العراق(٤٣):

الية سماؤنا الفسيحه
شمسة أيامنا المريحه
ونحن نلهو معا
سوق تراب الوطن
وتحت هذي الخيمة
ـا شمسنا العاليه

ومن النصوص المميزة (هذي داري) وهي قصيدة على شكل حكاية شعرية، وأظنها لجميل سلطان، وفيها حديث عن الوطن والدفاع عن الوطن بصورة جذابة للطفل(٤٤):

ديك أطل بنظرته من فوق
رأى بجوار حظيرته ديكا يمشي في
يختال وينشر أجنحة صراء كمثل الدينار
طئت قدماه له حرماً إختال بمشية جبار
فاهتز الديك وقد يناه شرارا كالنار
ورأى ما كان بحوزته ميصير بكف الغدار
فمضى والنخوة تملؤه العزم كسيف بتار
يا ظالم عرج عن واحذر فتكات
هذا وطني لا أسلمه هذي حرمي هذي
قد جئت لتسلبني ـي بفعل الأشرار
وانقض علية يمزقه وجرت حرب في
الريش يطير هنا وهنا ودم الديكين به
حتى كلت عزماتها وتغلب ذو الحق
وتولى الظالم منهزما بالخزي في ثوب

الطبيعة

---

(42) مجلة "مجلتي" العدد ١٩٧٨/٦٩.
(43)الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٣٤٣.
(44) الجديد . للخامس . ص ١٢٠.

درج شعر الأطفال على تقديم مشاهد متنوعة من الطبيعة، لما فيها من جاذبية خاصة للطفل، فهو المخلوق الذي يتأمل ويتساءل ويتماهى مع الموجودات حوله، ومن المحاولات المبكرة في العشرينيات ما كتبه عمر فروخ عن (الشتاء)[٤٥]:

انظـر إلــى مســـــودة
بالســـــحب

أو الخريف[٤٦]:

أقبــل الغـــيم مــن علامــات

وعباس العقاد يكتب (للقمر)[٤٧]:

فضـفض المـاء يـا وانقش النـور فـي
فـي لياليـك بهجـة بهجـــة الفكـــر

وعن (زهرة الفل) يكتب سعيد السحار [٤٨]:

ا زهرة الفلِّ يــا بهجــة
نك وضاحُ طرك فواحُ

و(أنشودة الربيع) يقدمها نصرة سعيد، ومنها[٤٩]:

الطيـر يشـدو ـرب الحقـولْ
والمــاء يجـري ـين السـهولْ
ـذا الربيـــعْ لـوى الجميـعْ

والشاعر أحمد الحوتي يمزج موضوع الطبيعة بقيم تربوية نبيلة في (الورود والشجرة)[٥٠]:

حكـى لـي شـيخ حارتنـا
بـــأن الـــورد والشـــجره
ـامــاً مثلنـــا أطفـــالْ
أن الورد يفرح حين نسقيه
رعــــــــــــــاهُ
يبكـــي لــو قطفنـــاهُ

وعلى نحو شاعري مرهف يكتب الشاعر المصري أحمد زرزور عن الشمس نصاً مميزاً هو (لماذا تغيب

---

(45) المحفوظات الطريفة . ص ٣٢.

(46) سا .ص ٢٢.

(47) ديوان العقاد ١٤٦/١.

(48) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٤٩.

(49) موسيقا وأغاريد الطفولة . ص ١٢.

(50) اطفالنا في ... سويلم .ص ٢١٥.

الشمس؟)[٥١]:

لماذا حن يأتي الليلُ

حِل شمسنا وتغيبُ ؟

أتتعب شمسنا

وتـروح صـوب البحـر كـي

ي ترتاحْ ؟

ـل شعرها الأشقرْ

وتصـعد فـي الفضـا......

تنام على سرير الأفقِ

تسهرْ

ـصحو عند كل صباحْ

وللشجرة يكتب فارس مؤيد (أنا الشجرة)[٥٢]:

عرفـت الـريح فكـم جــاءت

و لكنــــــــي فتأكـل قلبهــا

أنــا الشــجره أنــا الشــجره

ومن أجمل النصوص التي قيلت عن الطبيعة (الطفل والنهر) لعمر فروخ[٥٣]:

ا النهر لا تسرْ انتظرني لأتبعكْ

أنـا أخبـرت والـدي نـي ذاهـب معكْ

ــانتظري لأتبعــكْ

أنــــا أحضــــرت هـو يـا نهـر مـن

نُ يـا نهـر إننـي لست أخشـى مـن

فــانتظرني لأتبعــك

ظهر النهـر هادئـاً رأى الطفـل أولـهْ

فرمــــى المركــــب ي يديه وقال لهْ :

تظرنــــي لأتبعــــكْ

فجــــرى النهـــــر ى ثم لم يَعُدْ

صرخ الطفل قائلا بعــدما المركــب

ليتني.... ليتني معك!

---

(51) مجلة "أسامة " العدد ١٩٩٢/٤٨٥.

(52) سا . العدد ١٩٩٦/٥٤٤.

(53) الجديد . للثالث . سلطان . ص ٦٤، ذكرت القصيدة دون تسمية للشاعر ، وتنسب لعبد الكريم الحيدري أيضاً ،وأرجح أنها لفروخ.

الحيوان

والحديث عن الحيوان من مألوف شعر الأطفال، سواء من خلال القصص الشعرية على لسانهم، أم وصف حيوان معين، هذا الأمر كان شائعاً منذ محمد عثمان جلال وعبد الله فريج ورزق الله حسون وجرجس شلحت وغيرهم، ومن أكثر النصوص شيوعاً منذ وقت مبكر نص ذائع الصيت هو "البلبل" فيه الرمز الخالد للحرية(٥٤):

قـد كـان عنـدي | لـو طويل الذنب
ظريف شكل ريشه | مـع مثل الذهب
وكان يشدو دائماً | ـل لحن مطرب
وكــان عنــدي | فــي قفـص مــن
ولـم أكـن أحرمـه | مــن مأكــل أو
بـل دائمـاً أطعمـه | ن كل أكل طيب
ودائماً أسقيه من | ـاء زلال عـذب
فـرَّ منـي ونـأى | مــن دون أدنــى
وراح يبنـي عشـه | فــوق غصــين
يــا أسـفي يــا | قـد غـاب عنـي

وعن " عيش العصفور" يكتب العقاد(٥٥):

حط علـى الغصن | أقـل مـن لمحـة
مغـرداً قـط مـا | مرفرفـاً قـط مـا

وفي نص رائع هو " لو كنت أطير" لسعيد السحار يقول(٥٦):

لو كنت أطيرْ | مثــل عصــفور
كنــت أعلــو فــي | ئراً نحو السماءْ
ثـم أمضـي فـي | أنظــر الكــون

وعن "الطائر الصغير" يكتب محمد الهراوي(٥٧):

ـائر الصـغيرُ | سكنه في العشِّ
ــه تطيــرُ | أتي لـه بـالقشِّ

وفي "أتمنى لو" يكتب الشاعر أحمد سويلم من مصر(٥٨):

نى لو أني عصفورْ
و ألعب وأغني في النورْ
وأنقر في الصبح نوافذ أصحابي

---

(54) ترقي الصغار . صغير ٣٢/١.

(55) ديوان العقاد ١٢٩/١.

(56) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ٧٩.

(57) الطفل الجديد . الهراوي . ص٣٧ .

(58) الأطفال في "سويلم" . ص ٢٢٤.

وأقول: باح الخيرْ
باح النورْ

ويصوغ الشاعر محمود غنيم حكاية شعرية باسم "الكبش شق العصا"

لكبش شقَّ العصا يوماً على الراعي وقال للشاء: أنتم بعض أتباعي

ى أحسَّ عصا الراعي تؤدبه — ـا يؤدَّب عبدٌ غير مطواعِ
فلاذ بالذئب، يدعوه لنجدته — ومن سواه يلبي دعوة الداعي؟
اول الذئبُ قرنيه، وقال له — بل على الرَّحب، يا ريماً على
وسخر الكبش في صيد الشياه — فجدَّ في السعي. ضلَّ السعي
ظلَّ يرتع حينا تحت رايته — يأكل الحبَّ بالقنطار لا الصاعِ
حتى إذا الصَّيد أعيا الكبش، — مخلب مثل حدِّ السيف قطاعِ
فلا القطيع بكاه يوم مصرعه — لا الذئاب نعاه منهمو ناعِ
وهكذا راح ذو القرنين موعظة — عبرة ما وعى أمثالها واعِ
لن ينفي الكبش راعيه فتنزله — نها الذئاب بأبصار وأسماعِ

ومن التجارب الحديثة الطريفة قصيدة "ابن عرس" لفاروق سلوم(٦٠):

ـا حيـوان ذكيٌّ
ـي لـون بندقيٌّ
أعشق الشمس وأمضي
كل هذي الأرض أرضي
أختفي أنى تروني
كلكم يعرف لوني
ا اسمي ابن عرسْ
المهـــــن

شعر الأطفال —

إن اهتمام شعر الأطفال بالمهن له علاقة كبيرة بالموقف التربوي من العمل، وخلق موقف إيجابي منه، وخاصة الأعمال اليدوية أو الخطرة أو ذات الطبيعة الخاصة النادرة، ومن أبرز من ركز على القصائد التي تحدثت عن المهن محمد الهراوي، ويكون بذلك قد أدخل شعر الأطفال في معترك الحياة اليومية للناس، ومن قصائده "البستاني"(٦١):

راه في الصباح — يعمل في
بين الندى — وتحت ظل
يشذب الأشجارا — ويقطف
وله الطيورُ — ط أو تطيرُ

---

(60) مجلة "مجلتي" ٢١ نيسان ١٩٨٠.
(61) أحلى الاشعار . ص ٤٤.

تلاعـــــــــب   وتنشــــــــــد
مـــا أحســـن   يعـيش فـــي
ً ثـشــه سـعيدُ   جهـده مفيـدٌ

أما الشاعر المبدع في شعر الأطفال "سعيد جودة السحار"فإنه يقدم مشهداً متعدداً للمهن من خلال حوارية، لكنه يحصرها بالأولاد مع الأسف، وهذا جانب أضعف عمله تربوياً [٦٢]:

أيهـا الإخـوان هيـا   نطـرح الإهمـال
وليقـل كـل صـغير   يطلـب العليـاء
ما عسـاه أن يكونـا   عندما يكبـر سنا

مجاب: عنـدما أكبـر أرجـو   أن أكـون مثـل
ضابطاً أحمـي بلادي   عـــاملاً بـــين
فإذا ما الحرب قامت   بريــت للقتــال

الجميـع: أيهـــا الأخـــوان

مصطفى: إن كبـــرت واجتهـــدت   صـرت معمــاراً
أنشـــر العمـــران دوراً   وقصــــوراً أو
لــم أجـد أنفــع ممــن   يقلب الصحراء

الجميـع: أيهـــا الأخـــوان

مكـــين: عنـدما تكبـر سـني   لن أرى إلا طبيبا
أبــــرئ المرضـــى   عن بنـي النـاس
إن فعل الخير يبقى   دائمــاً عنـــدي

الجميـع: أيهـا الأخـوان

معـــن: أيها الأصحاب مهلا   إنكـم جرتم عليـا
إنمـا كـان المربـي   إلـداً بـراً وفيـا

الجميـع: فهو من يجعل منكم   ضـابطاً شـمهاً
أو طبيبــاً أو وزيــراً   بعـد أن لـم يـك

وهناك مثل مدهش على القصيدة الطفلية الطريفة في بنائها وفكرتها لأحد الشعراء عن " لراعي الصغير"[٦٣]:

ي راع صغيرْ   مسـكني كـوخ
لـــي مزمـــار   يقتـل الـذئب

والدكتور أحمد أبو سعد الذي ألف عدة كتب تعليمية ولغوية وفي ثقافة الطفل كتب عدة قصائد جميلة منها قصيدة عن البنّـاء"[٦٤]:

---

(62) النشيد والموسيقا . القدسي . ص ١٣٣.

(63) أحلى الاشعار . ص ١٧.

ا البنـــا أنـــا المشـــهورْ
ـــا معمـــــر القصـــــورْ
ا البــاني جميــع الــدورْ
بشـــــــاقولي وميزانـــــــي
ـــو ّي صـــف حيطـــاني
سرخ فـوق ركـن السـورْ :
ا البنـــا أنـــا المشـــهورْ

وفي قصيدة عن "الملاح يتحدث" يقول أحد الشعراء في نموذج ناجح(٦٥):

ـــي أنـــــا البحـــــارْ
ـــي رفقـــــة أحـــــرارْ
ــــري مــــع التيـــــارْ
ـــي الشــــرق والغــــربِ
. . . .
ــــــزورق الطــــــو ّافْ
يجـــرب بــــه الجـــذافْ
ـــي بحرنـــــا المضـــيافْ
ِإســـــــع الرحـــــــبِ

والشاعر العراقي جمال جمعة يقدم قصيدة عن "عمال البناء" على طريقة شعر التفعيلة(٦٦):

ت ماكنـــــة الإســــمنت
ودق الفــــولاذ المطـــروقْ:
طـــــــاق... ـــــــوقْ
تفعت مـن فـوق الأرضْ
دار.. مدرســــة.. ، ســـوقْ
طـــــــاق... ـــــــوقْ

أما محمد منذر لطفي من سورية فيعلي من مهنة الطيران عند الطفل عندما يقول على لسانه(٦٧):

أحب من لـه جنـاح أعشق
وفـــي غـــد ســـوف أكـــون

الفتاة

---

(64) اشعار وأناشيد . أبو سعد . ص ٨٠ .
(65) الجديد. سلطان . للثالث . ص ١٨٨.
(66) مجلة "أسامة" العدد ٣٧٤/ ١٩٨٤.
(67) أغنيات الفصول الاربعة . لطفي . ص ٦٢.

في بدايات شعر الأطفال لمسنا نظرة دونية للمرأة من خلال إشارات عديدة منذ محمد عثمان جلال، إلا أن هذه النظرة بدأت تتعدل مع انطلاق الدعوات لمساواة وتحرير المرأة حتى لا نكاد نجد شاعراً جيداً لم يدع إلى انطلاق الفتاة في مجال العلم كما لدى خليل مطران في نشيد لفتيات الكشافة(٦٨):

نحـــن منـــائر نحـن بشـائر
نحـــن طلائـــع
. . . .
بالخلق هذّب واللطـــــــف
نحـــن طلائـــع
. . . .
لعلم والفضائل بالنبـــل فـــي
نحـــن طلائـــع
. . . .
مما نعد للحمى مـــن القـــوى
نحـــن طلائـــع

وعن الموضوع نفسه يكتب أحد الشعراء(٦٩):

حبـذا الـنشء ســـــــيدات
إنمـــا العـيش قِـي الأمهات
بالصـــــــفات

ومن النصوص الأولى في هذا الموضوع قول أحد الشعراء مخاطباً "الفتاة الشرقية"(٧٠):

يا بنة الشرق انهضي حان نجـــاري الغـــرب جـــداً
طـــال عهـــد الجهـــل فـــي واسـترق النـاس والنـاس
هـذبي أطفـال سـورية يـا أمـــة الشـــرق لتـــزدادي
هذبي المرأة كي نرقى إلـى وة المجـد فتـاة وغـلام
أرضعيها العلم والتقوى معاً تحسـني فـي صـبغه الله
هـي أم إن تسـامى فضـلها رقيت أوطاننـامـاً فعام
إذا مـــا فســـدت أخلاقهـــا فعلـــى الأوطـــان والـــدنيا

ولشاعر مجهول آخر قصيدة عن "كمال الفتاة"(٧١):

تعليمهـــا أقـــوى لشـــروق أنـــوار
نحـــن الـــدعائم وركـــن حفـــظ
. . . .
إن البنـــات مـــع كـــل لصـــاحبه

---

(٦٨)
(٦٩) المحفوظات المختارة ٤١/١.
(70) سلسلة المحفوظات العربية . ص ٢٩.
(71) المحفوظات الطريفة . ص ١٠.

والـدين فـي التعليـم ساوى البنـين مـع

وهناك نشيد بعنوان "بنت بلادي" كثير الورود في كتب المحفوظات العربية في بدايات القرن العشرين، يقول فيه شاعره المجهول[٧٢]:

بنـت بـلادي هيـا لنرقـى
طـول الرقـاد يـورث رقـا
أنـت مـرادي علماً وخلقا
إلـى الحيـاة أيـا فتـاتي
إلـى الحيـاة ـى الحيـاةْ

وهناك دعوة جميلة للمساواة أثبتها الشاعر محمد الهراوي في قصيدة "ميلاد أختي" مع تخصيصه للبنات جزءاً مهماً من تجربته في "سمير الأطفال"... تقول القصيدة[٧٣]:

عيـد أختـي سـر مثل عيـدي عيـد
أنـت عنـدي مثـل ـا يا أخت أنت

إن دعوات الرصافي واسكندر الخوري الحيدري ومطران كثيرة في هذا الباب، وسأختم بما قدمه الشاعر إبراهيم ناجي عبر قصيدته الوحيدة في شعر الأطفال "نشيد الطالبة"[٧٤]:

إني أحب العلم فهو التاج يرفع
إن تحمـدوا نعـم الإلـه فـإن حب
ويـدي لمـن حـولي تمـد علـى
أغـدو علـى حـب وأعـود صـافية
لأبي وأمي طـاعتي ورضـاهما هـو
وعلـي أن احترامي كـاملاً

موضـوعات متفرقـة

كثرت في شعر الأطفال المواعظ والإرشادات التربوية، وقد بلغت حداً من المباشرة والجفاف في البدايات، لأن الطفل لا ينتظر من القصيدة أن تكون مجرد توجيهات أخلاقية، بل إننا نرى عموماً أن النجاح الحقيقي لشاعر الأطفال أن يوصل الهدف التربوي بشكل خفي وشفاف، وفي إطار جمالي، لذا يصعب علينا الانحياز لكلام خليل مطران[٧٥]:

قـد قيـل: مـن أدرك مـا تمنـى
يعنون أن تفكرا لتـأمن التهـورا

أو[٧٦]:

ومـن أصـاب أصـابها القـوم

---

(72) المحفوظات المختارة . أحمد . ص ٩/١.
(73) الطفل الجديد . الهراوي . ص ١٥.
(74) الأعمال الشعرية الكاملة . ص ٨٠٧ .
(75) إلى الشباب . مطران . ص ٨٢ .
(76) سا . ص ٢٣.

وللشاعر التونسي عبد العزيز الحاج طيب في "الصبر" قوله[٧٧]:

كـن عازمــاً كـن **واصبر تحقق ما**

فالصـــبر مفتـــاح **والعــز والعــيش**

ولأحد الشعراء نص عنوانه "كيف أمشي في الطريق"يوجه الطفل لكيفية التعامل مع الناس والطريق قائلاً [٧٨]:

أنــا أمشــي فــي **هدوء واعتدال**

ســائراً فــوق **عن يمينـي أو**

لـيس فـي نصف

وفي "أدب التلميذ" يقول أحدهم[٧٩]:

قـــم للـــدروس **النـــوم أكثـــره**

وخـذ النصـيحة **تأتيـك مـن أم**

العلم أشرف رتبة **يـوم الفخـار**

وفي توجيه آخر لأحد الشعراء حول "اللعب والعمل"نقر أ من نص ذائع الصيت في المحفوظات الأولى[٨٠]:

اللعـــب فـــي **وقتـــاً مـــن**

صحبة الإخوانِ **نشط الأبدانِ**

وقد تكون الساعة من الموضوعات التي يتناولها الشعراء، فيقدمونها للأطفال رمزاً للنظام والدقة كما في هذا المثال[٨١]:

تـن تـن تـن **ـدق الآنْ**

تحـــــــدد **ا الأوقاتْ**

مـن راحـة **عمـــــــلِ**

مـن لعـب **مأكـــــلِ**

تعلـــم النـــاس

والآلات الموسيقية موضوع آخر كتب فيه كثيرون ومن نماذجه "دوري مي" لعيسى أيوب[٨٢]:

درن دران درن د **اعـزف يـا عـودي**

أنت الشرقي الألحان **وأبـــو الأغنيـــة**

مـــا أحلـــى صـــوت **يصـــدح يصـــدح**

يعـزف لـــي أحلـــى **كـل صباح... كـل**

والعيد موضوع أثير ممن كتبوا فيه كما لدى قداوين من تونس في "جاء العيد"[٨٣]:

---

(77) قصيدة الطفل . الصفدي . مجلة الاقلام . ١٩٧٩/٣.

(78) المحفوظات الطريفة .ص ٢٠.

(79) سا .ص ٢٥.

(80) المحفوظات المختارة.عباس ١٢/١.

(81) المحاورة والتمثيل الغنائي .ص ١٢.

(82) داليا .أيوب .ص ٣٥.

عيــد عيــد جــاء	كـل الـدنيا تشـدو
هـل صـباح العيـد	كـالحلم الأخضـر
يحمل بشرى الحب	ويــزف الفرحـــة

يطوف الأحياء سعيدْ

وكانت اللعبة مما اهتم به الشعراء، ومن كتب عنها الشاعر عبد الكريم الحيدري في "دميتي"(٨٤):

يتــي تســحر ْ	هـــا أفخـــر ْ
ـــدها أحمـــر ْ	هـا أخضـر ْ

وقول أحدهم في " اللعبة " ٨٥:

اللعبـة الصـغيره	كأنهـــا أميـــره
خفيفـة بـالوزنِ	حشـــــــــوّه
أحـــب شـــكلها	إنــــه صـــنع

ومن أطراف الموضوعات وأصعبها على الشاعر،ومن أحبها للطفل القصائد التي تحوي أحجية أو لغزاً لما في النوع من قدرة على إمتاع والتسلية و الإفادة معاً كما في قول الشاعر جميل سلطان(٨٦):

مـا قشـرة رقيقـه	نهـا فنجـانُ
مغلقــة داخلهــا	اللؤلـــــــــــؤ
من مونـة البيت	وممـــا يثمـــر

وأنــت تهـوى أكلهـا فــاحزر

بالطبع على الطفل أن يملأ الفراغ بكلمة "الرمان" وقد أبدع الشاعر المصري محمد الهراوي في هذا اللون، ومن تجاربه "أمثلة للتكملة"(٨٧):

دال– ألــــــف– راء–: دار
غـــاب القـــط لعـــب:..
راء– زاي: رز – زر
وز – بـــط بـــط –...
حــاء – ســين – نــون:
سـلم الـوطن يحيـا:...

ولجميل سلطان قصائد في الأحاجي كما نظن(٨٨)، كذلك لفت نظرنا الشاعر عز الدين علم الدين التنوخي في وضع عدد من نصوص خاصة بالألعاب، حيث لا نستطيع فهمها تماماً إلا مع لعبة خاصة بها،وغالباً ما تكون لعبة شعبية معروفة،وأسهم الرصافي في هذا اللون أيضاً (٨٩):

---

(83) أغنيات للاطفال ١٩٩٩.ص ٤٦.
(٨٤) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٧٥
(85) الجديد . للثاني . سطان . ص ٤٤.
(86) الاستظهار المصور . سطان . ٨/٢ .
(87) أدب الطفولة. د. زلط . ص ٨٠ .
(88) كما في "احزر" الجديد . للسادس . ص ٢٩٣. أو " احزر" الجديد للثالث. ص ٥٧.
(89) راجع. الاناشيد المدرسية . جزآن

ولشاعر مجهول نقرأ هذه الأحجية(٩٠):

فما اسم شيء ... ليس لديه
قشور تلمعُ ... ورات أجمعُ
يعيش في الماء ... حروفه بلا

ومن الأمثلة المبكرة والنادرة على قصائد الألعاب وقعت على نص بعنوان "لعبة الشجرة" ومنه(٩١):

وسط الحديقة ... شجر والشجرْ
ري ونلعب بالأكرْ
وننظف الأيدي كذا ... الأيدي كذا
يل بالماء القذرْ
وكذاك نلبس ثوبنا ... ثوبنا ثوبنا
اً نظيفاً مفتخرْ
وكذا ننظف نعلنا ... نعلنا نعلنا
أدواتنا نحمل كذا ... نحمل كذا نحمل
كي لا يحل بها
وكذا نسير لدرسنا
يوم برد أو مطرْ
وكذا نعود لبيتنا ... لبيتنا لبيتنا
ن غير همٍّ أو

ومن الشعراء الشباب الذين نجحوا في كتابة هذا اللون من القصائد كريم العراقي، وهذه التجربة تستحق أن يوليها الشعراء اهتماماً أكبر لما تحمله من أهمية عند الطفل.

وختاماً أنوه إلى أن شعر الأطفال عالج موضوعات صحية وبيئية وجغرافية إلخ.. مما يطول الحديث عنه لو أردنا التفصيل.

الفصل الخامس
ملاحظات في شعر الأطفال

---

(90) الاناشيد. التربية . ص ٤٠٢.

(91) روضة الأطفال . سري .

المتابع لشعر الأطفال العربي يلاحظ أن المشاركة واسعة فيه، ولا سيما في الدول التي تشجع نشر الشعر في المجلات، وتطلب وسائلها الإعلامية كلمات لأغاني الأطفال، ويتركز هذا الأمر في سورية ولبنان والعراق ومصر والأردن وفلسطين.

إلا أن التدقيق في هذه التجربة فنياً يكشف أن بعض التساهل قد طال العديد من شروط النص الجيد، وسمح أكثر الشعراء لأنفسهم أن يكتبوا للطفل كما لو كانوا يكتبون للكبير.

أما من الناحية الثانية – وهذا الأسوأ – فقد شعر كثيرون أن كتابة قصيدة للطفل لا تحتاج سوى رصف لعدة جمل حول موضوع بسيط، من غير امتلاك حقيقي للأدوات الشعرية، فراح يتسابق في هذا المضمار كتاب عديدون مستغلين حاجة المجلات ووسائل الإعلام إلى "ر دي"نصوص بشروط سهلة جداً .

إن هذه النظرة الشائعة من المؤسسات في غاية الإفساد إذ تعتقد أنه بالإمكان تقديم أعمال للطفل بأرخص الأدوات البشرية والتقنية، وهذا فهم يقف حائلاً دون انطلاق نوعي لشعر الأطفال.

وعلى سبيل المثال يسهل على الإذاعة والتلفزيون في أي بلد عربي تكليف أي معد موظف بكتابة الأغاني والمسلسلات وأغانيها، في حين لا يشارك مشاركة فاعلة أي شاعر معروف في هذا الجانب.

أما ما سأركز عليه في ملاحظاتي الفنية على شعر الأطفال العربي فهو تطبيقات مختارة على عثرات هذه النماذج في الوزن واللغة والفكرةومن البدهي أن يكون الخطأ في هذا الثالوث أمراً مستهجناً ، لأن على نص الطفل الشعري أن يقدم نموذجاً يعلمه الفكرة واللغة والحس الإيقاعي، لا أن يغرس لديه حالة مشوشة منها.

وقد تمس الملاحظة في بعض الأحيان سلامة الفكرة نفسها، وهو أمر شديد الحساسية مع الطفل، إذ لا نعتقد أن هناك أسوأ من الهفوات التربوية معه، وهو أمر يمر معنا أحياناً ، وعلينا أن ننتبه في قصيللطفل لهذا الأمر، فهو أس التعامل معه.

هفوات تربوية

ومن نماذج الأخطاء التي تمس أموراً تربوية أن يسخر الشاعر من الطفولة،أو يشير إلى ما يشكل احتقاراً لها، كما فعل نصوح فاخوري في معرض كتابته الحماسية(١):

أنا طفل، قيل لي هذا، وما عقلي
هـا أنــا أبنــي وشــعبي مصــنعي

أما عدنان قيطاز فيقول في قصيدة "أغنية إلى منى الصغيرة"(٢):

عيونهـــا أمـــل　　　وخـــدها قبـــل
وثغرهـــا عســـل　　　هـــل تعـــرف
حبيبتـــي منـــى　　　أطـوف حولـها
أروم وصـــــلها

هل يمكن لأحدنا أن يتصور تعبيراً أردأ مما سبق في التعامل مع الطفولة، ولعل الكاتب هنا لم يفصل بين عالم الكبار وعالم الصغار فيما يقول، ويفتقد النص لأبسط الشروط الشعرية،وعلى منوال قريب كتب سمير مراد عن طفلة أخرى واصفاً جمالها(٣):

---

(١) شعر الأطفال. الصفدي. مجلة "الموقف الأدبي" عدد ١٠ خاص بأدب الأطفال ١٩٨٨.

(٢) مجلة "أسامة "العدد ١٩٨١/٢٩٣.

(٣) سا. العدد ٥٢٢ / ١٩٩٧ .

إن تتهــادى فــي مشــيتها
تعـزف لحنــاً بــل ألحانــا
أو تتثنـــى فـــي رقصـــتها
تكســـف ريمـــاً أوغزلانـــا

ولا ندري ما معنى"لحناً بل ألحاناً " أو ريماً أو غزلاناً " إنه الحشو الذي تفرضه القافية خلا عن الخطأ اللغوي في الشرط.

ومن غير السليم أن يقرأ الطفل مفردات لا تخدم عالمه، ولا تفيده ظلالها إن سأل عنها كما في قول محمد منذر لطفي(٤):

ســارا تمــار ا   نجـوم عـذارى
تظـل الأزاهيـر   منهـا غيـارى

أو قوله في "أغنية إلى بلادي"(٥):

تـرى هـل رأيـت الصـباح النـدي يقبـل وديانهـا
وزنبقة الحقل راحت تقص حكايـة نهد وخصر

أو قوله في "حب الوطن"(٦):

وطنـــي ومـــا   نغـــم يـــردده
فيـــه الشـــباب   كـــذاك ربـــات

وفي " دراجتي لصالح هواري نقر أ ٧ :

أحلـــى مـــن   هديـة النجـاح

فهل نريد أن نغرس في ذهن الطفل أن الهدية هي أهم من النجاح؟
ويقول الشاعر حامد حسن في قصيدة حماسية للأطفال(٨):

ذاهــب للـــدرس لكــن نــاوليني
إننـــي أرفــض أن تبقـى دروســي
ما يفيد الدرس إن ظلت فلسطين
ما يفيد الدرس إن أمسيت يا أخت

إن خلق هذا التعارض بين الدراسة والنضال أو الاحتلال مفتعل وخاطئ، بل إن الدرس من ضرورات الحرص على التحرير والحرية.

ومن غير اللائق أن يكتب حيدر مصطفى(٩):

---

(٤) سا . العدد ٥٠٨ / ١٩٩٣.
(٥) من قصيدتين أرسلهما الشاعر لمجلة المزمار.
(٦) في العراق ، ولم تنشرا وهما من محفوظاتي.
(٧) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٦/٤١٣.
(٨) شعر الأطفال . الصفدي . سا .
(٩) أغاريد الطفولة . مصطفى . ص ٥٤.

ـم أعـد طفـلاً   ناســـياً آلام

وعلى المنوال نفسه نقرأ ما يعني احتقاراً للطفولة من جانب، وذكورية مفرطة من جانب آخر، وذلك في قول محجوب موسى(١٠):

ألنـــا كبـــارُ   ـوهم وقـارُ

وحبـــوهم قـــوي   ولـــثغهم دوي

وقوله(١١):

فالطفــل فـــي الإســـلام ذو

وتظهر الذكورية صارخة في بدايات شعر الأطفال، إذ تكاد تختفي الفتاة عند كثيرين، وكأن الخطاب محصور بالطفل – الرجل، وأبرز مثال على هذا الاتجاه مصطفى الرافعي الذي يقول(١٢):

فكـم رجـل تـرى فيـه   وكم من صبية وهم

أو(١٣):

إنما يتسامى للعلا رجل   ماضي العزيمة لا تثنيه

أو(١٤):

ومــا يرفــع الأوطــان إلاّ   وهل يترقى النـاس إلاّ

أو(١٥):

عن قريب نكون فيها رجالاً   ونربـــــي

و في الوضع الفلسطيني الذي تسهم فيه المرأة في كل معاناته وبطولاته يكتب الفلسطيني فرج البرعي قصيدة "أطفال اليوم.. رجال الغد"(١٦):

يـا أطفـال اليـوم   للغد أنتم رجال

وقد تتسلل نظرة احتقار للناس العاديين واستخدام مفردات يجدر أن نلغيها من قاموس الطفل كدلالة مرتبطة بنظرة معينة كما في قول محمد الهراوي(١٧):

إنـا إلـى أبنائنـا   وقـت الفــراغ

ســـيان فيــــه   لـك متـو ّ ج

ومن غير المقبول أن نطلق صفة سيئة أو كلاماً يدل على انتقاص من مهنة من المهن كما نجد لدى جرجس ناصيف في قوله(١٨):

---

(١٠) اغاني الأطفال . موس . ص٧.
(١١) سا . ص ٢٧.
(١٢) ديوان الرافعي . ص ١٧.
(١٣) سا . ص ١٥.
(١٤) سا . ص ٢٠.
(15) سا . ص ٢٠.
(١٦) أغنيات للاطفال ١٩٩٩. ص ٦٨.
(١٧) سمير الأطفال للبنين ١٧/٣.
(١٨) أغاني البراعم . ناصيف . ص ٣٣.

يا بائع الأزهار أنت سمَّانُ
لا ترفع الأسعار لا تمـــــــنح
فـالزهر للأطهـار

كما إنه من غير السليم تربوياً أن نربط كسب المال بالمودة بين الناس كما فعل المغربي محمد بن ابراهيم في قوله(١٩):

اكســب المــال مــن رفـــاق

ومما تسلل إلينا من الفكر العبودي دون أن نشعر ربطنا للسواد بالمعاني السلبية،وهو أمر من أشد ما يكون ضرراً عندما نقدمه للطفل، كأن يقول جمال علوش(٢٠):

بابا كان بخط النار يـدفع عنـا الحقـد

حتى الشاعر سليمان العيسى يقع في هذا الخطأ التربوي إذ يكتب(٢١):

غنى المستقبل في هتفـــت أعيـــاد
أتحـــدى شـــكل أتحدى كل سواد

أو(٢٢):

أن أغســـل كـــل كـــل ســـوادي

أو(٢٣):

لــم تضــحك فيـــه مــذ هبــت ريــح

والمؤسف أن شاعراً موهوباً من مصر هو أحمد زرزور يقول في كلام له عن تجربته(٢٤):

" وعندما التحقت بالمدرسة الابتدائية غاظني أن السواد طال السبورة أيضاً ، فتساءلت في نفسي: لماذا لا يكون لونها أخضر أو بنفسجياً أو حتى بنياً ؟ وسوف تظهر الطباشير الأبيض عليها أيضاً ..

كان سؤالاً مهموماً بالرغبة في الفرح في الحياة، وهكذا وجدتني أكتب قصيدة بعنوان "لونها أسود، لماذا ؟" في شكل حواري بيني وبين سبورة فصلنا،تاركاً للسبورة بحياد أن تجيب على سؤالي:

سبورة في فصلنا
سـألتها عـن لونهـا: لمـاذا كـان
قالت: لكي تضيء فوقه
بالطباشير الأبيض الجميل
كتابة نبيلة
ي ّ ر العقول.

غموض وتعقيد لغوي

---

(١٩) القراءة العربية . المشرفي . ص ٩٧.
(٢٠) لمن يغني النهر . علوش . ص ١٥ .
(٢١) ديوان الأطفال . ص ٣٦٨.
(٢٢) سا. ص ٥١٩.
(٢٣) قصيدة الطفل عند سليمان العيسى . الصفدي . جريدة القدس العربي. لندن .العدد ١٢٩٣ / ١٤ تموز – ١٩٩٣.
(٢٤) تجربتي في الكتابة للاطفال . يوسف . ص ٢٠٦.

قصيدة الطفل تتسع لأكبر قدر من الخيال والعوالم الغريبة، ولكن بشرط أن تظل قادرة على تجسيد عوالمها في اللغة والصورة، إلاّ أنّ الشعراء أحياناً يقعون في صعوبة سببها الصورة الذهنية، والمجازات الجافة، ومن ذلك هذه النماذج من الشاعر سليمان العيسى[٢٥]:

أقرأ أزهار الليمون
أقرأ حبات الزيتون
أقرأ محراث الفلاح

أو[٢٦]:

كتبت بدفتري بابا كتبت بخاطري

وعن شهرزاد[٢٧]:

يا زهر الليمون يا لغط الحسون

أو[٢٨]:

بلهاث جهاد ـو ّى عشه

أو[٢٩]:

وغرد الحنين على ضفاف العمر

وعن الكرة يقول[٣٠]:

يطاردها الصغار يطارد شاعر

أما الشاعر جمال علوش وهو ممن كتبوا أجمل القصائد للأطفال،فإنه أحياناً يقع في مثل هذه العثرات كقوله[٣١]:

رمضان أتى هلاً ... أهلا
بالمانحنا ُبداً فضلا

وعن الشمس[٣٢]:

تمد – حين يستفيق الصبح –

أو[٣٣]:

فقد غداً نراك

أو عن فدائي[٣٤]:

طار كعصفور في الجو
يمّم صوب البيارات

---

(٢٥) ديوان الأطفال . ص ٢٨٠.
(٢٦) سا . ص ١٧٧.
(٢٧) سا . ص ٧٢.
(٢٨) سا . ص ٣٤٢.
(٢٩) سا . ص ٥٩٢.
(٣٠) سا . ص ٦٤٩.
(٣١) لمن يغني النهر . علوش . ص ٤٣ .
(٣٢)سا . ص ٨.
(٣٣) سا . ص ١٨.
(٣٤) سا . ص ٣٦.

فــي عينيــه تــدافع شــوق قتــال
للقــاء الحلــم الطــافح فــي كــل

وبلغة عالية ومرتبكة بالنسبة إلى الطفل ما نقرؤه لممدوح سكاف[٣٥]:

ما يـزال الليـل فـي كفيـه مشـدوداً
ومازالت عيون الـورد تدعوه إليها
واليـنـــابيع وأســـراب الفراشـــات
الزهـــور الطفلـــة الإيحـــاء
أســــــــــماء المـــــــــــدائن

وقول مصطفى خضر[٣٦]:

مـا أجمـل الجهـات تضـيء بالحيـاة
أمــامي الشــمس يلفهــا عــرس
وخلفـــي الغـــرب تعبــره ســحب

ويقول جرجس ناصيف[٣٧]:

أرجــوحتي فـــرح أرجــوحتي مــرح
نعــانق الضـــباب نفـاجئ السـحاب

ومعشوق حمزة[٣٨]:

لـــنملأ النفـــوس بالحـــب والأرب

أما هيثم يحيى الخواجه فتكثر عنده الجمل المبهمة وضعيفة التركيب والدلالة[٣٩]:

فــي جعبتهــا لحــن فــي مرآهــا صــبح
فــي مغناهــا طعــم جمعـــت أهـــداباً

أو[٤٠]:

فالقمــة فــي عينــي والزهر جداول فـي

أو[٤١]:

ســـميته فـــادي لأنـــه الشـــادي
ويغســـل اليـــدين والوجـه والعينـين
يــداعب الغصــون والتـين والزيتـون

---

(٣٥) شواطئ بلادي . سكاف . ص ٧٢.
(٣٦) دفتر النهار . خضر . ص ٣٩.
(٣٧) أغاني البراعم . ناصيف . ص ٤١.
(٣٨) عبير.حمزة . ص ٣٨.
(٣٩) درب القمة . الخواجة . ص ١٨.
(٤٠) سا . ص ٢٥.
(٤١) سا . ص ٤١ .

ويقول محمد منذر لطفي[٤٢]:

أشـجارها الخضـر جنـان
وماؤهـا كـذائب اللجـين

أو[٤٣]:

فيها من الأغنام – إما رتعت –

ويقول موفق نادر عن النخلة[٤٤]:

إذا أتـى الشـقاء   تنـاطح المطـر
وبينمـا المسـاء   ينساب في خفر

ولنقرأ لسمير مراد هذه العبارات[٤٥]:

كنـت مـن جيـل   وكبـرت الآن
صـرت مـن جيـل   سـاعة الجلـى

أو[٤٦]:

بسـمت فـأزهرت   وطاب في الخد
ناغـت فأوتـار   وكل وجه قد رنا

أو[٤٧]:

أنـت لا ترضـى   ـانطلق وائـب

أما محمد وليد المصري فيقول[٤٨]:

وننسـج المعـاني   لـوردة الأغـاني

أو[٤٩]:

كرتـي كرتـي   أحلـى لعبـه
كرتـي كرتـي   بيـدر رغبـه

ويقول الشاعر حامد حسن[٥٠]:

في صوتها لحن وموسيقا وسحر

وقريباً من هذا نقرأ للشاعر سليمان العيسى[٥١]:

---

(٤٢) أغنيات الفصول الاربعة . لطفي . ص ٣٢ .
(٤٣)سا . ص ٤٣ .
(٤٤) نائل يلتقي أباه . نادر . ص ٦ .
(٤٥) مجلة "أسامة" العدد ٤٨١– ١٩٩١/٤٨٢.
(٤٦) سا . العدد ١٩٩٧/٥٤٦.
(٤٧) سا .العدد ١٩٩٢/٤٩٦ وأعاد نشرها في اسامة العدد ١٩٩٥/٥٣٢.
(٤٨) سا .العدد ١٩٩٧/٥٥٣.
(٤٩) سا. العدد ١٩٩٩/٥٨٧.
(٥٠) سا . العدد ١٩٧٢/٨٦.
(٥١) ديوان الأطفال .ص ٥٨٤.

لـم أجـد أغلـى وأحلـى   لم أجد أصفى وأندى

ويقول عيسى أيوب[٥٢]:

تزهو بثوب دافئ   كآهــة

والمنتجــون فــي   قصـــائد مـــن

وله أيضاً [٥٣]:

تلالنـــا ســـاهرة   من زمن لـم تنم

ـــار إن مـــر ّ الهـــوى

وسعيد قندقجي يكتب بلغة تصعب على الكبير لتفكك معانيها ودلالاتها[٥٤]:

ســيمتطي طيــارة   تجتـاز كـالومض

ويمنـع الأوطان أن   يمســـها لفـــح

رأيــت فيــه أمتــي   شـــواطئا ً مـــن

لسنا من التقليديين في فهم الخطأ اللغوي، بل نؤمن بأن اللغة تتطور مع الحياة، ولكن من غير أن تفقد نظامها، والخطأ أحياناً ليس محصوراً في الخلل النحوي كما هو شائع بل يتعلق بالأسلوب أساساً ، وباختصار بما يمكن أن يكون القدرة على الإيصال بأفضل شكل وهنا قد كون الخطأ مباشراً بالمعنى النحوي كما في قول صالح هواري[٥٥]:

صــبراً ولا تحتـــار   عمنـا النجـار ْ

وقول جمال علوش[٥٦]:

شرق الصبح ندياً   بين عيني مقاتل

وقول موفق نادر [٥٧]:

تصـــبح أغلـــى   وتطيـب الأثمـار

وقول صالح الرحل[٥٨]:

ولتهنـــأ وليحيـــا عيـــدك

ومن قصيدة لرياض الصالح الحسين[٥٩]:

يـا نهـر مـن نجـوم   يا بحر من عسل

هيا اركضـي كمهرة   إملئـــي الـــبلاد

فالخطأ في النداء وفي همزة القطع في املئي، ولصالح هوامش المسلط[٦٠]:

منها الفحم و منها الحطبا

---

(٥٢) داليا. أيوب .ص ٨٢.

(٥٣) سا. ص ١١٧.

(٥٤) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٢/٣٢٤.

(٥٥) الطفولة في الشعر. كنعان. ص ٩٨.

(٥٦) وطني العربي. علوش. ص ٩٢.

(٥٧) عصفور الثلج. نادر. ص ٢٠ .

(٥٨) أنشودة المطر. الرحل . ص ٢٦.

(٥٩) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨١/٣٠٦.

(٦٠) سا . العدد ٤٧٩ – ١٩٩١/٤٨٠.

منهـا الزينـة منهـا اللعبـا

ولمصطفى عكرمة[٦١]:

بابـــا مامـــا لكمـــا شـــكري
بكمـــا أحيـــا أحلـــى عمـــري

ثم ينسى التثنية فيضيف:

ونصــــــيحتكم ســـكنت صـــدري

أما خالد الخزرجي فالضعف صفة لكل ما كتبه ومن ذلك قوله[٦٢]:

أنـــا معـــروف بـــين النـــاس
كـــل أخـــواني هـــم حراســـي

فيلفظ أخواني ليستقيم الوزن كما تلفظ بالعامية العراقية ويعكس هذا يتفاصح بشكل مخل[٦٣]:

وبـه الفكر منتصر إلـــردى ثـــمَّ

ويقول محمد قرانيا في تعبير عجيب[٦٤]:

شكراً شـكراً أخـت فأنـا أحيـا بـين

وفي ركاكة أداء مشابهة يقول سمير عبد الباقي من مصر[٦٥]:

أســابق نحلـــة العســـل
أزور الـــورد والأزهـــار

وكأن الشاعر قد نسي أن النحلة لا تنتج إلا العسل وأن الورد هو الزهر!

وعيسى أيوب ممن تكثر لديهم الأخطاء اللغوية كقوله[٦٦]:

ظـاء.. عـين يـا فلترعـاكم عـين

أو[٦٧]:

عن الأرض كـي لا يطالهـا

ويقول صالح هواري[٦٨]:

فلنهـــديهم باقـــة ورد

ومثله فوزي المغربي[٦٩]:

---

(٦١) شعر الأطفال . الصفدي .
(٦٢) الأمل . الخزرجي . ص ٣٩.
(٦٣) سا. ص ٧٧.
(٦٤) مجلة "أسامة" العدد ١٩٧٨/٢٣٧.
(٦٥) الأطفال في عيون.. سويلم. ص ٢١١.
(٦٦) مجلة "الطليعي" شباط /١٩٩٣.
(٦٧) داليا. أيوب. ص ٧٨.
(٦٨) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٦/٤١٥.
(٦٩) سا. العدد ١٩٨٦/٤١٢.

فلنرعاهـــــــــا **كالأزهـــــــــار**

ولجاك صبري شماس(٧٠):

وبعض مـن لـوازم **مصـوراً ومحبـره**

حقيبتـــي تمشـــي **فـــي كــل صـــبح**

وللطفل يكتب شماس نفسه(٧١):

فهـــــذا الشـــــعر **بقـــرض الشـــعر**

وبغض النظر عن جمالية القول نتساءل: كيف يكون الشعر ممزوجاً بالنظم وقرض الشعر؟!

الهفوات العروضية

إن أكثر أخطاء الشعراء في قصائدهم للأطفال تتعلق بمسائل عروضية، وكلما كانت تجربة الشاعر مع أدواته أضعف كثرت أخطاؤه..

ولا أحتاج إلى التفصيل في أهمية السلامة العروضية في قصيدة الطفل، كما يعكسه ذلك من تربيه للسليقة الموسيقية، وتطويرهاواِ غنائها بشتى الإيقاعات التي تتبعث من المفردات والجمل والقوافي والتفعيلات.

إننا نعثر على بدايات للضرورات العروضية القبيحة عند الشاعر محمد الهراويوا ِن كانت نادرة الوقوع كما في قوله(٧٢):

مِّ يـا نـور حيـاتي **طبـــت بالعـــام**

أو:(٧٣)

تِ يا قرة عينـي **طبـــت بالعيـــد**

عيــد أختـــي ســر **مثل عيـدي عيد**

أو(٧٤):

عَ ـــــةُ كـــلاَب **مـــــن خيـــرة**

وتتراوح هذه الهفوات بين ضرورات شعرية أو خلل واضح في الوزن، وعموماً ليس مقبولاً في شعر الأطفال استخدام الضرورات الشعرية، لأنه يفترض أن نقدم للطفل نصاً صافياً لنعلمه اللغة والإيقاع بشكلهما الأمثل.

وأكثر الملاحظات العروضية تتعلق بمد الحركة أو قصر حرف العلة إلى حركة، وهما حالتان تربكان فهم الطفل لأصول القراءة، ومن ذلك قول مصطفى عكرمة عن "الهرة"(٧٥):

أو لـــيس مخلوقـــاً **، تظلـم تبكِ ...**

وقد يبلغ الأمر حد الخطأ الوزني كما في قوله(٧٦):

من غيرك جاء لغيرك يبقى

إن لـم تنفـق تكـن الأشـقى

---

(٧٠) سا. العدد ١٩٩٥/٢٣١.

(٧١) الأصوات . شماس . ص ٢٠.

(٧٢) الطفل الجديد . الهراوي . ص ١١.

(٧٣) سا . ص ١٥.

(٧٤) السمير الصغير . الهراوي . ص ٣١.

(٧٥) مجلة "أسامة". العدد ١٩٧١/٥٥.

(٧٦) أنا وأبي. عكرمة. ص ٦٥.

ولموفق نادر[٧٧]:

لكـــن مـــاذا ؟ قـل لنـا مـاذا ؟

أو[٧٨]:

أخشـى أن تتلفـوا أشـجاري

وقد يخطئ بوضوح كما في قوله[٧٩]:

الآن ســـأفتح أبـــوابي
فلتـأتوا يـا أحلـى أحبـابي

أو[٨٠]:

لك يا دمشق
يضيء النهار
ويولـد فـي غوطتـك

ويقول صالح هواري عن الأم[٨١]:

عيناهـا كعبتـان ووجههـا مـزار

ولجمال علوش:[٨٢]

والـذكرى يـا أخـت مـلاذ
الـــــــــذكرى دواء

و يقول محمد قرانيا[٨٣]:

الماء العذب في الجدول
والزهر فـي الروضـة أجمل

ولمحمد البكر[٨٤]:

منـا الهيـثم منـا اسـألوا عنـا كـل

ثم:

هـــو ربـــاني أحمـــي ثـــراه

ويقول خالد الخزرجي[٨٥]:

طـــاب الظـــل ملنـــا إليـــه

أو[٨٦]:

---

(٧٧) عصفور الثلج. نادر. ص ٥٥.
(٧٨) سا. ص ٥٥.
(٧٩) سا. ص ٥٨.
(٨٠) أنشودة المطر. نادر .ص ٢٩.
(٨١) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٧/٥٥٥.
(٨٢) مجلة "أسامة"العدد ١٩٩٦/٥٤٠.
(٨٣) سا زالعدد ١٩٧٨/٢٣٧.
(٨٤) سا . العدد ١٩٨٠/٢٧١.
(٨٥) الأول . الخزرجي . ص ٦٢.

تغني في المسير نحن شاطرات

ويقول إبراهيم عباس يا سين[٨٧]:

نحن أتيناك يا مدي الآن بساط

ثم يصل إلى خطأ واضح في[٨٨]:

نحن أتينا مثل النور
أسراب عصافير وحمام

وتكثر هذه الهفوات لدي عيسى الشماس كقوله[٨٩]:

أحب أرض موطني في المشرق
أجد أرنو للعلا ترخص عند
يبقى حراً موطني أعلامه في

وقوله[٩٠]:

نحن من شعب عريق مضي جيلاً رافعاً هام

أو[٩١]:

من ملايين الجزائر نحمل نعم

أو ما قال في الأم[٩٢]:

تعبت من أجلي دوماً لا
تسهر الليالي

ولجمال علوش[٩٣]:

يركض أحمد تجري نوال
نبني رفاقاً ورفيقات

أو[٩٤]:

غن يا عصفور غن والعب فوق

ويكون الخطأ واضحاً في قول ممدوح سكاف[٩٥]:

أطفال سعداء وربيع ينهل

---

(٨٦) سا . ص ٧٠.
(٨٧) ماذا قال المطر للعصافير . ياسين . ص ١٠.
(٨٨) سا. ص ١٢٠.
(٨٩) مجلة "أسامة". العدد ٢٧٢/١٩٨٠.
(٩٠)غنوا معي. الشماس. ص ١٤.
(٩١) سا. ص ٢٢.
(٩٢) سا. ص ٣٦.
(٩٣) وطني العربي. علوش. ص ٤٧.
(٩٤) سا . ص ٥٧
(٩٥) شواطئ بلادي . سكاف . ص ١٢٢.

ويقول سامر كحل[٩٦]:

في عيدك الغالي لك قلب

أو[٩٧]:

تحت الموج نواها تحوم

ويتعثر فارس قويدر في قوله[٩٨]:

لكن الشوك بغصن   للغازين دعاة

وكذلك[٩٩]:

أهديه إليك يا أمي   كي يفرح قلبك

وتكثر عثرات هالة معتوق كقولها[١٠٠]:

شجر اللوز في البستان
بجوار شجر الرمان

أو[١٠١]:

جدرانه حضن لنا
فيه أبونا وأمنا

وقد يكون الخلل بتكرار خمس حركات[١٠٢]:

نهض وقام

أو[١٠٣]:

طال الريش   كبر جناحي

وأحياناً تخونها القافية الصحيحة كما في[١٠٤]:

نضج اللوز وطاب قطافه
هيا قبل أوان جفافه

والخلل واضح في قول سمير عبد الباقي من مصر[١٠٥]:

اقرأ لنا حكاية عجيبة عن
وعن فارس في بلاد بعيده

وممن تكثر عثراتهم علي الشرقاوي من البحرين كقوله[١٠٦]:

---

(٩٦) صداح . كحل . ص ٢٨.
(٩٧) سا . ص ٣٢.
(٩٨) وطن الأحرار . قويدر . ص ٩ .
(٩٩) سا . ص ١٦.
(١٠٠) قطار ليلى . معتوق . ص ١٥.
(١٠١) سا . ص ٤٨.
(١٠٢) سا. ص ٦ .
(١٠٣) سا. ص ٧.
(١٠٤) سا. ص ١٥.
(١٠٥) مجلة "العربي الصغير" العدد ٢٠٠٣/١٢٤.
(١٠٦) مفتاح الخير. الشرقاوي. ص ١٦.

أنت أشطر من في البيت

أو[١٠٧]:

لكن لماذا يا أمي تأخرت

أو[١٠٨]:

دعنـي يـا ولـدي   لا تشغل ذهنـي
هـذي أشـياء   عندما يبلغ سنك

ويقول إسماعيل راشد عبد الحكيم من السعودية[١٠٩]:

جبال شم راسخة   مـددنا الطـرق
ووديـان عميقـات   جـاء التعميـر

وتجتمع الخطأ العروضي واللغوي في قول معشوق حمزة[١١٠]:

يخـرج آلاف الأطفـال
كـي يتحـدوا النـار

أو[١١١]:

والأطفـال الفقـراء
كـادوا أن ينسـوا البسـتان

وتكثر عنده ظاهرة مد الحركة أوتحويل حرف العلة إلى حركة.

ويقول أسعد الديري[١١٢]:

أيهم. منى. شادي   جـاؤوني

و يبدو الخطأ واضحاً في قوله[١١٣]:

رسـم انهـاراً وجـداول
وحقـولاً رائعـة ومعـاول
تحمي الوطن الغالي الرائع
وتظـل بـرغم الليـل تـدافع

كما إن عيسى أيوب من الذين تكثر هفواتهم الإيقاعية، كقوله[١١٤]:

غنـي مثلـي   تحيـا بـلادي

أو[١١٥]:

---

(١٠٧) سا. ص ١٩.
(١٠٨) أغنيات للاطفال ١٩٩٩. ص ٤٠ .
(١٠٩) سا. ص ٥٣.
(١١٠) شتلة ليلى. حمزة. ص ٢٦.
(١١١) البستان للاطفال. حمزة. ص٥.
(١١٢) مجلة" اسامة" العدد ١٩٩٧/٥٤٥.
(١١٣) سا. العدد ١٩٩٦/٥٣٨.
(١١٤) داليا. أيوب. ص ٦١.
(١١٥) سا . ص ١٠٥.

ما أغلى ترابك يا　　　ما أجمل أرضك يا

أو[١١٦]:

ليتني مثلك أعطي　　　لا أتـــــوانى لا

ويقول نهاد درويش[١١٧]:

زرع عمـــلاً ازرع　　　تجن منه الثمر

أو[١١٨]:

أجلـــس بلباقـــه　　　لا أقرب الحماقه

أو[١١٩]:

أحبوا في الطاعه　　　وصفة الوداعه

ونقراً لهيثم يحيى الخواجه[١٢٠]:

نحـــن الأطفـــال　　　نبنـــي الحـــب

ويبلغ الخطأ حداً كبيراً كقوله[١٢١]:

في ميسلون الشام　　　ضـــحى بطـــل

وكذلك نجد لدى الجزائري ناصر لوحيشي[١٢٢]:

أنـــا لا أكـره أحـدا　　　جعلـك الله لـــي

أو[١٢٣]:

طال ذاك الليل لكن　　　ســـــيجيء ذاك

وقد تبلغ الصياغة على قدر كبير من الهلهلة والضعف كما لدى اسحق قومي الذي يكتب مثلاً[١٢٤]:

هيا يا بشرى تعالي　　　نكتـــب الـــدرس
فيه أسماء بلادي　　　فرحـــة العيـــد
هيا يا بشرى تعالي　　　نجلـــس عنـــد
ننظر الزهر الجميل　　　ونشم من رحيقه

أو[١٢٥]:

صـــديقتي ســـعاد　　　هـــل تعرفـــي

---

(١١٦) سا . ص ١٣٤.
(١١٧) لكم تزهر الافكار . درويش.ص ٣١.
(١١٨) سا . ص ٣٤.
(١١٩) سا.ص ٤٠.
(١٢٠) درب القمة . الخواجة . ص ٢٨.
(١٢١) سا . ص ٥٠.
(١٢٢)ر جاء . لوحيشي . ص ١٠.
(١٢٣) سا . ص ١٨.
(١٢٤) أغنيات لبراعم النصر . قومي . ص ٤٨.
(١٢٥) سا . ص ٥٩.

في الغد يا سمير	نـأتي مـع منيـر
حـدثنا إن شـئت	عـــن قســـمة

أو نايف أبو صعب الذي يقول(١٢٦):

وقفت حمامة فوق الأقصى
ورأت خلائــق لا تحصــى
تركـــع.. تســـجد للـــرحمن
دخـل الغـزاة حـرم المسـجد
ضـربوا الخاشــع والمتعبــد
ـــوا هـــذا وجـــر ّوا ذاك
هزئـــوا ببيـــت الله الواحـــد

وقد لفت نظري أن شعراء كثيرين معروفين أو غير معروفين يقعون في خطأ إيقاعي يتكرر مع استخدام تفعيلة " فعِ لن " حيث تتكرر عندهم خمس حركات، وهو أمر ثقيل على السمع،ومما ينكره الشعر العربي قديماً وحديثاً ، بدليل أن وروده يعد حالات نادرة تدل على ضعف لا على قوة، لأنها تقل كلما كان الشاعر متمكناً من الإيقاع، وقد سجلت ورود هذه الظاهرة حتى لدى الشاعر سليمان العيسى الأكثر دراية بأصول الشعر العربي كقوله(١٢٧):

عـــدوا الخمســـه	أســـمع جلبـــه

و(١٢٨):

يـــــا طيــــــاره	خيطـــك بيـــدي

و(١٢٩):

يســــــقي الأرض	ورقـــاً أخضـــر

و(١٣٠):

أقـرأ أشـياء مكتوبـه	قـــرأ قصصـــاً دون

و(١٣١):

فــــرح ســــنابل	مـــوج ســـنابل

و(١٣٢):

تحت الـريح وتحت المطر
نعـــود إلـــيكم مشـــتاقين

و(١٣٣):

---

(١٢٦) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٢/٤٩٤.
(١٢٧) ديوان الأطفال . ص ٣٨٧.
(١٢٨) سا.ص ٥٣٠.
(١٢٩) سا . ص ١٧٥.
(١٣٠) سا . ص ١٧٩.
(١٣١) سا . ص ٥٣٠.
(١٣٢) سا .ص ٦٣٠.

كانـت ليلـى تملـك   ان الحمل ير افق

وتكثر هذه الظاهرة الإيقاعية عند الشاعر شوقي بغدادي كقوله(١٣٤):

حتـى هاجـت ديـدان الحسـد
وأوصـــــال البغضـــــاء
فـــــائتمروا، وانتظـــــروا
حتى نام فذبحوه وتركوه على
وهربـــوا فـــي الظلمـــاء

أو(١٣٥):

كمـن يتـزود لمتابعـة السفـر

أو(١٣٦):

أمـا الشـجرة فظلـت تنتظـر

أو(١٣٧):

يروى عن سلطان في مملكة أن المـرض
وأضـــــــناه ســـــــنين طويلـــــــه
فاختـار جميـع أطبـاء المملكـة وقاسـوا
مـــــــن أوهـــــــام الســـــــلطان

أو(١٣٨):

وفـــد علـــى المملكـــة طبيـــب شـــاب

أو(١٣٩):

تخلـص مـن كـل الأوجـاع
وشـفي مـن المـرض تمامـا

أو(١٤٠):

غـــدا القمــــرِ قريبـــاً

أو(١٤١):

المطر على الحقل   فـي الجبـل وفـي

ويقول علي البتيري من الأردن(١٤٢):

---

(١٣٣) سا . ص ٦٨٥و ٦٨٦.
(١٣٤) عصفور الجنة . بغدادي . ص ٤.
(١٣٥) سا . ص ١٦.
(١٣٦) سا . ص ٢٨.
(١٣٧) القمر على السطوح . بغدادي . ص ٢.
(١٣٨) سا . ص ٢.
(١٣٩) سا . ص ٥ .
(١٤٠) سا . ص ١٨.
(١٤١) مجلة "أسامة" العدد ١٩٨٢/٣١٦.

نقـــرأ نكتــــب ونغنـــــي

وكذلك أحمد سويلم من مصر[١٤٣]:

أو يســبق أحـدهما الآخــر بــين

أو[١٤٤]:

حتـــــى حــــان الليــــل
فصـعد الـديك إلــى أعلــى

أو[١٤٥]:

لو يصبح إنساناً يصدق في العمل
في القول

ويقول محمد منذر لطفي[١٤٦]:

لا تـنس الشـرفة والسـور
يصـــعد فــــي إحكــــام

ثم[١٤٧]:

يا من يعمل تحت الشمس وتحت المطر

ويقول سمير مراد[١٤٨]:

طفــــــل الـــــــثلج
بســـط فــــرش لحافـــاً
مـــــدَّ مـــــــــلاءه

ويقول موفق نادر[١٤٩]:

كالفـارس يمتشـق حسـاماً

و[١٥٠]:

وحقيبـــة كتـــب لنشـــيطة

و[١٥١]:

وإنـدفعي موجـاً مـن　　　**شـلالاً مـن عبـق**

---

(١٤٢) أغنيات للأطفال ١٩٩٤.ص ١٠.
(١٤٣) أطفالنا في ... سويلم . ص ٢٢٤.
(١٤٤) سا . ص ٢٢٤.
(١٤٥) سا .ص ٢٢٧.
(١٤٦) أغنيات للفصول. لطفي. ص ٥٠.
(١٤٧) سا. ص ٥١.
(١٤٨) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٦/٥٣٤.
(١٤٩) عصفور الثلج. نادر. ص ٦٠.
(١٥٠) سا. ص ٦٦ .
(١٥١) سا. ص ١٠٧.

وتقول لينا تقلا(١٥٢):

ورأيـــت الأحمـــر يتمســـح بخـــدود

ولصالح هواري(١٥٣):

وتعيد الفرح إلـى وجـه الكرم اليـابس

وأخيراً لدى عيسى أيوب عندما يقول(١٥٤):

إن المطـــــــــــر هديـــــــــــه

أو(١٥٥):

أحــــــرار ولغتنـــــا الضــــــاد

وفي نهاية هذه الملاحظات أود الإشارة إلى أن بعض الشعراء يعيدون صياغة قصيدة معروفة أم غير معروفة، ومن نماذج ذلك قول حيدر مصطفى(١٥٦):

أنا في الصبح تلميذ وبعد الظهر فلاح

حيـاتي كلهـا عمـل فـلا سـأم ولا ملـل

وهي مأخوذة من قصيدة مشهورة للشاعر محمد الهراوي تبدأ:

أنا في الصبح تلميذ وبعد الظهر نجار

ويقول محمد وليد المصري(١٥٧):

وطنـــــي أشـــجار مثمـــرة

وظـــــــــــــــــــــلال

وســـــــهول خضـــــــــر

وتـــــــــــــــــــــلال

وهي مأخوذة من قصيدة للشاعر سليمان العيسى تبدأ:

وطنـــــي أشـــجار وظـــلال

وترابـــــي قمـــح وغـــلال

وقصيدة موفق نادر التي فيها(١٥٨):

قلـــت للبحـــر: تثـــرْ

وانتظـــر هـــدأة الغـــروب

ليتنــــي عـــدت مـــرة

طفلـــك الصـــاخب اللعـــوب

---

(١٥٢) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٥/٥٢٩.

(١٥٣) سا. العدد ١٩٨٦/٤٠٩.

(١٥٤) داليا. أيوب. ص ٢٨.

(١٥٥) مجلة "الطليعي" شباط ١٩٩٣.

(١٥٦) أغاريد الطفولة. مصطفى . ص ٢٧

(١٥٧) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٩/٥٧١.

(١٥٨) عصفور الثلج . نادر . ص ٥٩.

حـــــــاملاً زورق الــــــــورق

قـــــال لــــــي: آه وانطلـــــق

هذه القصيدة تحيلنا إلى قصيدة عبد الكريم الحيدري:

أيها النهر لا تسر وانتظرني لأتبعك

وقد نشر خضر عكاري قصيدة عن الشهيد يقول منها[١٥٩]:

بحـــة نــــاي خصـــله نـــور

شــــــــــبة نــــــــار

آخـــــر قطـــرة دم ســـــالت

تغســـل تـــرب بـــلادي قالــت

وهي مأخوذة من قصيدة "الشهيد" المنشورة في عام ١٩٨٠في "مجلتي" ثم في كتابي "الأغاني" ص ٥٨ ومنها:

شـــــــــعلة نـــــــــور

شـــــــــعلة نـــــــــار

ثم:

آخـــــر قطـــرة دم ســـــالت

فـــوق تـــراب بـــلادي قالـــت:

الحريـــــــــــــــــه

خيـــــــــر هديـــــــــه

ولسمير مراد قصيدة يقول فيها[١٦٠]:

مـــــن ربـــــاني في الأحضـان ؟

مـــــن يمنحنـــــي كـــل حنـــان

أمـــــــي وأبـــــــي

وهي إعادة تركيب لقصيدة لي فازت كأحسن نص لأغنية أطفال في العراق عام ١٩٧٩، وهي منشورة في "الأغاني" ص ٧٠ وتبدأ هكذا:

مـــن أعطـــاني نهـــر حنـــان

مـــن ربـــاني للأوطـــــــان

أمـــــي... أمـــــي

ونشر خالد الخزرجي قصيدة بعنوان "بساط الفرح" يقول فيها[١٦١]:

طربنـــا.. طربنـــا يـا بسـاط الفـرح

لـــبلاد المنــى والمـــرح

---

(١٥٩) مجلة "أسامة" العدد ١٩٩٥/٥٣٢.

(١٦٠) سا . العدد ٥٢٣/ ١٩٩٥.

(١٦١) الأمل . الخزرجي . ص ٧.

وهي مأخوذة من قصيدة لي منشورة عام ١٩٧٨ في "مجلتي" وكانت مقدمة لبرنامج تلفزيوني للأطفال بعنوان"قطار الفرح" وتبدأ:

ســـرينا.. ســـرينا يـا قطـار الفـرح
واحـك عـن حبنـا نحن قوس قزح

الفصل السادس
خصائص شعر الأطفال

إن شعر الأطفال لون حديث في الأدب العالمي، صارت له سمات عامة وخاصة صاغتها التجارب التي دخلت هذا المعترك الجديد.

وكل النصوص القديمة التي نرجح أنها قيلت أو كتبت لغاية تربوية وعظية لم تأخذ في حسابها الخصائص الطفلية نفسياً أو لغوياً وهذا طبيعي.

فالوعي العلمي بهذه الخصائص وليد حركة التعليم والفكر الحديث، فشعر ترقيص الأطفال الذي عرفناه قديما منذ الجاهلية كان شعراً له سمات شعر الكبار، لكنه حمل بعض العلامات الإيقاعية الراقصة ليس أكثر، ولم يقله أجدادنا بوعي لخصوصية طفلية، بل إننا نرجح أن العقل التقليدي كان يحتقر ثقافة الطفل،ولا يعيرها اهتماماً ، بل يعد الطفل كبيراً ، والكثير من المأثورات الشعبية ما زالت تؤكد ذلك، فللطفل نقول "خليك رجل" وللكبير "لا تكون صبي" لا شك أن هذين التعبيرين يلخصان نظرة متخلفة للطفل والطفولة.

لقد سجل محمد عثمان جلال رائد الكتابة للأطفال العرب كيف رمى الخديوي كتاب "العيون اليواقظ" في وجه من أهداه له احتقاراً لعمل فيه حكايات صبيانية، فقال جلال(١):

"فبعت حماري وبقية ما أملك، وقد ركبني الهم والغم فقلت:

إجي المحال عبيطُ آخر الزمر طيطُ
والنـــاس فاثنـــان ـــروّ ج وقلـــيطُ
والعلـــم مـــن غيـــر لا شـــك جهـــل

لكن بعد هذا الحادث بعقود سيكون كتاب "العيون اليواقظ"معتمداً من قبل المعارف في مصر كتاباً مدرسياً ، وسيصبح لعقود أيضاً من أهم مصادر الحكايات الشعرية للأطفال في المدارس الابتدائية العربية.

قدمت هذه المقدمة لأبين كم كانت البداية صعبة،وكم كان الاقتراب من الكتابة للأطفال مثيراً للاستغراب و الاحتقار،لأن هذا اللون من الكتابة تأليفاً وتشجيعاً وانتشاراً يعكس الحالة الحضارية لأي مجتمع. البدايات حملت الكثير

---
(1) العيون اليواقظ . ص ١٠ .

من فكر الكبار ولغتهم الجزلة وأحياناً المقعرة، لذا فإن وضوح الخصائص التي تميز شعر الأطفال سيستغرق عشرات السنين من المحاولات الدؤوبة والمتباعدةلشعراء مثل أحمد شوقي وا ٕبراهيم العرب وعبد الله فريج وجرجس همام وخليل مطران وعبد الكريم الحيدري وا ٕلياس أبي شبكة وكثيرين غيرهم، لكن قد يكون مفيداً أن أمر ببعض النماذج الأولى لنتلمس المسافة التي تفصل بين أجيال الشعراء.

يقول محمد عثمان جلال في حكاية "الثعلب والعنب"(٢):

حكايـة عـن ثعلـب   قـد مـر تحـت
وشاهد العنقود في   لـون كلـون
وغيـره فـي جنبـه   سود مثل الرطب
والجـوع قـد أودى   بد أذان المغرب
ـم يبغـي أكلـة   ـه ولو بالتعب
عـالج مـا أمكنـه   يطلـع فـوق
فـراح مثلمـا أتـى   جوفه في لهب
وقال: هذا حصرم   بته في حلب
والفرق عندي بينه   بين تين العلب
فـإن هـذا أكلـه   شبه لحم الأرنب
ولحـم ذاك مـالح   كالضـرب فـوق
قـال لـه القطـف: لب ابن ثعلب
طـول لسـان فـي   نصر في الذنب

أما محمد الهرواي فهو من أهم المؤسسين لشعر الأطفال، لأنه اقترب كثيراً من الخصائص العامة لهذا الشعر فيقول(٣):

أبـي وأمـي الغاليه   أصـبحتما فـي
تقبيلتـان لكمـا   ـاهرة وخافيـه
إحداهما على فمي   وفـي فـؤادي

وهذا خليل مطران يقول في قصيدة "النظافة"(٤):

قـالوا مـن الإيمـان   ظافـة الأبـدان
لنعمـت العقيـده   العـادة المفيـده
عز الذي افترضـها   وهان من نقضها
فإنمـا النظافـه   مـن ظـاهر
بهـا شـفاء الجسـم   بهـا جـلاء العزم
وهي ضروب جمه   أوصـت بهـا

(٢) سا. ص ٤٩
(3) الطفل الجديد . ص ٧ .
(4) إلى الشباب . ص ٣٢ .

نظافة في الداخل ـني من الغوائلِ
نظافة في الظاهر تحسن في
نظافة في والمغتذى
ما النيل بالبخيل الماء ماء النيلِ
فالبث نظيفاً دائما تمكث قويا سالما

لعل فيما ذكرت من هذه الشواهد ما يضعنا في جو المحاولات المهمة الأولى في شعر الأطفال العربي.

ما أود التركيز عليه هنا هو الحديث عن خصائص شعر الأطفال، وهي مستمدة من المعايير التربوية والنفسية، ومن الأدوات الفنية وطريقة استخدامها عند الشعراء، حيث صار بإمكاننا الحديث عن هذه الخصائص بعد أن نشطت حركة الكتابة للأطفال وعززها صدور عشرات المجلات العربية، وحاجة وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، إضافة إلى الكتب المدرسية التي تطورت كثيراً عن حالتها الأولى، وصارت تراعي أن تضع في دروس النشيد والنصوص الشعرية نماذج تلتزم فيها العذوبة والسهولة، بينما تقع في الكتب التي وضعت في العشرينيات مثلاً قصائد من المعلقات أو الشعر الأموي أو العباسي وهكذا، بينما تكون الكتب للأول أو الثاني الابتدائي.

وعندما أضع هذه الخصائص لا أعني أنها برنامج لا بد أن يلتزم به الشاعر في كل بنوده، بل عنيت من وضع هذه القواعد أنها أسس لقصيدة الطفل الناجحة، وقد يركز شاعر على جانب أكثر من جانب، وقد يهمل أحياناً خصيصة وربما يضيف في بعض الأحيان.

١- الروح الطفولية:

إن المدخل الطبيعي لأي قصيدة مكتوبة للأطفال هو أن تكون حاوية الروح الطفولية، مما يعني ألا نقحم فيها روح الكبار وتصوراتهم، أو همومهم ومشاكلهم، إذ علينا هنا أن ننظر إلى أي أمر من زاوية كوننا أطفالاً أي متمثلين بإبداع طريقة الطفل في التعبير عن الأشياء.

وهنا أرى أن جوهر الخلل في تجاربنا جميعاً يتمثل في نسيان هذه الخصيصة، فنلقي على الطفل بأفكارنا الكبيرة وطريقة تعبيرنا، ولن يكون صعباً أن نحس هنا بعزوف الطفل عن هذه النصوص،وا حساسه الفوري بثقلها وجهامتها.

إن هذه النقطة تحتاج من الجميع أن يدركوا أهمية عالم الطفل وعمقه وغناه، أي علينا أن نعكس المقولة الشائعة البليدة التي تنص على أن ينزل الشاعر إلى مستوى الطفل، بل عليه دائماً أن يرتفع إلى مستوى الطفل.

سآخذ نموذجاً ناجحاً للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد باسم "طيارة الورق"(٥):

ارتفعي ارتفعي ي موجة الهواءِ
ورفرفي واندفعي كالطير في
خيطك ما زال معي ـت تبعدينْ
عقدته بإصبعي ـأين تهربينْ ؟

* * *

إياك أن تميلي ـذيلك الطويلِ

---

(5) الأناشيد . ص ٣١٦.

ـــــدق الخطـــــر

يعلــق بالنخيــل أو ـــق بـــالقمر
ارتفعـــي ارتفعـــي حطي على ار

وكثيراً ما تطالعنا عشرات القصائد المكتوبة للأطفال بسهولة بالغة، لأن أصحابها اعتقدوا أن مجرد امتلاك النظم ونثر الأفكار يميناً وشمالاً سينتج نصاً للطفل، ولو أخلص الشعراء لهذه الخصيصة لتريثوا كثيراً قبل أن يخرجوا نصاً لهذا القارئ الساحر الذي لا يعرف المجاملة في ذوقه وفي التعبير عما يحب ويكره.

٢ – الجملة البسيطة:

إن الشرط اللغوي في غاية الأهمية لأنه من السمات الفنية التي تميز نص الأطفال من نص الكبار، يعرف الشعراء أنهم أثناء الكتابة يعمدون إلى شتى الأساليب وطبيعة أدائها، بل يكون من الجميل أحياناً أن يعمد الشاعر إلى لغته يذكرنا فيها بمفردة أو جملة خبيئة في زوايا تراثنا.. كل هذا مظهر من مظاهر القدرة اللغوية.

مع الطفل تختفي هذه الظاهرة، ولا يبقى منها سوى استثمار الثروة اللغوية من أجل أن تنتج جملة بسيطة، ويمكنني أن ألخص معنى الجملة بأنها الجملة القصيرة والخالية من التقديم والتأخير والاعتراض والبناء للمجهول والحذف والمشتقات العاملة، وكل ما يؤثر على إيصال المعنى وعلى فهم الطفل لما يقرأ، وهذا جانب دقيق وواسع، ولكنني سأضرب لكم أمثلة على ضعف العناية بها الأمر، يقول سليمان العيسى(٦):

وكان الشاعر ابن الغصن صدحلاشلالات يحب منى ويهديها أغانيه الفريدات ويقول(٧):

كان ديوانك ما أحلى أغانيه

ومن قصيدة لممدوح سكاف(٨):

ـمي فـي هـذي البـاردة اللـيلاء
يحيــل الكــون المظلــم كالقــار
ـــــــــــار ضـــــــــياء

ويقول مصطفى عكرمة (٩):

لنـا فـي فـؤاد الفخـار نمتنـا فكنـا الأـزّ

فالجمل السابقة لا علاقة لها بنص مكتوب للطفل، فهي طويلة حتى الترهل في مثال العيسى الأول، والاعتراض أفسد فهم كلمة الكتاب عند الطفل، كذلك الجملة الطويلة المتسلسلة الأوصاف عند سكاف، والصيغة الكلاسيكية عند عكرمة.

٣ – المفردة السهلة:

لا تشترط قصيدة الطفل الجملة السهلة وحدها، بل لا بد أن تكون المفردة سهلة بحد ذاتها، وهذا يتطلب من الشاعر أن ينمي حصيلته اللغوية، وفهمه لخصوصية هذا اللون حتى لا يحشو قصيدته بمفردات تعيق الفهم.

---

(6) ديوان الأطفال . ص ٣٢٦.
(7) سا . ص ٣٣٠ .
(8) شواطئ بلادي . ص ٦٢.
(9) أنا وأبي . ص ٤٦.

من المهم أن يأخذ الشاعر علماً بما يشبه القاموس اللغوي للطفل، أن يراعي إنماءه بمفردات سهلة جديدة، ولكن إن حصل نادراً وجاء بمفردة صعبة فعليه أن يشرحها.

إن المفردة السهلة عموماً هي التي تشيع في الاستخدام، وفي نص الطفل تحديداً علينا أن نحسن الربط بين المفردة العامية إذا كانت فصيحة الأصل، بل إننا نستخدم المسميات الشعبية للأدوات والألعاب إن لم يكن لها بديل فصيح قريب إلى الذوق.

وفي الممارسة سيلاحظ الشاعر العربي أن لا فكاك من مشكلة تعدد الدلالات بين الأقطار العربية، فلو أخذنا كلمة "الجرار" المفهومة لدى الطفل السوري، فإنها ستكون الساحبة "في العراق" أو "التراكتور" عند آخرين أو "الحراثة" وإذا كانت كلمة سليط شعبية في اليمن فإنهاشديدة الغموض في باقي البلدان العربية، وقيسوا على ذلك كلمات مثل طريق ونهج وفحص وامتحان واختبار وصف وفصل ووظيفة وواجب وفرصة واستراحة إلخ..

لعلنا متفقون على أن الشاعر الجيد يحسن التخلص من هذه الشراك،بل عليه أن يؤدي دوراً لغوياً يعزز شخصية اللغة القومية الأبرز.

إننا لن نقبل استخدام مفردات، ولو كانت في نص مكتوب عام ستة وعشرين وتسعمئة وألف لشاعرنا شفيق جبري الذي يقول في قصيدة للأطفال[١٠]:

مـــــن دمـــــوعي	**وشجوني قلائدي**
طرتـي فـي الفراقـد	**ضـــجعتي فـــي**

ولا أن يقول سليمان العيسى[١١]:

ترشـــــف فنجـــــان القهـــــوةِ

العبقِ

أو شوقي بغدادي في تكراره لكلمة "ن " في قصائده للأطفال.

٤ – الأوزان القصيرة:

دائماً في الطفولة حركة راقصة، وليس في طاقتها ولا في رغبتها أن تميل إلى المد والانتظام، وهذا يتجلى في أغانيهم الشعبية منذ القدم،وصار معروفاً أن قصيدة الطفل لا تكتب مثلاً على البحر الطويل وإن فعلها بعض الرواد، إنما النص الطفلي الناجح يختار الأوزان القصيرة، وهي هنا تتراوح بين مجزوءات الأبحر الشعرية ومشطوراتها ومنهوكاتها.. وقد التفت إلى هذه الخصيصة حتى الرواد، لهذا فنحن نقرأ لأحمد شوقي[١٢]:

حيـــوان خلـــقُ	**ـه عليـك حـقٌّ**
ن كلّ دعه يسترح	**اوه إذا جـــرحْ**
بهيمـــة مســـكين	**ـكو فـلا يبيـنُ**
لســـانه مقطـــوع	**ـا لـه دمـوعُ**

---

(10) نوح العندليب. ص ٩ .

(11) ديوان الأطفال. ص ٣٤٠ .

(12) الشوقيات ٤ / ٣١١.

ولمعروف الرصافي[١٣]:

إنمـــا الشـــمس أصـــل دنيانـــا
إن هـذي الأرض للشـمس هـي البنـت الصـغيره
مـن قـديم ولـدتها بعـد أولاد كثيـره
جسمها قطعة نـار فـــي الأعـــالي

ولأنور العطار عن دمشق[١٤]:

زنبقـــة الصـــحراء يـا فتنـة الوجـود
نشرت في الفضاء روائـــح الخلـــود
يـا متحـف الـدهور ومعرض الألباب
خبــأت للعصـــور سـلافة الأحقـاب

٥- التنويع في الأوزان والقوافي:

لا تكتفي قصيدة الطفل باختيار الوزن القصير، بل تزداد اقتراباً من الطفل، عندما تكسر الرتابة الإيقاعية من خلال تنويع الوزن والقافية، فالتنويع هنا يقوم على إدخال تفعيلة جديدة أو باختلاف تكرار التفاعيل بين شطر وآخر، وهذا يستتبع إغناء القصيدة بأكثر من قافية، وهذا جانب قلما اهتم به الشعراء، لأنه يتطلب مهارة إضافية تعيق الإكثار الشائع فيما ينشر.

وسأضرب لكم هذا المثال الجميل لياسر المالح حيث يقول في "موسيقا الروض"[١٥]:

الطيـــر يغـــرد فـــي مـــرحِ
الغصـــــــن يميـــــــلْ
النهـــــــر يســـــــيلْ
يصـــفق بالمـــاء الفـــرِحِ
لزهـــــــر يفـــــــوحْ
بـــــــالعر يبـــــــوحْ
الســـــر لأوراق خضـــــرِ

* * *

وتطيـــر فراشـــات حيـــرى
هـــــــو برحيـــــــقْ
نفـــــــو وتفيـــــــقْ
وتـــرف بأجنحـــة ســـكرى
شـــــاح حريـــــرْ
ـــــــاه أميـــــرْ

(13) المحفوظات المختارة ٢ / ٨ .
(14) أغاني الديار . ص ٧٤ .
(15) حديقتي . للثالث ٧٣.

الـــــدر بأصــــداف البحـــرِ
* * *
موســـيقا الـــروض أرددهــا
لـــــــى ألحـــــانْ
فـــــام كمـــانْ
أصــحو وأنـــام وأنشـــدها
فيـــــق الكـــــونْ
دي اللـــــــــونْ
ـــالزهر تمـــوج بـــالعطرِ

إن هذا النص لم يكتف بالتنويع الخارجي في الوزن والقافية، بل حوى موازنات داخلية بين المفردات والجمل والأسماء والأفعال إضافة إلى القافية الداخلية في "والنهر يسيل" ثم و"الزهر يفوح" وفي "العطر يبوح" و"بالسر لأوراق خضر" ويتكرر الأمر في المقاطع الباقية.

وأضع أمامكم نصاً آخر لسليمان العيسى هو "الخريف"[(١٦)]:

قـات تطفـر فـي الـدربِ
غيمـة شـقراء الهـدبِ
لــريح أناشـيدُ
لنهـــر تجاعيـــدُ
ـا غيمـة يـا أم المطـرِ
الأرض اشـتاقت فـانهمري
فصـــل خريـــفْ
* * *
عــدنا عــدنا بــدفاترنا
بأغانينــا وبشـــائرنا
البســـمة فـــي شـــفتي
مـــا أحلـــى مدرســـتي
لفصـــل خريـــفْ

وسآخذ مقطعاً من قصيدة "يا شمسنا العالية" لعلي جعفر العلاق"[(١٧)]:

عاليــة.. عاليــة.. عاليــه
يـــا شمســـنا الغاليـــه
ـعي علـــى الـــدروبِ
عشـــب والقلـــوبِ
لـوني الـوردة والسـاقيه
يـــا شمســـنا الغاليـــه.

---

(16) غنوا يا أطفال ٤ / ٢٩ .
(17) مجلتي العدد ٥٢ / ١٩٨٠ .

وبالطبع فالتنويع يشمل الكتابة المتناظرة وشعر التفعيلة معاً .

٦- القصر في النص:

إن قصيدة الطفل لا تحتمل التطويل الحر،كما في الشعر عموماً ، فالتطويل بتكوينه النفسي والجسدي لا يتقبل القصائد الطويلة، لهذا نرى أن طول القصيدة له علاقة بالسن، فتكون قصيرة جداً إذا كتبت لطفل في الروضة، ثم تتسع أكثر مع التقدم في المرحلة العمرية، ويمكن أن نستثني الحكاية الشعرية، فهي قادرة على شد انتباه الطفل أكثر من القصيدة،وفي الأحوال جميعاً يحسن بالشاعر أن يضع نصه في أقل ما يمكن من الكلمات.

إن هذه الخصيصة حظيت بانتباه الشعراء منذ الريادة حتى الآن، وبمستويات مختلفة، فمثلاً عندما كتب محمد الهرواي مجموعة للأطفال الصغار سماها "السمير الصغير" فإنه يقول في نص كامل[١٨]:

إن الـــذي يرتـــب ... اعـــه لا يتعـــبُ
فكــل شـــيء عنـــده ... فـــي موضـــع أعـــده
متـــى يعـــد إليـــه ... جـــده فـــي يديـــهْ
من غير بحث يجهده ... ؛ زمـــان يفقـــدهْ
حسـن نظـام العمـل ... ضـمن نيـل الأمـلِ

وفي نص آخر لمحمد الظاهر يعطي الشكل المعتاد لحجم قصيدة الطفل وهو نص "العجوز والمطر"[١٩]:

جـــدة العجـــوزُ ... ـــول للمطـــرْ
طـل كمـا تشـاءْ ... ـا أيهـا المطـرْ
بيتـي أنـا حديـدُ ... بابـــه حديـــدُ
القمح في الخوابي ... والنـار عنـد بـابي
اهطـل كمـا تشـاء ... ـا أيهـا المطـرْ
هيـا إلـى جـواري ... أحبتـي صـغاري
حكـي مـع المسـاءِ ... كايـة الشـتاءِ
ويعـدها ننـامُ ... هـر الأحـلامُ
اهطـل كمـا تشـاء ... ـا أيهـا المطـرْ

بالطبع ليس هناك أسطر محددة في قصيدة الطفل، ولكنها في الأعم لا تزيد على خمسةعشر سطراً .

وقد أبدع شاعر الأطفال الرائد محمد الهراوي في كتابة نصوص لا تزيد على السطرين والثلاثةوا إليكم نماذج منها "تحية اللقاء"[٢٠]:

هل تعلمون تحيتي ... عند الحضور إليكم؟
أنا إن رأيت جماعة ... قلت "السلام عليكم"

و"قلبي للجميع" حيث يقول[٢١]:

لا تظنـوني صـغيراً ... س قلبي بالصغيرْ
يسـع النـاس ودادا ... ن صـغير وكبيـرْ

---

(18) السمير الصغير . ص ٢٥.

(19) أدب الأطفال في الأردن . ص ١٥٩ .

(20) الطفل الجديد . ص ٥ .

(21) سا . ص ٢١ .

وفي "أب" يقول الهراوي[٢٢]:

أبي امتحني يا أبي ... ي أحرف الهجاءِ
فـــإنني أعرفهـــا ... ــن ألــف ليــاءِ
وأنــت فــي أولهــا ... ــن ألــف وبــاءِ

ويقول جرجس عبد الملك في قصيدة "ترنيمة السرير"[٢٣]:

بهجتـي بـل نـور عينـي ... ت محبـوبي الصـغيرْ
بــدر تــم فــي ســرير ... هنـــا نـــم يـــا أميـــرْ
إذا مـا الشـمس لاحـت ... ـم وغـــرد كـــالهزارْ
وابتســـم كـــالزهر لمـــا ... بلـــي شـــمس النهـــارْ
يــا ملاكــاً فــي ســرير ... ــت عنـــوان الســـلامْ
ربنـا احفـظ لـي حبيبـي ... ســـالماً وقـــ المنـــامْ

٧- الحركة والقص والطرافة:

من المآخذ الكبرى على قصيدة الطفل المبذولة أنها رصف لكلمات وأوصاف وحكم تتوالى، وهذا أمر سهل لكل من يتقن إخراج الكلام موزوناً ، لكن قصيدة الطفل تتطلب أن تكسر رتابة ذلك بإدخال مجموعة من أساليب الأداء اللغوي إضافة إلى جعللهدائماً أشبه بحكاية صغيرة أو تنامٍ لحالات محددة.

لنأخذ مثلاً معشوق حمزة إذ يقول[٢٤]:

ســـــــــحاب
ـل حــرفٍ ... ي كتابِ
يـــــا بــــــلادي
للصــــــباحِ ... للأقــاحي
كـــل حبـــي ... ونـجـاحي
يـــــا بــــــلادي
جبـــــالِ ... ظـــلال
أغنيــــــاتي ... وانفعـالي
يـــــا بــــــلادي

أو نور الدين الهاشمي في قصيدة له[٢٥]:

ا أجمـل الأزهـارْ ... هـو بهـا الصـباحْ
ـدي لنـــا الســـلامْ ... طرهـــا الفـــواحْ
تزورهـــا الطيـــور ... ـداعب الأنســـامْ

(22) سا . ص ٣٣ .
(23) مجموعة الأغاريد . ص ١١.
(24) سلوى تغني . ص ١٩ .
(25) أسامة العدد ٥٧٩ / ١٩٩٩.

وتســـحر العيـــون   نهـــا البســـام

أو قول سليمان العيسى[٢٦]:

داري   داري

ض العـــــــــــــرب

دار قطـــــــــــاري

لـــــــن العـــــرب

مــن تطــوا إلـــى بغـــداد

ـــار قطـــاري يـــا أولاد

ـــل أطفـــالاً وبشـــائر

ي أرجاء الـوطن الساحر

يـــا نركـــب يـــا أطفـــال

حمـــل رايـــات الأبطـــال

في هذه النماذج نلاحظ أن الشاعر يستطيع أن يكتب مئات القصائد على هذا المنوال، حيث القصيدة تخلو من أي تلوين أسلوبي يقضي على الرتابة المملة من العبارات العادية، ويغلب الحشو والجمل الجاهزة والأوصاف الاعتباطية، بينما تحتاج القصيدة حتى تمسك بالطفل إدهاشاً في الصياغة اللغوية والفكرة، فمع معشوق حمزة نستطيع أن نتابع متوالية لا تنتهي من الموجودات لنضيف إليها أخيراً يا بلادي، ومع نور الدين الهاشمي يمكن أن نرصف أية أوصاف ثم ننتهي إلى إخراج قصيدة، وكذلك مع سليمان العيسى إذ يمكننا أن نستغل القطار ونجعله يزور أي مكان، ونتحدث عنه بمجموعة جمل مكرورة، وبعضها قريب من الشعارات العادية.

المأمول من قصيدة الطفل ألا تستسهل هذا العكازات الخارجية لتدخل إلى روح الفن، عندها يمتزج الأسلوب الفني بالمعنى المؤثر المرهف، كما في "العصفور والطفل" لعبد الكريم الحيدري[٢٧]:

ـانـــاً أيهـــا الطفــلُ   دع مـا يفعل النـذلُ

أخــــي لا تمــــش

مـد الكف للبطشِ

ـأفراخي وبـــالعش

فعيشـي بعد لا يحلـو   فرفقـــاً أيهـــا الطفــلُ

تصــــور حــــزن

إذا أخفـاك مخفيكـا

فـــإن الأم تبكيكـــا

وعنك الـدهر لا تسلو   لطفـاً أيهـا الطفـلُ

أما جمال علوش فيعمد في "عصفور" إلى التكثيف اللطيف مع سحر الخاتمة إذ يقول[٢٨]:

---

(26) ديوان الأطفال ص ١١١.

(27) حديقة الأشعار المدرسية . ص ١٣ .

(28) وطني العربي . ص ٧٧ .

ي صبح عذب مسحور
ط على الشرفة عصفور
ـرج في فـرح مزمـار
ـمعنا أحلـى الأشـعار
قـال: بـاح الخيـر وطـار

وأستطيع هنا أن ألخص الأمر بحاجة العبارات إلى الجدة والدهشة،وألا نتوقع تماماً الصفات والجمل والنهايات، وألا نشعر أن الكلام في القصيدة هو استمرار للكلام العام الشائع، فالشعر عموماً حرب على الجاهز والسائد، واكتشاف للدهشة في كل شيء.

الشاعر أسلوبياً عليه أن ينتقل من الجمل الخبرية إلى أنواع الطلبوقد يعمد إلى الحوار حيناً وا ٕلى المفارقات والتضاد والتوازي وهكذا.. لأن مجموع هذه المهارات ستكون درساً للطفل نفسه في الأداء التعبيري المبدع، وهنا من المناسب أن أنقل هذا المقطع لموفق نادر[٢٩]:

فـرح حلـو يغمـر نفسـي
لحظــــــة قـــــــالوا
وطننـا عنـوان الـدرس
لا لـن أنسـى يـا مدرسـتي
طبـت مسـاء يـا مسـطرتي
هيـا نلعـب فـوق الـورق
نرسـم بـالنور المنبثـق
ـم قشـاً وسـط دوائـر
نجعلـه عشـاً للطـائر.

إن الطرافة تنبع من بين هذه الجمل، مما يجعلها تشد قارئها فهنالك ما هو منتظر من الجمل، ولكنه منتظر جديد، ثم العلاقة الخفية والجميلة بين العش والوطن والطائر والطفل.

ومما تحسن الإشارة إليه زيادة الطرافة في النص، ومن الجمال والنجاح أن تمتزج الطرافة بروح الفكاهة التي تسحر الطفل كثيراً ، لهذا فهو لن ينسى مثلاً أن يقرأ هذا الشعر لحامد حسن[٣٠]:

ر قطي مثل شعري أملس	ـاعم لكـن قطـي شـرس
إن تبـاهى قـال: جـدي نمـر	ـه الفهـد وخـالي الـنمس
خنـق العصـفور لمـا غفلـوا	وتعشـى الجـبن لمـا نعسـوا
يتـوارى فـي الزوايـا هاربـاً	ـا دق علينـا الجـرس
ا ٕذا مـر علـى حارتنـا	فر الشرطي وصاح الحرس
قـال قـوم: حطمـوا أنيابـه	ـإذا حطـم لا يفتـرس
قلـت: هـذا طبعـه. قـالوا إذن	ما الذي نصنع ؟ قلت: احترسوا

(29) الغيمة تمرح . ص ١٧.
(30) أسامة ٧٩ / ١٩٧٢ .

٨- **الابتعاد عن الضرورات الشعرية:**

إذا كان الشعراء أمراء الكلام يتصرفون به كما يشاؤون كما يقول جدنا الفراهيدي، فهو لا يصح على شاعر يكتب قصيدة الأطفال، فهناك أكثر من سبب يدفعنا إلى تأصيل هذه الخصيصة، لأن الضرورات الشعرية باب واسع، يختلط فيه الإيقاعي بالنحوي والصرفي،بينما نهدف من نص الطفل أن يؤدي دوراً في إكساب الطفل لغة عربية صافية قدر الإمكان، والشعر كما تعرفون وفي كل لغة له خصوصية التفنن بالخروج على بعض القواعد، هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى، فانسجاماً مع الناحية الإيقاعية التي نحرص على توفرها في شعر الأطفال، لأن الطفل لا يجيد القراءة بتنوعاتها، بل هو يقرأ حسب الأصول التي تعلمها، فهو إن وجد فتحة في آخر كلمة لا يحولها إلى ألف والعكس صحيح، إلا في الأماكن المعروفة في أصول القراءة..

إذاً من غير اللائق أن تحوي قصيدة الطفل ضرورات شعرية،بل عليها أن تقدم نصاً يقرأ قراءة أصولية بعيداً عما يجوز في الضرورة، هذا أمر يخص شعر الطفولة، وينسجم مع المبدأ التعليمي.

إذاً ليس من الجميل في شعر مكتوب للطفل أن نقرأ تحدِّي بدل تحدَّي كما في نص لمصطفى عكرمة[٣١]:

بيـــدي صـــنعتك فـــانطلقي   وتحـدِّي الغيمـة فـي الأفـق

أو جعل الفتحة ألفاً كما لدى وليد مشوح [٣٢]:

لا تكـــذب ســـراً أو علنـــا   تبـق فـي النـاس المؤتمنـا

أو تحويل همزة الوصل إلى قطع للشاعر نفسه[٣٣]:

ربـاك طفـلاً ولـم يبخـل براحتـه   أعطاك إسماً لتزهو فيه نشوانا

أو تحويل الياء إلى كسرة كما لدى جمال علوش[٣٤]:

ـــه صـــبحاً وأطيـــرْ
ء الكـون الزاهـي أطيـرْ
أحيـــي أحيـــي الأطفـــالْ
ـــناع الآتـــي الأبطـــالْ

ولدى موفق نادر في قوله[٣٥]:

نـــربط عقدتـــه بالـــذهب   ونحيِّـــي معلمنـــا العربـــي

٩- **التركيز على الجرس الموسيقي والأصوات:**

في شعر الأطفال تزداد الحاجة إلى الناحية الصوتية إيقاعاً ، لما لذلك من علاقة بالحاجة الطبيعية للأطفال، فإن تأثير الإيقاعات عليهم كبير جداً ، وكلنا يلاحظ كيف يحاول الطفل أن يوقع في كل الحالات حتى عند الطعام والكتابة بصوته ويديه ورجليه، لهذا فالغنى الإيقاعي أمر شديد الأهمية، وهو لا يتعلق هنا بالوزن والقافية، ولكنه شيء آخر يضاف إليهما، كاستخدام

(31) أسامة ١٨٥/ ١٩٨٢.
(32) أناشيد المجد . ص ٦٥ .
(33) سا . ٦٧ .
(34) وطني العربي . ص ٦٦ .
(35) عصفور الثلج . ص ٦٧ .

أصوات محض أو التركيز على الجرس في الكلمة أو بين الكلمات،فقصيدة الطفل تحتاج إلى ما فعله خالد يوسف مثلاً [٣٦]:

تك تك تك تك   تـك تـك تـاك

طلـع الفجـر   لـى الشـبـّاك

وقول نجاة قصاب حسن في "الساعة"[٣٧]:

تـك تـك تـك تـك

مثــل الســـاعة   تـك تـك تـك تـك

أبـــداً دومـــاً   ـــب وقتـــكْ

وكما في قصيدة لنهاد الطرزي[٣٨]:

ــان الــــدرسُ   الجــــــــرسْ

ــــوته جميـــلُ   ـــا لـــه مثيـــلُ

دن   دن   دن

جــرس يــرنْ   فـــي الأذن يطـــنٌ

دن   دن   دن

وكما في قصيدة " الراعي " لركان الصفدي[٣٩]:

غنــــى النـــاي   أي يـــاي يـــاي

بـين أنامـل هـذا

لحـن يحلـو فـي

ويستخدم فاروق سلوم علامات السلم الموسيقي فيقول[٤٠]:

دو ري مـــــــي   فـا صـول لا سـي

حلو منر كرّاسي

أما العناية بالجرس في الكلمة والجملة فهو باب طريف دقيق، كل شاعر يستطيع أن يخلق العلاقات المتبادلة بين الأحرف لتؤدي هذا الجانب، لما يحتاجه الأمر من عناية وتدقيق في بناء القصيدة.

وقصيدة ياسر المالح التي مرت معنا نموذج جميل في هذا الباب، ولمهد الهراوي نص للأطفال الصغار جداً منه[٤١]:

ألـــــف ألـــــف   نظمـــــت إبـــره

بـــــاء بـــــاء   لفـــت بكـــــره

تـــــاء تـــــاء   أكلـــت تمـــره

جـــيم جـــيم   مـــــلأت جـــره

وهكذا.. سأختم بنص لم أعثر على اسم قائله وهو بعنوان "المطر"وا ٍن كنت أظن أنه لجميل سلطان وهو من

---

(36) تك . تك . تاك . ص ٣٧ .

(37) الأناشيد . ص ٤٧٩.

(38) التربية الموسيقية . ص ١٢٣ .

(39) النافذة . ص ٢١.

(40) قوس قزح . ص ٤ .

(41) السمير الصغير . ص ٢٥ .

القصائد الساحرة[٤٢]:

ـــال المطـــــرُ	اســـمع صـــوتي
أنهمـــــــــرُ	ـــول البيـــتِ
اســـمع لحنـــي	إذ أنصـــــــــبٌ
هـــذا منـــي	ـــن عـــذبُ
لـــر انظـــرْ	وقـــع القطـــره
ـــوق الأنهـــرْ	مثـــل العبـــره
مـــائي يجـــري	ـــوق الـــروضِ
مـــائي يســـري	حـــــت الأرضِ
مـــائي يحيـــي	قلـــب الـــزرعِ
مـــائي يغنـــي	عـــين النبـــعِ
مـــائي رفـــد	لأنهـــــــــارِ
مـــائي عقـــد	لأزهـــــــــارِ
هـــذي الـــدنيا	مـــن خيراتـــي
كـــل يحيـــا	مـــن قطراتـــي

١٠- التكرار:

هذه الخصيصة محببة وملموسة في القصائد الناجحة للأطفال، إذ قلما يخلو نص جميل من التكرار، وهو على عكس باقي الخصائص قد لا يكون ضرورياً في كل قصيدة، لكنه مطلوب عموماً، فهو يستجيب لعدة احتياجات، فللطفل رغبة ومتعة في التكرار، إضافة إلى الهدف المعنوي، ثم الهدف الإيقاعي، إلا أن التكرار الذي أعنيه هو التكرار المبدع الجميل الذي يؤدي وظيفة واضحة في النص، كما في نص "رقص الثلج" لشاعر أظنه كاتب قصيدة "المطر" نفسه[٤٣]:

رقصـــاً رقصـــاً	قطـــع الـــثلجِ
هيـــا غطـــي	وجـــه المـــرجِ
دوري.. دوري	العصـــــــفورِ
هيـــا ارتـــاحي	ـــوق الـــدورِ
هيـــا صـــبي	ـــو الســـهلِ
هـــذي قطـــعٌ	ثـــل الفـــلِّ
هيـــا نصـــنعْ	منهـــا كـــتلا
يـــا نجعـــلْ	منهـــا رجـــلا

١١- التعليمية:

لن نجادل في أن ما كتب للطفل عليه أن يكون شعراً حقيقياً، بمعنى أنه يحوي خيالاً ودهشة وعذوبة في صياغات

(42) الجديد . للثاني . ص ١٢٣ .

(43) سا . ص ١٢٧ .

أسلوبية ماهرة، إلا أن ما يميز شعر الأطفال من غيره هو احتواؤه دائماً على هدف تعليمي مؤكد، ولا أعني هنا أن تتحول القصيدة إلى منظومة تعليمية في الوطنية أو الجغرافيا أو العلوم،فهذا يهبط بها فنياً ، لكنني قصدت أن النص الناجح للطفل يحمل في داخله معلومة مفيدة علمياً أو تربوياً أو صحياً إلخ.. لأن شعر الأطفال يختلف عن الشعر بمعناه العام بكونه مكتوباً بقصدية واضحة، أي أن قصيدة الطفل لا تأتي كحالة شعرية من الوجدان الخاص الذي يعيشه الشاعر، ولكنها تتبع من فكرة واضحة لدى المبدع، ينطلق منها إلى تحقيق الإطار الفني لها.إن قصيدة الأطفال تصنع صنعاً ، ولكنني لا أعني هنا أنها سهلة، بل ربما تكون في غاية الصعوبة لمن جرب أن يكتب المتميز منها، إنني هنا أركز على الحالة الشعرية النوعية في شعر الأطفال، فهو يبدع بكامل الوعي وأرهفه، بينما الشعر عموماً يحتاج إلى تهويم خاص يقترب من الحلم.

وا ٕذا تأملنا ما يكتب من شعر للأطفال لوجدنا أنه يبتعد عن التعليمية المبدعة، وأعني بذلك القصائد التي تقدم المعلومة الجغرافية أو العلمية أو البيئية أو الصحية وغيرها بطريقة جذابة، فمثل هذه القصائد في غاية الصعوبة، وتحتاج إلى ذكاء خاص في الزاوية التي يدخل من خلالها الشاعر إلى موضوعها.

فأكثر الشعراء يميلون إلى القصائد التي لا تقدم سوى مجموعة من العبارات الوصفية المكرورة... فما المانع مثلاً من تقديم قصيدة حتى في الحساب؟ ألم يبدع أحد الرواد وهو محمد الهراوي في هذا الجانب؟ فكتب قصيدة "الحساب" ونصها[٤٤]:

ي في الحساب عددٌ　　　يجري به لساني
به أجيب سائلي　　　ي يوم الامتحانِ
أما أنا فواحد　　　رد من الإنسانِ
واثنان أمي وأبي　　　ي القلب يسكنانِ
وجمعنا ثلاثة　　　لفل ووالدانِ

أرأيتم هذه الرهافة في الجمع بين عذوبة التعبير والأهداف التربوية والتعليمية؟ وأحد روادنا عبد الكريم الحيدري يقول في قصيدة "حسابي"[٥٤]:

أعد في مكانيه　　　إهمي في ثانيهْ　　　ل افلأ ا رعش —
أقول قرش واحد　　　اثنان بعض ماليهْ
ثلاثة أربعة　　　ن قروشي وافيهْ
فخمسة فستة　　　فسبعة، مانيهْ
فتسعة، عشرة　　　حصيتها علانيهْ
ما في حسابي خطأ　　　بحان من هدانيهْ

ختاماً أنبه إلى الكم الذي بات ينتشر من شعر مكتوب للأطفال، وقد خلقته منابر تحتاج إلى من يملأ فراغها من صحف ومجلات ومحطات إذاعة وتلفزة، ودخل في وهم الكثيرين أن شاعر الأطفال مجرد نظام يحسن قول أشياء عادية، وزاد من جهامة الحال أن البعض لا يتورع من الدخول في هذا المجال بعد أن فشل في كتابة ما يصلح للكبار، وأقول بقناعة وعن تجربة إن نص الأطفال يحتاج إلى دراية كبيرة في أدوات الكتابة، لغة وموسيقى وثقافة عامة ومعرفة تربويةوا ٕذا تساهلنا في

---

(44) الطفل الجديد . ص ٢٣.

(45) حديقة الأشعار المدرسية . ص ٧ .

مقاييسنا فإن الأمر سيحول شعر الأطفال إلى ساحة لكل من هب ودب من الفاشلين والأدعياء.

والصورة ليست قاتمة فإن في الوطن العربي عدداً جيداً من الشعراء، وهناك تجارب مهمة تتواصل، وأوهام كبيرة تتبدد حول شعر الأطفال وشعرائهموا ٕني من المؤمنين بحكم الزمن العادل في أي نتاج، حيث وحده يجلو صور الإبداع الحقيقي ولو بعد حين.

الخاتمة

فيما سبق قدمت صورة شاملة لتاريخ شعر الأطفال وتطوره وقضاياه في البلدان العربية التي أومن أن الشعر والأدب عموماً من أهم مظاهر انتمائها القومي.

وبدا واضحاً أن شعر الأطفال ذو مادة غزيرة أكثر مما يبدو للوهلة الأولىوا ٕن كانت هذه الغزارة لاتلبي شروط الفن والتربية، بل تجعلنا نزداد قناعة بأن هذا الفن تطور ببطء عبر عقود عديدة من الزمن، حتى استطاع أن يأخذ ملامح تؤهله للدخول إلى عالم الشعر والتربية.

ولابد من القول إن هذا البحث المضني لا يستطيع الادعاء أنه جاء كاملاً ، ففي المستطاع أن يضيف آخرون أو يصححوا، إلا أن ما أطمئن إليه هو أنني سعيت جاهداً إلى تغطية هذا الموضوع، ولم أدخر جهداً في المستطاع إلا بذلته.

ومن أهم الفوائد والنتائج التي وصل إليها البحث في رأيي هي:

- التأريخ المنظم للحركة الشعرية الموجهة للأطفال.
- الكشف عن تجارب مجهولة تماماً كما في العديد من القصائد، و مجموعة " روضة الأطفال " للشاعرة السورية جسماني شقرا التي تعد أول شاعرة عربية تؤلف ديواناً للأطفال.
- التقييم والتقويم النقديان للتجارب الشعرية العربية للأطفال.
- النظر إلى التجربة العربية كأجزاء من مشهد شعري واحدوا ٕن اختلفت عطاءاته.
- تجاوز الطريقة الفوضوية التي حكمت التأليف في مجال شعر الأطفال، إلى توثيق المعلومة، وأمانة النقل من المصادر والمراجع، والاعتراف بالجهود السابقة على قلتها.
- إيلاء الجانب الفني عناية خاصة لما لذلك من أثر في الدخول إلى صلب قصيدة الطفل لغةً وا ٕيقاعاً وصوراً وبناء وتربية.
- إن جزءاً من هذه الدراسة يجمع بين البحث الطويل إضافة إلى التجربة الشخصية مع شعر الأطفال كتابة وعملاً طوال أكثر من ربع قرن.
- وقد تعمدت أن أُكثر من النصوص الشعرية لأن الوصول إلى أصولها صعب جداً .

- وكل ما أرجوه أن أكون بعملي هذا قد قدمت خدمة لوطني العربي وأطفاله الذين هم وعده بمستقبل غني بالعلم والعمل والسعادة والعدالة والسلام.

المصادر والمراجع

(اعتمدنا حذف ابن وأبو، وكلمة "بلا" تدل على نقص في مكان أو زمان الطبع أو المؤلف)

- **إبراهيم، حافظ**

ديوان حافظ إبراهيم. جزآن. دار العودة. بيروت ١٩٩٦.

- **الأبشيهي، محمد بن أحمد**

المستطرف. جزآن. المكتبة العصرية. صيدا ١٩٩٦.

- **إبراهيم، إبراهيم عبد الله**

أزاهير الجليل. دمشق ٢٠٠٢. بلا

- **الأحمد، محمد سليمان (بدوي الجبل)**

ديوان بدوي الجبل. دار العودة. بيروت ١٩٧٨.

- **أسبير، محمد خير**

المحفوظات الأخلاقية. المطبعة العلمية. حلب ١٣٥٦هـ.

- **الأسد، ناصر الدين**

محاضرات في الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن. معهد الدراسات العربية العالية. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٥٧.

محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن. سا. ١٩٦١.

- **أسطواني، رشاد وآخرون**

قراءتي. جزآن. للصف الأول. وزارة المعارف. دمشق.بلا.

قراءتي. للصف الثاني. وزارة المعارف. دمشق ١٩٥٥.

- **الأسير، يوسف**

ديوان يوسف الأسير. المطبعة اللبنانية. بيروت ١٣٠٦هـ.

- **أشعار حلوة.**

دار الفكر. عمان ١٩٨٨. بلا.

- **الأصبهاني، أبو داود**

الزهرة. موسوعة الشعر العربي CD.

- **أغنيات للأطفال:**

منشورات وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٤. بلا.

- **أغنيات للأطفال:**

منشورات وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٩. بلا.

- **الأناشيد العصرية:** لطلاب المدارس العراقية. ط٤.

المطبعة العصرية. بغداد ١٩٢٦.

- **الأناشيد المدرسية:**

مطبعة دار السلام. جزآن. بغداد ١٩٢٧. بلا.

- **الأناشيد المدرسية والألعاب:**

مطبعة النجاح. بغداد ١٩٢٩.

- **آل نوري، عبد الله**

قصة التعليم في الكويت في نصف قرن. مطبعة الاستقامة. القاهرة. بلا.

- **أنقار، محمد**

قصص الأطفال بالمغرب. كلية الآداب. طنجة ١٩٩٨.

- **إيكن، جون**

كيف تكتب للأطفال. ترجمة: كاظم سعد الدين. دار ثقافة الاطفال. بغداد ١٩٨٨.

- **أيوب، عيسى**

داليا. مطبعة الأمل. دمشق ١٩٨٩.

ب

- **باعشن، محمد سعيد**

المطالعة العربية. منشورات مكتبة النجاح. جدة ١٣٩٤هـ.

- **با كثير، علي أحمد**

ديوان علي أحمد باكثير. دار المناهل. ط١. بيروت ١٩٧٨.

- **الباني، محمد سعيد**

تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر. مطبعة الحكومة السورية. دمشق ١٩٢٠.

- **البحتري**

ديوان البحتري. أربعة أجزاء. تحقيق: حسن كامل الصيرفي. دار المعارف. القاهرة.

- **بدوي، عبد الرحمن محمد**

كامل كيلاني الرائد لأدب الاطفال. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٣.

كامل الكيلاني وسيرته الذاتية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٩.

- **البرزنجي، عبد القادر نوري**

مقتطفات أدبية لطلبة الإعدادية. مطبعة محمود بك سي. القاهرة ١٣٢٣.

- **بريفش، محمد حسن**

أدب الأطفال أهدافه وسماته. ط٣. دار الرسالة. بيروت ١٩٩٧.

- **بغدادي، شوقي**

عصفور الجنة. كتاب أسامة الشهري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٢.

القمر على السطوح. كتاب أسامة الشهري. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

- **البقاعي، د. شفيق**

الأنواع الادبية. مؤسسة عز الدين. ط١. بيروت ١٩٨٥.

- **البكر، محمود**

أغنيات للأطفال. دار بترا. دمشق ٢٠٠٠.

- **بلا شير، رجيس**

تاريخ الأدب العربي. ترجمة: إبراهيم الكيلاني. ط٢. دار الفكر. دمشق ١٩٨٤.

- **البهمجي، محمد**

القراءة العربية. وزارة المعارف. دمشق. بلا.

- **البواردي، سعد**

أغنية العودة. دار الإشعاع. مطابع الرياض. بلا.

- **البيات، زكريا**

مجموعة الأغاريد. الجزء١. مطبعة الإخلاص. حماه ١٩٢٤.

مجموعة الأغاريد. الجزء ٣. مكتبة الإخلاص الهدف. حماه ١٩٢٤.
نخبة الأغاريد للمدارس الابتدائية (بالاشتراك مع توفيق حمدون) مطبعة التوفيق. دمشق ١٩٢٥.

- **بيدس، خليل**

كتاب العقد الثمين في تربية البنين. المطبعة العثمانية. بعبدا. ١٨٩٨.
كتاب مرآة المعلمين. المطبعة العثمانية. بعبدا ١٨٩٨.

- **البيطار، وهيب (وآخرون)**

اللغة العربية. للصف الخامس. ط ٨. وزارة التربية والتعليم مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية. عمان ١٩٧٤.

- **بيلتو، غادة أحمد**

الديوان الأخير لأبي سلمى. دار طلاس. ط١. دمشق ١٩٨٧.

ت

- **التاجر، عبد الرزاق**

نداء الطفولة. دار الفكر العربي. بيروت ١٩٩٠.

- **الترك، نقولا**

ديوان المعلم الترك. تحقيق: فؤاد أفرام البستاني. وزارة التربية. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٤٩.

- **تره، محمد عبد الرحيم**

زعموا أن.. أو كليلة ودمنة بالصور. مطبعة الاعتماد. القاهرة. بلا.

- **تقلا، سليم**

نبذة من ديوان المرحوم سليم بك تقلا. مطبعة الاهرام. القاهرة ١٨٩٣.

- **تقلا، لينا أسعد**

للأطفال قلبي. دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة ٢٠٠١

- **التقي، أديب**

ديوان التقي. بلا.

- **تلحوق، حكمت**

كنوز الأشعار الذهبية. دار الحداثة. ط١ بيروت ١٩٨٥.

- **أبو تمام، حبيب بن أوس**

الحماسة. شرح وتعليق: أحمد حسن بسج. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٨.

- **توفيق، حسن**

هداية الأطفال. جزآن. ط٦. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٢٥.

ث

- **الثعالبي**

لطائف المعارف. تحقيق.إبراهيم الأبياري وزميله. دار إحياء الكتب العربية بلا.

- **ثعلب، أبو العباس أحمد**

مجالس ثعلب. جزآن. دار العارف. القاهرة ١٩٦٠.

ج

- **الجاجي، محمد أديب**

أدب الأطفال في المنظور الإسلامي. دار عمان. عمان ١٩٩٩.

- **الجاحظ**

البيان والتبيين. أربعة أجزاء. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. بلا.

الحيوان. تحقيق: يحيى الشامي. سبعة أجزاء. دار مكتبة البلال. بيروت ١٩٨٦.

رسائل الجاحظ. مجلدان. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة.

المحاسن والأضداد. شرح: يوسف فرحات. دار الجليل..بيروت ١٩٩٧.

- **الجبان، محمد** (وآخرون)

القراءة الفريدة. ط٤. للثاني. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٣.

- **جبري، شفيق**

نوح العندليب. مطبعة مجمع اللغة العربية. دمشق. بلا.

- **ابن الجزار**

سياسة الصبيان وتدبيرهم. تحقيق: محمد الحبيب الهيلة. دار التونسية للنشر. مطبعة المنار. تونس. ١٩٦٨

- **جعفر، د. عبد الرزاق**

أدب الأطفال. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.

أسطورة الأطفال الشعراء. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢.

الطفل والشعر. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢.

الطفل والكتاب. دار الجيل. ط١. بيروت ١٩٩٢

- **جلال. محمد عثمان**

العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ. تحقيق: عامر البحيري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٧. واطلعنا على طبعتي ١٨٧٠ و١٩٠٦ في مصر.

- **ابن جماعة**

تذكرة السامع في أدب العالم والمتعلم. دار الكتب العلمية. بيروت. بلا.

- **الجم، محمد ناجي**

ديوان الوطنيات. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٩.

- **جمعة، أحمد خليل**

الطفل في ضوء القرآن والسنة والأدب. اليمامة للطباعة والنشر. دمشق – بيروت ٢٠٠١.

- **الجندي، أدهم**

أعلام الأدب والفن. جزآن. مطبعة مجلة صوت سورية. دمشق ١٩٥٤.

- **الجندي، سليم** (وخليل مردم وعبد الكريم وشفيق جبري وحليم دموس)

المستظهر. للرابع. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٤.

- **الجويني، مصطفى**

حول أدب الأطفال، منشأة المعارف. القاهرة ١٩٨٦.

- **جير، فون**

محاسن الأراجيز. ليبزيغ ١٩٠٨.

ح

- **الحاج، د. خالد**

أعلام التربية والمربين. ط١. عمان ١٩٨٩. بلا.

- **الحاجري، طه**

الحياة الأدبية في ليبيا. مطابع دار النشر للجامعات المصرية. القاهرة ١٩٦٢.

- **الحامد، بدر الدين**

ديوان بدر الدين الحامد. جزآن. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٥.

- **الحبال، بدر الدين (وآخرون)**

الكتاب الوحيد لدروس اللغة العربية. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٤٠.

- **الحبسي، راشد بن حميس**

ديوان الحبسي. ط٢.وزارة التراث القومي والثقافة.عُمان ١٩٩٢.

- **أبو حجلة، أميرة**

شعر للأبناء. دار الكندي للنشر والتوزيع. إربد ١٩٩٤.

- **الحداد، الطاهر**

ديوان الحداد. تحقيق: محمد أبو سنينه. الأطلسيه للنشر. تونس ١٩٩٧.

- **الحداد، ندرة**

أوراق الخريف، بروكلن. توبيابرس ١٩٤١.

- **الحيدري، د. علي**

في أدب الأطفال. الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٩.

- **حديقتي. للثالث.**

المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٧. بلا.

- **حديقتي. للرابع.**

مطبعة دار الحياة. دمشق ١٩٦٩. بلا.

- **حسان، حسان محمد**

ابن حزم الأندلسي. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٨٥.

- **حسانين، محمد سمير**

تاريخ تربية الطفل. دار الامل للطباعة. طنطا ١٩٩٧.

- **حسن، عباس**

أزهار الأدب العربي. ثلاثة أجزاء. لجنة التأليف والترجمة. القاهرة ١٩٤٩.

- **حسن، محمد عبد الغني** (ود. عبد العزيز الدسوقي)

روضة المدارس. وزارة الثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥.

- **حسون، رزق الله**

النفثات. دار طباعة استفان أوستن.هارفر د. لندن ١٨٧٦.

- **حسين، د.عبد الرزاق**

رؤية في أدب الأطفال. نادي أبها الأدبي. السعودية ١٩٩٧.

- **الحسيني، زهراء**

الطفل والأدب العربي الحديث. ط١. دار الهادي. بيروت ٢٠٠١.

- **الحصري، ساطع**

مبادئ القراءة الخلدونية. مطبعة شركة التيمس. ط١. البصرة ١٩٢٣.

مساعد القراءة الخلدونية. مطبع دنكور الحديثة. بغداد ١٩٣٤.

- **الحصري، أبو اسحق القيرواني**

زهر الآداب. أربعة أجزاء. ط٤. دار الجيل. بيروت. بلا.

- **الحطيئة**

ديوان الحطيئة. تحقيق: د.نعمان محمد أمين. مطبعة الخانجي. مطبعة المدني. ط١. القاهرة ١٩٨٧.

- **حطيط، فاديا**

أدب الأطفال في لبنان. دار الفكر اللبناني. بيروت ٢٠٠١.

- **الحمادي، سعيد**

الجوانب التربوية في شعر معروف الرصافي (رسالة ماجستير) كلية التربية. دمشق (مخطوط)

- **حمد الله، علي**

أدب الأطفال. وزارة التربية. دمشق ١٩٨٥.

- **حمزة، معشوق**

أحلى من الوردة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٨.

البستان للأطفال. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٥.

سلوى تغني. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

شتلة ليلى. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

عبير وقصائد أخرى. دير الزور ١٩٨٢. بلا.

- **الحموي، محمد ياسين (وزميله)**

المنتخبات للاستظهار. للثالث. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٤.

- **الحنبلي، شاكر**

دروس الاستظهار. للخامس. المكتبة الحفنية. دمشق ١٩٢٣.

دروس الاستظهار. للسادس. المكتبة الحفنية. دمشق ١٩٢٣.

- **الحويزي، عبد الحسين**

ديوان عبد الحسين الحويزي. مطبعة الحياة. بيروت ١٩٦٤.

- **الحيدري، عبد الكريم**

حديقة الاشعار المدرسية. ط٢. مطبعة النصر. حلب. بلا.

المحفوظات الطريفة للصفوف الابتدائية. ط١. مطبعة طباخ. حلب. بلا.

خ

- **الخازن، د. وليم**

الشعر والوطنية. دار المشرق. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٧٩.

- **خرفي، صالح**

شعراء من الجزائر. معهد البحوث والدراسات العربية. مطبعة المعرفة ١٩٦٩. بلا.

- **الخزرجي، خالد**

الأمل. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.

- **خزنه دار، محمد الشاذلي**

ديوان الخزنه دار. الدار التونسية للنشر. مطبعة الاتحاد العام للشغل. تونس ١٩٧٢.

- **خضر، مصطفى**

أنشودة الأرض. دار الحقائق. بيروت ١٩٧٨.
دفتر النهار. دار الحقائق. بيروت ١٩٨٦.
- **الخطيب، إبراهيم**
تقرير حول أدب الأطفال في المغرب. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٩.
- **الخطيب، فؤاد**
ديوان فؤاد الخطيب. دار المعارف. القاهرة ١٩٥٩.
- **الخطيب، محب الدين**
الحديقة. عشرة أجزاء. المطبعة السلفية. القاهرة ١٣٤١-١٣٥٠.
- **الخطيب، محمد كامل**
تكوين النهضة العربية. مطبعة اليازجي. دمشق ٢٠٠١.
- **الخطيب، يوسف**
العيون الظماء للنور. المكتبة العمومية. دمشق ١٩٥٥.
- **ابن خلدون**
المقدمة. دار الكتب العلمية. ط٤. بيروت ١٩٧٨.
- **خليل، محمد أحمد**
المطالعة العلوية. ط١. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٦.
- **خمار، محمد بلقاسم**
من أناشيدنا الوطنية. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر ١٩٩٤.
- **خنسه، وفيق**
أغاني الطفولة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٦.
- **الخواجة، هيثم**
درب القمة. دار ملهم. حمص ١٩٩٢.
- **الخوري، اسكندر**
المثل المنظوم للمدارس. مطبعة بيت المقدس. القدس ١٩٣٨.
العنقود. مطبعة فلسطين العلمية. مطبعة بيت المقدس. بلا.
- **الخوري، بطرس**
المنتقى. مطبعة نجيب كندر. حلب. بلا.
- **الخوري، خليل**
العصر الجديد. ط١. المطبعة السورية ١٨٦٣.
- **الخوري، رشيد سليم (القروي)**
ديوان الشاعر القروي. جزآن. دار المسيرة. بيروت ١٩٧٨.
- **الخولي، عبد البديع عبد العزيز**
التربية والتعليم عند ابن الجوزي. عالم الكتب. القاهرة ١٩٩٠.
- **الخياط، محيي الدين**
دروس القراءة. ثلاثة أجزء المطبعة الاهلية. بيروت ١٣٣٠هـ.
- **خير بك، جابر**
الرياحين. دار المجد. دمشق ١٩٩٢.

د

- **دباغ، سالم**

أدب المعدمين في كتب الأقدمين. مطبعة اللواء. بغداد ١٩٧١.

- **الدبس، يوسف**

مربِّي الصغار ومرقي الكبار. المطبعة العمومية الكاثوليكية. بيروت ١٨٧٩.

- **الدجاني، نهاد صدقي**

فخري البارودي. ط٢. دار طلاس. دمشق ٢٠٠٠.

- **دخل الله، أيوب**

التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي. المكتبة العصرية. بيروت ١٩٩٦. بلا.

- **درويش، نهاد**

لكم تزهر الأفكار. دار ابن كثير. دمشق ١٩٩٧.

دليل أعضاء اتحاد الكتاب العرب. دمشق

- **دموس، حليم**

ديوان حليم. الجزء الأول. مطبعة ديوان الشورى الحربي. دمشق ١٩١٩.

المثالث والمثاني. مطبعة العرفان. صيدا ١٩٢٦.

يقظة الروح. بلا.

- **دهمان، محمد جميل**

كتاب أصول التدريس. مطبعة الترقي. دمشق ١٩١٥.

- **دياب، مفتاح محمد**

مقدمة في أدب الأطفال. ط١. المنشأة العامة. طرابلس ١٩٨٥.

مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال. الدار الدولية للنشر. القاهرة ١٩٩٥.

- **الديري، أسعد**

أغاريد. ٢٠٠٣. بلا.

أغنيات للبراعم الواعدة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.

- **الدينوري، أبو محمد عبد الله.**

عيون الأخبار. أربعة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٥.

- **أبو دية، د. سعد (وزميله)**

الثورة العربية الكبرى (قصائد وأناشيد) دار الفكر. عمان ١٩٨٨.

- **الديوه جي، سعيد**

أشعار الترقيص عند العرب. وزارة الاعلام. بغداد ١٩٧٠.

ر

- **رابح، تركي**

الشيخ عبد الحميد بن باديس. ط٤. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر ١٩٨٤.

- **الرافعي، مصطفى صادق**

شرح ديوان مصطفى الرافعي. أسامة محمد السيد. جزآن. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ١٩٩٣.

- **الرحل، طه حسين**

أنشودة المطر. دار الحسنين. دمشق ١٩٩٩.

- **رحيم، عبد اللطيف**

تسهيل القراءة. مطبعة البلاغة. طرابلس الشام ١٣٤١هـ.

- **رداوي، محمود**

الأدب السعودي في الكتب المدرسية. النادي الأدبي. الرياض ١٩٨٣.

- **رزق، د. يواقيم**

أوراق مصطفى كامل. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٦.

- **الرصافي، معروف**

ديوان الرصافي. خمسة أجزاء. دار المنتظر – الدار العربية للموسوعات. بيروت ١٩٩٩/٢٠٠٠.

- **رضا، جليلة**

اللحن الباكي. مكتبة الخانجي. دار مصر للطباعة ١٩٨٦.

- **الركابي، رمزي (وزميله)**

النفائس. وزارة المعارف. دمشق ١٩٢٩.

- **الرواشدة، حياة**

الحركة الأدبية في بلاد الشام الجنوبية. وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٦.

ز

- **الزاهري، محمد الهادي**

شعراء الجزائر في العصر الحاضر. ط١. المطبعة التونسية. تونس ١٩٢٦.

- **زخريا، يوسف**

ديوان الشيخ يوسف زخريا. بلا.

- **الزركلي، خير الدين**

الأعلام. ١١جزءاً . مؤسسة الرسالة. بلا.

ديوان الزركلي. مؤسسة الرسالة. ط ١. بيروت ١٩٨٠.

- **الزركلي، سليم**

دنيا على الشام. دار العلم للملايين. ط١. بيروت ١٩٦٨.

- **الزعيم، سليم (وزميلاه)**

اللغة العربية في قراءتي. للثاني. وزارة المعارف. المطابع العمومية وفتى العرب. دمشق ١٩٥١.

- **بن زكري، مصطفى**

ديوان مصطفى بن زكري. دار العودة. بيروت ١٩٧٢.

- **زلط، د. أحمد**

أدب الأطفال بين أحمد شوقي ومحمد عثمان جلال. دار النشر للجامعات المصرية. القاهرة ١٩٩٤.

أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي. دار المعارف. القاهرة ١٩٩٤.

رواد أدب الطفل العربي. دار الأرقم. القاهرة ١٩٩٣.

- **زمخشري، طاهر**

أغاريد الصحراء. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٥٨.

- **زناتي، أحمد**

الطريقة الجديدة. ط ١. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٣١٥هـ.

- **الزهاوي، جميل صدقي**

ديوان الزهاوي. دار العودة. بيروت ١٩٧٧.

- **زهوري، بهاء الدين**

الاتجاهات الحديثة في أدب الأطفال. دار المعارف. حمص ١٩٩٤.

- **أبو زويع، إحسان**

القراءة للأطفال. للثالث روضة. شركة فن الطباعة. القاهرة. بلا.

- **الزيات، عبده حسن**

حكايات من لقمان. ج. ماركيت. مطبعة لجنة التأليف. القاهرة ١٩٤٨.

- **زيادة، نقولا**

أعلام عرب محدثون. الأهلية للنشر. بيروت ١٩٩٤.

- **زيدان، إبراهيم**

الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية. ط١٠. المطبعة الرحمانية. القاهرة. بلا.

- **زيدان، جرجي**

مؤلفات جرجي زيدان الكاملة. المجلد ١٥. دار الجليل. بيروت ١٩٨٢.

- **زيعور، د. علي**

التربية وعلم نفس الولد في الذات العربية. ط١. دار الأندلس. بيروت ١٩٨٥.

س

- **سابا، عيسى**

شعراء القصة والوصف في لبنان. دار صادر. بيروت ١٩٦١.

- **السبعي، الصادق (وزميله)**

كتاب القراءة. الجزء الثالث. مطبعة فانزي. تونس. بلا.

- **السبكي، عبد الوهاب**

معيد النعم ومبيد النقم. نشره النجار وأبو العيون. ط١. دار الكتاب العربي ١٩٤٨. بلا.

- **السحاري، مشاري عبد الله**

الشعر في الكويت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط١. الكويت ١٩٧٨.

- **سركيس، وديع**

المجاني الشهية في الحدائق العربية. ط٢. أربعة أجزاء. المطبعة الأدبية. بيروت ١٩٢٢.

- **سري، إنصاف**

روضة الأطفال. أربعة أجزاء. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٤.

- **السطلي، عبد الحفيظ**

ديوان أمية بن أبي الصلت. ط ٢. دمشق ١٩٧٧. بلا.

- **أبو سعد، أحمد**

أشعار وأناشيد مختارة للأطفال. المنشأة العامة للنشر في ليبيا. طرابلس ١٩٨٣.

أغاني ترقيص الأطفال عند العرب. ط ١. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٤.

- **أبو السعود، إلهام**

دليل المعلم في التربية الموسيقية. للأول. وزارة التربية. دمشق ١٩٩٢.

دليل المعلم في التربية الموسيقية. للرابع. وزارة التربية. دمشق ٢٠٠٠.

- **سعيد، نفوسة زكريا**
خرافات لافونتين في الأدب العربي. مؤسسة الثقافة الجامعية. الإسكندرية. بلا.
- **السفرجلاني، عبد الرحمن**
سلسلة المحفوظات العربية. ثلاثة أجزاء. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٢٣.
الاستظهار المصور (بالاشتراك مع جميل وأنور سلطان). مطبعة الترقي. دمشق ١٩٣٤.
- **السقا، مصطفى (وسعيد جودة السحار)**
خرافات إيسوب. دار الكتاب العربي. القاهرة ١٩٤٧.
- **سكاف، ممدوح**
شواطئ بلادي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨١.
نشيد الصباح. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٠.
- **السكاكيني، خليل**
الجديد في القراءة العربية. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الايتام السورية. القدس ١٩٢٨.
سلسلة المحفوظات العربية. جمع وترتيب: أ. ن – م. ن. ط٣. مطبعة المعارف. حلب. بلا.
- **سلطان، جميل (وآخرون)**
الاستظهار المصور. المكتبة الهاشمية. دمشق ١٩٣٧.
الجديد في القراءة والاستظهار. للثاني. المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٦٤.
الجديد في القراءة والاستظهار. للثالث. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٥.
الجديد في القراءة والاستظهار. للخامس. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٤.
الجديد في القراءة والاستظهار. للسادس. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٤.
مستهل الآداب. ط٢. للخامس. المكتبة الهاشمية. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٧٣.
(الكتاب الأخير لسلطان وحده)
- **سلوم، فاروق**
أغاني الحصان. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.
قوس قزح. وزارة الإعلام. بغداد ١٩٧٧.
- **سليم، محمد شريف**
مجموعة من النظم والنثر. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٩.
- **سليم، مريم**
أدب الطفل وثقافته. دار النهضة العربية. بيروت ٢٠٠١.
- **سليمان، موسى**
الأدب القصصي عند العرب. ط ٥. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٨٣.
- **سليمة، محيي الدين وموفق**
أغاريد الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٨٣.
- **السمعاني، عبد الكريم**
أدب الإملاء والاستملاء. تحقيق: ماكس فايسفلر. لندن. بريل ١٩٥٢.
- **السنبل، د. عبد العزيز (وزملاؤه)**
نظام التعليم في المملكة العربية السعودية. ط ٣. كلية التربية. جامعة الملك سعود. الرياض ١٩٩٢.
- **سنكري، د. محمد فائز**

شعر ابن الهبارية. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٧.
ابن الهبارية: حياته وأدبه (رسالة ماجستير مخطوطة) جامعة حلب ١٩٨٣.

- **سويلم، أحمد**

أطفالنا في عيون الشعراء. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٨.

- **ابن سينا**

القانون. مطبعة بولاق. القاهرة ١٢٩٤هـ.

- **السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن**

المزهر. مجلدان. البابي الحلبي. بلا.

ش

- **أبو شادي، أحمد زكي**

الشفق الباكي. المطبعة السلفية. القاهرة ١٩٢٦.

- **الشافعي**

ديوان الإمام الشافعي. محمد عبد الرحيم. دار الفكر. بيروت ١٩٩٥.

- **شاكوج، أديب (وآخرون)**

اللغة العربية. ط٥. وزارة المعارف. دمشق ١٩٥١.

- **أبو شبكة، الياس**

الأعمال الشعرية الكاملة. دار العودة. بيروت ١٩٩٩.

- **شبلول، أحمد**

أشجار الشارع. دار النشر. عمان ١٩٩٤.

- **شحاتة، د. حسن**

أدب الطفل العربي. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة ١٩٩١.

- **الشدياق، أحمد فارس**

اللفيف في كل معنى طريف. ط ٢. مطبعة الجوائب. قسطنطينة ١٢٩٩هـ

- **الشرقاوي، علي**

مفتاح الخير. المطبعة الحكومية. المحرق. البحرين. بلا.

- **الشرقي، علي**

ديوان علي الشرقي. جمع وتحقيق: د. إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي.
دار الشؤون الثقافية العامة. ط ٢. بغداد ١٩٨٦.

- **الشعبي، مهند**

فيروز تغني. دمشق ١٩٩٩. بلا.
في قضايا الطفل العربي. دار النمير. دمشق ٢٠٠٠.

- **شعراوي، إبراهيم**

عبد التواب يوسف وشعر الأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠١.
الشعر النسائي العصري. ط١. دار الترقي. القاهرة ١٩٢٩.

- **شقرا، جسماني**

روضة الأطفال. المطبعة الأدبية. ط١. بيروت ١٩٣٢.

* **شكر، شاكر هادي**

الحيوان في الأدب العربي. ثلاثة أجزاء. مكتبة النهضة العربية. بيروت ١٩٨٥.

* **شلبي، د. أحمد**

تاريخ التربية الاسلامية. ط٣. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٦.

* **شلحت، جرجس**

النخبة من أمثال فنلون. المطبعة المارونية. حلب ١٩١٠.

* **شماس، جاك صبري**

الأصوات. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩١.

* **الشماس، د. عيسى**

غنوا معي. دار الينابيع. دمشق ١٩٩٤.

* **شمس الدين، عبد الامير**

الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق. الشركة العالمية للكتاب. بيروت ١٩٩١.

الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي. الشركة العالمية للكتاب. بيروت ١٩٩٠.

الفكر التربوي عند ابن طفيل. دار اقرأ. بيروت ١٩٨٤.

الفكر التربوي عند ابن المقفع – الجاحظ – عبد الحميد الكاتب. دار اقرأ. بيروت ١٩٨٥.

* **الشمعة، هشام (وكامل القدسي)**

النشيد والموسيقا. وزارة التربية. المطبعة التعاونية. دمشق ١٩٦٨.

* **شوقي، أحمد**

الشوقيات. ط ١. مطبعة الآداب والمؤيد. القاهرة ١٨٨٩.

الشوقيات. أربعة أجزاء. المكتبة التجارية الكبرى. طبع دار الكتاب العربي. بيروت.بلا.

الشوقيات للمدارس. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٧.

منتخبات من شعر شوقي في الحيوان. المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة ١٩٤٩.

* **شويكي. بهيرة (وزميلاها)**

قراءتي. للرابع. وزارة التربية والتعليم. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٥٩.

* **الشيال، د. جمال الدين**

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد علي. مطبعة الاعتماد. القاهرة ١٩٥١.

رفاعة الطهطاوي. دار المعارف. القاهرة ١٩٥١.

ص

* **صابونجي، لويس**

كتاب أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية. بيروت ١٨٦٦. بلا.

* **صادر، سليم**

سلاسل القراءة. ستة أجزاء. بيروت ١٩١١– ١٩١٣. بلا.

سلم القراءة. المكتبة العمومية. بيروت ١٩١٣.

القلادة الذهبية في المنتخبات التهذيبية. المطبعة العلمية. بيروت ١٩١٢.

* **صادر، يوسف**

كتاب القراءة للبنات. المكتبة العمومية. بيروت ١٩١٠.

* **صالح، رشدي**

رفاعة الطهطاوي. ط ١. دار الفكر. بيروت ١٩٧٨.

- **الصالحي، د. عباس مصطفى**

الصيد والطرد في الشعر العربي. ط ١. المؤسسة الجامعية. بيروت ١٩٨١.

- **الصباح، عواطف**

الشعر الكويتي الحديث. جامعة الكويت. الكويت ١٩٧٣.

- **صبري، عبد الفتاح وعلي عمر**

القراءة الرشيدة. أربعة أجزاء. ط ٩. القاهرة ١٩٢٧. بلا.

- **صبيح، د. إبراهيم محمد**

الطفولة في الشعر العربي الحديث. ط ١. دار الثقافة. الدوحة ١٩٨٥.

- **الصفدي، بيان**

الأغاني. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٢.

- **الصفدي، ركان**

أحلام أنمار. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.
النافذة. دار الينابيع. دمشق. بلا.

- **صفير، يوسف**

ترقي الصغار. جزآن. مطبعة الآداب. بيروت ١٩٢١.

- **الصقال، ميخائيل بن أنطون**

ديوان ميخائيل الصقال. مطبعة العصرالجديد. حلب ١٩٢٥.

- **الصقلي، محمد بن مظفر**

أنباء نجباء الأبناء. مطبعة التقدم. ط ١. القاهرة. بلا.

- **أبي الصلت، أمية بن**

ديوان أمية بن أبي الصلت. صنعة: د.عبد الحفيظ السطلي. ط ٢. بلا.

- **صواف، مصطفى (وزميلاه)**

أغاني الديار. وزارة المعارف. دمشق ١٩٤٩.
علم الموسيقى (مع حمدي الزركلي) المطبعة الحديثة. دمشق ١٩٢٧.

- **الصولي، أبو بكر**

الأوراق. عني بجمعه: هواررث.ج. دن.بلا.

ض

- **ضيف، شوقي**

الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور. دار المعارف. القاهرة ١٩٧٧.

ط

- **الطرابلسي، أكرم (وآخرون)**

المنتخب في دروس القراءة والاستظهار. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٥٥.

- **طراد، أسعد**

نبذة من ديوان أسعد طراد. المطبعة التجارية. الإسكندرية ١٨٩٩.

- **طربين، حمدي**

دروس الموسيقى والألحان. للثاني. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٣٦.

- **طلس، د. محمد أسعد**

التربية والتعليم في الإسلام. دار الفكر للملايين. ط١بيروت ١٩٥٧.

- **طعمية، رشدي أحمد**

أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية. دار الفكر العربي. القاهرة ١٩٩٨.

- **الطهطاوي، رفاعة**

تلخيص الإبريز إلى تلخيص باريز. دار التقدم. مصر ١٩٠٥.

المرشد الأمين للبنات والبنين. ط ١. مطبعة المدارس الملكية. القاهرة ١٢٨٩هـ.

- **طوطح، خليل**

التربية عند العرب. المطبعة التجارية. القدس. بلا.

- **طوقان، ابراهيم**

ديوان إبراهيم. ط ٢. دار الآداب. بيروت ١٩٦٦.

- **الطيب، عبد الله**

السندباد. دار الفكر. دمشق ١٩٨١.

- **طيفور، أبو الفضل أحمد**

كتاب بلاغات النساء. اعتنى به: بركات هبود. المكتبة العصرية. صيدا ٢٠٠١.

ظ

- **الظاهر، محمد**

أغنيات للوطن. دار الشروق. عمان ١٩٨٣.

دلال المغربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٨٣.

- **ظبيان، تيسير**

الفردوس. الجزء الأول. ط ١. مطبعة الصداقة ١٣٤٢هـ.بلا.

- **ظبيان، نشأت**

حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام. مطبعة سميراميس. دمشق ١٩٧٦.

ع

- **عاشور، نعمان**

رفاعة الطهطاوي أو بشير التقدم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٤.

- **العاني، زكي ذاكر**

شعر ربيعة الرقي. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٠.

- **العائدي، د. أحمد منيف**

الدروس التأسيسية. مطبعة الترقي. دمشق ١٣٣٤هـ.

- **عباس، أحمد علي (وعباس حسن)**

المحفوظات المختارة. أربعة أجزاء. ط٢. المطبعة الحديثة. القاهرة ١٩٣١.

- **أبو عباه، إبراهيم**

شدو الطفولة. دار العبيكان. الرياض ١٩٨٧.

- **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف**

جامع بيان العلم وفضله. ط ٣. الجزء الأول. دار الجوزي. السعودية ١٩٩٧.

- **عبد الجواد، محمد**

دروس التهذيب لمدارس روضة الأطفال. المطبعة السلفية. القاهرة ١٩٢٣.

- **ابن عبد ربه**

العقد الفريد. سبعة أجزاء. أحمد أمين وزميلاه. منشورات دار الكتاب العربي. بيروت ١٩٨٢.

- **عبد الفتاح، إسماعيل**

أدب الأطفال في العالم المعاصر. مكتبة الدار العربية للكتاب. القاهرة ٢٠٠٠.

- **عبد القادر، حامد**

القصص الحيواني وكتاب كليلة ودمنة. مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة ١٩٥٠.

- **عبد الكريم، د. أحمد**

تاريخ التعليم في عصر محمد علي. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٣٨.

- **عبد الله، د. محمد حسن**

ديوان الشعر الكويتي. وكالة المطبوعات. الكويت. بلا.

- **عبد اللطيف، محمود السيد**

فرائد الإنشاء. المطبعة الحديثة. القاهرة ١٩٣٠.

- **عبدالله، حسن**

البناء. دار الحدائق. بيروت ٢٠٠٢.

صياد السمك. دارالحدائق. بيروت ٢٠٠٢.

- **عبد المجيد، عبد العزيز**

مجموعة المطالعة المصورة. جزآن. البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٨.

- **عبد الملك، جرجس**

سلم القراءة الحديث. خمسة أجزاء. بيروت.بلا.

قاعدة السلم. المطبعة العباسيه. بيروت ١٣٣٨هـ.

- **عبد الواحد، عبد الرزاق**

قصائد للأطفال. رئاسة تحرير مجلتي والمزمار. بغداد ١٩٧٥.

النهر والبستان. رئاسة تحرير مجلتي والمزمار. بغداد ١٩٧٤.

- **عبد الوهاب، حسني**

المنتخبات التونسية للناشئة المدرسية. المطبعة التونسية. تونس ١٣٣٦هـ.

- **عبود، مارون**

مؤلفات مارون عبود. المجلد الثاني. دار مارون عبود. بيروت ١٩٨٦.

- **العبيد، عبد الرحمن**

الأدب الخليج العربي. مطبعة الإنشاء. دمشق ١٩٥٧.

- **ابن العديم**

الدراري في الذراري. مطبعة الجوائب. قسنطينة ١٢٩٨هـ.

- **العرب، إبراهيم**

آداب العرب. نظارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١١.

- **ابن عربشاه، أحمد بن محمد**

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء. دير الآباء الدومنكيين. الموصل ١٨٦٩.

- **عرفة، محمد ياسين**

ديوان الثورة. المطبعة العربية. القاهرة ١٩٢٦.

- **العريض، إبراهيم**

شموع. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٥٦.
العرائس. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٤٦.
ملحمة أرض الشهداء. دار العلم للملايين. مطابع الكشاف. بيروت ١٩٥٦.

- **عزوز، مصطفى**

براعم الأدب. دار بو سلامة للطباعة. ط ٢. تونس ١٩٨٥.
العصافير. الشركةالتونسية للتوزيع. تونس ١٩٨٥.

- **عزيز، د. سامي**

صحافة الأطفال. عالم الكتب. القاهرة ١٩٧٠.

- **العطار، أنور**

ظلال الأيام. مطبعة البرهاني. دمشق ١٩٤٨.

- **عفيفي، محمد الصادق (وزميله)**

الأدب المغربي. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٦٠.

- **العقاد، عباس**

ديوان العقاد. دار العودة. بيروت ١٩٨٨.

- **عقل، وديع**

ديوان وديع عقل ١٩٤٠. بلا.

- **العقيلي، مجدي**

الأناشيد القومية الحديثة. بلا.
منتخبات أناشيد العروبة. مطبعة الشباب. حلب ١٩٥٠.
موسيقى وأغاريد الطفولة. مطبعة الاتحاد. الإسماعيلية ١٩٥٢.

- **عكاري، خضر**

أناشيد للطفولة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٧.

- **عكرمة، مصطفى**

أجمل ما غنى الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٨٧.
أحباب الله. الشرق الأوسط. جدة ١٩٩٣.
أنا وأبي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

- **علوش، جمال عبد الجبار**

لمن يغني النهر ؟. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٦.
وطني العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩١.

- **علي، محمد محمد**

الشعر السوداني في المعارك السياسية. مطبعة النهضة الجديدة. القاهرة ١٩٦٩.

- **علي، د. سعيد إسماعيل**

تاريخ التربية والتعليم في مصر. عالم الكتب. القاهرة ١٩٨٥.
الفكر التربوي العربي الحديث. سلسلة عالم الفكر. مطابع الرسالة. الكويت ١٩٨٧.

- **عمر، محمود أفندي**

رسالة أدب الناشئ للمدارس الابتدائية. ط ٢. المطبعة الشرقية. القاهرة ١٣٠١هـ.

- **أبو عمشة، عادل**

قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث. دار الجليل – عمار. عمان – بيروت ١٩٨٧.

- **العناني، حنان**

أدب الأطفال. ط ٢ دار الفكر. عمان ١٩٩٢.

- **عنجوري، سليم**

بدائع ماروت. مطبعة القديس جلورجيوس. بيروت ١٨٨٦.

الجوهر الفرد. المطبعة الشرقية. بيروت ١٩٠٤.

سحر هاروت. المطبعة الحفنية. دمشق ١٨٨٥.

- **العوامري، أحمد (وآخرون)**

المطالعة المختارة. جزآن. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٣٧.

المطالعة المختارة للمدارس الابتدائية. أربعة أجزاء. مكتبة الهلال. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٣٧.

- **عوض، أحمدعبد التواب**

الترقيص والغناء للأطفال عند العرب. دار الفضيلة. القاهرة ١٩٩٦.

- **عياش، عبد القادر**

معجم المؤلفين السوريين. دار الفكر. دمشق ١٩٨٥.

- **عيسى، د. أحمد**

الغناء للأطفال عند العرب. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٣٦.

- **عيسى، بهاء الدين (وزميلاه)**

القراءة والاستظهار. للثاني. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٥٩.

- **العيسى، سليمان**

الأناشيد. الجزء الأول (بالاشتراك مع كامل القدسي) وزارة التربية. دمشق ١٩٨١.

ديوان الأطفال. دار الفكر. دمشق ١٩٩٩.

غنوا يا أطفال. عشرة أجزاء. دار الآداب. بيروت ١٩٧٨.

غ

- **غرايبة، د. عبد الكريم**

سورية في القرن التاسع عشر. دار الجيل للطباعة ومعهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٢.

- **غرموس، عبد المعطي (وزميله)**

أدب الأطفال. دار الكندي. إربد ٢٠٠٠.

- **غريب، روز**

نسمات وأعاصير في الشعر النسائي. المؤسسة العربية للدراسات. ط١. بيروت ١٩٨٠.

- **الغلاييني، مصطفى**

ديوان مصطفى الغلاييني، حيفا. ١٩٢٥.

- **غنيم، محمود**

الأعمال الكاملة. ثلاثة أجزاء. دار الغد العربي. القاهرة ١٩٩٣.

ف

- **الفاخوري، حنا**

تاريخ الأدب العربي في المغرب. ط١. منشورات المكتبة البوليسية. بيروت ١٩٨٢.

- **الفاسي، علال**

ديوان علال الفاسي. ط ٢. ثلاثة أجزاء. جمع وتحقيق: عبد العلي البودغيري. منشورات مؤسسة علال الفاسي. الدار البيضاء ١٩٩٨.

- **أبي الفداء، سيف الإسلام**

أناشيد البراعم. دار ابن حزم. بيروت ١٩٩٢.

- **الفرا، نهاد (وزميلاه)**

النشيد والموسيقى. للمرحلة الإعدادية. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.

- **الفرج، خالد**

ديوان خالد الفرج. تحقيق: خالد الزيد. ط ١. مطابع القبس التجارية. الكويت ١٩٨٩.

- **فرحات، إلياس**

أحلام الراعي. مطبعة مجلة الشرق. سان باولو ١٩٥٢.

ديوان فرحات. مطبعة مجلة الشرق. سان باولو ١٩٣٢.

- **الفرزدق**

ديوان الفرزدق. جزآن. دار صادر. بيروت ١٩٦٦.

- **فريج، عبد الله**

أريج الأزهار. المطبعة العباسية. القاهرة ١٨٩٥.

نظم الجمان في أمثال لقمان. مطبعة المحروسة. القاهرة ١٨٩٤.

- **فكري، عبد الله**

الآثار الفكرية. المطبعة الكبرى الأميرية. ط١. القاهرة ١٨٩٧.

نظم اللآل. شرح: عبد المعين الملوحي. دار الأوزاعي. بيروت ١٩٨٤.

- **فكري، علي**

آداب الفتاة. ط ٧. مطبعة هندية. القاهرة ١٩١٧.

تربية البنات. البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٣.

تربية البنين. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٦.

السمير المهذب. ط ٧. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧٩.

مسامرات البنات. الجزء الأول. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩١٨.

- **فياض، إلياس**

ديوان فياض. المطبعة الأميركانية. بيروت ١٩١٨.

- **الفيصل، سمر روحي**

أدب الأطفال وثقافتهم. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.

ثقافة الطفل العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٨٧.

ق

- **القاضي، عبد المجيد**

أدب الطفل اليمني من أين ؟ وإلى أين ؟. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٤.

- **القالي، أبو علي**

الأمالي. منشورات دار الحكمة. أربعة أجزاء. بيروت. بلا.

- **القاياتي، حسن**

ديوان حسن القاياتي. مطبعة كردستان العلمية. القاهرة ١٩١٠.

- **القباج، محمد بن العباس**

الأدب العربي في المغرب الأقصى. جزآن. ط ١. المطبعة الوطنية. الرباط ١٩٢٩.

- **القباني، عبد العليم**

قصائد من حديقة الحيوانات. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٤.

- **القباني، جمانة**

أحب لغتي. جزآن. منشورات مكتبة الصفاء. أبو ظبي. بلا.

- **قبش، أحمد**

تاريخ الشعر العربي الحديث. مؤسسة النوري. دمشق ١٩٧١.

- **القدسي، إلياس**

نوادر وفكاهات من احاديث الحيوانات. دمشق ١٩١٣. بلا اسم مطبعة.

- **القدسي، كامل (وزميلاه)**

التربية الموسيقية. وزارة التربية. المطبعة الجديدة. دمشق ١٩٦٦.

النشيد والموسيقى (مع هشام الشمعة)للرابع والخامس والسادس.وزارة التربية. دمشق ١٩٦٥.

القراءة والمحفوظات. وزارة التربية. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٦٥.

- **قرانيا، محمد**

ألعابنا الحلوة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٦.

شعر الأطفال في سورية. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

القمر يحب الأطفال. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٦.

المجد للأطفال. حلب ١٩٨٠.

نهر الحب. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٤.

- **القرشي، حسن عبد الله**

ديوان حسن عبد الله القرشي. دار العودة. ٣ أجزاء. بيروت ١٩٨٣.

- **قره بيتيان، كلادس**

أحلى الأشعار وأغاني الأطفال. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٩٥.

قصائد ملونة. مجموعة شعراء. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

قصائد مغناة. دائرة ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- **القطامي، د. سمير**

الحركة الأدبية في شرقي الأردن.منشورات وزارة الثقافة والشباب. عمان ١٩٨١.

a. **قطب، سيد**

الجديد في اللغة العربية (بالاشتراك) دار المعارف. جزآن القاهرة ١٩٤٩.

طفل من القرية. دار الشروق. القاهرة. بيروت ١٩٧٣.

ديوان سيد قطب. جمعه: عبد الباقي حسين. ط٢. دار الوفاء. المنصورة. بلا.

- **القواس، أبو الخير وآخرون**

الطرائف. ستة أجزاء. وزارة المعارف. مطبعة ابن زيدون. دمشق ١٩٣٥.

- **قوطرش، خالد (وزميلاه)**

القراءة والاستظهار. للسادس. المطبعة الهاشمية. دمشق ١٩٥٩.

- **قومي، اسحق**

أغنيات لبراعم النصر. دار المختار. دمشق ١٩٨٤.

- **قويدر، فارس**

وطن الأحرار. دار الوثبة. دمشق ١٩٧٩.

- **ابن قيم الجوزية**

تحفة المودود بأحكام المولود. ط ١. بعناية بسام الجابي. دار البشائر. بيروت ١٩٨٩.

ك

- **الكاشف، أحمد**

ديوان الكاشف. مطبعة الترقي. القاهرة ١٩١٤.

- **كتاب التهجي والمطالعة. ط ١٠.**

المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨. بلا.

- **كحالة، عمر رضا**

معجم المؤلفين. أربعة أجزاء. مطبعة الترقي. دمشق ١٩٦١.

- **كحل، سامر**

صداح. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٩.

- **الكرمي، عبد الكريم (أبو سلمى)**

ديوان أبي سلمى. ط ١. دار العودة. بيروت ١٩٧٨.

- **كريلوف، إيفان**

حكايات من روسيا. ترجمة: أمين سلامة. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٩.

- **كنز الناظم ومصباح الهايم.**

المطبعة الأدبية. بيروت ١٨٧٨.

- **كنعان، د. أحمد**

أدب الأطفال والقيم التربوية. ط ١. دمشق ١٩٩٥.

الطفولة في الشعر العربي والعالمي. ط ١. دار الفكر. دمشق ١٩٩٥.

القيم التربوية السائدة في شعر الأطفال. ط ١. دمشق ١٩٩٥.

- **كنعان، جرجس**

الآداب وتاريخها. ط ١.. المطبعة الأدبية. بيروت ١٩٣١.

- **كنيب، سيبستيان**

تنئشة الصغير. عربه: أفرام الديراني. مطبعة الأرز. جونية ١٨٩٩.

- **الكواكبي، عبد الرحمن**

طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد. ط ٢. دار القرآن الكريم. بيروت ١٩٧٣.

- **الكيلاني، كامل**

ديوان الكيلاني للأطفال. إعداد: عبد التواب يوسف. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨.

- **الكيلاني، نجيب**

أدب الأطفال في ضوء الإسلام. ط ١. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨٦.

ل

- **لطفي، محمد منذر**

أغنيات الفصول الأربعة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.
القمر يغني للأطفال. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩١.
من رأى العمال. سلسلة كتاب أسامة وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٢.

- **لوحيشي، ناصر**

رجاء. دار القلم. الجزائر ٢٠٠٠.

- **لوقا، اسكندر**

الحركة الأدبية في دمشق ١٨٠٠- ١٩١٨. دمشق ١٩٧٦. بلا.

م

- **ما ركيت، ج**

حكايات من لقمان. عربها: عبده حسن الزيات. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٤٨.

- **المالح، ياسر**

حديقتي. للثاني. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.
حديقتي. للثالث. وزارة التربية. دمشق ١٩٧٤.

- **الماوردي، علي بن محمد**

كتاب أدب الدنيا والدين. ط ١٠. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨.

- **مبارك، عبد القادر**

فرائد الأدبيات العربية. مطبعة الترقي. دمشق ١٩١٣.

a. **ابن المبارك، محمد بن ميمون**

منتهى الطلب في أشعار العرب. تحقيق د. محمد الطريفي. ثلاثة أجزاء. دار صادر. بيروت ١٩٩٧.

- **مبارك، علي**

سيرة ذاتية بقلمه. مكتبة نهضة مصر. القاهرة ١٩٩٤.
مجموعة أناشيد الدعوة الإسلامية. دار الفضيلة. دبي. بلا.
المحاورة والتمثيل الغنائي. للصف الثاني. منشورات المؤسسة السورية العراقية. مطبعة الفنون. حلب ١٩٥٩.

- **محسن، د. حسن**

الشعر القصصي. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٨٠.
محفوظات. وزارة المعارف العمومية. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩١٨.

- **محمد، عواطف إبراهيم**

أغاني أطفال دور الحضانة. الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٤.

- **المرتضى، علي بن الحسين**

أمالي السيد المرتضى. جزآن. مطبعة عيسى البابي الحلبي ط١. القاهرة ١٩٥٤.

- **مردم، خليل**

ديوان خليل مردم. مطبعة مجمع اللغة العربية. دمشق. بلا.

- **مردم، عدنان**

نجوى. دار المعارف. القاهرة ١٩٥٦.

- **المرشدي، محمد أحمد (وزملاؤه)**

القراءة والمحفوظات. وزارة التربية والتعليم. دار ومطابع الشعب. القاهرة ١٩٦٤.

- **مرقص، إدوار**

ديوان إدوار مرقص. المطبعة التجارية. اللاذقية ١٩٣٥.

كفيل الإنشاء. الجزء الأول. مطبعة الترقي. اللاذقية ١٩٣٣.

- **مريدن، د.عزيزة**

القصة الشعرية في العصر الحديث. ط ١. دار الفكر. دمشق ١٩٨٤.

ابن مشرف، أحمد بن علي

ديوان الإمام أحمد بن علي مشرف. إدارة إحياء التراث الاسلامي. قطر ١٩٨٦.

- **المشرفي، محيي الدين (وآخرون)**

القراءة العربية. ط ٤. مطبعة فضالة. الرباط ١٩٦٠.

- **مشوح، وليد**

أناشيد المجد. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٧.

- **مصطفى، إبراهيم (وآخرون)**

المطالعة العربية. ثلاثة أجزاء. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٤٣.

المطالعة العربية للمدارس الابتدائية. أربعة أجزاء. المطبعة الاميرية. القاهرة ١٩٤٤.

- **مصطفى، حيدر**

من رأى أغاريد الطفولة. دار المنارة. عمان ١٩٩٩.

- **مصلح، أحمد**

أدب الاطفال في الأردن. ط ٢. وزارة الثقافة. عمان ١٩٩٩.

المطالعة الأولية. خمسة أجزاء. المطبعة الأميرية. القاهرة ١٩٤٤.

- **مطران، خليل**

إلى الشباب. منشورات مارون عبود. بيروت ١٩٥١.

- **أبو معال، د.عبد الفتاح**

أدب الأطفال. ط ١. دار الشروق. عمان ١٩٨٤.

دراسات في أناشيد الأطفال. دار الشروق. عمان ١٩٨٦.

- **معتوق، هالة حميد**

قطار ليلى. دار الجليل. ط ١. دمشق ١٩٨٦.

- **معروف، نايف**

حديقة الأطفال. دار النفائس. بيروت ١٩٨٨.

روضة الشعر. دار النفائس. ط ١. بيروت ١٩٨٨.

- **مفلح، محمود**

غرديا شبل الإسلام. دار النشر. عمان ١٩٩١.

- **المقالح، د. عبد العزيز**

الشعر اليمني المعاصر. دار العودة. بيروت ١٩٧٧.

الوجه الضائع. دار المسيرة. ط ١. بيروت ١٩٨٥.

- **المقدسي، أنيس**

الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث. ط ٦. دار العلم للملايين. بيروت ١٩٧٧.

- **ابن المقفع، عبد الله**

الأدب الوجيز للولد الصغير. تعريب وتحقيق:محمد غفراني خراساني. ط ١. عالم الكتب. مطبعة مخيمر. القاهرة ١٣٤١هـ.

- **ملاط، شبلي**

ديوان شبلي ملاط. دار الطباعة والنشر اللبنانية. بيروت ١٩٥٢.

- **الملوحي، عبد المعين.**

مواقف إنسانية في الشعر العربي. ط ١. دار الحضارة الجديدة. بيروت ١٩٩٢.

المنتخبات العربية. نظارة المعارف العمومية. المطبعة الاميرية. القاهرة ١٩١٢.

- **المهدوي، رفيق**

ديوان رفيق. جزآن. مطبعة الرسالة. القاهرة ١٩٥٩.

- **موسى، محجوب**

أغاني الأطفال. دار الصحابة للتراث. ط ١ طنطا. بلا.

ن

- **النابغة الذبياني**

ديوان النابغة الذبياني. صنعة ابن السكيت. تحقيق: د. شكري فيصل. دار الفكر. دمشق. بلا.

- **ناجي، إبراهيم**

الأعمال الشعرية الكاملة. تحقيق ودراسة: حسن توفيق. المجلس الأعلى للثقافة. مطابع لوتس بالفجالة. القاهرة ١٩٩٦.

- **نادر، موفق**

أغنيات بطعم الليمون. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ٢٠٠٢.

عصفور الثلج. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٨.

نائل يلتقي أباه. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٤.

- **ناصيف، إميل**

أرو ع ما قيل في أغان وأشعار للأطفال. دار الجيل. بيروت ١٩٩٣.

- **ناصيف، جرجس**

أغاني البراعم. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٦.

الناعوري، عيسى

أناشيدي. منشورات الرائد العربي. مطابع أبي الفدا. حماه. بلا.

- **نجيب. أحمد**

فن الكتابة للأطفال. دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٨.

- **نخلة، رفائيل اليسوعي**

المختارات. جزآن. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٣٠.

- **النشاشيبي، إسعاف**

أشعار عربية يستظهرها الطلبة الصغار. المكتبة السلفية. القاهرة١٣٤١هـ.

البستان. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٢٧.

- **النشاشيبي، شريف**

الأدب التهذيبي. المطبعة البوليسية. حريصا ١٩٦١.

القراءة الفريدة للمدارس الابتدائية. ط ١. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩٣٢.

- **نصار، د. حسين**

الشعر الشعبي العربي. سلسلة المكتبة الثقافية. القاهرة ١٩٦٢.

- **نصار، محمد فتحي**

بني الاسلام على خمس. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
الطفل المسلم في بيته. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
في مدرستي. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
كيف الصلاة يا بني. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
لاتفعل هذا يا ولدي. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
نشيد الفتاة المسلمة. دار الصحابة. طنطا ١٩٩٢.
النفائس لتلامذة المدارس. بيروت ١٨٨٦. بلا.

- **النقيب، عبد الرحمن**

فلسفة التربية عند ابن سينا. دار الثقافة. القاهرة ١٩٨٤.

- **نوفل، عبد الوهاب**

من أجلها وأجلكم. جمعية عمال المطابع التعاونية. عمان. بلا.

هـ

- **هاشم، لبيبة**

كتاب في التربية. مطبعة المعارف. القاهرة ١٩١١.

- **ابن الهبارية، أبو يعلى علي بن أحمد**

كتاب الصادح والباغم. ط ١. مطبعة وداي النيل المحروسة. القاهرة ١٨٧٤.
كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة. هذبه: نعمة الأسمر. المطبعة اللبنانية. بيروت ١٩٠٠.

- **الهجري، هارون بن زكريا**

التعليقات والنوادر. جزآن. دار الرشيد. بغداد ١٩٨١.

- **الهراوي، محمد**

سمير الأطفال للبنات. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٣.
سمير الأطفال للبنين. ثلاثة أجزاء. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٢.
السمير الصغير. ط ١. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٦.
الطفل الجديد. ط ٣. مطبعة دار الكتب المصرية. القاهرة ١٩٢٣.

- **الهرفي، محمد علي**

أدب الأطفال. مؤسسة المختار القاهر ة ٢٠٠١.

- **همام، جرجس**

مدارج القراءة. ستة أجزاء. مطبعة الأميركان. بيروت ١٩٠٠.

- **أبو هنا. نقولا**

أمثال لافونتين. مطبعة دير المخلص. صيدا ١٩٣٤.

- **هواري، صالح**

عصافير بلادي. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨١.
هنادي تغني. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٧٨.

- **الهيتي، د. هادي نعمان**

أدب الأطفال فلسفته فنونه ووسائطه، وزارة الإعلام. بغداد ١٩٧٧.
ثقافة الأطفال. سلسلة عالم المعرفة. الكويت ١٩٨٨.

- **هيكل، د. أحمد**

الأدب القصصي والمسرحي في مصر. دار المعارف. القاهرة ١٩٦٨.

و

- **وائلي، خير الدين**

ديوان حكايات الأطفال. ط ١. دار البيان ١٩٨٦. بلا.

- **وادي، د. طه**

الشعراء المجهولون في القرن التاسع عشر. ط ١. دار الثقافة. الدوحة ١٩٨٦.

- **الورع، ضياء الدين**

حضارة وخاطرة. ١٩٩٥. بلا.

- **أبو الوفا، محمود**

أشواق. مطبعة مصر. القاهرة ١٩٤١.

أناشيد البراعم المؤمنة. مؤسسة الاقصى ١٩٧٣. بلا.

- **الوكيل، العوضي**

أصداء بعيدة. البابي الحلبي. ط١. القاهرة ١٩٤٥.

- **ويردي، ميشيل الله**

زهر الربى. دمشق ١٩٤٢. بلا.

ي

- **يازجي، ناصيف**

مجمع البحرين. دار صادر. بيروت ١٩٦٦.

- **ياسين، إبراهيم عباس**

أغنيات لعرس الطفولة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق ١٩٩٩.

ماذا قال المطر للعصافير. سلسلة كتاب أسامة. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٩٢.

- **ياسين، نبيل**

الوردة قالت للقمر. دائرة ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- **يحيى، يحيى الحاج**

تغريد البلابل. دار البشير. عمان ١٩٩٣.

- **يحيى، عمر**

ديوان عمر يحيى. جزآن. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٨.

- **اليسوعي، رفائيل نخلة**

المختار. جزآن. المطبعة الكاثوليكية. بيروت ١٩٣٠.

- **يموت، بشير**

شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام. ط ١. المطبعة الوطنية. بيروت ١٩٣٤.

- **يوسف، خالد**

تك تك تاك. دار ثقافة الأطفال. بغداد. بلا.

- **يوسف، عبد التواب**

تجربتي في الكتابة للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٩.

الشعر للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٨٩.
المختار من ديوان شوقي للأطفال. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ٢٠٠٠.
الهراوي رائد مسرح الطفل العربي. دار الكتاب المصري. القاهرة ١٩٨٧.

مجلات الأطفال

١- أحمد	(لبنان)
٢- أسامة	(سورية)
٣- توته توته	(لبنان)
٤- سمير	(مصر)
٥- الطليعي	(سورية)
٦- العربي الصغير	(الكويت)
٧- عرفان	(تونس)
٨- مجلتي	(العراق)
٩- المزمار	(العراق)

٧

الصفحة

الباب الثاني

الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع:

الباب الخامس:

الصفحة

الباب السادس:

الباب السابع:

الباب الثامن:

لىولأا ةبطلا / ٢٠٠٧

عبطا دع ١٠٠٠ ةخسنز

هذا الكتاب

دراسة شاملة لشعر الأطفال في أدبنا العربي عبر عصوره المختلفة، منذ الجاهلية حتى يومنا هذا، مع تعريف بأهم شعرائه في جميع الأقطار العربية،وا إيراد نماذج من أشعارهم، ودراستها دراسة نقدية عميقة واعية، ثم استخلاص مقومات قصيدة الطفل وما يجب أن تكون عليه.

وهذا الكتاب حاجة ماسة:

لأطفالنا:لأنه يقدم لهم عبر شواهده الشعرية، غذاء هاماً روحياً وفكرياً يخصبون به.

لمن يعلمون أطفالنا: لأنه يساعدهم على اختيار أفضل النماذج الشعرية للأطفال الذين يقومون بتعليمهم.

للذين يكتبون قصيدة الطفل: لأنه يستعرض لهم بشكل مفصَّل، وعبر دراسة نقدية تطبيقية عميقة، المقومات الصحيحة لقصيدة الطفل. وفي تقديري أن هذا الكتاب واحد من أهم المراجع في شعر الأطفال، إن لم يكن أهمها جميعاً، للأسباب التالية:

١- لشموليته التاريخية والجغرافية.

٢- لوعي المؤلف المرهف بقصيدة الطفل شكلاً ومضامين.

٣- لغزارة ما أورده المؤلف من النماذج الشعرية، وتطبيقاته النقدية السديدة عليها.

فإذا أضفت إلى كل ذلك فقر مكتبتنا العربية المدقع إلى دراسات عميقة متخصصة في هذا المجال الحيوي من حياة أطفالنا يصبح هذا الكتاب كنزاً من كنوز مكتبتنا العربية.

عبد الرزاق عبد الواحد